



مكتبة

دراما تغيرات
الحياة في المجتمع
الصيني الحديث



آناي

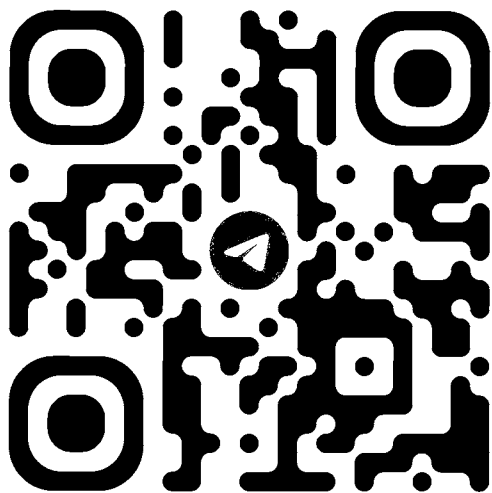
نهر يتسع لأكثر من

مصير

رواية

ترجمة:
جورجينا القس زكريا
إيمان سعيد

الجزء الثاني



سجل في مكتبة

اضغظ! الصفحة

SCAN QR

نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

اسم الكتاب: نهر يتسع لأكثر من مصير - الجزء الثاني

اسم المؤلف: آ ناي

المترجم: جورجينا القس زكريا – إيمان سعيد

الناشر: مجموعة بيت الحكمة للصناعات الثقافية

الطبعة الأولى: 2026

آ ناي.

نهر يتسع لأكثر من مصير: رواية طويلة/آ ناي، ترجمة:

جورجينا القس زكريا – إيمان سعيد

- القاهرة: مجموعة بيت الحكمة للثقافة للصناعات

الثقافية، 2025، 518ص، 20سم.

تدمك: ISBN: 9786338316402

رقم الإيداع: 2025/28512

1 - القصص الصينية

أ- زكريا، جورجينا القس (مترجم)

ب- سعيد، إيمان (مترجم مشارك)

ج- العنوان: 895,13

مجموعة بيت الحكمة للثقافة

شارع التحرير- ميدان التحرير- القاهرة

ت: +201030328888 +20223936038

info@baytelhekma.com

www.baytelhekma.com



تم نقل حقوق الترجمة والنشر بموجب العقد الموقع مع الناشر

الأصلي بالصين 中国教育图书进出口公司

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأي المؤلف ولا تعبر

بالضرورة عن رأي الناشر

جميع إصداراتنا متوفرة على منصات البيع الكبرى

والمكتبات بالدول العربية والعالم.

الإشراف العام

د. أحمد السعيد

مدير التحرير

عمرو مغيث

هيئة التحرير

علي قطب

محمد كرم

محمد ماهر بسيوني

سكرتير التحرير

ياسمين مجدي

تدقيق لغوي

تقى المرسي

تصميم الغلاف

عبد الرحمن ناصر محمد

الإخراج الفني

حسام عنتر

حقوق الطبع والتوزيع

محفوظة

©baytalhekma



مكتبة

t.me/soramnqraa

رواية طويلة

مكتبة
t.me/soramnqraa

نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

الجزء الثاني

تأليف: آ ناي

ترجمة: جورجينا القس زكريا - إيمان سعيد



Arabic Translation Edition Copyright © 2025 Bayt Alhekma Cultural Industry
Group



《大江大河》（第二部）（阿文版）
"نهر يتسع لأكثر من مصير" (الجزء الثاني)

Copyright © 2018 by A Nai

This edition is authorized by **China Educational Publications Import &
Export Corporation Ltd.**

For information address **Floor 8-10, Building 1-3, No.1 Xiying Street,
Fengtai District, Beijing 100073, P.R. China**

All rights reserved including the right of reproduction in whole or in any part in
any form.

تمت الترجمة بشركة بيت الحكمة للترجمة

ALL RIGHTS RESERVED

ذهب سونغ يون هوي إلى الورشة أولاً لإلقاء التحية، وأكد لموظف الحضور والانصراف إنهاء رحلة العمل. ولكن قبل حتى أن يخرج من المكتب، اقترب نائب مدير الورشة وأمسك به وجزه إلى الخارج أسفل الشمس، وأخبره أن ليو كبير المهندسين يبحث عنه ويطلب منه الذهاب إليه فور عودته. فوافق سونغ، وركب الدراجة مسرعاً إلى المبنى الإداري للمصنع الرئيسي، ولكنه دخل مباشرة إلى مكتب الأمين شوي.

كان باب المكتب مفتوحاً، فرأى الأمين شوي جالساً يكتب على مكتبه. طرق سونغ يون هوي الباب، فرفع الأمين شوي رأسه، وظهرت ابتسامة على وجهه، دعاه للدخول مشيراً بيده، واستند إلى ظهر الكرسي وتمدد، فذهل سونغ يون هوي محدقاً بعينه وفاغراً فاه، هل هذا تصرف أمين؟ في حين جلس الأمين شوي مستقيماً وكأن شيئاً لم يكن، وقال لسونغ يون هوي متعشياً: «الشباب يتمتعون بصحة جيدة، إذ يأتون مباشرة إلى العمل بعد النزول من القطار دون استراحة. لقد تحدثت معي شوي الصغير عن مسودتك، لا داعي لقراءتها عليّ، وأنا لن أقرأها أيضاً، فأنا أثق تماماً في شوي الصغير وفيك. أخبرني، ماذا تنوي أن تفعل بعد ذلك؟».

وقفت يد سونغ يون هوي التي أخرجت الورقة من الحقيبة معلقة في الهواء: «ولكن، يا سيادة الأمين شوي، لقد اختلف محتواها كثيرًا عما كنت في بكين، لتقرأها حضرتك أولاً ثم تتخذ القرار النهائي». فلوح الأمين شوي بيده رافضاً وقال: «هل قرأت «سجلات المؤرخ الكبير» من قبل؟». فهزّ سونغ يون هوي رأسه: «لا، إنني ضعيف في مجال الأدب والتاريخ».

نهض الأمين شوي، وفتح خزانة الملفات، وأخرج كتاباً سميكا، ثم قلب بضع صفحات، إلى أن وجد ما يبحث عنه، فأشار إلى إحدى الفقرات ليقرأها سونغ يون هوي. وما إن بدأ سونغ يون هوي يقرأها، حتى وجدها باللغة الصينية القديمة.

بعد فترة من الوقت، جاء الإمبراطور شياو ون، بعدما نضجت معرفته بشؤون الدولة، إلى المحكمة وسأل المستشار بوه الجالس عن يمينه: «كم عدد الأحكام التي يمكن أن تُصدر خلال عام واحد على مستوى الدولة؟» فأجاب بوه: «لا أعلم». فسأله: «وما مقدار الأموال التي يمكن أن تدخل إلى خزانة المال والحبوب وتخرج منها خلال عام واحد على مستوى الدولة؟» فأجاب مرة أخرى بلا أعلم، وكان يتصبب عرقاً من جميع أنحاء ظهره، وشعر بالخجل لعدم قدرته على الإجابة بشكل صحيح. بعد ذلك، سأل المستشار تشن بينغ الجالس عن يساره. أجاب تشن بينغ: «كل شيء له سيد». فسأله الإمبراطور: «ومن هو السيد؟» أجاب تشن بينغ: «إذا أردت جلالتك السؤال عن الأحكام، فلتسأل القاضي؛ وإذا أردت جلالتك السؤال عن خزانة المال والحبوب، فلتسأل وزير

الزراعة». سأل الإمبراطور: «إذا كان كل شيء له سيد، فأى شيء أنت مسؤول عنه؟» أجاب تشن بينغ: «مولاي! إذا كنت جلالتك لا تعلم مدى قدرتي، دعني أتولّى منصب رئيس الوزراء. فمهام رئيس الوزراء في الأعلى هي مساعدة الإمبراطور في ضبط توازن القوى، ومواكبة التغيرات، وفي الأسفل هي رعاية كل شيء ليناسب الدولة، وفي الخارج هي السيطرة على جميع القبائل والأمراء من كل ناحية، وفي الداخل هي البقاء بالقرب من العامة، حتى يتمكن المسؤولون على جميع مستوياتهم من أداء واجباتهم». فأشاد الإمبراطور شياو ون بإجابته الصالحة.

كان سونغ يون هوي يقرأ متلعمًا، ومع ذلك استطاع فهم المعنى تقريبًا، وأخذ يقرأه مرارًا وتكرارًا، وفكّر طويلًا، ثم قال: «شكرًا لثقتك يا سيادة الأمين شوي، ولكن المسؤولية ثقيلة، ولا أعرف ماذا أفعل».

أغلق الأمين شوي الكتاب، وقال بثقة: «أنا لا أعمل في مجال التكنولوجيا، فلو أعطيتني لأقرأ، لن أفهم شيئًا. لقد قرأت بالفعل الإطار العام الذي أرسله إليّ شوي الصغير، وهذا تمامًا هو الاتجاه العام، ولا يوجد ما يحتاج إلى تغيير، لذا لا داعي لأن أقرأ مرة أخرى. إن مهمتي هي إدارة الأفراد، وتنظيم القوى العاملة والموارد المادية لتخدم الأهداف واحدًا تلو الآخر. وأنت كالقاضي ووزير الزراعة، مسؤول عن العمل الفعلي. كل شخص له وظيفته. ولأنك تتمتع بالقدرة، وتقوم بالعمل على نحو جيد، تركت تذهب لتقوم بالعمل. عليك أيضًا أن تكون حرًا في القيام بذلك، وألا تتقيّد بالأقدمية، هل تفهم؟».

أوماً سونغ يون هوي برأسه بقوة، فقد فهم. وتذكر ما قاله شوي الكبير له، فالمثقفون في المصنع غير راضين عن الأمين شوي، لذلك، فمن الواضح أن الأمين شوي عليه أن يدرّب قوّته الخاصة من المثقفين. أي سونغ يون هوي. وهذه فرصة، ولكنها أيضاً بمثابة الزجّ به في المعركة. فإذا أخطأ، لا، إذ لا يمكنه أن يُخطئ، فباعباره الجنرال الذي يتقدّم جيش الأمين شوي، عليه أن يفوز بمجرد الخروج إلى المعركة.

أخذ الأمين ينظر بهدوء إلى سونغ يون هوي لبعض الوقت، إذ كان يراهن على ذلك الشاب الذي أمامه، ولكنه في النهاية أيضاً كان يثق في شوي الصغير الذي تعاون معه بتناغم لسنوات عدّة، ويثق في تأكيد شوي الصغير، إذ دفعه تأكيد شوي الصغير للخطة إلى إعادة استخدام سونغ الصغير. لكنه عندما وضع يده على الهاتف، ظلّ ينتبه ويقول: «كُن واثقاً بنفسك!» ولما رآه يهزّ رأسه بقوة، اطمأن ورفع السماعة، واتّصل بمدير مكتب المصنع الرئيسي: «أبلغ باجتماع على الفور. والحضور هم مدراء وأمناء المصنع الرئيسي والمصانع الفرعية وكبير المهندسين وقسم التكنولوجيا الحيوية ومكتب التصحيح الشامل، وجدول أعمال الاجتماع هو مناقشة وتحديد خطة تصحيح المعدات، في تمام الرابعة عصرًا بقاعة الاجتماعات الكبرى».

نظر سونغ يون هوي مذهولاً بعينين محدّقتين ولسان منعقد إلى الأمين شوي وهو يغلق الهاتف. أهذا اجتماع؟ أهذا يعني شحذ السيوف للذهاب إلى المعركة؟ بهذه السرعة؟

دفعت هذه المهمة العاجلة والثقيلة الشاب سونغ يون هوي للتحمُّس والحرص على المحاولة. هذه هي السرعة، وهذا هو القيام بالعمل! فهذه السرعة مُرضية تمامًا مقارنة بالتعامل مع ليو كبير المهندسين الذي شابه طرائق الأحزاب السرية.

ظلّ الأمين شوي ممسكًا بالهاتف بيد واحدة، ونظر إلى الساعة، وقال: «اذهب إلى قاعة الاجتماعات أولاً، وراجع مرة أخرى».

اعتقد سونغ يون هوي أن الأمين شوي بالتأكيد يريد إجراء عدة مكالمات مهمة، ولن يكون مرتاحًا بالجلوس جانبًا والاستماع إليها. على الرغم من أنه كان يعلم بمعرفته الجيدة للبيانات الموجودة لديه، وأنه لا يحتاج لمراجعتها مرة أخرى، فإنه لم يشرح شيئًا، وودّعه وخرج وأغلق الباب خلفه. عندما رأى الأمين شوي سونغ يون هوي وقد قام بفعل تفصيلي كإغلاق الباب خلفه، لم يستطع إلا أن يتذكّر مكالمته الهاتفية مع شوي الصغير أمس، إذ كان أكثر ما يعجبه هو أن شوي الصغير، الذي كان يفكر في تدريبه كخليفة له فيما مضى، قد قال إن هذا الفتى لديه دهاء وطموح، ولكن لحسن الحظ أنه ما زال صغيرًا، ومخلصًا إلى حد ما، ولديه مبادئ في سلوكه وعمله. قال الأمين شوي في نفسه، إن هذا جيد تمامًا، إذ إنه لا يريد شخصًا صادقًا ومخلصًا كالجمار الساذج، كما إن لديه طريقته الخاصة للسيطرة على طموح ودهاء هذا الفتى.

ظلّ سونغ يون هوي يخبر نفسه طوال الطريق إلى قاعة الاجتماعات إن هذا كله من أجل العمل، وأنه يريد القيام بالعمل، وهو لن ينضمّ إلى زُمرة أحد. بعد دخول قاعة الاجتماعات، لم

ينظر حوله، وإنما أخفض رأسه وأغلق عينيه وأخذ يفكر، وركز تفكيره على كيفية معارضة تقنية إف آر سي.

بعد فترة من الوقت، لمس شخص ما ذراعه، فأنزل ذراعه الموضوع على المقبض كما لو كان رد فعل شرطي، ولكنه سمع ضحكة خفيفة قادمة من جانبه، فرفع رأسه ونظر، فوجده يوي شان تشينغ. لقد كان يعتبر يوي شان تشينغ منافسًا له فيما مضى، ولكنه الآن صار يحتقره بعض الشيء. ولكنه ابتسم قائلاً: «أخيرًا التقيت بأحد معارفي».

نظر يوي شان تشينغ لسونغ يون هوي، وقال باسمًا: «أنت منهك جدًا، ولكن لا يمكنك النوم تحت عين القادة».

«لقد نزلت من القطار للتو، ولم أتم جيدًا طوال الطريق».

فابتسم يوي شان تشينغ عن علم وقال: «سمعت أنك ستُنقل إلى مكتب التصحيح الشامل. انظر، لقد دُعيت اليوم للمشاركة في الاجتماع كبداية». ولما رأى أن سونغ يون هوي لم يرف له جفن ولم يتأثر، ابتسم وقال: «انس الأمر، لتحدث عن هذا لاحقًا. قبل ثلاثة أيام كاد أن يقع حادث في ورشة المحركات، أتعلم بهذا؟ حينها ارتفع الضغط بسرعة، وكاد صمام الأمان أن ينخلع».

كان سونغ يون هوي قد تعلم جدولة الورشة الأولى، وباعتبارها جدولة لقلب المصنع الفرعي، كان من الطبيعي له أن يفهم الوضع العام للورش الأخرى، لذلك فلما سمع هذا صُدم قائلاً: «بالتأكيد كان على جميع القادة في المصنع أن يذهبوا وينقضوا عليه».

«أنت على حق». استند يوي شان تشينغ براحة إلى ظهر الكرسي وضحك بغموض، «كان من الواضح أمام كل المتخصصين والعاديين الموجودين في موقع الحادث أن شخصًا ما قد جعل من نفسه أحق، وكان العَمال على جميع مستوياتهم يتحدثون بشأن هذا».

«لم أسمع». بطريقة ما، ذهب سونغ يون هوي على الفور إلى احتمالية كون الأمين شوي ذلك القائد الذي جعل من نفسه أحق، ولكنه لم يسأل، إذ لم يكن يعجبه كثيرًا النميمة عن الناس من وراء ظهورهم، حتى ولو لم يكن الأمين شوي فلن يسأل أيضًا، بالإضافة إلى أنه يسأل يوي شان تشينغ. لم يكن واثقًا تمامًا من يوي شان تشينغ كشخص، إذ كان يقلق من اقتطاع أي كلمة من سياقها ونشرها بعدما تصل أولاً إلى أذن يوي شان تشينغ. فتمدد كالأمين شوي، ولكنه لم يجرؤ على التمدد أكثر، واكتفى بعدها بتأؤب بسيط. «أنت تعزف على الجيتار بشكل جيد حقًا، فأنا لا يمكنني العزف على أي آلة».

صُدم يوي شان تشينغ، إذ لم يكن يعرف ما إذا كان سونغ يون هوي قد غيّر الموضوع عن قصد أو عن غير قصد، فلم يستطع إلا أن يردّ باستقلالية: «وما هذا، إنها مجرد هواية». ثم فكّر في شيء آخر، وسأل باستخفاف: «في الأيام الماضية التي لم تكن موجودًا فيها، أت فتاة صغيرة تقول إنها صديقتك، أليس صديقة صغيرة هكذا؟».

«نعم لدي، ليانغ سي شن، إنها في الإعدادية. لم أقابلها لثلاثة سنوات، وبعدها رجعت إلى غرفتي رأيت الرسالة التي تركتها لي على الطاولة، وندمت كثيرًا على عدم رؤيتها، ماذا، هل رأيتها؟ هل كبرت الفتاة الصغيرة؟».

قال يوي شان تشينغ ضاحكًا: «عليك أن تندم بالتأكيد. ماذا تعني بهل كبرت، لقد كبرت بشكل جيد، وعلى الرغم من أن ملامح وجهها ليست الأكثر تميّزًا، ولكن طباعها ممتازة، إذا نظرتُ إلى الوراء وابتسمتُ، فسيبدو جمال جميع فتيات جيتشو لا يضاهيها». فقال سونغ يون هوي بفخر: «هذا مؤكّد، فالنفيس لا يضاهي إلا النفيس، وبيئتنا في جيتشو لا ترقى لمثل هذا المقام العالي».

في ذلك الوقت، دخل كبير المهندسين ليو، وعند جلوسه أولى اهتمامًا خاصًا لهما. ودخل أيضًا مدير المصنع فيّ، وتطلّع أيضًا إليهما. لقد فهم سونغ يون هوي أن نائب مدير الورشة بالتأكيد قد أخبر كبير المهندسين ليو بالأمر، ونظرًا لأن كبير المهندسين ليو لم يكن أول من ذهب سونغ يون هوي لرؤيته بعد العودة، فبالأكيد سيعاني من أمر ما فيما بعد، وقد استعدّ جيدًا لهذا بالفعل. ولكنه كان سعيدًا بأن كبير المهندسين ليو ومدير المصنع فيّ هما من يجلسان أمامه، فلو كان من يجلس أمامه هو الأمين شوي الذي كان قد دخل لتوّه، فمن المحتمل أن يأمره بالخروج بمجرد أن يلمحه جالسًا، ويضعه في موقف محرج. لحسن الحظ أن المثقفين ليسوا متعجرفين إلى هذه الدرجة.

ولكن سونغ فكر أيضًا في أن الأمين شوي بعد قليل بالتأكيد سيطلب منه معارضة تقنية إف آر سي، وعند تحدّثه سيحتاج إمّا لاستخدام أدوات المثقفين التي تتماشى مع هويته، أو لاستخدام أدوات الأشخاص أمثال الأمين شوي ولي دونغ باو؟ ومن الواضح أن كلمته ستكون ذات تأثير أكبر إذا ما استخدم الخيار الثاني. ولكن،

على الرغم من تفضيل سونغ يون هوي للخيار الثاني، فإنه لم يكن يُعجبه أيضًا؛ إذ كانت شخصيته تحمل بعض أناقة الدارسين.

شعر يوي شان تشينغ أيضًا بملاحظة الزعماء الثلاثة عن قصد أو عن غير قصد لهذا الجانب عند دخولهم، وكان بالطبع يعرف بوضوح أنه لم يكن هو من يلاحظونه، وإنما هذا الفتى الصغير الجالس بجانبه. لم يستطع منع نفسه من الشعور بالغيرة، الغيرة من الحظ السعيد الهائل الذي منحه الأمين شوي لسونغ يون هوي. فلو كان مكان القائد، لرغب بالطبع في تدريب ذلك الشاب سونغ يون هوي الذي يبدو كالصفحة البيضاء، بدلاً من تدريب هذا الرجل البالغ الذي لديه بالفعل خبرة في الحياة. كل ما يمكنه فعله هو الاعتماد على نفسه فقط للحصول على ما يريد بكلتا يديه، ولا يمكنه انتظار الحظ السعيد ليسقط عليه من السماء. ولكن، عند الحصول على مثل هذه الأشياء بهذه الطريقة، غالبًا ما يأتي ضعف الجهد المبذول بنصف النتيجة، لذلك فلحسن الحظ أنه استطاع أخيرًا فتح الباب أمامه على مركز الإدارة من خلال ليو تشي مينغ.

ابتسم يوي شان تشينغ ابتسامة هادئة لم تظهر إلا عند زاوية فمه للحظة وسرعان ما اختفت، ثم أظهر نفسه أمام كبير المهندسين ليو وكأنه يأخذ زمام المبادرة للفوز على سونغ يون هوي، إذ كان يشعر أن كبير المهندسين يحمل في كلامه تقديرًا لسونغ يون هوي، ويريد بشدة أن يستميل سونغ يون هوي ليستغله. فالجميع يحبون الورقة البيضاء. بعد ذلك عاد لينظر إلى سونغ يون هوي الذي بدا وكأنه يغلق عينيه ليريح عقله، وقال ضاحكًا: «هل غفوت مرة أخرى؟ مهلاً، ماذا يعمل والد ليانغ صديقتك الصغيرة؟».

نظر سونغ يون هوي إليه شذرًا مشمئزًا من السؤال، ولم يرغب في الإجابة: «أنت تقول إنني أغفو، وعيناك أنت تبدو كعيون الباندا، فيم كنت منشغلاً مؤخرًا؟».

بالطبع لم يكن يوي شان تشينغ ليصارحه بعمله في مكتب التصحيح الشامل، فأجابه بوجه باسم: «واقع في الحب، الحب. هاها...».

عند سماعه لهذا، أراد سونغ يون هوي بشدة لكمة في أنفه بقبضته، ولم يستطع منع نفسه من تذكر ليانغ سي شن عندما غضبت عليه. مهلاً، إن تلك الفتاة الصغيرة تتمتع بتفكير استراتيجي أكثر منه كثيرًا، يبدو أن هذا نتيجة لمعيشتها وممارساتها الجادة في المنزل كل يوم. وتلك الكلمات المهينة التي قالتها متشبهة بالملكة لذلك الرجل الحقير في المطعم، أظهرت أن ما أسمته بتعلم آداب الطبقة الأرستقراطية هو مجرد تظاهر بالبراءة واللفظ لإخفاء حقيقتها. وما إن وصل سونغ يون هوي إلى هذه النقطة حتى ابتسم دون قصد، فكل شخص يحمل في نفسه آثارًا عميقة للحياة. وبالمقارنة مع مشهد ليانغ سي شن في المطعم، فهذه المناسبة التي أمامه، كيف لا يمكن اعتبارها كإلقاء لطفل في مجتمع الكبار؟ إذ كان يمكنه أيضًا التظاهر بالغباء. ومرة أخرى لم يستطع منع نفسه من الابتسام، وكأنه موجه بدأ يسرق الحيل من ليانغ سي شن الصغيرة.

وفقًا لما يُقال، فإن اجتماع اليوم ليس اجتماعًا لشؤون الحزب بالمرّة، فإخطار الأمين شوي بعقد اجتماع لا يتوافق بالفعل مع القواعد، ومع ذلك فقد أتى مدير مصنع في الآخرين للحضور.

وقبل حلول الرابعة عصرًا، فتح الأمين شوي فاه وتحدّث، فاعتنم
حق رئاسة الاجتماع أيضًا.

«الجميع هنا، أليس كذلك؟ دعونا نعتنم فرصة وجود مدير
المصنع فيّ قبل عودته إلى بكين غدًا لنطرح الأعمال التي أُجريت
مؤخرًا بشأن تحديث المعدات، وسينظم الاجتماع طريقة تفكيرنا،
ويوحد أفكارنا، ويحدد اتجاه العمل المستقبلي. الوقت لا ينتظرنا،
لذا علينا في اجتماع اليوم تشكيل قرار، وسيصبح هذا القرار كمبدأ
توجيهي لتحديث المعدات، ليرشدنا في أعمال تحديث المعدات
في المستقبل. لذلك يجب أن تكون مناقشتنا شاملة ومتعمّقة
ومفصلة. سيُجرى اجتماع اليوم وفقًا لجدول الأعمال التالي:
أولاً، مناقشة مكتب النقل والتسويق ضرورة تحديث المعدات
وفقًا للوضع الحالي للتخطيط والسياسة الوطنية بالارتكاز على
التخطيط واعتبار السوق كمكمل له؛ ثانيًا، عرض مكتب المصنع
لإجراءات إعداد تقرير إعلان تحديث المعدات والموافقة عليه،
وتخصيص الأموال المتوقع الحصول عليها؛ ثالثًا، عرض المكتب
الهندسي العام للأعمال المنجزة بطريقة مفصلة، بالإضافة إلى
خطة العمل الإضافية؛ رابعًا، مناقشة وتحديد إطار خطة التحديث
النهائية، واتخاذ الترتيبات المتعلقة بالموظفين والإدارة والموارد
المالية للعمل في الخطوة التالية، لضمان سير العمل في الخطوة
التالية على نحو مستقرّ ومنظّم. دون هدر للوقت، لتبدأ بالبند الأول
في جدول الأعمال يا فيّ الكبير!».

هل لدى الأمين شوي دوافع أنانية؟ على الأقل لم يرَ سونغ
يون هوي هذا، وربما لم يكن لدى مدير المصنع فيّ ما يقوله أيضًا،

ولكنه على أي حال أوما برأسه موافقا، ودعا مدير قسم النقل والتسويق ليبدأ بالتحدث. أخذ سونغ يون هوي يستمع بعناية لكل ما يُقال، ويدون الملاحظات بعناية، حتى إن بعض المحتوى قد عوّض ببساطة أوجه القصور التي أوردتها في تقريره للجدوى، ولو كان سونغ يون هوي مهتمًا بذاته كثيرًا، لظنّ أن الأمين شوي يزوده بالمعلومات كمن بنى جسرًا خشبيًا علنًا وهو يعبر النهر سرًا. كان يوي شان تشينغ الجالس بجانبه يسمع بعناية بالغة أيضًا، إذ كان أيضًا يفهم أهمية هذا الاجتماع، وأنه من المحتمل جدًا أنهم سيحتاجون للاسترشاد بقرار اجتماع اليوم عند صياغة نص الموافقة على الخطط المقترحة. ولكنه لم يدون ملاحظات مفصلة كما يفعل سونغ يون هوي، وإنما كان يحفظها في ذاكرته بشكل متكامل.

بالنسبة للبندين الأول والثاني، لم تكن هناك أي آراء معارضة تقريبًا عند مناقشتها. لكن عند بدء البند الثالث، أرهف الجميع أذانهم بشكل لا إرادي، وانتصبت ظهورهم، وأخذوا ينظرون إلى نائب كبير المهندسين أثناء شرحه لسبب اختيار تقنية إف آر سي على السبورة، وتقدّم هذه التقنية مقارنة بالمعدات الموجودة حاليًا، وتسهيل ربطها مع المعدات الحالية، وتسهيل استيعاب القوى التكنولوجية الحالية بجيتتسو لهذه التقنية. لم يسبق لسونغ يون هوي أن فكّر في مسألة استيعاب هذه التقنية قط، لذا فكان من الصعب عليه أن يحدد ما إذا كان على التكنولوجيا أن تتأقلم مع الوضع الحالي للمصنع وتستخدم فيه، أم على المصنع أن يتأقلم مع اتجاه التكنولوجيا أو حتى يقوده. ولكن الشيء الوحيد الذي

كان متأكدًا منه هو أنه لأمر غريب جدًا أن يقوموا بكل هذه الأمور خلال ما يقرب من الشهرين منذ أن طلب منه كبير المهندسين ليو معلومات عن تقنية إف آر سي قبل سفره وحتى اليوم. وبالطبع، لم يكن هناك أي شك في دقة عملهم، فجميع البيانات التي قدموها كانت تغطي كل الجوانب.

بعد انتهاء نائب كبير المهندسين للشرح، قال مدير المصنع فيّ للأمين شوي: «لترى ما إذا كان هناك ما يحتاج إلى تعديل أو إضافة يا شوي الكبير». عند قول هذا، ارتسم تعبير عميق على وجوه العديد من الحاضرين، فجميعهم يعرفون عدم خبرة الأمين شوي بالتكنولوجيا، وأن مدير المصنع فيّ بكلامه هذا يفضح أوجه القصور لدى الأمين شوي.

حينها كان سونغ يون هوي يفكر فيما إذا كان عليه الوقوف والتحدث، ولكنه سمع الأمين شوي يقول: «لنسمع آراء الجميع. هل يحتاج أحد إلى التعديل أو الإضافة؟ سونغ الصغير، لقد ذهبت لتوك إلى بكين للتحقق من المعلومات، ليعطنا الشباب آراءهم».

سمع سونغ يون هوي السخرية في كلام الأمين شوي، فنهض وقال بهدوء: «نعم. لدي بعض الإضافات فيما يتعلق بتقدم هذه التقنية». نزلت كلمات سونغ يون هوي كالصاعقة على معظم الحاضرين، من بينهم الأمين شوي، وأظلمت وجوههم، وساد الصمت في المكان كله. شعر سونغ يون هوي بضغط غير مسبوق، وعلى الرغم من الهدوء الظاهر على وجهه، فإن ساقيه كانتا ترتجفان قليلاً داخل سرواله الواسع، إذ كان أكثر توترًا بمائة

ضعف المرة الأولى التي صعد فيها كموّجه على منصّة المدرسة الابتدائية.

وحده كبير المهندسين ليو هو الذي تحدّث قائلاً: «ليأتِ سونغ الصغير ويشرح على السبورة».

رأى الجميع أن سونغ يون هوي قد تردد قليلاً، ولكنه وحده هو الذي كان يعرف أنه لم يتردد، وإنما كانت ساقاه متصلبتين بعض الشيء ولم يتمكن من التحرك، ولكن بعد جهد استطاع أن يخطو، وبعد أول خطوة، أخذ الدم يتدفق بسلاسة في ساقه ولم تعد الخطوة التالية صعبة. ذهب إلى السبورة، ووقف أمام ساحة من العيون اللامعة، كانت تلك عيون المحاربين القدامى الذين شهدوا الكثير من المعارك، فاحتاج لاستجماع قوته الداخلية أولاً حتى تمكن من التحدّث بشكل طبيعي.

«سأضيف بشأن تقدّم تقنية إف آر سي. في الوقت الحالي، تعدّ المنتجات المنتجة وفقاً لهذه التقنية من الدرجة الأولى في السوق المحلية، والمنتجات الأساسية تناسب الصناعات الخفيفة، والمنتجات الثانوية تناسب الصناعات الثقيلة، وهذا يتوافق مع الفرضية الرئيسة لسياسة تسريع وتطوير الصناعات الخفيفة التي تدعو لها الدولة في الوقت الحالي». كان سونغ يون هوي يشعر بعدم راحة بالغة لوقوفه أمام كل هؤلاء الحاضرين، وكأنه يرتدي زيّاً للرقص ولا يمكنه الاعتياد عليه بأي طريقة، فتحنح قليلاً حتى يمكنه المتابعة: «أما بالنسبة للسوق الدولية، إذا تم تشغيل المعدات بشكل جيد، فبالأكيد يمكن للمنتجات أن تكون من متوسطة إلى

عالية الجودة، وهذا النوع من المنتجات عليه طلب كبير نوعًا ما في السوق الدولية، ويمكن التفكير في التصدير وكسب العملات الأجنبية، مما يؤدي إلى إدرار الدخل للدولة، وتوفير النقد الأجنبي لشراء المعدات...».

وقبل أن يُنهي سونغ يون هوي كلامه، قال كبير المهندسين ليو جملة: «حسنًا، لم نفكر في هذه النقطة، علينا إضافتها».

اضطر سونغ يون هوي لأن يتنحى ثانية، وتابع كلامه: «لدي هنا مقارنة بين البيانات، سأكتبها على السبورة». استدار ناحية السبورة، وصار خطه على السبورة اليوم قبيحًا بشكل غير مسبوق، إذ بدت الرموز وكأنها تقفز بشكل غير منظم. وعلى الرغم من أن الأمين شوي الذي يجلس خلفه كان محافظًا على ثباته، فإن صدره كان يرتفع وينخفض بعنف.

في كثير من الأحيان تكون البيانات هي أفضل وسيلة لتوضيح المشكلة، ناهيك من البيانات التي توضح المصدر. كان سونغ يون هوي يكتب، في حين كان الحضور يتهايمسون ويتناقشون، إذ كانت البيانات على السبورة تقدّم أفضل إثبات لخطة المكتب الهندسي العام.

أخيرًا وضع سونغ يون هوي القلم واستدار، فتقدّم مدير المصنع في أمامه وقال للأمين شوي: «يبدو أن وضع المنتج في السوق معقول يا شوي الكبير، فلنوافق على خطتنا، ونبدأ تاليًا في مناقشة الموافقة وأعمال الربط. أعتقد أنه ليس هناك داع لتشكيل فريق جديد، وليظلّ المكتب الهندسي العام وقسم التكنولوجيا الحيوية

هما المسؤولان كما هما، ولنعدّ تجميع الفريق الذي كان موجودًا في الأصل، ونبدأ الجولة التالية من العمل. ولو لم تكن الأيدي العاملة كافية، لنأخذ من الأقسام المختلفة. تُعدّ أعمال تحديث المعدات هي الأولوية القصوى في الوقت الحالي، وبالإضافة إلى عمليات الإنتاج المعتادة، يجب على بقية الأعمال أيضًا أن تدور جميعها حول مركز تحديث المعدات. لنوافق أولاً، ثم ننتقل إلى الخطوة التالية من العمل. ليو الكبير، كبير المهندسين ليو، لتقدّم لنا أفكارك بشأن العمل في الخطوة التالية».

نهض كبير المهندسين ليو، وقال لسونغ يون هوي: «لقد جمعت معلومات وافية يا سونغ الصغير، لتذهب الآن وتستمع».

فقال سونغ يون هوي لكبير المهندسين ليو بجدية متبّعًا طريقة ليانغ سي شن: «ولكن، يا سيادة كبير المهندسين ليو، إن سلامة المنتج لا تُعني مطلقًا كون تقنية إف آر سي هي الأكثر منطقية. هذا يشبه العبور إلى الساحل المقابل من النهر، فهناك طريقة وهي بناء الجسور، وهناك طريقة أخرى وهي استخدام السفن لعبور الركاب، طريقة بناء الجسور تتم مرة واحدة وتستمر دائمًا وتكلفتها منخفضة، في حين أن السفن تكلف تشغيلها عالية نوعًا ما، ويجب إيقافها إذا ما صادفت عوامل جوية، وتقنية إف آر سي تنتمي لنوع السفن هذا، فلدينا معدّات ناضجة، ولكن التقنية غير ناضجة. وفقًا لما توضحه المعلومات التي جمعتها...».

«كفّ عن الثرثرة، فهذا اجتماع تقني، لا حاجة لاستخدام الاستعارات، لتقلّ النتيجة مباشرة». فهم الأمين شوي أخيرًا

استراتيجية سونغ يون هوي، فأضاف هذه الجملة بنبرة غير مهذبة مطلقاً.

وقف كبير المهندسين ليو محرّجاً جداً أمام السبورة للحظة، وكان هو من أثنى على المعلومات التي جمعها سونغ الصغير، بالطبع لم يكن من المناسب أن يقبلها فوراً وعلناً، ولم يسمح أيضاً لسونغ الصغير بمتابعة كلامه، ففي النهاية هناك قوتان متشابكتان في القاعة، والقاعة ليست له وحده ليتحدّث. عندما رأى سونغ يون هوي هذا، أسرع وقال لكبير المهندسين ليو: «آسف يا سيادة كبير المهندسين ليو، دعني أكمل من فضلك. وفقاً لمقابلتي مع ممثلي المصانع المنتجة بموجب تقنية إف آر سي، فإن مشكلاتنا الأكبر ربط تقنية إف آر سي مع معدّاتنا تكمن في ورشة المحرّكات والمواد المساعدة الأساسية واستيعاب تقنية التشغيل، وهذه المشكلات الثلاثة ستؤدّي إلى ارتفاع تكلفة تشغيل المعدّات في المستقبل. أعتقد أنه من الضروري النظر أولاً إلى هذه المسألة».

«لا بأس بالنظر أولاً في هذه المسألة، ولكن ألا توجد تقنية بديلة أكثر نضجاً؟ فأني تقنية لها عيوب لا مفر منها».

«أعتذر يا سيادة كبير المهندسين ليو، لأتحدّث عن مسألة التقنيات البديلة لاحقاً، فأنا متوتّر لأنها المرة الأولى لي في التحدّث على المنصّة، لتدعني حضرتك أشرح خطوة بخطوة».

وقف كبير المهندسين ليو عاجزاً، إذ لم يكن يتنمّر على الآخرين، وإنما يتحدّث بعقلانية، ولا يمكنه أن يتنمّر على شاب

صغير، لذلك اضطر للعودة والجلوس. تنفس سونغ يون هوي الصعداء، وشعر بالعرق ينزلق بجانب أذنيه، فرفع يده ومسحه، ومن ثم لاحظ الجميع توتره. وما إن جلس كبير المهندسين ليو حتى قال: «لتحدث أولاً عن ورشة المحركات، لقد تحدثنا من قبل عن بيئة العمل في بخار الضغط الحرج».

فقال سونغ يون هوي: «ولكننا لم نتحدث عن المعدات الحالية بورشة المحركات لدينا، إذ لا يمكن لأي غلاية أن توفر بخار الضغط الحرج، وإذا استخدمنا تقنية إف آر سي، فعلينا إضافة تكلفة المعدات الخاصة بغلاية الضغط الحرج، وهي تكلفة ضخمة. بالإضافة إلى أنه بالنسبة لعمليات التشغيل المستقبلية، فإن الارتفاع الحاد للطاقة المستخدمة لربط المعدات بالتقنية في ورشة المحركات سيؤدي إلى ارتفاع تكلفة التشغيل، وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار». وبينما كان يتحدث، استدار إلى السبورة وكتب، «هذا سعر تقريبي للمعدات وقد عرفته بصورة مبدئية من اثنين مصنعين يستخدمان معدات إنتاج تعمل بتقنية إف آر سي، ووفقاً لتغير المؤشرات، فقد يصل نطاق التغير إلى 20%، وسأضيف هنا السعر التقريبي لغلاية الضغط الحرج، وهذه تكلفة المعدات، ثم سأحدث عن المواد المساعدة الأساسية. تحدد خصوصية معدات تقنية إف آر سي ضرورة استيراد المواد المساعدة الأساسية التي تستخدمها، وعلى الرغم من قلة كميتها، فإنها تعتبر مشكلة أيضاً بالنظر إلى العملات الأجنبية وتكلفة التشغيل المستقبلية، ويجب أخذها في عين الاعتبار وقت الاختيار. هناك أيضاً مشكلة أخرى بالنسبة لتكنولوجيا التشغيل، وهي عدم استقرار معدات تقنية إف

آر سي أثناء التشغيل، مما يؤدي إلى ضرورة إجراء تدريب عالي التكلفة لعمّال التشغيل. وهذه هي مميزات وعيوب تقنية إف آر سي".

بعدما أنهى حديثه، كتب سونغ يون هوي أيضاً بيانات كثيفة على السبورة، ثم توقف قليلاً وانتظر لي طرح أحد سؤالاً أو يشير إلى شيء صعب، ولكن لم يَقم أحد بهذا، وهذا غريب. فنظر عن غير قصد إلى كبير المهندسين ليو، ولاحظ أنه متجهّم، فشكّ في أنه يفكر في إن هذا الفتى الداهية سونغ يون هوي قد تجرّأ على تضليلهم بمسودة مترجمة جامعية، وسيعتمد عليها فيما بعد في الإطاحة بهم.

انتظر سونغ يون هوي قليلاً، ثم أكمل كلامه عندما رأى أن أحداً لم يتحدّث. وبدأت الثقة تتدفق قطرة قطرة من أخمص قدميه إلى قلبه.

«هناك تقنيتان ناضجتان أخريان، وهما تقنيتان تُشبهان طريقة بناء الجسور التي تحدّثت عنها من قبل، وعلى الرغم من أن أي تقنية من منظور تاريخي سيتم تجاوزها من قِبَل التقنيات الحديثة في النهاية، فإن هاتين التقنيتين الحديثتين لهما مميزاتهما في المرحلة الحالية. وبالنظر إلى الأمر من جهة الاستثمار الأولي في المعدات، فهناك ميزة تتمثل في عدم ضرورة تحديث ورشة المحرّكات، لذلك فعلى الرغم من كون تكلفة المعدة الرئيسة الواحدة أعلى من معدات تقنية إف آر سي، فإن تكلفتها الإجمالية منخفضة إلى حد ما، تفضلوا معي بالاطلاع على الجداول. للمقارنة بين

معايير المنتجات النهائية، تفضلوا معي بالاطلاع على الجدول 4. وبالنسبة لشرح مزايا وعيوب المنتجات المماثلة، فقد وضّحناها فيما سبق.

للمقارنة بين مؤشرات التشغيل، بما في ذلك تقنية إف آر سي، تفضلوا معي بالاطلاع على الجدول 5. كما تم تحديد التكاليف التقريبية للتشغيل في الروابط التالية، تفضلوا معي بالاطلاع على الجدول 6.

تلك.....

وتلك.....

وتلك.....

فيما سبق مقارنات بين البيانات الشاملة لثلاثة أنواع من التقنيات. تجدر الإشارة إلى أن تكلفة النقل تشير إلى التوضيح الذي قدّمه مدير قسم النقل والتسويق للتوّ؛ وبالنسبة لتكلفة النقل، لا يمكنني إلا أن أقول مواضع تكبّد التكاليف فقط، ولكنني لا أعرف بالبيانات المفصلة لجينتشو؛ وبالنسبة للتعريفات الجمركية لاستيراد المعدات وغيرها من الرسوم، فيتم الحصول عليها من الشركة الصينية العامة لاستيراد وتصدير التكنولوجيا. يُرجى من حضراتكم الإشارة والتصحيح إذا كان هناك أي سهو».

بعدما انتهى من التحدّث، وقف سونغ يون هوي أمام السبورة يطالع وجوه الحضور، فوجدها معقدة جدًّا، إذ رأى بعضهم متجهّمًا، والبعض الآخر متحمّسًا، وآخرون غير مباليين، وآخرون

أيضًا يحاولون الحفاظ على هدوتهم، وما إلى ذلك، وراء كل وجه، كان كلُّ له أفكاره التي تجول في ذهنه. نظر سونغ يون هوي إلى الأمين شوي الذي لم يُظهِر على وجهه أي تعبير، ثم عاد من تلقاء نفسه إلى مقعده، ولكن قبل أن يتمكن من الجلوس، سمع فجأة صوت «فرقة» عالية خلفه، فصُعق لدرجة أنه اندفع إلى الأمام واصطدمت ساقه بالكرسي صدمة مؤلمة، فاستدار خلفه لينظر، وإذ به الأمين شوي قد وقف أمامه بنظرة شرسة ليوتبخ بصوت عالٍ. «أريد فقط أن أسألکم شيئًا واحدًا، انظروا إلى السبورة، واسألوا أنفسکم، شهران، ماذا کتمت تفعلون فيهما؟ أخبروني!».

فكر سونغ يون هوي في أن الأمين شوي قد استغل الموضوع ليستخدم السكين، فأسرع بالجلوس، وفرك بلطف المنطقة المؤلمة في ساقه، وسمع بأذنيه تويخ الأمين شوي الذي اندفع كالمدفع الرشاش، فمن الأسلوب التجريبي في إثبات خطة تحديث المعدات، والتركيز على تفصيلة صغيرة تعمي عن رؤية الصورة كاملة، إلى الأسلوب الدوغمائي⁽¹⁾ لمكتب التصحيح الشامل الذي لا يقترب من المستوى الأساسي، وبين القلاع في الهواء، فلم يُنجزوا شيئًا واحدًا طوال العام. على الرغم من أن الأمين شوي ظلّ يتحدث عن المكتب الهندسي العام وقسم التكنولوجيا الحيوية، فإن رأس الحربة كانت موجهة في الأصل إلى مدير المصنع فيّ وكبير المهندسين ليو. وعلى الرغم من أن سونغ يون هوي كان هو البطل الذي ساعد الأمين شوي على قلب

(1) حالة من الجمود الفكري، يتعصب فيها الشخص لأفكاره الخاصة.

الأوضاع، فقد كان خائفًا وقلبه ينتفض من توبيخ الأمين شوي الطاعن الدموي، فما بالك بأولئك الذين يوبّخون منه. نظر مرة أخرى إلى يوي شان تشينغ، فوجد وجهه شاحبًا بلون الأرض، إذ كان من الممكن معرفة شعوره بمجرد رؤيته.

كان سونغ يون هوي خائفًا رأسه يستمع، تمامًا كغالبية الحاضرين. فالأمين شوي في نظره ودود ولطيف ومخضرم يدعم الأمور، فيما عدا تلك المرة التي استشاط فيها غضبًا على العاملين بمكتب التصحيح الشامل في مكتب الورشة، ولم يتوقع أن يكون البركان لطيفًا جدًا وقت هدوئه، وأن يكون كالكارثة عند ثورانه. بالتأكيد كان كالكارثة، عندئذ استرق سونغ النظر إلى ساعته، فوجد أن ربع ساعة قد مرّت، ولم يكن الأمين شوي لديه أي نية للتوقف. كان الأمين شوي مختلفًا عن لي دونغ باو، إذ كان لي دونغ يوبّخ الآخرين بألفاظ خارجة وكلمات بذئية، أو حتى يضرب بقبضته، في حين أن الأمين شوي لم يقل أي كلمة بذئية أو خارجة، إذ كان يجمع بين العدل والصلاح بطريقة لا تسمح لأحد أن يجادله.

بعدما انتهى من اتهاماته للمكتب الهندسي العام وقسم التكنولوجيا الحيوية ومكتب التصحيح الشامل، بدأ الأمين شوي يسرد عيوب مدير المصنع في كقائد غير كفء، وأنه يقول ولا يتقدّم؛ ويسرد عيوب كبير المهندسين ليو كمسنّ رجعي، وأنه غير قادر على الخروج وتولي الأمور بنفسه، وأنه عالق في الروتين القديم؛ ويسرد عيوب العاملين بقسم التكنولوجيا الحيوية الذين لا يريدون إحراز أي تقدّم، ولا يعملون باجتهاد كراهب بوذي يظلّ

طوال اليوم لا يعمل شيئاً إلا دقّ الجرس. ظلّ الأمين شوي هكذا يسرد عيوبهم، ولم يرد أي أحد منهم، بما في ذلك مدير المصنع فيّ، كانوا جميعهم مطأطين رؤوسهم يسمعون الأمين شوي وهو ينهال بالاتهامات فوقها.

دفع هذا سونغ يون هوي للتفكير في أن قيام الأمين شوي بالتراجع لفترة، والتقدّم بصرامة لفترة أخرى، ثم التراجع مرة أخرى، كل هذا كان استراتيجيّة، استراتيجيّة جذب الثعبان خارج جحره وقتله بضربة واحدة. وإلا، فكيف يمكن للعاملين بالمكتب الهندسي العام أن يستهينوا بعدوهم لهذه الدرجة؟ بمعنى آخر، إنهم يتمتّعون بالحكمة الجماعية، ولديهم كل هذا العدد من القوى العاملة الماهرة، ولديهم تعاون مع المصنع كله. يبدو أنهم مشلولون.

ظلّ سونغ يون هوي خارج الحدث، يستمع، ويفكّر، وتخالج قلبه مئات المشاعر. فالأمين شوي هذا مخيف جدّاً، فهو رجل قوي يحسب كل خطوة ليحقق مكسباً منها. لو لم يكن قد رُشّح له من قبل شوي الكبير، فماذا كان ليحدث اليوم؟ هل سيكون واقفاً على الجانب المقابل للأمين شوي؟ يا له من أمر يصيب بالقشعريرة بمجرد التفكير فيه. عند قيام الأمين شوي بأي عمل، يمكنه أن يغلق الطريق بأكمله لإصلاح العقبات فيه، دون مراعاة لما قد يصيب الوضع العام من خسائر فادحة، ولكنه يمكنه أيضاً أن يحرك الأيدي العاملة بالطريقة الأسرع والأكثر فعالية لينجزوا العمل. من المؤكّد إن قلب هذا الرجل بارد وقاسٍ كالحديد. فهذا الرجل يمكن وصفه بكلمة واحدة «مخيف».

عندئذ، بدأ سونغ يون هوي في التعاطف مع كبير المهندسين ليو، فعلى الأقل، مهاراته لا مثيل لها بين كل من تعامل معهم، وهو عالق في الروتين القديم فقط لأنه كبير في السن حقًا. ولكنه لم يتعاطف مطلقًا مع أولئك الشباب والرجال العاملين في قسم التكنولوجيا الحيوية، إذ لم يكن يرى أيًا من هؤلاء المهندسين يبحث عن معلومات وقتما كان قابعًا في المكتبة، الطريق يصنعه الناس بأنفسهم، ولو لم تسلكه بنفسك، فلا تتذمر من التوبيخ اليوم.

أخيرًا، توقّف الأمين شوي عن التوبيخ، وبدأ بمفرده في تعديل فريق القادة وقت غروب الشمس بالقرب من الساعة مساءً. فأُسندت أعمال مكتب التصحيح الشامل لنائب مدير المصنع هوانغ، وأُعيد تحديد إطار العمل في الاجتماع. أثناء تحدّث الأمين شوي، كان الجميع يدوّنون ما عليهم فعله، وينظّمونه بوضوح، وظل يتحدث لما يقرب من الساعة. وحتى هذا الوقت، من كان ليجرؤ على طرح آراء معارضة، ومن كان يمكنه الطرح؟ لقد أريق ماء وجه المكتب الهندسي العام ومدير المصنع فيّ بالكامل من قِبَل الأمين شوي.

ظلّ المكتب الهندسي العام يتولّى تحديث المعدات كما كان، ولكن تمّ التعديل ليتولّى مدير المصنع تشنغ مدير المصنع الفرعي للصيانة مسؤوليته مؤقتًا، مع الإشراف المباشر من قِبَل الأمين شوي، وسيُعقد غدًا اجتماع تتضمن أعماله بنودًا معينة، وستُحدد الخطة بعد تشكيل الاجتماع للفريق الجديد. مع التأكيد على الحزم، ورفض المماطلة.

انتهى الاجتماع تحت أضواء الفلورسنت عند التاسعة مساءً تقريباً، ولم يجروا أحد على الشعور بالجوع. وأيضاً سونغ يون هوي، إذ ظلّ يستمع بعناية للترتيبات الخاصة به، ولم يسمع اسمه إلا في قائمة اجتماع تحديث المعدات الذي سيعقد غداً. أخذ سونغ يون هوي يفكر مستهزئاً بذاته، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الأمر، إذ إنه لم يفهم دوره إلا بعدما غضب الأمين شوي وبدأ في تعديل فريق القادة، وأنه ليس أكثر من رجل مأجور بلا عقل، وسكين حقير ودموي ليس إلا، بعد ذلك، عليه العودة إلى المسار والقيام بما يُطلب منه. ولكن، قد يكون الاحتقار للذات أمراً لا مفر منه، فأولئك الذين يكونون على استعداد تام للعمل كرجال مأجورين، أو أن يصيروا كسكاكين في أيدي الآخرين، هؤلاء... يحتقرون أنفسهم أولاً. مكتبة سر من قرأ

تفاجأ سونغ يون هوي بانتهاء الاجتماع، وقابل الكثيرين الذين أعربوا له عن حسن نيتهم في الممر وعلى الدرج وتحت سقيفة الدراجات. لم يتمكن من التعامل مع الأمر قليلاً، إذ لم يكن متكيفاً مع هذا من داخله أيضاً، لذا لم يستطع إلا الحفاظ على ابتسامته وقول «شكراً»، ولم يقل أي شيء آخر غير هذا. في طريق العودة، كانت العديد من الدراجات تسير بجانبه، ولحسن الحظ أن الرفاق لم يقولوا الكثير خوفاً من الإساءة إلى أحدهم بالضحك بصوت عالٍ، ومن يدري ماذا يمكن أن يحدث فيما بعد. وعند مروره بالمكتبة، فكر سونغ يون هوي في أن كبير المهندسين ليو بالتأكيد قد كرهه تماماً.

وبعد العودة إلى الغرفة، تحدّث مع شيون جيان شيانغ على اجتماع اليوم، فشر شيون بالأسف حيال كبير المهندسين ليو، فهذا العجوز شخص جيد في الحقيقة، وإذا كان قد ركّز على التكنولوجيا، لما كان لشيء أن يحدث. ومدير المصنع في ممتاز في التكنولوجيا أيضًا، ويمكنه القيام بأي شيء، ولكنه ليس بارعًا في إدارة الأفراد. عبّر سونغ عن أسفه، فكيف يمكن الاكتفاء بالتركيز على التكنولوجيا، إذ يتطلب الأمر أيضًا الانخراط في التشغيل والصيانة والمحاسبة والإدارة، والتنسيق والتفاوض مع الآخرين، والتورط في الصواب والخطأ. سأل شيون جيان شيانغ سونغ يون هوي عن عدم سعادته بعد فوزه، فأجاب بأنه لم يتوقع هذه النتيجة، وأنه لم يستفق بعد مما حدث في الاجتماع، فوبّخه شيون على كل هذا التفكير المفرط، إذ عليه الابتهاج في وقت الفوز، والبكاء في وقت الخسارة، إنه أمر بسيط، ولكن البعض يعذبون أنفسهم حتى الموت. فضحك سونغ.

بعد اليوم، صار ينحاز لأحد الفريقين تمامًا، وأصبح أمامه طريق واحد فقط لاتباعه. وإلا، فسيكون خائنًا بعدما كان رجلًا مأجورًا، وهو ليس كيوي شان تشينغ. ومع ذلك، فهو مُعجب بالأمين شوي في هذه اللحظة، ولكنه لا يحبه، فما العمل إذا؟ لا يدري ما إذا كان سيتحمّس له فيما بعد أم لا. فأخذ يقنع نفسه ويقول، لنقم بالعمل، لنقم بالعمل من أجل ذاته ومن أجل المصنع.

ولكن بصرف النظر عن اعتقاده، فعليه في النهاية أن يفكر في الدور الذي لعبه في اجتماع اليوم، وأن يشعر دائمًا بعدم راحة

وكانه ابتلع ذبابة. وفيما بعد، عليه التفكير في المزيد من فرص القيام بدور الرجل المأجور أو الخنجر، يا له من حقير جدًا. فكّر أيضًا في ليو تشي مينغ، هل سيسرع يوي شان تشينغ، هذا المستغل للظروف، ليرسم خطوطًا واضحة معها؟

أكل سونغ يون هوي كعكة الأرز المقلية التي أحضرها له شيون اللطيف، وسقط على السرير واهنأ، وفتح ذراعيه، فاصطدم بشيء صلب، فأخرجه ليري، ووجده كتابًا قد أهدته ليانغ سي شن إياه. فكّر قليلاً، ثم أمسك بالكتاب ليقرأ ويحظى ببعض المرح، إذ كان رأسه مرتبكًا جدًا طوال اليوم.

تختلف الرواية عن الكتاب المتخصص، إذ صار يحفظ كلمات الكتاب المتخصص عن ظهر قلب بعدما ظلّ يقرأها لثلاثة أعوام، في حين أن الرواية تحوي الكثير من الكلمات الجديدة التي لا يعرفها، فاضطر لإحضار القاموس والبحث عنها وقت القراءة، ولم يتوقع أنه لن يستطيع ترك الرواية بمجرد البدء فيها، إذ كانت رواية غموض ممتعة جدًا تدفع القارئ لمعرفة ماذا سيحدث فيما بعد، وألا يتركها حتى ينتهي منها.

ظلّ هكذا حتى ذهب شيون جيان شيانغ للعمل في المناوبة الليلية متدمرًا، وحينها فقط أدرك أن منتصف الليل قد حل بالفعل. كان هادئًا كعادته، ولم يكن في ذهنه سوى ظلّ بوارو. ليانغ سي شن اللطيفة، كيف لها أن تفهم كل شيء، فقد ساعدته مرة أخرى، إذ صار الآن أكثر هدوءًا عند التفكير في الاجتماع مجددًا، وأصبح بإمكانه أن يفكر بعقلانية في أن هذه هي الطريقة الوحيدة، وعلى

الرغم من أنه ليس صراعًا تطبيقيًا، فإنها ما زالت مسألة حياة أو موت، فلو لم يهزمهم الأمين شوي اليوم، لكان الأمين شوي سيعاني من الكارثة، ولكان سونغ قد تورّط أيضًا في الأمر. لقد رُبط بالفعل في قارب الأمين شوي. لذلك فهذه هي الطريقة الوحيدة.

لو كنت مكان الأمين شوي، ماذا سيكون الحل الأفضل الذي يمكنه القيام به؟ أي شخص مكانه سيكون قاسيًا، وهذا واضح من أول أداء لمدير المصنع فيّ اليوم. وما دام قد بدأ طريقًا، فعليه اتباعه حتى النهاية. أي شخص كان فعل هذا أيضًا، والسبب واضح. في الواقع، ألم يفكر مليًا في بداية الاجتماع بشأن كيفية استخدام وسيلة للقضاء على الخصم بضربة واحدة؟ ربما كان قد صُعق من توبيخات واتهامات الأمين شوي الرهيبة.

لا تفكر في أي شيء، لو فكرت، فسيسير الأمر على هذا النحو، ولو لم تفكر، فسيسير أيضًا على هذا النحو، الأمر كله هكذا، ولا رجعة في هذا الطريق. عليك المشاركة في اجتماع الغد، وعليك أيضًا العمل بجدّ للحصول على منصب مناسب لنفسك. وأسفاه، كلهم يفعلون هذا.

نام سونغ يون هوي، ولكنه كان مهمومًا، قلقًا من المستقبل، بالأحرى قلقًا من تصرّفه اليوم.

كانت الأجواء مريحة إلى حد ما في اجتماع اليوم التالي، والوضع العام مستقرًا بالفعل، وعلى الرغم من كون مدير المصنع فيّ وكبير المهندسين ليو في منصبيهما كما كانا، فإن فصلهما عن إدارة الأعمال المهمة لمكتب التصحيح الشامل ومكتب تحديث

المعدات مؤخرًا قد أدى بالفعل إلى عدم تمكُّنهما من إصدار الأوامر. وبالطبع لن يكون الآخرون قادرين على التصادم مع الأمين شوي، فإما أن يستسلموا، وإما يتملقوا، لذا لم يكن الوضع متوترًا في اجتماع اليوم التالي.

لم يكن الأمين شوي خجولًا على الإطلاق، إذ إنه ناقش المكافآت على أساس الجدارة بمجرد بدء الاجتماع. وبالطبع كان هناك آخرون بالإضافة إلى سونغ يون هوي. مُنح سونغ يون هوي مبكرًا لقب مساعد، وأصبح موظفًا بدوام كامل، وصار تابعًا لقسم التكنولوجيا الحيوية، فزاد راتبه بدرجة واحدة، وصار منضمًا للعمل في مكتب تحديث المعدات. وفي الاجتماع، أثنى الأمين شوي على مثابرة سونغ يون هوي واجتهاده وحماسه، وأنه ينبغي أن يصبح نموذجًا يحتذى به الطلاب الجامعيون الجدد، كما أصدر أمرًا بوجوب نزول الطلاب الجامعيين الجدد للتدرب في الورشة أولاً بعد تعيينهم من الآن فصاعدًا.

ولكن الأشخاص المميزين، بما في ذلك سونغ يون هوي، جميعهم كانوا يعلمون أن هذه المكافأة كصوت الرعد العالي الذي يتبعه مطر قليل، فما يُسمّى بالمنح المبكر للقب مساعد والتحويل لموظف بدوام كامل مبكرًا يتم قبل شهر واحد من ذكرى دخول الطلاب الجامعيين الجدد أمثال يوي شان تشينغ إلى المصنع، وبعد أقل من شهر، يمكن ليوي شان تشينغ والآخرين أن يتحوّلوا أيضًا لموظفين بدوام كامل. الفائدة الوحيدة من الأمر هي زيادة الراتب بدرجة واحدة. من الواضح أن هذه المكافأة لا يمكن مقارنتها

بأهمية ما فعله سونغ يون هوي. لذلك، فإن العديد ممن أكدوا بعد اجتماع أمس على كون سونغ يون هوي قطعة شطرنج مهمة في يد الأمين شوي، وأنه نموذج رئيس للتدريب، بدأوا يترددون في شك، إذ قيل إن سونغ يون هوي حتى ولو لم يساعد الأمين شوي، فإن العمل الذي قام به كان كافيًا بالفعل لمكافأته مكافأة كبيرة، ومن الطبيعي أن يزيد مرتبه بدرجة واحدة، ولكن لماذا كان الأمين شوي بخيلًا معه هكذا؟ كانت هناك آراء مختلفة بعد الاجتماع.

في حين انطبعت فكرة سونغ يون هوي التي أخذها بعد اجتماع أمس في ذهنه، إذ إن مكافأة كهذه كافية أيضًا للتخلص من مستوى الرجل المأجور. ولكن من المحتمل أيضًا أن تؤكد هويته كرجل مأجور بعد اجتماع اليوم. شعر سونغ يون هوي بقشعريرة في جسده عندما فكّر في نظرتة التي عادة ما كان يرمق بها أولئك الرجال المأجورين، وعندما فكّر في النظرات التي ترمقه الآن من وراء ظهره.

ما جعله أكثر اكتئابًا هو أن الأمين شوي اليوم استخدم مباشرة خطة الجدوى الخاصة به كإطار للعمل، ولم يُضف إليها إلا مهمتين أخريين يجب القيام بهما على وجه السرعة، الأولى هي البدء في تقديم الطلب للمشاريع، وإصدار التقرير خلال أسبوع؛ والثانية هي الاستفادة من الزملاء الذين أدخلوا معدات أجنبية من الخارج لتجنّب الابتعاد عن الطريق الصحيح. وفي الوقت ذاته، أكد الاجتماع بوضوح على إطار العمل، والقيام بكل شيء في الموعد المحدد له، ومن المسؤول عن كل شيء. أما ترتيب

المسؤولين عن المهام، فكان خاصًا جدًا، إذ رُتّب موظفو الدوام الكامل حسب المنصب، في حين رُتّب موظفو الدوام غير الكامل حسب الأقدمية، وظلّ سونغ يون هوي مقدّرًا حتى النهاية، إذ كان اسمه يحوم في كل أنحاء الورقة، لكن لم يكن له نصيب في الأمور الجيدة كالاستفادة من الزملاء في المجال أو إعداد التقرير، لذلك كان صامتًا نتيجة لمعرفته عند دخوله إلى القاعة، في حين كان صامتًا نتيجة لياسه عند خروجه من القاعة.

بعد ذلك، بدأ العمل خطوة بخطوة. وعلى الرغم من وجود إطار استرشادي واضح للعمل، فإن سونغ شعر بمراوغة الموظفين ذوي الصلة بشكل واضح، فعلى سبيل المثال: أسندوا كتابة الطلب لسونغ، ولم يكن الأمر يحتاج لأكثر من يومين فقط، لكن المسؤول الأول أخذ يعقد اجتماعًا تلو الآخر، ويناقش مرارًا وتكرارًا، فلم يخرج الاجتماع سوى بورقة واحدة، ولم تُظهر الأشياء المكتوبة أي براعة، وإنما أظهرت «ثباتًا» فقط. لم يكن سونغ يون هوي معارضًا للمناقشة، وإنما كان يشعر بالأسف على الوقت الضائع. ولكنه لم يعد حرًا الآن، ولم يعد بإمكانه البقاء في الورشة الأولى والقيام بحرية بما يريد القيام به كما كان من قبل، إذ صار عليه الآن حضور تلك الاجتماعات التي تقتل الوقت مضطرًا. وغالبًا كان هناك ثلاثة اجتماعات في الأسبوع، لذا لم يكن أمامه سوى وقت الفراغ للقيام بالعمل.

أحيانًا ما كان يرغب حقًا في إعداد التقرير بنفسه وتسليمه للمناقشة في الاجتماع تجنّبًا لمماطلتهم، ولكنه لم يفعل هذا، إذ

كان يعلم أن قيامه بهذا يعني بوضوح نفي عمل القيادة؛ على أن التجوّل كل يوم من غرفة اجتماعات إلى أخرى هو أمر ممل حقًا.

على النقيض من ذلك، كان العمل في مكتب التصحيح الشامل يسير على قدم وساق، والأمين شوي كان يشارك فيه بنفسه، وبمجرد تحديد الأشخاص، بدأ العمل من قسم الورشة، ثم تم تركيزه في المستوى الأعلى للحصول على الموافقات النهائية. لذلك صار الجميع يتحدثون عن مكتب التصحيح الشامل في تلك الفترة، ولم يكن هناك أي ذكر لمكتب تحديث المعدات.

لم يشارك سونغ يون هوي في اجتماع يوم الجمعة، إذ تذرّع بالذهاب إلى المكتبة للبحث عن معلومات وغادر هذا المكان الممل.

كيف صارت صورته الآن، لقد حصل على الجواب من همهمات شيون جيان شيانغ، إذ يقول البعض إنه شرير عبثًا، وفي النهاية لم يكن هو المفضل لدى الأمين شوي، والبعض الآخر يقول إنه حريص على النجاح السريع، ولكن كيف لأحد أن يجرؤ على استخدام أشخاص قلقين مثله، وفي النهاية لا بد من تركه خارجًا. على الرغم من كون الزملاء مهذبين معه حين لقائه، فقد كانوا يبدأون في مناقشة شيء ما بمجرد أن يستدير. لطالما كان سونغ في حالة مزاجية سيئة جدًا منذ ذلك الاجتماع الذي قدّم فيه بيانات مفصلة أطاحت بالمكتب الهندسي العام، وفي كل ليلة كان يحتاج إلى الرواية التي أهدته إياها ليانغ سي شن ليهدأ قلبه ويستطيع النوم، لطالما أصرّ على القيام بالعمل إرضاءً لضميره،

ولذلك فقد استمر في العمل بجهد. سأل نفسه، لو كان بإمكانه العودة بالزمن إلى الوراء، ولو أُتيحت أمامه فرصة الاختيار مرة أخرى، فماذا كان ليفعل؟ أخذ يفكر ويفكر، لم يكن ليختر شيئاً، ولم يكن ليفعل شيئاً، ولعاش حياة سعيدة، وإلا لكان الأمين شوي اختاره أيضاً ليقوم بدور تلك العصا الغليظة، حتى إنه ليس مؤهلاً لرفض القيام بهذا الدور.

كان منغمساً في التفكير لدرجة أنه لم يرَ المكتبة عندما مرَّ بالدراجة أمامها. وعندما استفاق فجأة، وجد أنه قد قارب على الوصول إلى المهجع بالفعل، فاستدار بالدراجة واضطر لأخذ نفس عميق حتى استطاع الدخول إلى المكتبة. وكما هو متوقع، فقد استدارت ليو تشي مينغ بمجرد رؤيته وتجاهلته، ولكنها أخرجت من الدرج كومة من المعلومات ووضعتها بقوة مُحدثة صوتاً عالياً على الطاولة.

لم يقل سونغ يون هوي شيئاً، وإنما أخذ المعلومات وذهب إلى الطاولة التي عادة ما كان يجلس عليها، وأعطى ظهره للباب. أخذ يقلب في المعلومات التي ألقتها له ليو تشي مينغ، وكما هو متوقع، فقد كانت هذه مسودته المترجمة السابقة. جيد، فهذه المسودة المتعلقة بتقنية إف آر سي صارت الآن عديمة الفائدة بالفعل. كما فكر أيضاً في شيء لطالما تردد بشأنه خلال الأيام الماضية، أليس عليه إعادة دفتر الملاحظات لكبير المهندسين ليو؟ واليوم بعد أن أعاد كبير المهندسين ليو مسودته المترجمة إليه، أما زال يجرؤ على عدم إعادة دفتر الملاحظات إليه؟ فكر قليلاً، وخرج بكلمتين، «لن يعيدها». والسبب؟ لأنه دنيء.

فتح الرسومات، وركّز على التحقق من المعلومات. لقد اتخذ قراره ببساطة، وفكّر في داخله ساخرًا، ماذا يمكن أن يحدث أيضًا؟ ألم ينبجُ أيضًا بعدما ظلّ يُنعت لأكثر من عشر سنوات بـ «ابن الحرام»؟

قبل حتى أن يبحث عن الكثير من البيانات، اندفع شخص ما فجأة إلى غرفة المطالعة، وصاح بصوت عالٍ: «سونغ يون هوي، أين سونغ؟ الأمين شوي يطلبك فورًا لحضور الاجتماع. أسرع بالذهاب، فهو مستشيط غضبًا هناك».

أراد سونغ يون هوي كثيرًا أن يقول بجرأة «لن أذهب»، ومع ذلك فقد جمع الرسومات بهدوء، وأعطاها لأمانة المكتبة لتحفظها له حتى لا يضطر لإصدار تصريح مرة أخرى. وقبل حتى أن يدخل من الباب، سمع توبيخ الأمين شوي. فوقف عند الباب وطرقه، ثم دخل ليجد مكانًا ويجلس، ولكن توبيخ الأمين شوي كان قد لحق به بالفعل: «سونغ يون هوي، لماذا لم تحضر الاجتماع؟».

«اجتماع اليوم يناقش مسائل متعلقة بالمالية، وليس لي دور في هذا، لذلك ذهبت إلى المكتبة لأبحث عن معلومات».

«لقد عملت لبضعة أيام يا سونغ يون هوي، كم عدد الأشياء التي يمكنك فهمها، إذا لم تكن تفهم الكثير فلتسمع، وتتعلم! من طلب منك أن تتحدث مع نفسك لتبني مملكة مستقلة لك؟».

كان سونغ يون هوي على استعداد للمخاطرة بكل شيء، فهذه الأيام ليست أفضل من أن تُخفض درجته ويذهب ليوصل العمل

بنظام المناوبات في الورشة، فنظر إلى الأمين شوي، وقال بلا تواضع أو ضعف: «إنني أتعلّم، ويمكنني أن أفهم محضر اجتماع ثلاث ساعات في نصف ساعة فقط». فحدّق الأمين شوي بصرامة في سونغ يون هوي: «ما هذا الأسلوب! كيف يمكنك أن تكون مغرورًا هكذا فقط لكونك موهوبًا؟». فنظر سونغ يون هوي بعيدًا، وأطرق برأسه قليلاً، ولكنه ردّ بعبارة واحدة: «أسف». ولم يفتح فمه بعدها مهما وبّخه.

وبّخ الأمين شوي ثانية بجملتين، ولكنه توقف على الفور عن توجيه الكلام لسونغ يون هوي، وتابع كلامه لأعضاء فريق إعداد التقرير بأكمله: «أخبروني، واحدًا تلو الآخر، اليوم الجمعة، وأنا ذاهب لبكين يوم الاثنين، لقد حجزت تذكرة الطيران بالفعل، ما الذي أملكه لأتقدم بالطلب؟».

أخذ قائد الفريق يتصبّب عرقًا من ظهره، وقال إنه لن يستريح يوم الأحد، ولن يعود إلى المنزل مساءً، ووعد بتسليم التقرير يوم الاثنين. وعلى الفور سحقه الأمين شوي، وسأله عمّا إذا كان يطلب منه الذهاب بالمسوّدة إلى بكين؟ وما إذا كان سيمنحه يومًا واحدًا للتنضيد والكتابة؟ لذلك اتخذ الآخرون قرارًا بتقديم موعد التسليم إلى يوم الأحد. وسار اتخاذ القرار مرتبًا، إذ اعتمد على ترتيب المسؤولين في جدول، وبدون أي فوضى على الإطلاق. وفي النهاية حان دور سونغ يون هوي، فقال: «المسؤولية الجماعية تعني ألا يتحمل أحد مسؤولية فردية. إذا كنتم تثقون بي، فسأكتبها أنا، وليقدّم كل الأساتذة الحاضرين خبراتهم القيّمة، وسأخرج

بالمسودة الأولى بعد ظهر الغد، وأنا الوحيد الذي سيُسأل عمّا إذا كان هناك أي تأخير».

صُنع الحاضرون عند سماعهم لهذا، وقالوا في أنفسهم إنه على الرغم من عدم قول هذا الفتى للأمر بشكل مباشر، فإنه بهذا يتهم بوضوح الأمين شوي بعدم سلامة الخطة الموضوعة، مما تسبب في تأخير إنجاز عمل اليوم في الموعد المحدد. أخذ الجميع يسترقون النظر إلى الأمين شوي ليروا ماذا سيفعل، ولكنهم لم يتوقعوا أن الأمين شوي لم يُصدر ردة فعل لحظية، وإنما حدّق بسونغ يون هوي بعينين قاتمتين، ولَمّا نظروا إلى سونغ يون هوي، وجدوه محدّقًا بصلاح ووداعة وكأنه حملٌ وديع!

أخيرًا، قال الأمين شوي بلهجة لطيفة: «سَلمني المسودة الأولى في الرابعة من بعد ظهر الغد. ولو لم تسَلمها، فهل أنت الوحيد الذي سيُسأل؟ كم روحًا لديك لتخاطر بها بهذا الشكل؟ انتهى الاجتماع». وبعدما أنهى كلامه، خرج الأمين شوي دون أن ينظر ورائه. وخلفه، أطلق الجميع زفيرًا قويًا، حتى إن سونغ يون هوي اضطر لتحريك رقبته والقيام بتمارين تمدد الصدر حتى يستطيع العودة حيًا.

قال قائد الفريق لسونغ يون هوي: «أسرع بالتحرك، لقد حجز الأمين شوي تذكرة يوم الاثنين واتفق مع قادة الأقسام بالفعل. يا إلهي، الوقت ضيق جدًا».

قال شخص آخر: «إنك شجاع جدًا يا سونغ الصغير، لقد أكل الأمين شوي الطعم حقًا». فردّ قائد الفريق: «دعك من هذا الكلام، وابدأ بالعمل».

سأل سونغ يون هوي قائد الفريق ليعطيه مفتاح غرفة اجتماعات صغيرة، وذهب إلى مكتبه ليحضّر دفتر ملاحظاته اليومي وجميع المعلومات، ثم عاد مرة أخرى إلى الغرفة التي عُقد فيها الاجتماع، وأغلق الباب، وأغلق أيضًا النافذة المواجهة للممر، وأسدل الستائر، وبدأ في إعداد التقرير بمفرده وفقًا للخطوط العريضة التي حددها اجتماع الفريق. وبينما كان يمرّ بغرفة اجتماعات أخرى قبل قليل، وهي غرفة اجتماعات يشغلها أيضًا العاملون بمكتب تحديث المعدات، رأى الأمين شوي يوتخهم أيضًا، ففكر في أن هذه بالكامل مشكلة توجيهات القادة، ولا داعي للأمين شوي أن يوتخ غيرهم.

في الحقيقة، وباعتباره تقرير طلب رسمي، فعليه أن يتحدّث عن الوضع العام فقط، إذ إن القرارات التي أُجيزت في الاجتماع الذي قلب الأوضاع قد أوضحت بالفعل الغالبية العظمى من المسائل. كل ما فعله سونغ هو التعبير عن رؤيته بشكل رئيسي، أي تحديد النعمة التي سيتم استخدامها لنقل متطلبات تحديث المعدات العاجلة لمصنع جيتشو العام إلى قادة الوزارة ولجنة التخطيط والاقتصاد. وقد سلّط الضوء على أمرين في التقرير، الأول هو استجابة المصنع لدعوة الحكومة المركزية بعدم استيراد مجموعة كاملة من المعدات، وإنما استيراد المعدات الرئيسة بنقد أجنبي أقل، على أن يتم استيعاب المعدات الإضافية ذاتيًا من قِبَل المصنع؛ الثاني هو تأثير التقنيات الحديثة والحرف الجديدة قيد النظر حاليًا على وضع المنتج في المستقبل، وتأثيرها على تحسين المستوى العام لهذا النوع من الصناعة في الصين وعلى المستوى الدولي، بما في ذلك التأثير السياسي والتأثير الاقتصادي. وسوف

يسهم تصدير المنتجات المماثلة عالية الجودة في دعم البلاد من خلال إدرار النقد الأجنبي للدولة.

لم يسبق لسونغ يون هوي أن تعرّض لمثل هذه التقارير رفيعة المستوى من قبل، لذا لم يكن يعرف كيفية كتابة هذا النوع من المقالات الرسمية، إذ كان أكثر ما تعرّض له من قبل هو تلك المعلومات التي ترجمها خلال الجامعة، وتلك التقارير الأجنبية المولعة بالتفاصيل التي تهتم بالتكلفة والسوق وما إلى ذلك، وقد نظّم بالفعل تلك المعلومات المترجمة إلى مسودة واثنتين وثلاثة، وحفظها بالفعل عن ظهر قلب، لذلك فعندما كتب حملت كتابته طابعًا سوقيًا قويًا، كما استفاد في شرح التأثير الاقتصادي لاستيراد المعدّات.

ظلّ هكذا حتى حلّ وقت الظهر وجاع فنهض ليأكل، وخرج بحثًا عن المقصف، ولكنه وجده قد أغلق بالفعل، فاضطر للذهاب إلى المطعم، وهناك رأى تشانغ شو هوا، ولكنها عندما رآته ركضت بخطوات مسرعة وهربت لتختبئ في المطبخ. أكل سونغ طبقيين كبيرين من الشعيرية بالملفوف وشرائح اللحم، ثم ذهب إلى متجر البقالة لشراء كيلو إلا ربع من أرخص بسكويت، وطار بالدراجة عائداً إلى غرفة الاجتماعات للمتابعة. لم يخرج مساءً لتناول العشاء، وإنما اكتفى بالبسكويت، وكان أسفًا فقط على عدم سرعته الكافية في الكتابة، وعدم تمكّنه من التعبير بسرعة كتابةً عن الأفكار الناضجة التي كان بالفعل قد فكّر فيها. ولم يذهب إلى زملائه في المكتب المالي إلا مرتين. وفكّر باستخفاف في نفسه، في الحقيقة،

ما الداعي للمجموعة، فيمكنه إنجاز الأمر برمته وحده. نعم، إنه مجنون، ولكن ما العمل، فلديه المعلومات، وكما يقول الأمين شوي، فهو موهوب، ومغرور.

الطريقة الأكثر فاعلية لإثبات الموهبة هي الأفعال. لم يُعد سونغ يون هوي إلى غرفته طوال الليل، وعند شعوره بالتعب، نام قليلاً على طاولة الاجتماعات، ولما استيقظ وجد الفجر قد بزغ بالفعل، فذهب إلى دورة المياه أسفل السُّلم ليغسل وجهه ويعاود الكتابة. وقبل انتهاء العمل في الظهر، ذهب بعينين حمراوين وسلم مسودة التقرير إلى مكتب الأمين شوي. حتى إن الأمين شوي بادر بسؤاله: «بهذه السرعة؟».

تراكم المعلومات يحرز تقدماً! لم يُقل سونغ يون هوي هذا بفمه، ولكنه أجاب متفاخرًا في نفسه. إن ما ينقصه هو الخبرة العملية فقط، ولكن بالنسبة للتعامل مع هذا النوع من التقارير، فخبرته أكثر من كافية.

نظر الأمين شوي لعدد الصفحات، وقال دون أن يرفع رأسه: «اجلس، واسكب لنفسك الشاي». لحسن الحظ، دق جرس انتهاء العمل، فقال سونغ يون هوي قبل حتى أن يجلس: «سيادة الأمين شوي، لم أكل طوال اليوم، عليّ العودة لآكل. وسأتي فورًا بعد الطعام». فضحك الأمين شوي عند سماعه لهذا «هاها»، ونهض قائلاً: «إدًا لأدعوك لتناول الطعام، ولتحدث ونحن نأكل. وسأتركك لتعود وتنام بعد الظهر».

كاد سونغ ألا يصدّق أذنيه، ولكنه عندما رأى الأمين شوي يللمم التقرير بالفعل ويضعه في حقيبته، نهض ليغادر، وتبعه في حالة ذهول، ونزل وراءه إلى الطابق السفلي، ثم بحث كل منهما عن دراجته، وأشار الأمين شوي له ليتبعه، فظلّ يتبعه في حالة ذهول إلى منزله، وذلك على مرأى ومسمع من عمّال المناوبة النهارية الذين كانوا قد خرجوا لتوهم من المصنع.

كانت لدى الأمين شوي خادمة تطهو الطعام في المنزل، لذا كان من الممكن تناول الطعام فور الدخول، وكانت زوجته جالسة على الطاولة أيضًا. كما كان لديه ابنان، أحدهما تزوّج وانتقل للعيش بعيدًا، والآخر أرسل من قِبَل المصنع الرئيسي إلى محطة الاستقبال بشأنغهاي. سأل الأمين شوي سونغ يون هوي مباشرة عما إذا كان في حالة مزاجية سيئة في الأيام الماضية، فأجابه مباشرة بنعم، فأقصى ما لا يطيق تحمّله هو أنه كان يظنّ أنه يستطيع العمل بجد وبسرعة، ولم يتوقع أنه سيظلّ موظفًا حكوميًّا مماطلًا بكل ما في الكلمة من معنى. ولكن الأمين شوي ظلّ يلاحقه بالسؤال عن موقفه تجاه الشائعات القائلة بكونه دينيًّا، فلم يستطع سونغ يون هوي المقاومة، وأجابه بثلاث كلمات، «لا أستطيع التحمّل». وعلى الفور، ضحك الأمين شوي، وخرج بجملة استنتاجية قائلاً إنه لا عجب في تحدّثه كثيرًا هكذا أمس. فشعر سونغ يون هوي بإحراج شديد.

بعد ذلك، أخذ الأمين شوي يقرأ التقرير وهو يأكل الطعام، في حين كانت زوجته تطرح أسئلة كثيرة على سونغ يون هوي، مما دفعه للشعور بالإحراج وهو يتناول طعامه، ذلك على الرغم من

كون الطعام جيدًا حقًا، حتى إن الأمين شوي وضع رجل دجاجة ممتلئة في صحن سونغ يون هوي. ظلّ الوضع هكذا حتى أنهت زوجة الأمين شوي طعامها ودخلت إلى غرفتها لتأخذ قيلولة، وهنا فقط تنفس سونغ يون هوي الصعداء، وأكل كثيرًا، إذ كان جائعًا بشدة. لحسن الحظ أن الطعام كثير لدى عائلة شوي؛ فتناوله الكثير من الطعام لن يؤثر على كمية الطعام لديهم.

كان الأمين شوي يأكل على مهل، ويقرأ أيضًا على مهل مرتديًا نظارته الطبية، فالجو حار على أي حال، ولا داعي للقلق من أن يبرد الطعام. مع إنهائه للطعام أنهى قراءته أيضًا، ولكنه ظلّ يهزّ رأسه: «غير صحيح، هذا الطابع غير صحيح، الكتابة جذابة جدًا، ولو كنت من قيادة الوزارة لُكنت قد تحمّست أيضًا، ولكن الطابع بأكمله غير صحيح، ليس به طابع الوثائق الحكومية». فاضطر سونغ يون هوي للاعتراف: «لم يسبق لي كتابة مثل هذه الوثيقة المهمة من قبل، ولكن الخطوط العريضة من مناقشة وتحديد مجموعتنا، لذا يجب أن تكون صحيحة».

لم يردّ الأمين شوي، وإنما جلس على الأريكة وأخذ يقلّب في الورق مرارًا وتكرارًا، ثم أمسك بالقلم الرصاص ليستخرج المواضع المشكوك فيها. كان سونغ يون هوي يقف جانبًا ويشاهد بقلب هادئ جدًا، إذ كان يظنّ بعدم وجود أي مشكلة على الإطلاق، كان واثقًا من نفسه، فقد كتب وفقًا للخطوط العريضة التي ناقشتها المجموعة، ومن المؤكّد ستكون طريقتة في الكتابة هي الأفضل في التعبير.

ولكن الأمين شوي أشار في النهاية أيضًا إلى قلة الجانب المتحدّث عن المزايا الاجتماعية والتأثير السياسي، ذلك على الرغم من أنه قد اقتبس بعض الأحكام المتعلقة بسياسة التصحيح الوطنية، وذكر مسألة عدم استيراد مجموعة كاملة من المعدات، فإنه كان لا بد من ذكر بعض البنود الأخرى، مثل قرارات الدولة تجاه التحوّل التكنولوجي للمؤسسات الصناعية الحالية، وأيضًا لا بد من ذكر المهمة المركزية التي تواجهها بلادنا حاليًا والمتمثلة في السعي من أجل خلق وضع جديد لبناء التحديث الاشتراكي على نحو شامل، والسعي من أجل بناء دولة اشتراكية قوية حديثة تتمتع بدرجة عالية من الديمقراطية والحضارة، وأيضًا لا بد من ذكر الاختلال الخطير في النسب الرئيسة للاقتصاد الوطني والحاجة إلى تسريع تنمية صناعات السلع الاستهلاكية، بل وينبغي أيضًا الإعلان عن تحسّن الكفاءة الاقتصادية بعد تنفيذ جيتشو للتصحيح. قال الأمين شوي إن هذه جميعها محتويات لا يمكن إغفالها، ومن الضروري البحث عنها في غرفة المعلومات وإضافتها، المعلومات الباقية يمكن تجاوزها بشكل أساسي. فقال سونغ يون هوي في نفسه إن البداية الحقيقية للتصحيح الشامل كانت قبل أسبوع فقط، كيف يمكنها الخروج بنتائج وكتابتها. ولكنه لم يقل إلا أنه لن يأخذ قيلولة اليوم، وأخذ قلم الأمين شوي الرصاص ليسجّل ما قاله لتوّه من نقاط مهمة، ولكن الأمين شوي أخبره أن يعيد كتابتها بعد ذهابه إلى المنزل.

نظر الأمين شوي مرة أخرى إلى المسوّدة بعد تنقيحها، ولكنه شعر أنها ما زالت تحمل طابعًا غريبًا، فاستدعى كاتبين من مكتب

المصنع ليلقيا نظرة، فأشار أحدهما إلى أن هذا يرجع إلى عدم توافق الأشياء التي كتبها سونغ يون هوي تمامًا مع الروتين الحالي للكتابة. وعندئذ أدرك الأمين شوي الأمر، فضحك ودعا مرؤوسيه إلى تحريرها. عاد سونغ يون هوي لينام، ولم يحتج إلى كتاب ليانغ سي شن لتهدئته قبل النوم، فتمدد وراح مباشرة في النوم، إذ كان يشعر بأن الشكوك المتراكمة في قلبه قد ذهبَت بالفعل، ولم يكن يعرف أيضًا ما السبب وراء هذا.

قبل ركوب الأمين شوي للطائرة والسفر إلى بكين يوم الاثنين، عقد اجتماعين منفصلين لمكتب التصحيح الشامل ومكتب تحديث المعدات، ونُقل سونغ يون هوي إلى فريق المعدات في مكتب تحديث المعدات ليكون مسؤولاً عن أعمال ربط المؤشرات بين المعدات الحديثة والقديمة. وأيضًا في اجتماع مكتب التصحيح الشامل، قال الأمين شوي، أليس سونغ يون هوي شخصًا لا يموت من التعب؟ إذا سيكون مسؤولاً عن الإشراف والتواصل والتنظيم لأعمال التصحيح في الورشة الأولى. بعد ذلك، وبعد يومين فقط من إعجاب الآخرين بسونغ يون هوي عند رؤيتهم له بعد ذهابه لتناول الغداء في منزل الأمين شوي، عادوا ليروه كأضحوكة مجددًا، ولم يخجل أي منهم من وسمه مباشرة بأنه «لا يكل ولا يمل». ولكن بعض الأشخاص العقلاء ذوي المكانة الذين يتابعون الوضع ويفهمون أسلوب عمل الأمين شوي استطاعوا من هذه التقلبات والمنعطفات والضغط بالمهام الثقيلة عدة مرات أن يفهموا مدى تقدير الأمين شوي لسونغ يون هوي.

أصبح سونغ يون هوي نجمًا صاعدًا في أعين البعض، في حين صار المنافس الأكبر في أعين زملاء من نفس المستوى والمؤهلات.

13

كما هو متوقع، عندما كان سونغ يون هوي في الغرفة الفنية بالورشة الأولى التي تُشبه منزل والدته، وقبل حتى أن ينزل منها، أحضر إليه شيون جيان شيانغ أخبارًا سيئة بمجرد انتهاء العمل.

«مرحبًا، لقد طلب مني مُعلمك إخبارك بأن تلك الزمرة في الغرفة الفنية غير مقتنعين بك، ومنتظرون نزولك غدًا لافتعال المشكلات معك».

«غير مقتنعين بي مجددًا لأني أصغر منهم؟».

«هذا بالطبع، على أي أساس تتسلق إلى المصنع الرئيسي وأنت لم تصل إلى هنا إلا قبل عام واحد فقط؟ مُعلمك يطلب منك الحذر عند ذهابك، وأن تتحدّث بأدب، وألا تسيء إليهم».

بالطبع كان سونغ يون هوي يعلم أن هذا لأنه فعل الكثير، ولكنه من المستحيل أن يصرّح بذلك، لذا اضطر لأن يقول وهو لا يدري إذا ما كان عليه الضحك أم البكاء: «حسنًا، سأتواضع معهم غدًا». تردد شيون جيان شيانغ قليلاً، ثم قال: «أولئك الأشخاص مخلصون جدًّا لكبير المهندسين ليو، كُن... حذرًا». صُعب سونغ مما قيل، وأرجح عينيه لفترة من الوقت وهو يمسك بعيدان الطعام، ثم قال: «فهمت، حسنًا، فهمت».

كان شيون يعرف أن سونغ لا يتحدث كثيرًا، فمجرد قوله إنه قد فهم، توقف عن الحديث بشأن هذا الموضوع: «سيُعرض «ذئاب البحر» مساء اليوم، هل ستذهب لتشاهده؟». وقبل حتى أن يرد سونغ، ردّ شخص آخر واقف عند الباب: «لن يذهب سونغ الصغير بالتأكيد. سونغ الصغير، انتظرني لأقابلك بعد قليل، فأنا أتواصل مع الورشة الثانية، واحتاج للتواصل معك بشأن بعض المؤشرات».

استدار كلا الواقفين في الغرفة لينظرا، فوجداه يوي شان تشينغ الذي انتقل لتوّه للسكن في الطابق الثالث. لم يكن شيون جيان شيانغ يحب هذا الفتى ذا الشعر المدهون والوجه المزيّن، لذا لم يقل شيئًا، وإنما أخذ ينظر إليه ببرود، ولكنه اكتشف أن يوي شان تشينغ لم يعد كما كان وقت دخوله المصنع، إذ لم يعد يتجنب نظراته، ولم يعد يأخذها على محمل الجد. أجاب سونغ بترحيب: «مرحبًا، لست ذاهبًا».

أشار يوي شان تشينغ بيده مغادرًا، فتمتم شيون بهدوء: «لن يذهب برفقة ليو تشي مينغ، فلماذا يرافقك إذا؟».

قال سونغ يون هوي بصوت منخفض: «لماذا إذا، كيف يجرؤ على قضاء الوقت مع عائلة ليو الآن؟ دعك منه. مهلاً، لا تذهب لمشاهدة الفيلم مع زُمرَة أذن الدُّب والآخرين، إنهم مشيرون للمتاعب». فضحك شيون جيان شيانغ ساخرًا: «ألسْتُ مشيرًا للمتاعب؟ لحسن الحظ أن أذن الدُّب معجب بك كثيرًا، لذا لا تُكن غير مخلص له».

أخرج سونغ يون هوي من الدرج زجاجة من الكحول، وزجاجة من ماء الأكسجين: «بالتأكيد، بالتأكيد ستتشاجرون، سأعدّ لكم الكحول وماء الأكسجين أولاً». وبمجرد أن أنهى كلامه، سمعا صوت زئير دب آتٍ من أسفل السُّلم: «شيون، أين اختفيت؟ انزل سريعاً». مدّ سونغ رأسه إلى الخارج وصاح أيضاً: «يا أذن الدب، أحضر دواءك الأرجواني ودواءك الأحمر».

كانت أذنا أذن الدب جيدة جدًا لدرجة أنه استطاع تمييز صوت سونغ حقًا، وبعد قليل، سُمع صوت نعال «تك تك»، وحدث أن أذن الدب قد ارتطمت بيوي الذي كان قادمًا، فسقط عليه، بعد ذلك ألقى كومة من الأشياء على طاولة سونغ، بما في ذلك الدواء الأحمر، وماء الأكسجين، والشريط الطبي اللاصق، والقطن، والضمادات، وما إلى ذلك. فعند عودتهم بعد المشاجرة في المرة الماضية، أظهر سونغ يون هوي مهارات التضميد التي كان قد تعلّمها في الكلية، فتبعه الإخوة، ذلك بالطبع إضافة إلى وجود شيون الذي عزز التأثير. أخذ سونغ كل هذه الأشياء ووضعها في الدرج، وقال لهما وكأنه يعاني من صداع: «احذرا، أُلستما ستشاهدان فيلمًا فحسب؟ ألن يمرّ الأمر لو أملتما رأسيكما إذا كان الذين أمامكما طوالاً ويحجبان الرؤية؟».

فردّ شيون: «ولماذا أميل رأسي، لو كانوا هم طوالاً فعليهم أن يكونوا أكثر وعيًا بذلك، فإما إن يجلسوا في النهاية، وإما ألا يشاهدوا الفيلم، ألا يعني جلوسهم في الأمام عند مشاهدة الفيلم إحراجًا للجالسين خلفهم، لو لم يُصلح هؤلاء، فمن يجب

إصلاحه إذًا؟». فقال سونغ يون هوي بنفاد صبر: «أخرجنا من هنا، وعودا مبكرًا بعد مشاهدة الفيلم، لو تأخرتما فلن أفتح مستشفى لكما». قال سونغ يون هوي هذا وهو يجمع الصحون التي كان شيون جيان شيانغ قد أنهى ما بها من طعام ليغسلها، وعلى الفور خرج أذن الدب وشيون سعداء، وما إن خرج أذن الدب حتى نادى الجميع بأسمائهم بصوت عالٍ، فأخذ الأبطال يخرجون واحدًا تلو الآخر من الغرفة ونزلوا إلى أسفل.

وعندئذ فقط دخل يوي شان تشينغ، وانتظر سونغ يون هوي ليعود.

بعدما فحصا البيانات، لم يجدا ما يفعلانه، فأخذ سونغ يون هوي يقرأ معلوماته، في حين أخذ يوي شان تشينغ الكتاب الذي كان على سرير سونغ ليقرأه، وجلس متكاسلاً لا يرغب في الذهاب على غير عاداته. ظل هكذا حتى وقت متأخر جدًا، إلى أن أتى زميله في الغرفة وأخبره بأن ليو الصغيرة قد غادرت، فذهب يوي. وأدرك سونغ أن السبب وراء تكاسل يوي هو تجنُّبه لليو تشي مينغ. لقد تخلت ليو المسكينة عن عجرتها وذهبت بنفسها إلى مهجع العمال الرجال في الصيف لتبحث عنه، وفي النهاية عاملها بهذه الطريقة.

لم يتمكن سونغ يون هوي من إقفال الباب بإحكام إلا بعد ذهاب يوي شان تشينغ، ثم استلقى على السرير وبدأ يفكر في استراتيجية نزوله إلى الورشة الأولى غدًا. بدا كل شيء صعبًا في البداية، ولكن مع تنبيهات المعلم وشيون المسبقة، أخذت صعوبة البدايات تقل شيئًا فشيئًا. ولكن، كان عليه أيضًا التفكير في طريقة

ما لينقذ الأمر بسهولة، وإلا، فسيكون كالأحمق الذي يرتكب جريمة عمدًا لو لم يجهز أي شيء.

لحسن الحظ، وعلى الرغم من عودة شيون متأخرًا، فإنه لم يُعد بمرض أو كارثة، ولم يحدث أي شيء.

في اليوم التالي، لم يبدأ سونغ أعمال التصحيح والربط في الورشة الأولى كالمعتاد، وإنما ركز على أعمال مكتب تحديث المعدات، وخصص بعض الوقت للذهاب إلى الورشة الأولى ليناقر أعمال التصحيح مع مدير الورشة. واتفق الاثنان على استغلال وقت الدراسة الصباحية بين المناوبات الثلاث بجميع الأقسام في ثالث يوم لعقد اجتماع تعبئة لجميع عمال المناوبات الثلاث وجميع الفنيين بقسم الصيانة والورشة، وذلك لشرح آفاق تحديث المعدات التي تواجهها الورشة الأولى والأعمال التي يتعين على مكتب التصحيح الشامل القيام بها في الفترة القادمة. وبسبب الوَدِّ والثقة اللذين نتجا عن تقدير العاملين بقسم الصيانة على كافة مستوياتهم تجاه مهارة سونغ يون هوي، والألفة والودّ من جميع موظفي المناوبات في قسم التشغيل تجاه سونغ يون هوي، استطاع أن يضمن عدم حدوث أي إظهار للقوة أو أي معارضة لأوامره من فنيي الورشة الأولى. كما أنه كان يتمنى أيضًا أن يختلط بالعمّال الذين اعتاد على التعامل معهم ليلاً ونهارًا من خلال الاجتماع، وأن يُصبح فردًا أصيلاً في مجموعتهم القوية، وأن يحظى بدعمهم القوي. والسؤال هنا، أي عامل فني يجروء على الوقوف أمام شخص يتمتع بقاعدة جماهيرية واسعة؟

لقد مارس سونغ يون هوي هذه المهارات منذ طفولته بالفعل بشكل عفوي، ويمكن للممارسة أن تؤدي إلى الإتقان. وإلا، فكيف كان زملاؤه سيقبلونه هو ذلك الفتى «ابن الحرام» في ذلك العصر السخيف مع وجود درجاته المتميزة وحب معلميه له؟ لطالما كان معتادًا على التعلُّم بتواضع، لذلك فإن ممارسة هذا للمرة أخرى أثناء العمل لم تكن بمشكلة على الإطلاق. كان فقط سعيدًا، ومحظوظًا لأن الأمين شوي لم يمنحه الكثير من المزايا، فقط ميّزه عن الآخرين بزيادة مرتبه بدرجة واحدة وبعشاء عائلي، وفي الوقت نفسه لم يستخدمه كثيرًا، بل وفي أحيان أخرى كان يسخر منه أمام الجميع حتى لا يغار منه الآخرون كثيرًا، وحتى يتمكن من العودة للعمل بسلاسة في الورشة الأولى. وإلا، فكان سيخشى عدم موافقة مدير الورشة على التعاون معه، إذ إن الجميع يكرهون النبلاء الجدد الذين يترقّون فجأة.

في اليوم الثالث، بعدما نُقّدت فكرته بنجاح، وحققت النتائج المتوقعة، عاد سونغ يون هوي إلى غرفته، ولم يستطع منع نفسه من الانهماك في التفكير بشأن قيام الأمين شوي بالتخطيط لكل خطوة دائمة، وحساب كل فعل وكل نتيجة جيدًا، ألم يفكر جيدًا في طريقة تعامله مع سونغ، ذلك بدلاً من نظرية الرجل المأجور والعصا الكبيرة التي كان سونغ يفكر فيها منذ البداية ولم يتم الترويج عاليًا لكونه محظوظًا الآن؟ إذا كان قد حظي بالإعجاب بعد إنكار نتائج عمل المكتب الهندسي العام وقسم التكنولوجيا الحيوية الذي يمثلها كبير المهندسين ليو ومدير المصنع في، فكيف كان لداعمي كبير المهندسين ليو ومدير المصنع في ليعاملوه

الآن وفقًا لمنصبه الحالي في قسم التكنولوجيا الحيوية؟ لو لم يكن قد نُعت بكونه «لا يكل ولا يمل» من قِبَل الأمين شوي في اجتماع يوم الاثنين، فكيف كان سيعود اليوم ضاحكًا إلى الورشة الأولى في ظل سخرية الآخرين، وأن يبدأ العمل في ونام مع الرؤساء والمرؤوسين؟ وأيضًا إذا لم يكن الأمين شوي قد أعطى إيحاءً نفسيًا للجميع بالغداء العائلي الذي دعاه إليه، فكيف كان لمدير الورشة ورجاله أن يتعاونوا معه؟

كلما فكّر، وحلل أكثر، كان سونغ يون هوي يشعر أن معاملة الأمين شوي الحارة تارة والباردة تارة أخرى لم تكن عرضية مطلقًا. هل من الممكن أن يكون الأمين شوي بهذا قد جهّز له المسرح ليقوم بعمله جيدًا ويؤسس هبة يكتسبها خطوة بخطوة لنفسه، وليست هبة مدعومة بآخر ولا يمكن للجماهير الاقتناع بها؟ من الممكن جدًا. لم يكن سونغ يون هوي يدري أعليه أن يضحك أم يبكي، لو كان الأمر هكذا، فإن تصرّفه أمام الأمين شوي يُشبه كثيرًا الطفل الكسول الذي يحبّه والداه بكل الطرق الممكنة، ومع ذلك فهو يعيش في النعمة ولا يُدركها، بالتأكيد قد رأى الأمين شوي تصرّفه معه بوضوح، حتى إنه قال بنفسه إن سونغ يون هوي يعارضه.

شعر سونغ يون هوي بخجل شديد عند التفكير في هذا كله، ولا سيما عندما فكّر في شكّه ورفضه للأمين شوي؛ كان موقفه تجاه الأمين شوي ناكراً جدًا للمعروف. لطالما عرف في أعماقه أنه من السهل على الناس الاستفادة من الآخرين، ولكن من الصعب عليهم اعترافهم بالجميل. ولطالما علّمه والداه أنه نادرًا

ما يوجد في هذا العالم خير بلا سبب، لذا يجب أن يتعلم تمييز الخير الحقيقي، وحين يتلقى نعمة حقيقية، فعليه أن يردها بامتنان مضاعف. وفي الوقت الحالي، على الرغم من تدريب الأمين شوي له بهدف دعمه هو للأمين شوي فيما بعد، فإن الأمين شوي لطالما درّبه بقوة منذ البداية، ومنحه فرصًا لا حصر لها، وساعده على التخطيط المدروس، بالإضافة إلى تقدير الأمين شوي لقدراته، واكتشافه لهذا الشخص المتواضع، لو كان أحد غير الأمين شوي، هل كان ليفعل هذا؟ لقد تمكّن يوي شان تشينغ بالفعل من مرافقة ليو تشي مينغ، ولكن هل اكتشفه كبير المهندسين ليو؟ يبدو أن معروف الأمين شوي على سونغ يون هوي معروفٌ يعادل منحه فرصة ثانية للحياة.

لطالما عرف سونغ أن الحصول على معروف ليس بالأمر السهل، ولذلك دائمًا ما كان ينظر بازدراء لمن يعيشون منعمين ولا يدركون هذه النعم. لطالما تعلم كإنسان أن الاعتراف بالجميل هو المبدأ الأساسي لكونه إنسانًا. لذلك، فقد تغيّرت فكرته عن الأمين شوي بين ليلة وضحاها. ففي الماضي، كان يقوم بالأشياء وفقًا لضميره وطموحه، ولكن فيما بعد، عليه أن يضيف بند القيام بالأشياء ردًا للمعروف.

بعد توضيح هذه الفكرة في ذهنه، قلّ شعوره بالخجل كثيرًا عند قيامه بالأشياء فيما بعد، كما صار أكثر انفتاحًا وجرأة وحسمًا عند فعله للأمور. إذ صار يعتقد أن القيام بالأشياء على نحو جيد هو أفضل ردّ لمعروف تدريب الأمين شوي له، كما أنه أفضل ردّ على شكّ الآخرين في هذا التدريب.

بالطبع، سيكون سونغ يون هوي أكثر جرأة وحسم، فقد حقق آخرون نتائج مرضية وفقًا للإطار التنفيذي الذي صاغه الأمين شوي، ولا سيما أولئك الأشخاص ذوو الخبرة الذين يتمتعون بقاعدة جماهيرية وأساس تقني بالفعل. يوي شان تشينغ أيضًا لم يتخلف عن الآخرين، فهو يخطط بعناية، ويرع في التواصل مع الجماهير، ويعوض افتقاده للمهارات بجاذبيته وحماسه، وغالبًا ما يحصل على ضعف النتيجة بنصف المجهود. بالإضافة إلى أن الجميع كانوا يعلمون بالعلاقة الحساسة بين يوي وعائلة كبير المهندسين ليو، ولكنهم لا يعلمون أن يوي شان تشينغ يتجنب ليو تشي مينغ، وأولئك الفنيون الذين يقدرّون كبير المهندسين ليو كانوا مفيدين أيضًا إلى حد ما بالنسبة ليوي شان تشينغ، كما أنه أدرك تدريجيًا فيما بعد أنه بالإضافة إلى السياسة الرسمية، عليه أيضًا الوصول إلى قلب الناس، لقد خسر كبير المهندسين ليو في السياسة الرسمية، ومع ذلك فإن هيئته التي تراكمت طوال السنين كان لها تأثيرها أيضًا داخل النظام الاجتماعي الصغير بمصنع جينتشو.

ولكن هذا الإدراك وضع يوي شان تشينغ في معضلة كبيرة، إذ أدرك فجأة أن ليو تشي مينغ صارت مشكلة كبيرة، فلو تركها، سيحتقره أولئك الذين يحبّون كبير المهندسين ليو، ولو لم يتركها، فمن المحتمل أن تتأثر حياته المهنية أيضًا. لقد كان ذكيًا لدرجة أن ذكائه قد ضلله.

اضطر يوي شان تشينغ للمماطلة بلا حول ولا قوة، ولحسن الحظ أن ليو تشي مينغ لم تبادر بالبحث عنه، يبدو أنها قد عرفت

شيئًا ما، فاضطر هو للمماطلة في العلاقة بفتور، وصار أحيانًا يُسرع إلى المكتبة حاملاً بعض الوجبات الخفيفة والكتب وما إلى ذلك، في حين دفعه موقف ليو تشي مينغ للحيرة، إذ إنها دائماً ما كانت تنظر إليه بعينيها الجميلتين النقيتين نظرة ترقّب مع تأمّل دون أن تقول الكثير. لم يستطع الاهتمام بها أكثر، ولكن كان عليه أيضاً الحفاظ على هذا الوضع، إذ كان من الأفضل طبعاً أن تطلب ليو تشي مينغ الانفصال من تلقاء نفسها، ولكن من الواضح أنها لم يكن لديها أي نية للانفصال.

كان اجتماع نهاية شهر أغسطس اجتماعاً استثنائياً للكوادر على مستوى القسم وما فوق، لم يكن سونغ يون هوي مؤهلاً للحضور، ولكن بعد الاجتماع انتشر خبر مهم في جميع أنحاء المصنع، وبالطبع وصل إلى مسامعه، إذ نُقل مدير المصنع فيّ للعمل في الوزارة، بينما صار الأمين شوي مديراً للمصنع بدوام جزئي.

وهنا، أخيراً اتخذ سونغ يون هوي قراراً، قراراً دفعه للقلق بشكل غير عادي. وعندما وصل هذا القرار إلى مسامع شيون جيان شيانغ، استشاط غضباً منه ونعته بالمريض العقلي، وأنه يستهتر بمستقبله. كان سونغ يون هوي نفسه يعلم أيضاً أن هذه مخاطرة كبيرة، وأنه ببساطة يسخر من نفسه، ولكنه عندما فكّر ثانية، وجد أن هذا الأمر لو أُنجِز، فسيكون بمثابة أمر رائع حتى لمصنع جيتنشو نفسه، وليس لليون تشي مينغ وحدها. لذلك، لم يأخذ برأي شيون جيان شيانغ، وبعد اجتماع روتيني لمكتب التصحيح الشامل في شهر سبتمبر، بادر باللحاق بالأمين شوي لأول مرة، وطلب منه التحدّث على انفراد بشأن بعض الأمور.

تفاجأ الأمين شوي كثيرًا، ولكنه لم يرفض، وسأله في الممر: «ماذا، هل تريدني أن أرشحك للانضمام إلى الحزب؟». عندها فقط تذكر سونغ يون هوي أنه لطالما كان مشغولاً لدرجة أنه لم ينو الانضمام إلى الحزب، فقال ضاحكًا: «لم أكتب الطلب بعد، أعتقد...».

«أما زلت غير منضم للحزب لأنك لم تحقق الإنجازات بعد؟». ماذا تقصد بتحقيق الإنجازات؟» فتح الأمين شوي الباب ودخل مكتبه، وضغط بيده على سونغ يون هوي وأجلسه على الكرسي الذي أمام مكتبه، ثم قال: «هل يجب أن تفوز بجائزة كبرى أو تُصاب وتموت حتى يُعتبر هذا إنجازًا؟ أنت طفل مجتهد بشكل مفرط. أخبرني، ماذا تريد مني؟».

دفع كلام الأمين شوي سونغ يون هوي للتأثر، فقال مُحرَجًا متلعثمًا: «ولكن أعمال التصحيح وتحديث المعدات التي أتولاها حاليًا لم تُظهر أي نتائج بعد، ولو تقدّمت بطلب الانضمام إلى الحزب الآن فسأكون مخالفًا للمبادئ إلى حد ما».

ضحك الأمين شوي بصوت عالٍ بمجرد سماعه لهذا، ونظر إلى سونغ يون هوي الذي كان قد أطلق لحيته الخفيفة ليتظاهر بكونه ناضجًا، وأراد حقًا أن يمدّ يده ليربّت على ذلك الرأس الذكي والأحمق أيضًا، وقال مبتسمًا: «اذهب وتقدّم بطلب، واطلب من معلّمك في الورشة الأولى ترشيحك، لا يمكن للإنسان أن ينسى مبادئه، أو أن ينسى جذوره أيضًا».

أجاب سونغ يون هوي بـ «نعم»، ووضع دفتر الملاحظات الجلدي الأسود الذي ظلّ يحمله طويلاً بكلتا يديه على المكتب، وقال بصعوبة: «سيادة الأمين شوي، لا أعرف ما إذا كان يمكنني قول هذا أم لا، ولكنني أشعر الآن أنه يمكنني قول هذا بالفعل. اسمح لي أن أتجرأ وأطلب من سيادتك قراءة هذا الدفتر، فقد أعطاني كبير المهندسين ليو إياه قبل ذهابي إلى بكين للبحث عن المعلومات لأتعلّم وأحسّن مهاراتي، وقد جمعه على مدار سنوات طويلة من الخبرة. إن هذا الدفتر هو تبلور لحكمة كبير المهندسين ليو لسنوات طويلة، وبالمقارنة بين محتوى هذا الدفتر والعديد من فنتي المصنع العام الذين تعاملت معهم بالفعل، أكاد أجزم أن عددًا قليلاً جدًا من الفنيين هم الذين يستطيعون اللحاق بمستوى كبير المهندسين ليو. في الوقت الحالي، يسير العمل في مكتب التصحيح الشامل على قدم وساق في ظل الإطار الذي حدده سيادتكم، ومع ذلك فقد وُجدت الكثير من مشكلات التحديث التكنولوجي، وهناك أيضًا العديد من المسائل التقنية التي يجب تولّيها ضمن اللوائح التي يجب على مكتب التصحيح الشامل صياغتها. لأتجرأ وأسأل ما إذا كان من الممكن أن نطلب من كبير المهندسين ليو تولّيها، أعتقد أن الكثير من الناس سيقتنعون بموافقه أو رفضه ويشعرون بثقة في داخلهم».

لم يقاطع الأمين شوي حديث سونغ يون هوي، وإنما ظلّ يحدّق فيه بعينه العميقتين المختبئتين تحت حاجبيه الأسودين الكثيفين. بالطبع كان الأمين شوي يعلم سبب طرح سونغ لهذا الأمر في هذا التوقيت، إذ إن مدير المصنع فيّ قد غادر، وتولّى

هو منصب مدير المصنع بالفعل، ولم يُعد كبير المهندسين ليو قادرًا على فعل شيء بمفرده. لم يقل شيئًا، وإنما أمسك بالدفتر وأخذ يقلّب صفحاته، نعم، فهذا هو خط كبير المهندسين ليو حقًا، وعمره أكثر من عشرين عامًا منذ الستينيات وحتى الآن. إن إعطاء ليو خبرته التقنية التي جمّعها طوال حياته لشاب صغير يبين أنه قد أدرك أيضًا كون سونغ موهبة قابلة للتطوير، وتقديره له واضح دون كلمة واحدة. لا عجب أن أحدًا لم يأت إليه من المصنع كله ليقنعه بإعادة كبير المهندسين ليو إلى عمله، وحده هذا الفتى هو الذي خاطر بهذا، هذا الفتى ذو ضمير، وبالطبع لم يتحمّل رؤية الرجل الذي يقدره وهو يتلاشى. لكن بعد التفكير في الأمر، رفع الأمين شوي عينيه من الدفتر وسأله: «هل واجهت مقاومة من بعض الفنيين في العمل؟».

«لا. وحتى لو واجهت، فالأمور التي أواجهها في نطاق عملي سأفكر في طريقة لحلّها بنفسى، ولن أزعج بها سيادتك».

لم يكن الأمين شوي ليغضب من سونغ يون هوي، إذ كان يعلم أنه فتى مجتهد، ومن المعقول أن يطرح عليه مثل هذا الطلب، فردّ بصبر وقال: «سونغ أيها الصغير، أمامك شخصان، أحدهما ينجز الأشياء بنسبة مائة بالمائة وحتى مائة وعشرين بالمائة، ولكن لديه قوة تدميرية بنسبة ثمانين بالمائة، والآخر ينجز الأشياء بنسبة عشرة بالمائة، ولكن لديه قوة تدميرية بنسبة عشرة بالمائة، فأيهما ستختار؟».

ذهل سونغ يون هوي، إذ لم يكن يتوقّع أن يمنحه الأمين شوي الاختيار، وقد استطاع أيضًا رؤية مدى التأكيد المطلق له على

المستوى التقني لكبير المهندسين ليو من خلال طريقة النسب الواضحة التي أعطاها له. وقف سونغ عاجزاً عن الكلام للحظة، إذ إنه بسبب أعمال مكتب التصحيح الشامل الأخيرة، قد تعامل مع العديد من الأشخاص، وبالطبع أصبح يعرف بالفعل مدى تأثير المقاومة القاسية أو الناعمة على سير العمل، إذ إنه قد اضطر لتخصيص نصف طاقة عمله للتعامل مع الخلافات الشخصية، مما كان له تأثيرٌ كبير على مستوى تقدُّم العمل. كان يعلم جيداً مدى إزعاج تلك القوة التدميرية التي تصل نسبتها إلى ثمانين بالمائة، بالإضافة إلى أنه لو كان كبير المهندسين ليو جاداً بشأن قوته التدميرية بعد استعادته للسلطة، فلن يكون بمفرده، وإنما سيحرِّك مجموعة كاملة من الأشخاص. هذه ليست مسألة خاصة بمزاج الأمين شوي، وإنما مسألة خاصة باعتبارات العمل. ففكر طويلاً، ثم قال: «سيادة الأمين شوي، أعتذر منك، فهمت الأمر. ولكن... يا للأسف».

«نعم، يا للأسف. لطالما تمسكت بمبدأ الأمور تُنجز بسبب الناس، وتُفسد بسبب الناس أيضاً، ولو كنت بارعاً في الاستفادة من الناس، فستحصل على نتيجة مضاعفة بنصف المجهود». بعدما قال هذا، أعاد دفتر الملاحظات إلى سونغ يون هوي، «أدرس جيداً، ولكن عليك ألا تدع مؤهلاتك أو مهاراتك تفصلك عن الجماهير».

لم يكن سونغ يون هوي ليتوقع أبداً ألا يغضب عليه الأمين شوي ويوبّخه، وإنما علّمه وشجّعه بدلاً من ذلك، يا له من شهم. فأخذ دفتر الملاحظات، وهزّ رأسه وقال: «حسناً». وبعد مغادرة

سونغ، شعر الأمين شوي بإعجاب شديد تجاهه، فالأشخاص الذين يعتبرون عن اعتراضاتهم علناً لطف كثيراً ممن يتحدثون بسخرية ويقومون بأفعال دنيئة من وراء ظهور الآخرين. لذلك، أراد الأمين شوي إعادة النظر في اقتراح سونغ. فعلى الرغم من رفضه لاقتراحه، فإنه بالتأكيد كان يعلم مدى تأثير كبير المهندسين ليو في قلوب الفنيين ومكانته في أذهان العمّال المهرة، وإذا لم يعينه في المكان المناسب، فستقل صورته القيادية بدرجة كبيرة. كان يمكنه بالطبع أن يكتم أفواه الآخرين بسلطته، ولكن، أليس على الشخص أن ينتبه جيداً إلى صورته؟

في هذا الوقت، كانت أعمال تعيين الطلاب الجامعيين الجدد قد انتهت بالفعل، وصارت لدى المصنع الرئيسي قواعد لقبول الدفعة الثانية من الطلاب بالفعل. وبعد فترة من التدريب والدراسة المكثفة، تم توزيع هذه المجموعة من الطلاب على القواعد الشعبية للورش المختلفة للتدريب والعمل بنظام المناوبات. بالطبع كان سونغ يون هوي يتعامل مع اثنين من الطلاب الجدد في الورشة الأولى، وبالطبع، كان سن هذين الطالبين أكبر منه. وعندما نظر سونغ إلى عيون الطلاب الجدد المتحمسة والمتطلعة، أدرك مدى نضجه خلال هذا العام. فعندما كان يدرس، كان يفهم السياسات، ويُرَاقم المعارف، حتى تمكن من اغتنام الفرص بدقة، وأخذ يقوم بأعمال مؤثرة واحداً تلو الآخر، وظنّ أنها أعمال رائعة وعظيمة، ولكنه ما إن ألقى نظرة على المجتمع، حتى أدرك أن تلك الأعمال كلها كانت مجرد ألعاب منزلية. لقد كان هذا العام مليئاً

بالتقلبات والمنعطفات الوعرة، ولكن في النهاية ما زال هناك رجلٌ يدعّمه وهو الأمين شوي.

ولكن بعد تفكير وتأمل، ذهب سونغ يون هوي إلى مكتب كبير المهندسين ليو في يوم عاصف برياح الخريف. لم تأت أي أخبار لعدة أيام بعد ذلك اليوم. ولكن سونغ يون هوي شبه المنضم إلى الحزب شعر أن هناك خطأ ما، إذ إنه عندما التقى بكبير المهندسين ليو في ممر المبنى، غير كبير المهندسين ليو ابتسامته المهذبة المعتادة وسأل عن مدى التقدّم وكأنه يلقي تحية. لم يستطع سونغ أن يتجاهل نظرته إليه، تلك النظرة، كانت تحمل تساؤلاً كبيراً.

كان هناك يومان إجازة بمناسبة العيد الوطني، وتصادف وجود يوم أحد، فأضاف سونغ يون هوي يومين من أيام إجازاته، واستقل سيارة مكتب النقل والتسويق الخاصة بالمصنع الرئيسي ليعود إلى المنزل ويقضي خمسة أيام. لم يكن مكتب النقل والتسويق قد رتب أصلاً أي عملية نقل بالقرب من منزل سونغ، ولكن بمجرد طلب سونغ ذلك، رتب مدير المكتب تقديم مغادرة السيارة من بعد غد إلى اليوم السابق للعيد الوطني، ومن ثم بقي سونغ في منزله عدة أيام. أرسل سونغ إليه الكثير من الأطعمة اللذيذة، بالإضافة إلى كعك القمر بهذه المناسبة، والذي كان كعك قمر على الطريقة الكانتونية غير الشائعة. ولكن لي دونغ باو نفسه لم يستطع المجيء، إذ كان أرسل من قبل البلدية لزيارة منطقة شيكو الصناعية للتعلم من تجربتها.

كان لدى مسني عائلة سونغ ولد وبنت، ولم يتبق سوى الولد، لذا تضاعف حبهما له. فبعد عودته إلى المنزل، لم يدعاه يفعل

شيئًا، وإنما أراداه أن يأكل بشهية كبيرة فحسب. وبالأكثر والدته التي لم تكن ترغب في غياب ابنها عن عينيها للحظة واحدة، إذ كانت تتبعه في الخروج والدخول وتثرثر معه لو لم يكن لديها ما تفعله، حتى إنها كانت تبحث عنه لتجلس بجانبه مرتدية النظارة الطبية وتحدّث معه وهي تلتقط الحصى الموجود في سلة الأرز.

في اليوم الثالث لعودته إلى المنزل، اصطحب سونغ يون هوي والديه إلى المدينة لشراء جهاز تلفاز. كانت هذه المرة الثانية التي يذهب فيها إلى المدينة لشراء جهاز تلفاز، إذ كانت المرة الأولى برفقة شقيقته. كان المتجر الأول متعدد الأقسام ما زال موجودًا، ولكن الأمور قد تغيّرت، وفي الحقيقة البضاعة قد تغيّرت أيضًا، فبعد مرور فترة قصيرة من الزمن، يمكن القول إن الوقت يجري حقًا، إذ صارت أجهزة التلفاز محلية الصنع تُصنّع الآن مثلها مثل المنتجات اليابانية، وشكلها جميل جدًّا، بل وسعرها أرخص أيضًا من أسعار المنتجات اليابانية. اختارت العائلة تلفاز كايجه مصنوع في شانغهاي. وفي وقت انتظار شحن المتجر للبضاعة، ذهب سونغ يون هوي في جولة إلى مكتبة شينخوا القريبة، واشترى أربعة كتب، «الموجة الثالثة» و«الاتجاهات الكبيرة» و«القادة» و«ما بعد الثورة». لطالما سمع عن هذه الكتب، وأخيرًا استطاع الذهاب اليوم لشرائها من المكتبة. لم تُعد شقيقته موجودة، لذا لم يُعد لديه اهتمام أيضًا بشراء الروايات. ولكن عند خروجه من الباب، رأى مجموعة «حلم المقصورة الحمراء» ذات الغلاف الأخضر بلون الفاصولياء معروضة أسفل زجاج المنضدة، فتحرك شيء ما في قلبه، وأخرج المال ليشتريها. فكّر في ليانغ سي شن، تلك الفتاة

الصغيرة التي أرسلت إلى منزل جدتها في سن صغيرة تمامًا مثل داي يو المذكورة في الرواية، وخطط لإرسال المجموعة إلى ليانغ سي شن بعد عودته إلى المصنع.

أمضى سونغ يون هوي الأيام القليلة التي عاد فيها إلى المنزل بدون أي نظام، فكان كل يوم يأكل وينام، وينام ويأكل، ولم يكن يستيقظ صباحًا إلا إذا أيقظته والدته، وبعدها توقظه كان يجد الماء في الحوض والمعجون على الفرشاة في انتظاره. كان يشعر بالحرَج ولكنه لم يكن يتمكن حقًا من الاستيقاظ صباحًا، كان متعبًا جدًّا، وكأنه كان يريد النوم طوال هذه الأيام لتعويض تعب عام كامل منذ تخرُّجه. كان منعه لوالدته من ملء حوض غسيل الوجه عديم الفائدة، إذ صار الآن شخصًا مشهورًا إلى حد ما في مصنع جينتشو، ولكن بعد عودته إلى المنزل، صار عليه تحمُّل «استصغار» والدته له.

في صباح الثالث من أكتوبر، كان سونغ يون هوي لا يزال غارقًا في نوم عميق، فأيقظته والدته في الموعد المحدد، وسألته بتشوق إذا ما كان يريد تناول المانتو الحُلُو أم المانتو العادي، فتذكَّر سونغ أن والدته لم تكن تعرف كيفية إعداد المانتو، فأجابها مفضلًا تناول كعك الزهور، فوافقت والدته مباشرة وركضت إلى الخارج. تعجَّب سونغ، هل أتت فتاة الحلزون⁽¹⁾ إلى المنزل؟ فقفز من السرير وتبعها لينظر، فوجد شخصًا بالفعل في الخارج، ولكنه لم يكن فتاة الحلزون، وإنما فتى صغير في الخامسة أو السادسة عشرة

(1) شخصية أسطورية طيبة وودودة تعمل باجتهاد في صمت.

من عمره، وكانت عيناه مشرقتين وعلى وجهه المظلم ابتسامة بَرَاقَة.

عندما رأت والدة سونغ ابنها وقد خرج، قالت: «انظر، بيضة واحدة تُستبدل بأربع من المانتو أو بثلاث من المانتو الحُلُو، لا يوجد كعك زهور، ماذا ستأكل؟ المانتو الحلو أفضل نوعًا ما».

سأل سونغ يون هوي ذلك الفتى: «كم تزن القطعة العادية؟». فردّ الفتى ضاحكًا: «القطعة العادية والقطعة الحلوة، كلاهما خمسون جرامًا للواحدة، لا نأخذ قسائم الغذاء، لذا فإن السعر أعلى قليلًا».

سأل سونغ يون هوي متعجبًا: «ألا تحتاج لقسائم الغذاء لشراء الدقيق؟». فردّ الفتى ضاحكًا بمرح: «نحن أهل الريف نبذل جهدًا كبيرًا، لذا فإن شهيتنا كبيرة، ولا يكفيننا الطعام، ولكن لدينا الكثير من النخالة والدجاج والبيض، ويمكن استبدالها بالغذاء، ورجال المدينة يأكلون أقل مما تأكل نساء الريف، لذلك يمكننا استبدال قسائم الغذاء الإضافية لدينا بالبيض». فردّ سونغ يون هوي متفاجئًا: «يا له من ذكاء! أمي، لنشتري اثنتي عشرة قطعة من المانتو العادي، وأنا سأصنع لكما المانتو العادي بحشوة لحم الخنزير، كثيرًا ما أتناوله بهذه الطريقة في المصنع، وقد علّمني إياها زميلي من شيآن». فسأله الفتى بفضول: «كيف تحشوها؟ هل تصب المرق أيضًا فيها؟».

أمسك سونغ يون هوي بكعكة، وقدم عرضًا تقريبيًا للفتى، فأوماً الفتى برأسه تعبيرًا عن التعلّم، وقال مستخدمًا طريقة القياس،

ويمكن أيضًا حشوها بالخضار المخلل أو الملفوف المخلل. أعجب سونغ يون هوي كثيرًا بسرعة بديهة الفتى، فاستغلّ ذهاب والدته لانتقاء المانتو وإدخاله وتجهيز البيض لإخراجه، وسأل الفتى: «هل تساعد والديك ببعض الأعمال التجارية خلال عطلة العيد الوطني؟ يا لك من ماهر حقًا».

هزّ الفتى رأسه: «توقفت عن الدراسة بعد تخرّجي هذا العام من المدرسة الإعدادية، فقد توفي والدي مبكرًا، وعائلتي فقيرة، ولدي ثلاثة إخوة أصغر مني، لذا عليّ العمل لإعالتهم».

شعر سونغ يون هوي بالأسف الشديد تجاه الفتى عند سماعه لهذا، فهذا الفتى ذكي جدًّا، وبالتأكيد ستكون درجاته جيدة لو درس. فأشار إلى منزله وقال: «تربية الأرناب أيضًا وسيلة جيدة جدًّا لكسب الرزق، لديكم أطفال كُثُر في المنزل، ولو عاد كل منهم بحفنة من العشب بعد انتهاء الدراسة، فسيكفي هذا لإطعام الأرناب. التخلي عن الدراسة أمر مؤسف حقًا».

ردّ الفتى: «لقد ربّيناها، وقد تولّى إخوتي تربيتهما. ولكن بعد وفاة والدي، صرنا مدينين بكومة من الديون، لذلك فالاعتماد على بضعة أرناب لم يُجدِ نفعًا». لحسن الحظ أن والدته سونغ يون خوي رجعت بخمس بيضات، وساعدها الفتى في انتقاء ثماني كعكات من المانتو، وكانت هذه هي الصفقة الكبرى في يومه. فرح الفتى، وأخذ يتحدّث كثيرًا، «عندما يتخرّج أخي في المدرسة الإعدادية العام المقبل، يمكنه أن يتولّى عملي، وسأذهب أنا مع شخص ما للعمل في الشمال الشرقي، سمعت أن الناس هناك أثرياء».

ردّ سونغ يون هوي: «هناك الكثير ممن يكسبون المال في الشمال الشرقي، ولكن الجو بارد هناك». فضحك الفتى بفرح قائلاً: «نعم، إنني احتفظ بجميع قسائم الغذاء الوطنية التي استبدلتها، وسأستخدمها العام المقبل. لقبّي هو يانغ يا أخي الكبير، سأغادر الكعك لذيذ، سأعود مجددًا بعد غد».

نظرت والدة سونغ يون هوي متأثرة إلى يانغ الصغير وهو يغادر بالحمولة وينادي لبيعها، وقالت إنه قد بدأ في بيع المانتو منذ الصيف، لقد توقّف الجميع عن الذهاب لتناول الإفطار في المطعم سعيًا للراحة، كما إن يانغ الصغير صار معروفًا لدى الجميع، لذا فهو يستطيع التحدّث مع كل من يقابله، وبعد شهر واحد، صار مشهورًا، حتى أصبح الجميع يطلقون عليه المتخصص في بيع الكعك، وتجارته جيدة جدًا. شعر سونغ يون هوي أن يانغ الصغير أشقى كثيرًا مما كان عليه في طفولته.

في طريق العودة إلى المصنع، فكّر سونغ يون هوي في فرقة شياوليغيا المزدهرة، وفي يانغ الصغير الذي يكسب المال بذكاء، ولمّا فكّر في جيتشو، شعر أنها مجرد أرض مظلمة. لم يكن ليُدرك هذا إلّا بعد عودته إلى المنزل، فبعد عودته، رأى مدى تغيّر الريف بسرعة، في حين بدأت جيتشو في الانطلاق منذ وقت قريب، وما زال هناك العديد ممن يستمتعون بالقييل والقال، ويزجون أوقاتهم بتربية فطر الشاي الأحمر وزهور الأُجونة، يا لها من فجوة كبيرة بينهما حقًا. فكّر سونغ يون هوي في نفسه أن عليه ألاّ ينضمّ فكريًا إلى أولئك الناس.

لم يتوقع أنه سيرى تغييرًا ضخمًا أيضًا بعد عودته إلى المصنع. فقد عاد كبير المهندسين ليو إلى العمل، لكنه صار مسؤولاً عن إعداد معهد دراسات مصنع جيتشو العام، وفي الوقت نفسه صار قائدًا لفريق المراجعة في مكتب التصحيح الشامل. على الرغم من عودة سونغ يون هوي في السادس من أكتوبر، فإن كبير المهندسين ليو كان سريعًا هذه المرة، إذ كان قد شكّل بالفعل فريقين وبدأ العمل أمس. فجأة تحوّل مكتب التصحيح الشامل إلى طابورين يتدافعان إلى الأمام بالتناوب، أحدهما للكتابة، والآخر للمراجعة. ولا سيما بعد عودة كبير المهندسين ليو من السّبات، إذ أخذ يعمل بسرعة كبيرة كحصان سريع يُضرب بكراباج، ودائمًا ما كان يلاحق فريق الكتابة لتسليم المسودة الأولى، ومراجعتها وإعادة كتابتها، ثم طلب منهم الخروج بالمسودة المنقحة في أسرع وقت ممكن. ولأنه كان يحظى باحترام كبير من الفنيين، فلم يكن أحدٌ ليجرؤ على معارضته علنًا، وعلى الرغم من أن فريق الكتابة لم يكن تحت القيادة المباشرة لكبير المهندسين ليو، فقد كانوا يهرولون في العمل أسرع من تلك المرة التي وبّخهم فيها الأمين شوي. وعلى النقيض من ذلك، كان سونغ سعيدًا، نعم، فهكذا هو القيام بالعمل.

شعر سونغ بفضول غريب، إذ أراد معرفة ماذا قالوا في تلك المرة التي بادر فيها الأمين شوي بالتحدّث مع كبير المهندسين ليو، وما الاستراتيجية التي استخدمها الأمين شوي حتى يدفع كبير المهندسين ليو للامتلاء بالحيوية وكأنه قد عاد شابًا.

أخيرًا، جاء دور تسليم وثائق التصحيح الخاصة بالورشة الأولى التي يتواصل معها وينظّمها سونغ يون هوي إلى فريق

المراجعة للموافقة عليها. كان الجميع يعرفون أن كبير المهندسين ليو قابل كل ما سبق بنقد شديد، وأن مسودة الملاحظات التي أصدرها كانت طويلة لا آخر لها، وجميع الذين تم انتقادهم كانوا صامتين كحشرة الزيز ولكن لم يجرؤ أي منهم على تقديم شكوى، فلم يكن هناك ما يمكنهم فعله، إذ إن ملاحظات كبير المهندسين ليو دائماً ما تكون القسوة التي تقسم ظهر البعير. بالإضافة إلى أن الجميع كان يعرفون أن كبير المهندسين ليو يتخذ موقفاً جاداً وصارماً عندما يتعلق الأمر بالمسائل التقنية.

كما سمع سونغ أن يوي شان تشينغ قد قوبل بالنقد أيضاً، ولم يُعامل معاملة خاصة مقارنة بالآخرين، حتى إن البعض قالوا إن كبير المهندسين قد ألقى بمسودة ملاحظات الموافقة في وجه يوي، ولم يهتم بشأن ابنته، وكان حيادياً جداً. قال سونغ في نفسه إن هذا حقاً صحيح، فكبير المهندسين ليو ليس غيباً، ألا يمكنه معرفة ما يفكر فيه يوي؟ أما زال يتطلع لرؤية يوي في هذا الوقت؟ كان سونغ واثقاً جداً من المسودة الأولى التي سلمها بالفعل، فهي تبلور للعمل الشاق الذي بذله جميع العمّال والفنيين بالورشة، كما أنها تشير إلى جوهر دفتر ملاحظات كبير المهندسين ليو. ولكن بعدما رأى المعاملة التي قوبل بها العديد من الفنيين أصحاب الخبرة الغنية على يد كبير المهندسين ليو، شعر سونغ يون هوي بالذنب. فدائماً ما كان يشعر أن هناك احتمالية كبيرة لأن يُوثق نظراً لكونه أكثر من أساء إلى كبير المهندسين ليو، كما أنه يعرف أكثر من اللازم. والأشخاص الذين يعرفون أكثر من اللازم غالباً ما يكونون موضع كراهية من قبل الآخرين.

عندما أبلغ سكرتير كبير المهندسين ليو سونغ يون هوي بالأمر، كان يشارك في اجتماع مكتب تحديث المعدات، ولكن السكرتير لم يهتم بما إذا كان في اجتماع أم لا، ودخل مباشرة متوجّهاً إلى سونغ يون هوي وأخبره وكأنه مطلوب في المحكمة. وما إن وصل سونغ يون هوي إلى الباب حتى سأله كبير المهندسين ليو من الداخل: «كم درجة تُعطي للمسودة يا سونغ الصغير؟» عندئذ لم يستطع سونغ إلا أن يرى تعبير وجه السكرتير يتغيّر أمامه، ولم يعرف ما إذا كانت هذه علامة خير أو شر، ومع ذلك فقد أصرّ على الدخول، وردّ بشجاعة: «خمسًا وتسعون درجة، لأنّي لم أمرّ بأيّ إصلاح شامل للمعدات، ولذلك بدت بعض المسائل غامضة بالنسبة لي». عندئذ أغلق السكرتير الباب خلفه وخرج، وكأنه يُغلق الباب إشارةً لمحاصرته.

قال كبير المهندسين ليو: «تفضّل بالجلوس، لقد صيبت الشاي لك للتوّ. إذا لم تكن سونغ يون هوي، لكنت قد أعطيتك ثمانٍ وتسعين درجة، ليس بسبب ما قمت به من عمل رائع، بل بسبب ما أظهرته مسودتك من تفكير منطقي قوي، بمعنى آخر، الإطار الذي بنيت عليه رائع، تمامًا مثل خطتك لدحض تقنية إف آر سي، لقد جعلني المنطق الفكري الذي أظهرته عاجزًا عن الكلام. ولكن بالنسبة لك يا سونغ يون هوي، لا يمكنني إلا أن أعطيك درجة مقبول. لماذا؟ سأحلل لك نقطة نقطة».

لم يفقد كبير المهندسين ليو أعصابه بكل ما في الكلمة من معنى، وإنما أمسك بالمسودة وأخذ يشرح لسونغ يون هوي نقطة

نقطة، فبالإضافة للإشارة إلى الأخطاء، كان يشير أيضًا بشكل حاد جدًا إلى أسباب ارتكاب الخطأ، بما في ذلك الانحياز غير الواقعي للتفاؤل أو أخذ الأشياء كأمر مسلم به. لو كان سونغ وقحًا، لكان قد فسر الأمر برمته لنفسه قائلاً: يا هذا، الأخطاء ليست كثيرة، وإنما الأكثر هي صفحة تعليقات المراجعة الطويلة. ولكنه شخصٌ جاد، كما إن انتقادات كبير المهندسين ليو كانت في صميم الموضوع، لذلك، فقد أخذ جسده يزداد حرارة بالكامل، وملاً العرق رأسه. نعم، فقد اكتشف كبير المهندسين ليو بعضًا من ذكائه وحيله، وكان كبير المهندسين يقلّب دماغه وينظّفه ثم يجد الثغرات ويحلل نفسيته بوضوح، وهذا هو المخيف. لا عجب في أن يكتفي كبير المهندسين بإعطائه درجة مقبول، فالمواضع التي فشل فيها كثيرة جدًا، وهو يعترف بهذا.

أخيرًا انتهى كبير المهندسين من التصفية، وكان سونغ يون هوي ما زال مشغولاً بتدوين الملاحظات، فسأله كبير المهندسين: «ألعلك شخص لا يكل ولا يمل، فنسيت كل شيء، وأخذت تتحمل الأمر على كلا كتفيك؟ من ناحية تقوم بأعمال مكتب التصحيح الشامل، ومن ناحية أخرى تقوم بأعمال مكتب تحديث المعدات، من أين لك كل هذا الوقت والطاقة؟» كتب سونغ الكلمات الأخيرة على عجل، ثم أجاب كبير المهندسين قائلاً: «ما زلتُ أعزب، لذلك فإدارة وقتي سهلة إلى حد ما».

«ألا يختلط عليك الأمر عند التفكير في المعدات الحديثة والقديمة معًا؟».

«إنها تكمل بعضها بعضًا، وخاصة إن بعض التصميمات الفريدة للمعدّات الحديثة يمكنها تقديم أفكار لتعديلات مستقبلية محتملة للمعدّات القديمة».

«أوه، فيما فكّرت؟ أخبرني...» في منتصف الحديث، تردد كبير المهندسين قليلاً وتساءل عمّا إذا كان يمكن لهذا الفتى أن يحفظ السرّ أم لا.

أدرك سونغ يون هوي أن أمر تقنية إف آر سي قد ترك لدى كبير المهندسين مخاوف مستمرة، فضحك مُحرّجًا وقال: «إذا كان لدى كبير المهندسين ليو وقت، فسيكون من الأفضل أن نذهب معًا إلى الورشة الأولى لإلقاء نظرة أثناء التحدّث». فردّ كبير المهندسين ليو: «فلتذهب وتُحضر خوذتك، وسأقابلك في الطابق السفلي بعد عشر دقائق».

قُرب حلول الساعة الرابعة عصرًا، أحضر كبير المهندسين ليو مصباحًا كهربائيًا بثلاث بطّاريات، ودعا سونغ يون هوي للذهاب معًا إلى الورشة الأولى، ولم يذُهبا إلى مكتب الورشة، وإنما ذهبا مباشرة إلى موقع العمل. أخذ ليو وسونغ يتبادلان الإمساك بالمصباح الكهربائي واستخدامه للإشارة ناحية شعاع الضوء. كان كبير المهندسين ليو على دراية كبيرة بالمعدّات، لذلك فكثيرًا ما كان يكمل النصف الثاني من الفكرة بمجرد طرح سونغ يون هوي لنصفها الأول، فتلتقي أفكارهما، كانا يتحدّثان بسعادة بالغة، حتى إنهما لم يهتمّا بحلول الظلام وأن موقع عمل المعدّات صار ساطعًا بالأنوار الكهربائية. وبعد الانتهاء من الجولة، طلب كبير المهندسين ليو من سونغ يون هوي إعطائه مسودة مفصلة بعد عودته.

في طريق العودة، لم يستطع سونغ يون هوي منع نفسه من السؤال: «يا كبير المهندسين، لماذا كنت تدعم تقنية إف آر سي في البداية؟ لطالما لم أستطع فهم هذا الأمر مطلقًا. فعندما ذهبت إلى بكين للبحث عن المعلومات أدركت بوضوح مدى تخلف هذه التقنية». أراد سونغ يون هوي عمدًا إخبار كبير المهندسين ليو أنه لم يحفر له فحًا للإيقاع به منذ البداية، وأنه لم يكتشف الأمر إلا لاحقًا.

ما لم يتوقعه سونغ يون هوي هو الحقيقة التي قالها كبير المهندسين ليو: «لقد كبرت في السن، ولم أعد حساسًا للأشياء الحديثة، وبمجرد أن قرأت في المعلومات التي بين يدي أن تقنية إف آر سي هي الأكثر تقدمًا، حتى دخلت الفكرة في رأسي، ولم أهتم سوى بتنفيذها بدقة. تمامًا مثل أفكارك بشأن تحديث المعدات القديمة اليوم، لقد فكر الكثير منا نحن المسنين وقت شبابنا بشأن تحديث معدات جيتشو مرة تلو الأخرى، ولكن اليوم نحتاجكم أنتم الشباب لتفكروا، كل ما يمكنني فعله هو التفكير في هذا الاحتمال، ولكن عندما أفكر فيه، يمكنني التفكير بشكل أعمق وأدق منك، وهذا هو الفرق في السن. مستقبل جيتشو يعتمد عليكم».

«على الشباب أن يكافحوا بهمة، وعلى المسنين أن يتولوا المزيد من المسؤوليات».

قفز كبير المهندسين ليو من دراجته أمام المكتب الهندسي العام، وابتسم لسونغ يون هوي ابتسامة عميقة ذا مغزى، وقال: «لن يرتاح لهم بال حتى يستنزفونا نحن الشيوخ إلى آخر لحظة».

فابتسم سونغ يون هوي أيضًا، وكان على وشك الردّ عندما سمع صوتًا آتيا من الممر في الطابق الثاني: «أبي، إلى أين ذهبت؟ لم تتصل وتقل شيئًا».

نظر كبير المهندسين ليو بسرعة إلى ساعته، في حين نظر سونغ يون هوي إلى الأعلى في اتجاه الصوت المألوف، كانت ليو تشي مينغ، وبجانبتها يوي شان تشينغ ذاك. تنهد سونغ، إذ كان قد علم بهذه النتيجة بالفعل. صعد برفقة كبير المهندسين ليو إلى أعلى، ولكنه رأى كبير المهندسين غير مبالٍ بيوي شان تشينغ، حتى إنه لم ينظر إليه. نظر سونغ إليهما، فتضاءلت مشاعره كثيرًا تجاه ليو عندما رأى مدى قربهما من بعضهما. ففي المرة السابقة عندما رآها تغادر غرفة يوي بكبرياء، ظنّ أنها طموحة جدًا، فقد رأت حقيقة يوي، ولم تنظر إلى الوراء قط. لم يكن يتوقع أن تكون بلا طموح هكذا.

عاد إلى مكتبه، وخلع خوذة الأمان، ثم أخرج حقيته، ولكن يوي شان تشينغ الذين كان يقف عند الباب سخر منه وقال: «أما زلت تحمل هذه الحقيبة المدرسية منذ الابتدائية وحتى الآن يا سونغ الصغير؟» فضحك سونغ يون هوي وقال: «ليست جميلة، ولكنها مفيدة».

سمع كبير المهندسين ذلك الكلام أثناء خروجه، فأرجع عينيه بينهما، وعبس، فعلى الرغم من كون يوي شان تشينغ مميزًا أيضًا، ولكن عند مقارنته بسونغ يون هوي، يبدو وسيماً ولكن عديم الفائدة. للأسف ابنته لا يمكن إقناعها، فهي كالبقرة التي ترفض

التراجع، وكبير المهندسين ليو لا يمكنه فعل شيئًا حيالها، فمن كان يعلم أن هذه الابنة الصغيرة ستكون رومانسية بطبيعتها. دعا كبير المهندسين سونغ يون هوي لتناول العشاء في منزله، قائلاً إن المقصف سيكون مغلقًا الآن بالفعل، إذا كان سونغ مستعدًا للذهاب إلى أي مكان، ألن يكون هذا مُحرجًا له؟ فتذرع سونغ بحجة أن زميله في الغرفة الذي قابلاه لتوّهما في الورشة الأولى قد اشترى له طعامًا، لذلك سيعود ويأكله، وهنا فقط استسلم كبير المهندسين ليو. كان سونغ أكثر دهاءً أمام كبير المهندسين ليو عمّا كان عليه أمام الأمين شوي. ولكنه لا يمكنه التفكير بدهاء فقط عند الحديث عن التكنولوجيا.

لم يكن سونغ يون هوي يتوقع أنه بمجرد إضاءته للنور بعد عودته سيجد طبق أرز وطبق خضار موضوعًا على طاولته حقًا، فأسرع بأخذ الثيرموس الخاص بهما ونزل ليُحضِر ماءً مغليًا، ثم صبّ الماء المغلي على الأرز ليأكله منقوعًا. شيون جيان شيانغ؟ يبدو أنه قد ذهب ليلهو مرة أخرى. لم يكن شيون ليتخلى أبدًا عن فرصة اللهو عندما يعمل في المناوبة النهارية. يظلّ الوضع هكذا حتى ينام سونغ يون هوي، وبعدها يعود شيون، وهذا هو المعتاد.

ولكن بشكل غير متوقع، لم يرَ سونغ يون هوي شيون جيان شيانغ عندما استيقظ صباحًا، وهذا غير معتاد. فنزل ليسأل عنه أذن الدب، ولكن زملاء أذن الدب في الغرفة سخروا منه، قائلين إنه يهتم بشيون كالفتاة التي تهتم بحبيبها. ولكن، أذن الدب لم يكن قد عاد أيضًا.

ساوره القلق، وتذكر فجأة الكلمتين اللتين قرأهما مرارًا وتكرارًا في الصحف هذه الأيام: «الضرب بيد من حديد».

وقد أكدت الورشة الأولى هذه الفكرة. فيوم أمس، كان شيون وأذن الدب وآخرون يشربون ويلهون في المطعم، وبعدها ثملوا أخذوا يتشاجرون مع آخرين بسبب الغيرة، وانهزم الآخرون، فهربوا وعادوا بمجموعة أخرى، وصار عشرون شخصًا يتشاجرون عند باب المطعم، فاندفعت حافلتان صغيرتان محمّلتان برجال الشرطة من مركزي شرطة واعتقلت الجميع. وقيل أيضًا إن يوي شان تشينغ الموظف بقسم التكنولوجيا الحيوية قد أصيب أثناء مروره بالجوار، وكان وجهه مغطى بالدماء.

لم يسع سونغ إلا أن يصرخ في داخله، قُضي الأمر، لقد تشاجر شيون المرة الماضية من أجل تشانغ شو هوا التي تبدو كالعصفورة الصغيرة، والآن تشاجر من أجله هو. لم يكن في المصنع كله سوى طريق واحد مضاء بشكل ساطع في الليل، ولا بد من أن يمرّ منه يوي شان تشينغ عند عودته من منزل كبير المهندسين ليو إلى غرفته، أي لا بد من أن يمرّ من أمام المطعم، وعندما كان شيون يتشاجر متحمّسًا، رأى يوي ذا الشعر المدهون الوجه المزيّن الذي كان يكرهه أكثر من غيره، فاستغلّ الفرصة لينال منه. عند حدوث مثل هذه الواقعة فيما مضى، كان مركز الشرطة المحلي يسلم الأفراد إلى مكتب أمن المصنع للعقاب، ولم يكن شيون يهتم بأي عقوبة مطلقًا. ولكن اليوم مع «الضرب بيد من حديد»، يبدو أن شيون هو الجاني الرئيس، ولا يمكن للعقوبة أن تكون بهذه البساطة. تقول

الصحف: بشدة، وبسرعة، القبض عليهم جميعًا. إذن فالعقوبة السابقة قد تتطلب الآن الحبس ليومين في مركز الشرطة.

نادرًا ما كان سونغ يغادر العمل أثناء الدوام، لذلك طلب من زميل يعرف مكتب الأمن أن يذهب ليستفسر عن الأمر من موظف الأمن، وما إن سأل، حتى عرف كما هو متوقع أن مكتب الأمن العام قد أطلق حملة على مستوى المدينة في الليلة الماضية، وكان شيون والآخرين ممن وقع عليهم التنفيذ.

وسرعان ما وصلت الأحكام المشددة والعاجلة، وحُكِمَ على شيون جيان شيانغ بالسجن لمدة عشر سنوات، وأُرْسِلَ إلى شينجيانغ لأداء عقوبة الإصلاح بالأشغال الشاقة. كما حُكِمَ أيضًا على أذن الدب والآخرين بعضهم بعقوبات خفيفة وآخرين بعقوبات شديدة، ولكنهم أرسلوا جميعًا إلى شينجيانغ، حتى تشانغ شو هوا لم تُبرَأَ أيضًا. وعلم سونغ يون هوي أن يوي قد رفع عدة دعاوى متهمًا إياهم بارتكاب جريمة، وبالطبع تبعته ليو تشي مينغ للإدلاء بشهادتها، وأوضحت أن يوي لم يكن إلا أحد المارة الأبرياء، لكنه تعرّض للضرب على يد عصابة، ومن الواضح مدى الضرر الذي ألحقته هذه العصابة بأمن المجتمع. حتى إن البعض علّقوا بأن إعطاء شيون ومن معه مثل هذا الحكم القاسي كان بسبب المدّعي عليه بالكامل.

لم يستطع سونغ يون هوي تقديم أي مساعدة، فطلب من شخص ما الذهاب إلى مدير إدارة الأمن والتحدّث معه، فأعرب مدير إدارة الأمن عن حزنه الشديد، فهذه حملة وطنية موحّدة قد

أطلقت مؤخرًا، وما بيده حيلة. حتى إن سونغ يون هوي ذهب إلى الأمين شوي، ولكنه أخبره إن هناك شخصًا قد رفع قضية عليه أيضًا، قائلًا إنه يشجع أعمال العصابات التي يقوم بها شيون ومن معه، وإنه دائمًا ما ينظف الفوضى وراء الأفعال الشريرة التي يقومون بها، ولكن لأن مكتب المصنع الرئيسي استطاع إقناع مراجعي القضية في البلدية بأن سونغ يون هوي شابٌ ممتاز جدًا، استطاعوا إخماد الأمر في النهاية. وطلب الأمين شوي من سونغ أن يكون أكثر صدقًا بشأن ما حدث مؤخرًا، وسأله كيف ينظف الفوضى وراء شيون ومن معه، فأجابه سونغ يون هوي إنه لا يتحمّل رؤية صديقه وهو ينزف مصابًا، لذلك يضمّد جروحه ليس إلا. فأدان الأمين شوي معاملة سونغ يون هوي لأصدقائه بهذا الود، فلماذا لم ينصحهم بالتقدّم بنشاط وأن يكونوا صالحين. وبخه الأمين شوي بشدة، قائلًا إن كونه نظيفًا وصالحًا لا يعني بالمرّة عدم المبالاة بالأفعال الشريرة الحادثة حوله. فبصفته شابًا واعدًا، عليه التحلّي بحس التفریق بين الصواب والخطأ، وعليه ألا يكون صارمًا مع نفسه فقط، وإنما عليه أيضًا التأثير في المحيطين به.

خرج سونغ يون هوي قلقًا وعاد بخفي حنين من مكتب الأمين شوي، وعند مروره بالمكتب الذي عادة ما يجلس فيه يوي شان تشينغ، وقف أمام الباب وحدّق طويلًا بشراسة في ذلك المقعد الفارغ. وفكّر في فترة الممالك الثلاث المتحاربة، عندما قال تشو يو متأثرًا «ما دام خُلِق تشو يو، فما الحاجة لخلق تشو

قه ليانغ؟»، ولذلك أخذ ينقذ أعمالاً شريرة في كل مكان ليسيطر على تشو قه ليانغ، هكذا يعامله يوي شان تشينغ. وفكر أيضًا في شيون جيان شيانغ الذي حُكم عليه حكمًا قاسيًا بسبب مشاجرة جماعية فحسب، وفكر أيضًا في كيفية معاملته كشريك في الجريمة تقريبًا، ولو كان يوي شان تشينغ أمامه في هذه اللحظة، لأوسعه ضربًا وأغرقه في دمائه بالتأكيد، وارتكب جريمة الإخلال بالأمن الاجتماعي.

لم يكن لدى سونغ يون هوي الوقت الكافي ليرى وجه شيون جيان شيانغ الذي تمت إحالته مباشرة. ظلّت الغرفة فارغة لفترة، وستائر ذلك السرير الخاص بشيون ظلّت مفتوحة، فمالك السرير لم يكن في مقدوره ثانية إخراج قدمه التنتنة من الداخل. وحتى ولو أُطلق سراح شيون فيما بعد، فمن المحتمل ألا يمكنه العودة مجددًا إلى جيتتسو.

سرعان ما وُزِعَ زميل غرفة جديد لسونغ يون هوي، وهو الطالب الجامعي الجديد فانغ بينغ. حزم سونغ متعلقات شيون وانتظر لیسلمها لعائلته عند حضورهم. لم يكن شيون شخصًا مستقيمًا، ولكنه يقوم بالأشياء علنًا، كما أنه مخلص جدًا لأصدقائه، إنه رجل حقيقي، أفضل عدة مرات من أمثال يوي شان تشينغ. لم يظن سونغ يومًا أن صداقته لشيون فيها إذلالٌ لنفسه، فالصداقة في نظره تقوم على الإخلاص، لا على السلطة والجاه.

أما بالنسبة لليو تشي مينغ، فقد مات قلبه من ناحيتها تمامًا.

ومع ذلك، فكما يقول المثل، النعمة لا تدق الباب مرتين، أما المصائب فلا تأتي فرادى. سرعان ما أطلقت حملة أخرى لتوحيد الحزب⁽¹⁾ وإزالة التلوث الروحي على مستوى المصنع بأكمله، فسقط سونغ يون هوي في المتاعب مرة أخرى. باعتباره عضوًا تحت الاختبار في الحزب وقد حصل لتوه على الموافقة على طلبه، شارك سونغ أيضًا في أعمال توحيد الحزب. كان تابعًا لقسم التكنولوجيا الحيوية، وفي هذه البيئة المليئة بالمشفقين، ووسط مجموعة المشفقين المخضرمين الذين خرجوا من حركة العشر سنوات التي انتهت لتوها، كان كل اجتماع بمثابة عذاب لسونغ.

كان سونغ يون هوي يظن أنه على دراية بالسياسات، ويمكنه إيجاد المزايا وتجنب العيوب، وأن يتجنب نفس الأخطاء التي ارتكبها والده الذي انهزم في الماضي، ولكنه كان مخطئًا. فبالمقارنة مع الآخرين، كانت خبرته قليلة جدًا، ولا يعرف ما يكفي عن طبيعة البشر، وقلبه مليء بالإصرار. وقت مناقشة مجموعة الحزب، طرح يوي شان تشينغ الذي كان عضوًا تحت الاختبار في الحزب أيضًا الحاجة إلى مساعدة سونغ يون هوي للقضاء على الميول الليبرالية غير المنظمة وغير المنضبطة في فكره، وكان المثال الذي ضربه هو العلاقة القوية التي بين سونغ يون هوي وشيون جيان شيانغ سجين الإصلاح بالأشغال الشاقة. وأشار إلى أن سونغ ليس لديه

(1) حركة سياسية تهدف إلى توحيد الفكر، وتعزيز الانضباط، وتنقية التنظيم.

أي مبادئ، فقد اندمج مع شيون وأذن الدب ومن معهما، بدلاً من التأثير فيهم باعتباره شاباً متقدماً يسعى جاهداً للتقدم والاقتراب من تنظيم الحزب، مما تسبب في انزلاق شيون ومن معه بعيداً، والذي أدى أخيراً للإضرار بالمجتمع. كما أشار إلى أن، ما فات قد فات، معرباً عن أمله في اعتراف سونغ يون هوي بخطئه، وإصلاح طريقة تفكيره، وأن يلقي بنفسه بين أحضان التنظيم رافعاً راية التقدم والإخلاص.

في الواقع، كان العديد من الجالسين الذين لديهم خبرة طويلة بالحركات يعرفون بوضوح ما يحدث بين يوي وسونغ. فقد دخل الاثنان معاً إلى المصنع، وكانا معاً على نفس خط البداية، فلا أحد من قبلهما، ولكن سيأتي آخرون بعدهما، وفي الوقت الحالي، يبدو أن سونغ ويوي صار كل منهما لديه مزاياه الخاصة. ولكن الفرص محدودة، فإما لسونغ وإما ليوي، ويوي ليس منافساً لسونغ في مجال التكنولوجيا، وإذا لم يتحرك ويقمع سونغ في هذا الوقت، ويستغل الفرصة ليسبقه، فأى فرصة ستكون أمامه لاحقاً؟ تصادف أيضاً أن وجهه الوسيم ذا الروح الشريرة الذي كاد أن يشوّهه شيون. على الأقل، فعندما يثير يوي شان تشينغ مثل هذه القضية، سيأخذها الجميع على محمل الجد، ومن الضروري أن يكون هناك تفسير للخروج باستنتاج من هذه القضية.

ولكن لم يأخذ أي منهم القضية على محمل الجد، فهذا لا يعني أن سونغ يون هوي نفسه قد اخترق القانون وذهب إلى السجن، وإنما زميله في الغرفة هو الذي ذهب إلى السجن، فلم

يسع سونغ يون هوي إلا أن يضحك، قائلاً إنه مشغول في العمل، ويركز على التكنولوجيا، ولا يمكنه الاهتمام بشيء آخر، وليس لديه أي مسؤولية على الإطلاق، أليست مجرد مناقشة ولن تُحفظ في السجلات؟ ولكن ما لم يتوقعه الجميع هو أن يرفض سونغ ذلك المخلص تحمّل المسؤولية. إذ قال إن لديه تحفّظات على ما قاله يوي شان تشينغ، فحتى ولو حُكم على شيون والآخرين بالسجن والإصلاح بالأشغال الشاقة، إذ إنهم ما زالوا جزءاً من الجماهير، ووفقاً لهدف حزبنا المتمثل في توحيد الجماهير، وباعتباري عضواً تحت الاختبار في الحزب، فعلينا أولاً توحيد الجماهير التي حولنا، وأن نبدأ شيئاً فشيئاً. لقد حُكم على شيون بالسجن، ولكن لا يمكن معاملة أي شخص بمبدأ أبيض تماماً أو أسود تماماً، ولا يمكن إلقاء شيون في فئة مختلفة بسبب حُكم واحد، أو إلقاؤه بين مجموعة من الناس يمكن فقط تعليمها وإصلاحها ولا يمكن توحيدها، فهذا على العكس هو إبعاد لشخص يمكنه أن يكون شاباً صالحاً. كما قال إنه لا يعترف بارتكاب شيون لخطأ لا يُغتفر، لذلك فلا يمكن القول بأن علاقته بشيون خاطئة، وأنها تواطؤ معه، وما دام الأمر هكذا، فكيف سيعرف خطأه ويتغير للأفضل؟ وأخيراً أكد سونغ يون هوي أيضاً أن لديه فهماً واضحاً لكلمة صديق، ولن يفعل أبداً شيئاً يهين صديقه.

بالطبع كان سونغ يون هوي يعلم أيضاً أن بإمكانه اجتياز الاختبار بمجرد اتخاذ إجراء روتيني ضد ضميره، ولكنه لم يستطع هذا، فإذا اتخذ إجراءً روتينياً، سيعترف أن شيون جيان شيانغ شخص سيئ، يمكنه اتهام شيون بالشجار والشرب وارتكاب

جميع أنواع الشر أمام وجهه، ولكن كيف يمكنه أن يطعن شيون الذي يقضي عقوبته بالفعل من خلف ظهره؟ مستحيل أن يخون ضميره، وإلا فكيف يستحق تلك الوجبة التي وُضعت على طاولته في يوم حادثة شيون؟

دفع سلوك سونغ يون هوي للشعور بالعجز، ولم يكن أمامه خيارٌ سوى أخذ الأمر على محمل الجد، والمناقشة والانتقاد بجدية، وأخيرًا صار لديهم ما يفعلونه. لذلك أعرب الأمين شوي عن خيبة أمله، وغضب جدًا من سونغ يون هوي لأنه شخص مشوش. ومن ثم رفض التعبير عن رأيه في هذه القضية، في حين سمح للجميع بانتقاد وتوبيخ سونغ يون هوي واحدًا تلو الآخر. فقد فُكر في أن هذا الطفل ساذج جدًا، وعليه أن يتحمل المشقات والصعاب مهما حدث، حتى يمكنه معرفة كيف تسير الحياة.

كان شتاء عام 1983 باردًا جدًا بالنسبة لسونغ يون هوي.

لحسن الحظ أن مُعلّمه كان موجودًا ليدعمه، والعاملون معه في الورشة الأولى كانوا يدعمونه أيضًا، وجميع العاملين في الورشة الأولى كانوا يعرفون شيون جيان شيانغ، وجميع الذين يعرفون سونغ يون هوي كانوا يدعمونه أيضًا، وعلى الرغم من أن دعمهم له لم يكن ذا جدوى، فقد منحه دفئًا.

بالإضافة إلى تلك الرسالة القادمة من الولايات المتحدة.

كانت هناك صورتان لليانغ سي شن في الرسالة، واحدة ملتقطة في المدرسة، وكانت ترتدي فيها الزي المدرسي وتتسلم جائزة،

وبدت جادة فيها، والثانية ملتقطة في حفل ما، حيث كانت ليانغ سي شن تعزف البيانو، وترتدي تنورة زرقاء داكنة طويلة، وتبدو نبيلة وأنيقة كالتماثيل الرومانية. لقد كبرت الفتاة الصغيرة بعناد، وبدأت كبيرة جدًا حتى إنه لم يستطع التعرف عليها، بل لم يجرؤ على التعرف عليها.

كتبت ليانغ سي شن الرسالة باللغة الإنجليزية، وقالت إنها قد تسلّمت «حلم المقصورة الحمراء»، وإنها سعيدة بشكل غير طبيعي، فأخيرًا صار يمكنها قراءة كتاب باللغة الصينية المبسّطة. دائمًا ما كان جدّها وجدتها ينعنان اللغة الصينية المبسّطة بأنها غير ثقافية ويصرّان على قراءتها للغة الصينية التقليدية، ما جعلها تعرج بين الفرقتين لفترة، بل ونسيت اللغة الصينية المبسّطة أيضًا، فاضطرت للكتابة باللغة الإنجليزية في النهاية. وبخاصة جدّها باعتباره صاحب المصلحة، كان يفكّر في كل شيء من منظور تفضيلاته الخاصة، ولا يمكن للآخرين إلا أن يستمعوا إليه. فمثلًا، كان يعيش في منزله حياة مريحة على النمط الغربي، ولكنه أيضًا كان يحتفظ بأسلوب أبوي صيني ذي سلطة مطلقة، بل وبنمط أكثر إقطاعية مقارنة بعائلته في الصين. في حين أن خالها وزوجته لم يكونا ليجرؤا على الانفصال عن جدّها وجدتها والعيش خارج المنزل خوفًا من فقد نصيبهما في الميراث، فكان القصر مزدحمًا يضحج بالصخب وكأنها مسرحية. كانت صحة جدتها سيئة، لذلك لم تتمكن من البقاء في القصر، وتقدّمت بطلب للسكن في الحرم الجامعي، وكان أقاربها قلقين من سكناها في الحرم الجامعي، وعلى الرغم من كون الجامعة صارمة، فإنها ليست مليئة بالنفاق

هكذا. وهكذا الوضع في منزل والديها أيضًا، فجدها وجدتها والدا والدها كانا ذي بأس أيضًا، وهما مشكلتان كبيرتان. ففي هذه المرة، عندما تحوّل بنك الشعب الصيني إلى بنك مركزي مؤسسي، طلب والدها التحويل إلى البنك الصناعي والتجاري الصيني المؤسس حديثًا والذي يتولّى إدارة الأعمال الأصلية لبنك الشعب الصيني، ولكن جدّها منعه بكل قوته، حتى إن العلاقات بينهما كادت تنقطع، ولكن والدها أصرّ على اختياره ودخل البنك الصناعي التجاري. وهي سوف تتعلّم من والدها في المستقبل، وستختار طريقها الخاص وتسير فيه؛ فعلى الإنسان أن يحافظ على شخصيته المستقلة وفكره الحر.

قرأ سونغ يون هوي وفكر، إنه لأمر جيد حقًا أن تتمتع فتاة صغيرة هكذا بكل هذه المعرفة العميقة. يبدو أن الركض بين البلدين مفيد جدًا لنمو الإنسان. حسنًا، فعلى الإنسان أن يكون له شخصيته المستقلة وفكره الحر، وألاّ ينقاد بلا مبادئ خلف الآخرين أو يسير مع القطيع. لقد كان مشغولاً بهذه الأمور مؤخرًا، لذلك تحدّث عن وجهة نظره الخاصة في رسالته إلى ليانغ سي شن، وأضاف أيضًا أنه بجانب الشخصية المستقلة والفكر الحر، يجب أيضًا على الإنسان أن يكون له أسلوبه البراغماتي، وأن يتعلّم بطريقة براغماتية، وأن يعمل بطريقة براغماتية أيضًا، وأن يفعل أشياء أكثر وأفضل بموقف براغماتي حتى يثبت شخصيته وفكره.

بعد إرسال الرسالة، وضع سونغ يون هوي أمتعته ليدخل المعركة بحمل خفيف. لقد خسر، ولكن ما خسره هو المصلحة

التي أمام عينيه؛ بيد أنه ربح أيضًا، وما ربحه هو شخصيته المستقلة. عليه أن يتمسك بشخصيته ومعتقداته. فهو يصدق تلك العبارة التي قالها ليوي شان تشينغ: «الأيام بيننا».

في نهاية هذا العام، وتحت إشراف القامتين الأمين شوي وكبير المهندسين ليو، تم الانتهاء من أعمال التصحيح الشامل بسرعة، والدخول في حيز الإدارة المعتادة، والاستعداد لموافقة السلطات العليا على أعمال التصحيح الشامل.

حصلت أعمال تحديث المعدات على موافقة الوزارة، واختيرت خطة ضمن الخطتين الفئتين لُرسَلها الشركة الصينية لاستيراد وتصدير التكنولوجيا إلى الشركة المصنعة الدولية. وبعد ذلك، سينتظرون تقديم المؤشرات والمفاوضات الفنية والتجارية والعمليات الأخرى.

أصبح يوي شان تشينغ عضوًا رسميًا في الحزب مبكرًا. لم يكن فكر سونغ يون هوي يرقى للمستوى المطلوب، ولكن لم يكن أحد ليجرؤ على تقويمه، فكما يقول المثل قبل أن تضرب الكلب عليك أن تراقب سيده، فالجميع يعلمون أن الأمين شوي وحتى كبير المهندسين ليو كليهما يقدران هذا الشاب جدًا، لذلك، استطاع الاحتفاظ ببطاقة العضوية تحت الاختبار في الحزب، ولكن الانتقادات الموجهة إليه ظلّت مستمرة في الاجتماعات الكبرى والصغرى. كما قال الجميع إن غطرسة سونغ يون هوي قد تأثرت بشدة. وكما يقول المثل، الأيام دول، فقد أصبح يوي شان تشينغ أول عضو رسمي بالحزب في الدفعة الأولى من الطلاب

الجامعيين بالمصنع، بل وصار أيضًا على علاقة سعيدة مع ليو تشي مينغ، فصار ناجحًا على المستوى الشخصي والمهني. ومع ترشيح كبير المهندسين ليو الذي عاد مرة أخرى، صارت الترقية والثروة على الأبواب. وبعد عام ونصف من دخوله المصنع، ركض يوي شان تشينغ إلى المقدمة مرة أخرى.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عام 1984

1

قبل عيد الربيع، ذهب لي دونغ باو إلى بكين للقاء شوي الكبير تلبية لدعوته. ما زال شوي الكبير مهتمًا بفرقة شياوليغيا، ولكنه الآن صار مهتمًا بها من أجل لي دونغ باو. تحدّث شوي الكبير مع لي دونغ باو بشأن روح كثير من الوثائق المُصدرة حديثًا، وأخبره أن الدولة حاليًا تعرف أهمية المؤسسات التي تديرها الكومونات، وتخفف من القيود المالية عليها، لذلك سيزيد مسار هذه المؤسسات اتساعًا فيما بعد، وطلب شوي الكبير من لي دونغ باو أن يغتنم الفرصة، وألا يتخلّف أبدًا عن الآخرين. كما قدّم له أعمالاً نموذجية للمناطق الريفية المتقدّمة على مستوى الصين كان قد جمعها من قبل، وحلل له عملها واحدة تلو الآخر، وتناقش معه بشأن ما يمكن لفرقته القيام به، وأي طرق أمامه، وإلى أي مدى يمكن أن تتحسن معيشة المزارعين. وفي النهاية، حدد كلاهما هدفين، الأول هو تربية الخنازير، والثاني هو تطوير أعلاف الخنازير. وأخبره بألا يتصرّف بتهوّر، فقد صارت فرقة شياوليغيا غنية الآن، لذلك يجب أن تبدأ مزرعة الخنازير من نقطة عالية، وأن يخطط قبل التحرك. ووضع له خطة، مخبرًا إياه بما يجب القيام به أولاً، وما يجب القيام به لاحقًا، وإلى من عليه الذهاب في كل أمر، وما ينبغي حله بالأولوية.

ظلّ لي دونغ باو يتحدث مع شوي الكبير لمدة يومين، ولأنه رجل صريح، فقد سأل شوي الكبير عن كيفية معرفة هذه الخطوات، فردّ شوي الكبير أن يكفيه لو فكّر فيه. فقال لي دونغ باو بصراحة، إنه لا يمكنه اكتشاف هذا بمفرده. كان شوي الكبير معجبًا بصراحة لي دونغ باو، ولم يسخر منه بالطبع، كما نصحه بأن عليه إقامة علاقة جيدة مع تشن بينغ يوان، قائلاً إن التنمية الجماعية للفرقة لا يمكن فصلها عن دعم السياسات من قِبَل الحكومة المحلية، فمثلاً تشن بينغ يوان يحتاج لإنجازات سياسية، وفرقة شياوليجيا تحتاج للسياسات، وقد تراجع تشن بينغ يوان خطوة بالفعل، فلماذا يجب على الفرقة أن تسير في طريق مسدود رافضةً التراجع؟ لو أخذت الفرقة خطوة للوراء، ستفتح أمامها آفاقٌ لا حدود لها، وما دامت الفرقة مصرة على اتباع طريق تنمية الاقتصاد والحفاظ على التقدّم، وتفعل هذا بشكل متميّز، فإن تشن بينغ يوان هذا سيكون على استعداد لأن يدعو بالأخ الكبير لي دونغ باو.

لكن لي دونغ باو لم يكن راغبًا في رؤية تشن بينغ يوان هذا الرجل غير المخلص، ولكن شوي الكبير وجّهه بأن يتعامل معه كعميل يحضر المال إلى باب مصنع الطوب ومصنع الأسلاك، فالعميل يحضر المال إلى الباب، وتشن بينغ يوان يحضر السياسات إلى الباب، لا يمكن لأحد أن يطرد العميل الذي يُحضر المال إلى بابه، وهكذا أيضًا فإن جذب تشن بينغ يوان له مزايا وليس له عيوب، وعلى الإنسان أن يفكّر بدبلوماسية أكثر. لم يكن بإمكان لي دونغ باو سوى الموافقة عند سماعه لهذا، قائلاً إن شوي الكبير ما دام يحاول جاهدًا لإقناعه، فسيوافق مباشرة، فعلى أي حال ليس من

الخطأ طاعة شوي الكبير. فضحك شوي الكبير عندما سمع عبارة «يحاول جاهداً لإقناعه»، فمن الممتع التحدث مع لي دونغ باو.

بالطبع، عندما رأى شوي الكبير وجه لي دونغ باو الذي نحف كثيراً، أعرب عن تعازيه في وفاة زوجته، فكلاهما يتشاركان نفس الآلام، ما جعلهما يتحدثان عن مشاعر لا حصر لها. ولكن إظهارهما لآلامهما كان مختلفاً تماماً، فعلى الرغم من تنهد لي دونغ باو عدة مرات، وميل وجهه للسواد لفترة، فإنه سرعان ما قال بطريقة صادمة: «مهما كان الأمر، علينا أن نبتهج ونعيش بشكل جيد. فأنت لديك مستون وأبناء لتعولهم، وأما أنا، فأريد الانتقام لزوجتي وابني».

ردّ شوي الكبير مصدوماً: «ماذا تقول، تنتقم لزوجتك وابنك؟ لا تفعل شيئاً غيبياً، ألم تر أنه قد تم اعتقال عدد كبير من الناس مؤخراً في ظل حملة الضرب بيد من حديد؟».

قال لي دونغ باو: «أعلم، فقد طلب شقيق زوجتي من والده أن يرسل لي رسالة قبل نهاية العام الماضي، يطلب مني فيها توخي الحذر مما حدث مؤخراً، وألا أستخدم قبضتي في جميع الأوقات، وإلا فسيقبض عليّ ويحكم عليّ وأرسل إلى شينجيانغ للإصلاح بالأشغال الشاقة. إنه غاضب منّي، ولكنه ما زال يهتم بي أيضاً، انظر، فنحن عائلة في النهاية. كيف يمكنني أن أفعل شيئاً غيبياً، سأصرف بدهاء فيما بعد، حتى إن البلدية والمحافظه لن تجدا شيئاً ليفعلاه معي. وقد أرسلت لشقيق زوجتي أطلب منه أن يتعلم منك، ويبدو أنه قد نجح في ذلك».

لم يستطع شوي الكبير منع نفسه من الضحك عند سماعه لهذا، إذ إنه لم يكن يُكِنُّ لسونغ يون هوي الكثير من المشاعر الطيبة، لكنه كان يهتم به من أجل لي دونغ باو. فهو لا يحب الأشخاص الذين يملكون مثل شخصية سونغ. لذلك، لم يُمسك شوي الكبير سوى بكلمة «الانتقام» وأخذ يسأله: «إن سونغ الصغير شخص ذكي، ولديه طريقه الخاص. لقد قلقت عليك جدًا عندما تحدّثت عن الانتقام، فشخصيتك كالشعلة البشرية⁽¹⁾، وكم شخص سيتحمل ثمن انتقامك؟ وإذا نجحت في الانتقام، فهل ستتضرر؟ أخبرني بخطتك، وتحدّث بصراحة ولا تُخفِ عني شيئًا».

فضحك لي دونغ باو قائلاً: «ولماذا سأخفي عنك شيئًا، هل يمكنني إخفاء شيء عنك؟ بل إنني أنتظر لتُعطيني بعض النصائح. ولكن لدي ما أقوله أولاً، يجب أن أقوم بهذا الفعل، ولا يمكنك منعي، فقط يمكنك تقديم بعض الاقتراحات».

«أخبرني، وبعدها سأخبرك أنا».

طرق لي دونغ باو على الطاولة، وقال: «جملة واحدة، بسيطة جدًا، أريد أن أزعج مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية حتى الموت». لم يتوقع أن تكون طاولة منزل شوي الكبير قاسية جدًا، فلم يُصدر طرق الطاولة صوتًا مزلزلاً، وإنما جعل يده نفسها تؤلمه بشدة. فنظر إلى يده، وتمتم قليلاً، ثم تابع قائلاً: «ألم يصبح مصنعي للأسلاك الكهربائية جاهزًا الآن؟ يومًا ما سيكون إِمّا أنا وإما هم. هكذا فحسب».

(1) الشعلة البشرية هو بطل خارق في مارفل كومكس.

«أُتفكّر في هزيمة مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة؟ أعتقد أنه يجب عليك الآن بالأحرى بذل طاقتك في العمل الجاد، فمعيشتك بشكل أفضل هي أفضل انتقام منهم. إذا بذلت نصف طاقتك في معاقبة الآخرين، فكيف ستطوّر فرقة شياوليجيا؟ لا تدع الآخرين يعاقبونك حينها، وتنهار أنت أيضًا، فيخسر الطرفان».

«لا تقلق هكذا يا شوي الكبير، فأنا لن أقتل أو أحرق أو أخالف القانون، إنهم قادرون على الوقوف ضدي، ولكنني لن أتركهم في هذه الحياة مهما قلت».

«لا يمكنك السيطرة على جماعة فرقة شياوليجيا وتوريطها بانتقامك لنفسك. دونغ باو، بصفتك قائدًا لفرقة، لا يمكنك الاهتمام فقط برغباتك الأنانية».

«كيف نشأت فرقة شياوليجيا؟ أليس لآتي سيطرت عليها وطوّرتها؟ إن سيطرتي على الفرقة لها فوائد لا عيوب. لقد سيطرت عليها وتفوقت على مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة، وطورت مصنعنا للأسلاك الكهربائية، فكيف يمكنك أن تقول إنني أهتم فقط برغباتي الأنانية؟ لا تنصحني بخصوص هذا الشأن، فأنا لن أطيعك فيه».

شعر الأمين شوي للحظة بأنه غير متأكد بشأن كيفية تحديد أولويات العلاقة بين الأفراد القادرين والجماعة. إذا لم يكن لدى فرقة شياوليجيا شخص كُفء مثل لي دونغ باو، فكيف كانت لتتمكّن من تحقيق مثل هذا الوضع الجيد الذي لديها اليوم! وعلى الرغم من أنها كانت ستتطور أيضًا عاجلاً أم آجلاً، لكنها لم تكن

لتتطور على هذا النحو الجيد. ما دامت هناك حاجة لقيام الأكفاء بالأمر، فإذا كان المقصود هو الحصول على الفائدة دون دفع الثمن كمن يطلب من الحصان الركض ولا يسمح له بأكل العُشب، فسيكون هذا مستحيلًا، فإذا كان على جماعتك أن تلتبي دائمًا بعض الرغبات الشخصية لرجل كفاء، فسيسيطر هذا الرجل الكفاء على الجماعة. ولكن، إذا كان الوضع كما هو الحال مع الفرقة الآن، وهي محميّة تمامًا في يد هذا الرجل الكفاء، فهل يمكن له أن يقود الجماعة إلى الهلاك؟ هل ستلتهم رغباته الجماعة أم لا، هذه هي القضية التي تستحق الاهتمام حقًا. كان شوي الكبير يرى أن قضية إدارة الرجل الكفاء لجماعة شياولي جيا قد تكون أيضًا ظاهرة شائعة في الإصلاح الريفي الحالي.

عندما رأى لي دونغ باو أن شوي الكبير لا يجيب، نظر إليه بعين جادة عميقة بشكل غير عادي وأخذ يفكر، شاعرًا للحظة ببعض الخسارة، وبقليل من الذنب تجاهه. إذ اعتقد أن شوي الكبير لم يعجبه عدم تخليه عن فكرة الانتقام مطلقًا، لذا لم يقل شيئًا، ولكي يتجنب نُصح شوي الكبير إياه وعدم قبوله للنصيحة، ثم غضب كليهما بشكل يؤدي الانسجام بينهما، غير الموضوع بمكر وقال: «أودّ أن أسألك عن شيء يا شوي الكبير، كيف حال شقيق زوجتي في العمل بالمصنع؟ لماذا سمعت أنه ليس سعيدًا جدًّا في عمله؟».

ولكن شوي الكبير لم ينخدع بلعبة المكر البدائية التي نفذها لي دونغ باو: «لست مهتمًا كثيرًا بشؤون جيتتسو، أعذر، ولكن سونغ الصغير ليس سيئًا بالتأكيد، وهو يحظى بتقدير كبير. دعنا نتحدّث

عن شأنك، أنا أنفهم مشاعرك، ولكن لا يمكن مضاهاة كل قوة فرقة شياوليجيا الاقتصادية بمصنع الأسلاك الكهربائية في المدينة، إنني قلق من عدم قدرتك على استهلاك هذه الطاقة والموارد المالية، فمصنع الأسلاك الكهربائية مدعوم من الدولة، ولكن أنتم لستم إلا مؤسسة تديرها الكومونة، فكيف ستفوقون عليهم. قال القداماء، عشرة أعوام ليست مدة كبيرة للانتقام النبلاء. دونغ باو، أولويتك القصوى هي تنمية القوة الخاصة بفرقة شياوليجيا، ومواصلة قيادة الجميع نحو التحديثات الأربعة، وأما بالنسبة للانتقام، فلنناقشه مرة أخرى بعد أن تمتلك القوة».

عندما سمع لي دونغ باو هذا، فكّر طويلاً ثم قال: «أعلم أن الأفضل بالنسبة لك هو أن يمرّ عامان فأنتى الانتقام، وهذا مستحيل. ولكنك على حق، فمصنعنا للأسلاك الكهربائية ليس به سوى مُعدّة واحدة قد تخلوا عنها، لذا فلن نستطيع محاربتهم. سأستمع لنصف ما قلته، وسأعود لمواصلة السيطرة على فرقة شياوليجيا وقيادتها نحو التحديثات الأربعة، ولنذع أمر الانتقام جانباً. لا تضحك، ودعني أصل معك إلى صُلب الموضوع. أعلم أنك تقلق بشأنى، وأنتك تلف وتدور لتدفعني للتخلي عن الأمر، اطمئن، يمكنني التعامل مع الأمر، فهو ليس بالأمر الجلل».

ولكن كيف لشوي الكبير ألا يضحك، فعلى الرغم من أن لي دونغ باو يبدو قاسياً، فإنه شخص متفهم. لكن شوي الكبير استطاع أن يرى التغير الطفيف الذي حدث للي دونغ باو من خلال تعامله معه في هذين اليومين، إذ صارت رغباته الأنانية أقوى.

ربما لم يلاحظ لي دونغ باو نفسه هذا الأمر، ولكن شوي الكبير لاحظته بقوة، إذ كان ما يعجبه في الماضي هو مثالية لي دونغ باو المليئة بالعاطفة البدائية، وتلك المثالية هي التي دفعته لقيادة فرقة شياوليجيا بنكران ذات لانتشالهم من الجوع والحصول على ما يكفي من الغذاء والكساء. ولكن اليوم، بعدما أدركت الدولة بأكملها أن تناول الجميع من وعاء كبير من الطعام لن ينجح⁽¹⁾، فمن يستطيع أن ينكر رغبات لي دونغ باو الأنانية. إن ما يقلق شوي الكبير بشأنه هو أن لي دونغ باو - هذا الشخص ذو المستوى الثقافي المنخفض - إلى أي نوع من الأشخاص سيتحوّل في المستقبل، وهو موضوع بين رغباته الأنانية والشأن العام.

بعد رحلة لي دونغ باو إلى بكين هذه المرة، اتسعت آفاه كثيراً، إذ كانت الرحلة أكثر استفادة من رحلته إلى منطقة شيهكو⁽²⁾، لأن عبارات شوي الكبير كانت أكثر دقة واستهدافاً. لذلك فبعد عودته إلى الديار، ذهب مباشرة إلى عمدة البلدة ليتناقش معه بشأن إنشاء مزرعة الخنازير، ولكنه لم يتوقع أن يرفض العمدة قائلاً إنه كان على وشك إخطار البلدة بأكملها بتمديد فترة التعاقد على الأراضي إلى خمسة عشر عامًا، وغير مسموح بالتفكير في أي مشاريع تحتل الأراضي الزراعية بالريف. فقال لي دونغ باو ألم يكن الأمر جيدًا من قبل، ولكن العمدة ردّ قائلاً إن هذا غير ممكن، إذ أصدرت وثيقة في نهاية العام الماضي، وهذا غير مسموح الآن. فلمّا سمع

(1) في الماضي كان الصينيون يجتمعون في المقاصف لتناول الطعام، وثبت أن هذه التجربة ليست عملية.

(2) منطقة تجارية في مقاطعة قوانغدونغ.

لي دونغ باو بشأن الوثيقة، لم يُعد بإمكانه فعل شيء، إذ إنه لن يطلب من العمدة أن يخالف القانون والانضباط.

ولكن لي دونغ باو كان متأكدًا من جودة المشروع الذي أعطاه إياه شوي الكبير، لذلك رفض الاستسلام مهما حدث، كما أن شوي الكبير كان على حق، فمزرعة الخنازير أيضًا ستُعطي لنساء فرقة شياوليغيا مكانًا يذهبن إليه، وذلك لأنه بمجرد أن صار الطقس باردًا في العام الماضي، تفشى فجأة مرض طاعون الأرانب، فأصبحت جميع الأرانب في القرية بالإسهال، حتى أخذت تسقط أرضًا واحدًا تلو الآخر، فأخذت أولئك النسوة يُنحن بعدما كن يأملن في كسب المال من تربية الأرانب، بل وصرن تخفن الآن عند الحديث عن تربيتها. وبصفته أمين الحزب بالفرقة، كان عليه إيجاد طريق لكسب الرزق لهؤلاء النسوة اللواتي لا تجرؤن على تربية الأرانب حتى لا تكتفين بالاستمتاع بأشعة الشمس والدردشة كل يوم. ولكن، ما العمل إذا لم يكن هناك مكان لهذا؟

أخذ لي دونغ باو يتجول واضعًا يديه خلف ظهره عدة مرات في أرجاء فرقة شياوليغيا باحثًا ولكنه لم يستطع إيجاد قطعة أرض لفتح مزرعة الخنازير. في حين حلّ عيد الربيع بكل حماس وصخب.

ولأن أرباح مصنع الأسلاك الكهربائية بالفرقة لم تكن سيئة، صار لدى أهالي شياوليغيا الكثير من لوازم رأس السنة التي تبهر الأعين، وبعض العائلات كانت لديها ثلاثة أجيال تعيش معًا، فكانوا يسحبون عربة كاملة لإحضار لوازم رأس السنة. كان اللحم

كثيرًا لدرجة أنه لم يكن لينفد، والأطعمة التي لم تكن موجودة من قبل كالسجق واللحم المقدد والدجاج المقلي كانت معلقة على باب كل منزل، والزوجات الكبيرات والصغيرات كنّ يتبادلن طريقة عمل تلك الأطباق النادرة. وبالطبع أخذ لي دونغ باو دراجته وحمل عليها لوازم رأس السنة ليوصلها إلى منزل والدي زوجته.

2

تساقطت الثلوج، فتلطخت الأرض بظلال متناثرة من البياض والسواد. أثناء قيادته للدراجة ومروره بالقرى، كانت رائحة العام الجديد تملأ الجو، فامتلاً الهواء برائحة الذبح المنبعثة من الخزازير والأغنام تارة، وبرائحة البارود المنبعثة من الألعاب النارية التي يشعلها الأطفال سرًا تارة أخرى. ولكن في أغلب الأحيان، كان الهواء صافيًا باردًا ينعش القلب وبقية الأعضاء الداخلية. بدا هذا المشهد مألوفًا، مما دفع لي دونغ باو لأن يتذكر أنه قبل عدة سنوات في مثل هذا الوقت تقريبًا، كان قد تجرأ على الركض إلى منزل عائلة سونغ حاملًا زوجًا من كبد الخزازير وسيقانها، ولو ذهب إلى منزل آخر في ذلك الوقت، لكانوا قد ألقوا مثل هذه الهدية الصغيرة خارجًا. فقط بينغ بينغ وحدها هي التي كانت تعامله جيدًا، فلم تكتفِ بدعوته لتناول الطعام، بل وخشيت من أن يكون مهذبًا للغاية وألا يشبع من الطعام، فملأت له صحن الأرز حتى آخره خفية.

عندما وصل إلى منزل عائلة سونغ، رأى والدي زوجته المسنين جالسين عند الباب مرتدين النظارة الطبية وينظفان الدجاج من

الريش، وبجانبهما طبق خشبي كبير مليء بالماء الساخن، والذي بدأ أنه يستخدم في إزالة الريش. فألقى عليهما التحية، ووضع لوازم رأس السنة جانبًا، وطلب منهما ألا ينهضا، وذهب بنفسه ليحضر مقعدًا من المنزل.

لم تستطع الأم منع نفسها من تذكّر المرة الأولى التي أتى فيها لي دونغ باو إلى منزلهم، فملاً الحزن قلبها، ولكنها عندما تذكّرت أن اليوم هو رأس السنة الجديدة، أسرعت بالبحث عما تقوله لتغالب الحزن قائلة: «دونغ باو، لقد أخبرتك ألا تُحضِر كل هذه الأشياء، ومع ذلك أحضرتها، عليك أن تُبقي بعضًا منها لنفسك، وفيما بعد تعالَ بمفردك ولا تُحضِر معك شيئًا. سنأكل الدجاج على الغداء».

«حسنًا. لدينا الكثير من لوازم رأس السنة في المنزل، ليققسمها المنزلان. أبي، أمي، هل تريدان شراء أقراص فحم؟ والأرز؟ هل خزان المياه ممتلئ؟» كان لي دونغ باو يسأل عن هذه الأمور في كل مرة يأتي فيها. فردّ سونغ جي شان: «لقد أتى سونغ الصغير مبكرًا لزيارة العائلة وقضاء عطلة رأس السنة، وقد قام بكل هذه الأمور بالفعل. دونغ باو، ما زلت تهتم بنا رغم انشغالك بهذا القدر، نعتذر منك حقًا».

«ماذا تقول!» قال لي دونغ باو هذا واقفًا: «أين هوي الصغير؟ إلى أين ذهب؟».

«ما زال نائمًا، ويستيقظ متأخرًا جدًا كل يوم، إنه يتعب جدًا في المصنع».

«سأذهب إليه». دخل لي دونغ باو إلى سونغ يون هوي وكان يعرف الطريق جيدًا، دخل مباشرة دون أن يطرق الباب حتى، وصفعه قائلاً: «استيقظ، كم الساعة الآن؟».

كان سونغ قد سمع لي دونغ باو بالفعل عند وصوله، وتوقع أن يقتحم المكان، ففتح عينيه وحدق به، وقال متكاسلاً: «لا تدخل بدون إذن».

«إنها ليست غرفة نوم أنسة كبيرة، علام كل هذا إذا! لقد عدت لتوي من بكين بعد مقابلة شوي الكبير، وقد أخبرني أنك تحظى بتقدير كبير». لم يعرف لي دونغ باو أيضًا السبب، ولكنه دائماً ما يشعر بأنه يفتقر إلى الشجاعة، ويحس بأنه يدين له بالكثير ويريد حقاً إرضاءه.

قال سونغ يون هوي في نفسه أي تقدير هذا، وظل يتجاهله.

عندما رآه لي دونغ باو لم ينهض من السرير بعد، وإنما يحدق بعينين شاردتين، لم يعرف فيما يفكر، فقال: «اقترح شوي الكبير أن نرتي الخنازير في شياولي جيا، وقال إن الناس بعد الثراء يريدون تناول اللحم، وعادة ما يريدون تناول لحم الخنزير، وأنه دائماً ما يُباع. ما رأيك، الأمر بهذه البساطة». عندئذ نهض سونغ يون هوي وارتدى ملبسه، وسأله متكاسلاً: «من أين لك بأرض لتبني مزرعة خنازير؟».

«صحيح، هذا تماماً ما أقصده، فقد أخبرني العمدة أنه لا يمكن احتلال الأراضي الزراعية. ولكن فكر في الأمر، إن شوي الكبير يعرف سياسات الحكومة المركزية جيداً، وهو يعرف أحوال

محافظةنا جيداً أيضاً، وما دام أخبرني أنه بإمكاننا فتح مزرعة خنازير، فهذا يعني أن هذا ممكن بالتأكيد، ألا تعتقد ذلك؟» أعطى لي دونغ باو الملابس المعلقة على حافة السرير لسونغ يون هوي بطريقة لطيفة بعض الشيء، ولم يستطع إلا أن يضيف قائلاً: «هل راتبك في المصنع منخفض؟ لماذا ما زلت ترتدي ملابس قديمة؟».

رفع سونغ يون هوي عينيه ليلقي نظرة على ملابس لي دونغ باو القديمة، وتجاهله. فإذا كان بإمكانه ارتداء ملابس العمل، فمن الأفضل أن يرتديها، ويتجنب المتاعب. ولكن كان أكثر ما يشغل ذهنه هو رأي شوي الكبير، فلي دونغ باو كان على حق، إذ إن شوي الكبير على دراية قوية بالبيئتين الجغرافية والاجتماعية لشياوليجيا، فكيف يمكنه أن يقول كلاماً غير دقيق، هذا ليس أسلوبه. لقد أثار هذا روح المنافسة في قلب سونغ يون هوي، فهل يمكنه إيجاد حل بديل؟ على الرغم من أنه كان يرى لي دونغ باو مثيراً للمتاعب، ولكن بسبب ما كان يسمعه من والديه حول اهتمام لي دونغ باو الدائم بمنزلهم، فلم يستطع إلا أن يقول بفتور: «دعنا نتناول الغداء في منزلنا، وبعد ذلك نذهب ونلقي نظرة على شياوليجيا».

«كنت أنتظر منك قول هذا. لقد ألقى نظرة لعدة مرات على شياوليجيا بالفعل، كما ناقشنا هذا الأمر في اجتماع الفرقة، ولكن دون جدوى. أحتاج إلى شخص من الخارج لإلقاء نظرة، تماماً مثل شوي الكبير».

نظر سونغ يون هوي إلى لي دونغ باو بجانبه، وقال في نفسه إن هذا كلامٌ دقيق. في تلك اللحظة، كانت والدة سونغ قد سمعت

أن ابنها استيقظ ودخل استعدادًا لتناول الطعام، وعندما رأتهما يتحدثان بأدب، اطمأن قلبها كثيرًا، ووضعت قدر الأرز على موقد الفحم، وفتشت في خزانة الملابس والصناديق إلى أن وجدت بذلة زرقاء داكنة من قماش التويد على الطراز الصيني وبنطالاً وأعطتهما للي دونغ باو، قائلة إنهما له، لكل من صهرها وابنها طاقم، لقد طلبت من أحدهم أن يشتري لها الخامات من شانغهاي، وتريد أن يجربها لي دونغ باو حتى تتمكن من تغيير المقاسات قبل عيد الربيع لو لم تكن مناسبة.

لم يستح لي دونغ باو، بل أسرع بتجربتها كما قيل له، وما إن ألقى سونغ يون هوي نظرة بعدما غسل وجهه حتى انفجر ضاحكًا، إذ إن ملابسهما كانت متطابقة تمامًا، وإذا ارتدياها معًا في عيد الربيع، فسيظن الغرباء أنهما توأمٌ بالتأكيد. كانت والدة سونغ يون هوي تتمتع بذوق قديم، ففي الوقت الذي كانت فيه السترات وبذلات الصيد قد صارت شائعة بالفعل في جينتشو، كانت الملابس التي صنعتها ذات أطراف واسعة، فتبدو عند ارتدائها من مسافة بعيدة وكأنها مخروطة. ومع ذلك، فقد رأى سونغ أنها ستعجب لي دونغ باو. وبالفعل، فقد قال لي دونغ باو مبتهجًا، إنها أكثر أناقة بكثير مما كان يخطط لارتدائه في عيد الربيع، وإنه سيرتديها في العيد.

فرحت الأم عند سماعها لهذا، وأخذت تطالع لي دونغ باو من الأمام ومن الخلف وهي تقول: «من الجيد أنها تعجبك، من الجيد أنها تعجبك. هوي الصغير، هذا الفتى السيء، إنه انتقائي جدًا، ولا يستطيع شراءها لنفسه، فصنعتها له ولكنه لم يرتديها، وظل يرتدي ملابسها القديمة فحسب كل يوم».

استدار لي دونغ باو وسأله مندهشًا: «أليست جيدة؟ لقد رأيت في بكين أناسًا يرتدون هذا النوع من الملابس».

«وماذا يرتدي شوي الكبير؟» أحضر سونغ يون هوي القدر إلى الطاولة بنفسه، وفتح الغطاء ليلقي نظرة، فوجد كعك المانتو المطهو على البخار، حينئذ علم أنه بالتأكيد من كعكات يانغ الصغير، ومختوم أعلاها علامة حمراء لطيفة.

فكر لي دونغ باو قليلاً، ثم قال: «دائمًا ما يرتدي الكنزات الصوفية في المنزل، فالجو دافئ في منازل بكين. وعند الخروج يرتدي معطفًا طويلًا سميكًا باللون الرمادي، وهناك صورة لرئيس الوزراء تشو وهو يرتدي مثل ذلك المعطف. إن شوي الكبير أنيق جدًا، وأنا لا أقارن به».

«حسنًا. أناكل معًا؟» عندما رأى سونغ يون هوي لي دونغ باو يهزّ رأسه، لم يجبره، في حين أخذ يأكل الكعكات والمخللات والعصيدة وهو يقول لوالدته: «أمي، كنت أفكر الليلة الماضية، أليس الإنسان مجرد مكعب، فلتعطني نمط الملابس، وأنا سأصممه وأنت تعدّلينه، لا أعتقد أن الأمر قد يكون أصعب من رسم خرائط أجزاء الآلات».

«حرامٌ عليك، أتعلم كم سعر القدم من قماش التويد؟ إذا كنت قادرًا هكذا، فلم لا تشتري ملابسَ لنفسك؟».

«ومن أين لي الوقت لهذا، أليست الآن في المنزل وليس لدي ما أفعله؟ لا تخافي يا أمي، سأرسمه على ورق جرائد أولاً، ثم

سألصقه وأرتديه لتلقي نظرة، ولو كان جيدًا ستعدّلينها، الأمر ليس صعبًا، فقط استخدمني قطعة قماش لتقلّدي التصميم على الجسم».

عند سماعه لهذا، نطق لي دونغ باو وقال: «أنت وأختك متشابهان، في كل مرة تصنع فيها أختك الملابس، دائمًا ما تطلب مني قصّ التصميم على ورق جرائد...» وقبل أن يُنهي جملته، ساد الصمت بين ثلاثتهم في الغرفة. أخيرًا انتهى سونغ جي شان من إزالة ريش الدجاج ودخل من الباب، ولأن الجو كان مشمسًا في الخارج ومظلمًا في الداخل، فلم يستطع رؤية وجوههم بوضوح، لذا فبمجرد دخوله طلب من الأم إحضار قدر لطهي الدجاج، وهنا فقط ذهبت. تردد لي دونغ باو قليلًا، ثم أخرج خطة مزرعة الخنازير التي كتبها له شوي الكبير، وأعطاهما لسونغ يون هوي، ففهمها بمجرد قراءتها، إذ بدت بنفس الروتين تقريبًا، يبدو أن الجوهر يبقى كما هو. وعندما رأى لي دونغ باو أن سونغ يون هوي قد فهم الأمر على الفور، رفض تركه في المنزل عاطلاً، بل وأصرّ أن يعمل صهره بجدّ استعدادًا لفترة عيد الربيع.

ولكنه لم يكن يتوقّع أن سونغ يون هوي بعد انتهائه من الفطور سيُخرج جريدة ويفتحها على طاولة الطعام، ويعلّق ملابسه على الحائط، ويأخذ شريط القياس لقياس الملابس، وقياس مقاساته أمام المرأة، ثم يرسم نمطين بالقلم الرصاص على الورق، كل منهما مليء بأرقام مزدحمة. كان لي دونغ باو يشاهد محذقًا فارغًا فاه، أليست هذه وظيفة نسائية، كيف لشقيق زوجته هذا الرجل المغرور أن يكون بارعًا فيها هكذا؟ لحسن الحظ أن شقيق زوجته

ليس رجلاً مختثاً. في ذلك الوقت، انبعثت رائحة حساء الدجاج من المطبخ، فقررت معدة لي دونغ باو عن غير قصد، وهو أيضاً لم يستح، وإنما بادر بأخذ الكعكتين المتبقيتين من سونغ يون هوي وأكلهما.

بعد فترة من الوقت، أنهى سونغ يون هوي مهمته، ودعا والدته لتلقي نظرة. وما إن ألفت نظرة حتى وجدت نمطين، وابنها يشرح لها بفخر أن هذا الشكل شبه المنحرف هو تصميم قياسات الملابس الحالي، وتلك الصورة ذات القاع الضيق قليلاً والجانبين العريضين هي من تصميمه، فالجميع الآن يرتدون مثل هذا، وهو الطراز الأحدث، ويُقال إنه مأخوذ من شانغهاي، والقياسات التي قدّرها بنظره لن تختلف كثيرًا. وهنا أضاف سونغ جملة هادفة، إن شانغهاي أكثر عصرية من بكين. ولكن لي دونغ باو كان غيبًا، فلم يستقبل أي إشارة مقصودة.

للأسف، فبعدما استغرق سونغ يون هوي وقتًا طويلًا في الشرح، لم تتمكن والدته من فهم ما يقصده من درجة الميل وزاوية الميل ودرجة الانحناء، وإنما ألفت جملة قاسية أمرت بها سونغ يون هوي أن يقص ورق الجرائد ويرتدي التصميم لينتهي الأمر. فبدأ سونغ بلا حول ولا قوة، إذ كان في الأصل متكاسلاً عن قصّ الورق، وكان مؤمنًا تمامًا بقدارته على المسح والتصميم، في حين اضطر الآن لاستخدام الأرز للصق ورق الجرائد وقصّ الأشكال قطعة قطعة، ثم استخدم الأرز مرة أخرى للصق القطع مكونًا شكل الملابس وارتداها. ولكن قدرة الأرز على اللصق محدودة، فما

إن يُلصق الورق من هنا حتى ينفك من هناك، مما يجعل الملابس صعبة الارتداء بشكل مناسب، ولكن على الأقل تمكنت والدته من رؤية الأشياء التي قصّها ابنها ويمكن ارتداؤها بالفعل، على الرغم من أنها بدت غريبة بعض الشيء. ولكن فكرة تفكيك قطعة ملابس جميلة وقصّها عدة مرات كانت فكرة محزنة حقًا، ومع ذلك فعندما فكّرت في شخصية ابنها العنيدة، وأنه لن يرتديها أبدًا ما لم تعدّلها له، اضطرّرت للذهاب متممة، وأحضرت سلة الخياطة لتفكك الملابس الجديدة.

عندما رأى لي دونغ باو سونغ يون هوي يرتدي الجرائد، تأثّر أيضًا، إذ كان يثق في نظرتة، وأراد هو الآخر تعديل ملابسه، ولأنه شخص صريح، فلم يفكّر في الفرق بينه كصهر وبين كون الآخر ابنهم، وما في قلبه أفصح عنه مباشرة. لم يكن أمام الأم خيار سوى أن تُحضر مقصًا، ودعت زوجها المسنّ ليفككا الغرز معًا، كانت تعرف إن هذين الشابين لن يقوما بمثل هذه المهمة الشاقة. وعندما فكّرت فيما سيحدث لو كانت ابتها موجودة... لم تستطع منع نفسها من الشعور بالحزن لفترة.

بعد ذلك، ذهب سونغ يون هوي بنفسه إلى المطبخ ليطهي الطعام، فشعر لي دونغ باو بغرابة شديدة في داخله، إذ كان يعلم من قبل أن شقيق زوجته يمكنه الطهي، والطهي من شأنه أن يشغل عقله، وأن مستواه في الطهي يمكنه من الجلوس كالسلطان في أعلى منصب في عائلة سونغ، هذا لأن والديه كانا يعملان، ولم يكن هناك من يساعد في المنزل، وكانت شقيقته مشغولة جدًّا

في أمور المنزل كي تتمكن من التعامل مع ظروف الحياة. ولكنه اليوم شاهد سونغ يون هوي وهو يقص الملابس ويطهو الطعام، وجميعها وظائف نسائية، بل وقام بها جيدًا، فصار لي دونغ باو لديه ما يقوله، ولكنه لم يجرؤ على البوح به خوفًا من أن يسيء لشقيق زوجته، ولألا يذبحه لسان سونغ الحاد. كان لي دونغ باو خائفًا، أو بالأحرى شاعرًا بالذنب، إذ صار لديه شعور بالذنب تجاه عائلة بينغ بينغ بعد فقدانها.

أعدّ سونغ يون هوي أطباقًا ملأت الطاولة كلها، وتضمنت أحشاء الدجاج بالثوم، ومكعبات السمك الحلوة والحامضة، وحساء رؤوس السمك بالتوفو، ومكعبات الدجاج الحارة، والملفوف الصيني المقلي. باستثناء الملفوف الصيني، كانت جميع الأطباق تناسب ذوق لي دونغ باو، وأخيرًا فُكّر بصدق بينه وبين نفسه، إذ رأى أن تلك الأطباق التي أعدها الرجل مختلفة تمامًا، ولا تشبه تلك التي كانت بينغ بينغ ووالدة بينغ بينغ ووالدته تعدها، فدائمًا ما كانت الأطباق التي تعدها تلك النساء الثلاث تبدو كالحساء الصافي. كانت كمية الطعام التي افترسها لي دونغ باو تعادل ما تناوله أفراد عائلة سونغ الثلاثة!

بعد الغداء، ركب سونغ يون هوي دراجة والده وذهب، وبعد فترة وجيزة، وصل إلى فرقة شياولييجيا، وعند اجتياز التل الصغير، استطاع أن يشم رائحة بلاستيك خفيفة في الجو بصفته عاملاً بالصناعات الكيماوية، تمامًا مثلما كان يشم رائحة المواد الكيميائية عند اقترابه من مصنع جيتتسو الرئيسي. فدعا لي دونغ باو للتوقف

على قمة التل، وسأله: «أهذه الرائحة الكريهة من مصنع الأسلاك الكهربائية؟».

أجابه لي دونغ باو: «تكون الرائحة كريهة عند صنع الأسلاك المطلية بالمينا، لحسن الحظ أن مصنعنا للأسلاك الكهربائية له سقف وليس له جدران. والآن لا يمكن لمصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة أن يتفوق علينا، ولا يمكن أن تكون منتجاتهم أرخص مما نصنع مهما صنعوا. هاها، لدينا خدعتنا الخاصة».

نظر سونغ يون هوي إليه وقال: «احترس، فهذه الغازات سامة جدًا، واستنشاق الكثير منها يصيب بالسرطان. ومياه الصرف لا تصبها في النهر، فقد تصيب أيضًا بالسرطان لو شرب أحد منها».

«بهذه الخطورة؟ ألا ترى أن جميع العمال بخير؟».

«إنه مرض مزمن. من الأفضل أن تبذل قصارى جهدك لاستخدام مواد أخرى خالية من الكلور لإنتاج الأسلاك الكهربائية...» عندما رأى سونغ يون هوي لي دونغ باو مرتبكا، اضطر للاستسلام والتحدث بلغة أبسط، «هل يوجد نوع بلاستيك غير كريه الرائحة لصنع الأسلاك؟ نوع لا يصدر رائحة كريهة عند الاحتراق».

«بالطبع يوجد، ولكنه باهظ الثمن، ولن يُباع بعد صناعته، لن يريده أحد».

«أوه، هناك أيضًا مشكلة عدم القدرة على بيع المنتج، نعم، التكلفة، نعم، التكلفة». أخذ سونغ يون هوي يتحدث نفسه. لم

تواجه منتجات جيتشو قط قلقًا بشأن البيع، فجميعها يتم التعاقد عليها من قِبَل الدولة، لا عجب في أن الجميع قد بدوا غير مباليين عند تحدُّثه بشأن التكلفة في اجتماع تجديد المعدات، يبدو أنهم يفتقرون للوعي بالتكلفة. لقد كتب الكثير من مسائل تكاليف المعدات وتكاليف النقل في تقرير الموافقة، كما أضاف الأمين شوي إليه فيما بعد الكثير من المحتوى حول المزايا الاجتماعية والتأثيرات السياسية وما إلى ذلك، ولكن يبدو أن هناك فجوة كبيرة في الوعي الفكري بين جيتشو وشياوليغيا.

قال لي دونغ باو عند سماعه لهذا: «بالطبع علينا الانتباه إلى التكلفة، وإلا فستكون مضيعة للمال، ومن يفعل هذا؟ هوي الصغير، لو صعدت أعلى قليلاً، ستمكّن من رؤية شياوليغيا بأكملها». وبعدهما قال هذا، بادر بالنزول من دراجته وصعد لأعلى، فتبعه سونغ يون هوي.

بعدهما تسلّق سونغ يون هوي بضعة خطوات قال: «إن منحدر هذا التل صغير جدًّا، يمكننا بناء حظيرة خنازير عليها، وسيكون من السهل جدًّا تصريف مياه الصرف الصحي لأنها ستنزول بشكل طبيعي. ولكن يبدو أن هناك الكثير من المقابر، أذكر أن قبر شقيقتي موجود هنا أيضًا».

«هذه هي المشكلة». كانت المشكلة الأكبر هي وجود قبر سونغ يون بينغ، وإلا لكان لي دونغ باو قد أصدر أمرًا للجميع بنقل القبور من هنا».

وقف الاثنان أولاً أمام قبر سونغ يون بينغ لبعض الوقت، بعد ذلك ذهبوا إلى القمة، ثم تسلقوا شجرة كبيرة، وأخذ كل منهما فرعاً لينظرا إلى الأسفل، وبعد وقت طويل، قال سونغ يون هوي: «ألا يحتوي مصنعك للأسلاك على أنبوب صرف صحي؟ هل تترك مياه الصرف تتدفق إلى النهر بهذه البساطة؟».

«الأرض مسطحة جداً، ولا يمكن تركيب الأنبوب، ولو ركبناه فلن تتدفق المياه إلى النهر، ولكن ستبقى في منتصف الأنبوب.».

«قم بتركيب مضخة صرف صحي لزيادة الضغط.».

«هوي الصغير، لسنا كمصنعكم المملوك للدولة ويستخدم أموالها.».

«لومات الجميع مسمومين واحداً تلو الآخر، فكيف ستستخدمون المال الذي تكسبونه؟ هل ستستخدمونه كله لسداد النفقات الطبية؟ ألسنت تسدد جميع النفقات الطبية لفرقة بأكملها؟ هذا رائع.».

«هوي الصغير، تأدب قليلاً. ماذا علينا أن نفعل في اعتقادك؟».

فكر سونغ يون هوي طويلاً، ثم قال: «أحضِر بعض الأشخاص لحفر خزان ترسيب، بمقدار يكفي لتصريف مياه صرف صحي لأسبوع واحد، بعد ذلك استخدم أرخص مضخة غاطسة لضخ المياه المترسبة إلى برج مياه بسيط، ثم اطلب من مصنع الطوب حرق بعض أنابيب الطين المزججة لتوصيلها بمجرى النهر، وحاول قدر الإمكان تصريف المياه عند هطول الأمطار.» عندما وجد لي دونغ باو لم يفهم شيئاً، اضطر لأن يقول: «لاحقاً سأرسم

لك مخططاً، وأنت ستطلب منهم التنفيذ وفقاً للمخطط. هكذا يبدو أن مزرعتك للخنازير لا يمكن إلا أن تُبنى على التل، يمكنك أن تتجنب القمة، وتبنيها على منتصف التل وسفحه، وجميعها مناطق تخلو من الأراضي الزراعية. ولكني لا أعرف كيف يمكن معالجة مخلفات الخنازير».

«يمكننا زيارة مزرعة الخنازير بالمقاطعة: ليست مشكلة». ثم تتم مرة أخرى، «منتصف التل، هكذا يمكننا الابتعاد عن قبر بينغ بينغ، ولكنه سيتعرض يومياً لرائحة الخنازير الكريهة. لا يمكن، لنغير المكان. لتفكر مجدداً يا هوي الصغير».

فكر سونغ يون هوي قليلاً، ثم قال: «ما باليد حيلة، ليس أمامك إلا هدم مصنعك للطوب، وضم بركة الأسماك التي بجانبه، سيكون هذا مناسباً جداً. ماذا لو تردم بركتي الأسماك، أي تُحضر التراب والصخور من التل المتصل بالبركتين لردمهما، وتبني مزرعة الخنازير على التل المسطح، ثم تأخذ بعض حقول الأرز المحيطة سراً، دون أن يعلم أحد، وهكذا تكون المساحة كافية. بعد ذلك تقوم ببناء المرحلة الأولى من المزرعة، وبعد بنائها... لقد تغيرت السياسات كثيراً في السنوات الماضية، لا أعرف ماذا سيحدث في العام المقبل والعام الذي يليه، لتتحدث عن ذلك في وقته».

فكر لي دونغ باو قليلاً، وفجأة صفق بيديه قائلاً: «يا لها من فكرة جيدة! سأردم بركتي الأسماك أولاً، ماذا يمكن للبلدة أن تقول لو ردمت بركتي للأسماك. يكفي القول إنها حفرة من الطين، ويمكن أن أحفرها بالمساحة التي أريدها، حسناً، اتفقنا».

«ولكن كيف سيأكل المزارعون المتعاقدون على حقول الأرز؟».

«سيتم تعيينهم في مزرعة الخنازير، وسيكسبون أجورًا ويكونون سعداء. حسنًا، فلنقم بهذا».

نظر سونغ يون هوي إلى لي دونغ باو الذي قفز من الشجرة وهو يفرك قبضتيه، وفكر، لو حدث هذا قبل عام ونصف، لقال ما يود أن يقول، ولكنه اليوم ليس في مقدوره ذلك، ففكر بهدوء وقال: «ما دمت قد قلت إنني أتيت لأساعدك في مزرعة الخنازير، فعليّ أن أساعدك حتى النهاية. ما زالت مشكلة الصرف الصحي قائمة. لقد ربّيت الخنازير أثناء تطوعي بالخدمة في الريف، إن الخنازير قدرة للغاية، ويجب تنظيف الحظيرة بالماء يوميًا، وفيما بعد عند توسيع نطاق تربية الخنازير، ولتجنّب حُمى الخنازير، يجب تنظيف بيوت الخنازير جيدًا جدًا. ليس هناك شك في أن كمية المخلفات التي ستنتجها حظيرة الخنازير ستكون أكثر بكثير من مصنع الأسلاك الكهربائية. فكيف ستتعامل معها؟ ولو تم تصريفها في النهر مباشرة، فسيُدمّر النهر. عليك أيضًا التفكير في أن أولئك القاطنين عند الروافد الدنيا من النهر، سيأتون للتشاجر معك. وأيضًا، أين ستجمّع روث الخنازير، وكيف ستتعامل معه».

«وفقًا لما تقول، فعليّ ألا أربّي الخنازير إذًا؟».

«لا، عليك أن تفكر أولاً في مشكلة المخلفات، وبعد ذلك يمكنك إنشاء المزرعة. وإلا فستحدث مشكلات لا حصر لها».

«يا هوي الصغير، أعتقد أنك مهووس بالكتب. كم عدد الأشخاص الذين يفرغون المراحيض ويغسلونها في هذا النهر كل يوم، أكثر بكثير من الخنازير، يمكنهم أن يفرغوا المراحيض في النهر، فلماذا لا يمكن للخنازير أن تفعل هذا؟ اطمئن، فالمياه جارية. ولو لم ينجح هذا، فيمكننا الحصول على مياه الصنابير».

«كم مرة يمكن للناس أن يتبولوا ويتبرزوا في اليوم الواحد، ولكن ماذا عن الخنازير؟».

«عليك بالأحرى أن تسأل كم عدد الأهالي القاطنين على طول النهر، وكم عدد الخنازير في المنطقة نفسها». فقفز سونغ يون هوي من الشجرة، وقال بجدية: «سأدعوك بأخي مرة أخرى، من فضلك فكر جيدًا قبل القيام بأي شيء، ولا تندفع بشكل أعمى فتلقي بنفسك في التهلكة. سأغادر».

شعر لي دونغ باو بقليل من التوتر، ولكنه سرعان ما تذكر تلك المرة التي أدى فيها تهوُّره إلى وفاة سونغ يون بينغ، فلاحقه بسرعة قائلاً: «الوضع مختلف يا هوي الصغير...». لم يلتفت سونغ يون هوي إليه، وإنما سأله فقط: «في أي يوم ستأتي إلى منزلي؟ سأرسم لك مخطط معالجة مياه صرف مصنع الأسلاك. والأمر متروك لك سواء كنت ستنفذه أم لا».

«لا تكن هكذا يا هوي الصغير، عليك التفكير في مدى قلة الأموال لدى شياوليغيا، علينا إنفاق المال بحكمة. فالأمر ليس كالشركات المملوكة للدولة والتي تمولها الدولة».

«وحتى ولو كانت الأموال قليلة، فلا يمكن اللعب بحياة القاطنين على جانبي النهر. سأغادر، عام جديد سعيد».

أخذ لي دونغ باو يشاهد سونغ يون هوي وهو يركب دراجته وينطلق مبتعدًا، وتمتم بعبارة عصرية «عام جديد سعيد»، ولكنها كانت بالكاد مسموعة. وقال في نفسه إن هوي الصغير قد صار كأولئك الفنيين العاملين في المصانع المملوكة للدولة، والذين يفكرون في كل شيء، ولكنهم في النهاية لا ينجزون أي شيء. ما الذي قد يثير الإزعاج؟ فلو نطق القاطنون في الروافد الدنيا للنهر، ألن يكون كافيًا لو عُتِن بعضهم لكسب الرزق في شياوليغيا؟ ولو صاروا سعداء، فمن سيأتي ليحدث جلبة إذا؟

فجأة رأى لي دونغ باو أن سونغ يون هوي قد أتجه نحو القرية بعد نزوله من التل، فأسرع وراءه، ورآه قد وصل إلى مصنع الأسلاك الكهربائية. وبعد إلقاء سونغ للتحية على شي قن، رآه لي دونغ باو يقلب عابسًا في المواد الخام، ويشاهد كيف يتم الإنتاج، وبعدها عثر على مساحة شاغرة ووقف فيها وكأنه يقيس مساحتها بقدميه. عندما رأى شي قن لي دونغ باو وقد وصل، أسرع بسؤاله عما يحدث، فلم يكن من لي دونغ باو إلا أن أجابه بأن شقيق زوجته غاضب منه. ولكن لي دونغ باو كان يعرف جيدًا ماذا يفعل سونغ، وفكر إن الأخ وأخته بنفس القدر من الجدية والدقة، ولكن كليهما خجول. لا مشكلة في أن تكون المرأة خجولة، فهي تبقى في المنزل، ولكن كيف للرجل أن يكون خجولاً!

ألقي سونغ يون هوي وداعًا مهذبًا في حضور الغرباء على شي قن ولي دونغ باو، ثم ركب دراجته عائداً إلى المنزل. وفي

الطريق فكّر في كيفية تغيير مزاج الشخص البالغ هكذا، كيف يمكن لدم شقيقته أن يغيّر لي دونغ باو. وبمجرد تفكيره في وفاة أخته، استشاط غضبًا، وأخذ يقول في نفسه: «لن يُقلع الكلب عن تناول القذارة أبدًا».

وبعد فترة من قيادة الدراجة، هدأ سونغ يون هوي قليلاً، ولم يكن أمامه سوى أن يتفهّم لي دونغ باو، لم يكن بإمكانه وضع معايير عالية ومتطلبات صارمة للشخص الذي قد غسل رجليه من الطين لتوّه، إذ كان يعرف أن العديد من المصانع المملوكة للدولة لا تُعطي أهمية كُبرى لمعالجة مياه الصرف وتصريفها، لقد سمّمت تفكيره «المعلومات الأجنبية» بعمق.

ولكن، التفهّم لا يعني مطلقًا الموافقة. إذ كان سونغ يعلم أيضًا أن حق اتخاذ القرار في يد لي دونغ باو، وليس في يده، ووفقًا لشخصية لي دونغ باو العنيدة، فلا مجال للعودة إلى الوراء بمجرد إطلاق السهم. كان بإمكانه الترفع عن التعامل معه وتجاهله واعتبار هذا الشخص الذي لا يحسب عواقب الأمور كالغريب، ولكنه لن يمكنه هذا، فقبر شقيقته محفور عليه اسم عائلة «لي»، ولن يمكنه التخلّي عن لي دونغ باو وتجاهله. بالإضافة إلى أن لي دونغ باو كان يعامله بلطف كبير في الماضي، كما أنه كان معجبًا جدًا بلي دونغ باو لفترة من الوقت. سيساعده إذًا، وسيفعل كل ما يمكن أن يفعله، والأمر متروك للي دونغ باو سواء أراد أن ينقذ ما يقوله أم لا.

بعد عيد الربيع، لا، قبل حتى أن ينتهي، في اليوم الخامس من الشهر الأول، استعاد لي دونغ باو حقوق تعاقد بركة الأسماك بالقوة بعد دفع مبلغ تعويضي، وبدأ في ردمها تمهيداً لفتح مزرعة الخنازير بحسب الخطة التي وضعها له شوي الكبير، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينفذ فيها عمله بهذه الطريقة المنظمة والمتدرجة. كان لي دونغ باو يعتقد أن شوي الكبير لن يفكر في مشكلة التلوث، إذ إنه يفكر في الأمر بطريقة أشمل من سونغ يون هوي، ولكن شوي الكبير بعد عمله كقائد لكل هذه السنوات بالتأكيد يمكنه التمييز بين المهم وغير المهم، لذلك فقد بدأ في التنفيذ وفقاً لخطته. ففي النهاية هوي الصغير ما زال صغيراً جداً، ولا يفهم الكثير من الأمور.

كان لي تشونغ فو المتعاقد على بركة الأسماك قد ترك العمل هناك، إذ كان قد وظّف بعض الأيدي الخبيرة لكسب مزيد من المال، لذلك أراد استعادة حقوق التعاقد من القرية، إذ رأى أن هذا المبلغ التعويضي غير كافٍ، فطلب من لي دونغ باو العدالة، ولكنه أخبره أن يطيع الجماعة بصفته فرداً منها، وجميع من في شياوليجيا عليهم طاعة لي دونغ باو، وعلى أي حال فالمبلغ التعويضي ليس صغيراً. لم يهتم لي دونغ باو بما إذا كان تشونغ فو موافقاً أم لا، وأصدر أمراً بصيد كل الأسماك دفعة واحدة وتجفيف البركة وردمها. فشعر تشونغ فو بالضيق، وأخذ يتبعه كل يوم مُحدثاً جلبية، فانزعج لي دونغ باو، ولكنه لم يكن بإمكانه أيضاً أن يضربه، إذ

صار مختلفًا الآن عمّا كان عليه في الماضي، فدعا ببساطة شاين لحراسة باب منزل تشونغ فو وعدم السماح له بالخروج. فلم يكن أمام تشونغ فو خيارٌ سوى أن يطلب من زوجته الذهاب بالعقد إلى البلدة وتقديم شكوى هناك.

قال القائد في البلدة إن لي دونغ باو لم يحتلّ بركة الأسماك لبناء منزله الخاص، وإنما ليفعل شيئًا جيدًا لشياوليجيا والأمر سيعود بالفائدة على شياوليجيا كلها، وبالطبع على الفرد أن يطيع الجماعة، والتعاقد قد توفّق بشكل طبيعي، ولأن لي دونغ باو كان ذا ضمير فقد دفع مبلغًا تعويضيًا. لم يستسلم تشونغ فو، وإنما صعد الأمر إلى المحافظة، ولم تكن المحافظة مقتنعة بذلك، فاستدعت لي دونغ باو للحضور والتفسير. حضر لي دونغ باو ولم ينطق بكلمة، وإنما ذهب إلى مكتب تشن بينغ يوان، فعمل تشن بينغ يوان على الفور، وطلب من الشخص المسؤول أن يخبر زوجة تشونغ فو أن طاعة الفرد للجماعة أمر طبيعي، وألا تنسى أن هذه دولة اشتراكية، والمبلغ التعويضي معقول بما فيه الكفاية، لذا لا داعي لإثارة المشكلات دون سبب.

عندما سمع لي دونغ باو هذه الكلمات الأربع «إثارة المشكلات دون سبب»، شعر أنها في محلّها تمامًا، فهو يفعل شيئًا كبيرًا لفرقة شياوليجيا بأكمله، في حين يختلق لي تشونغ فو العقبات لمصلحته الشخصية، والأمر ليس لأنه لم يُعوّض، فحتى بعد التعويض ما زال يختلق العقبات، إنه يثير المشكلات دون سبب حقًا. لو لم يُقسّم أمام قبر سونغ يون بينغ بأنه لن يضرب أحدًا مهما حدث، لكان

قد أوسع تشونغ فو ضربًا بيده ليؤدِّبه، ولما سمَّح للجلبة بأن تصل إلى المحافظة. ومع ذلك، فقد استُعيدت العلاقة بين لي دونغ باو وتشن بينغ يوان. لذلك فقد أرسل إليه علبتين من السجائر الجيدة في اليوم ذاته.

بعد عودته من المحافظة مساءً، استدعى لي دونغ باو جميع أهالي القرية للاجتماع في الساحة، فقد غيّر اسمها من فرقة شياوليجيا إلى قرية شياوليجيا بداية من هذا العام. وقد كلّفهم تغيير الاسم إنفاق المال لتغيير مجموعة من الأختام، ولم يفهم الجميع لماذا كان عليهم القيام بكل هذه التغييرات. كما أن لي دونغ باو كان معتادًا على مصطلح «الفرقة»، لدرجة أنه لم يستطع تغيير الاسم في حديثه لفترة، حتى عند الإعلان عن الاجتماع في مكبر الصوت دعا القرية باسم «الفرقة».

رفض تشونغ فو الحضور، فدعا لي دونغ باو رجلين لإحضاره. كان تشونغ فو يشعر أن هذا الاجتماع سيكون بمثابة اجتماع للنقد والشجار، والهدف من جلسة التوبيخ هذه لم يكن سوى ذلك الرجل المنضبط الذي لا يفعل شيئًا سوى تربية الأسماك.

جلس لي دونغ باو على المنصة مرتديًا بذلة التويد العصرية التي صممها سونغ يون هوي، ولكن الحضور شعروا أنها لا توافق أذواقهم، وكأنها حرير وساتان ملفوفين على كومة من القش، فهي لا تناسبه. فقط لي دونغ باو وحده هو الذي كان معجبًا جدًا بهذه الملابس العصرية المختلفة، لذلك ارتداها خصيصًا لحضور اجتماع اليوم. في حين جرّ الرجلان تشونغ فو إلى أسفل المنصة أمام لي دونغ باو تمامًا.

عندما رأى لي دونغ باو أن معظم الأهالي قد وصلوا، صفع الطاولة بقوة، فساد الصمت على الفور للأسفل. لم يُقل أي هراء، وإنما سأل مُربي الأسماك مباشرة: «تشونغ فو، سأسألك، أليس عمك في تربية الأسماك لكسب المال فرصة قد أعطتها لك فرقة شياوليجيا؟»، فلم يردّ تشونغ فو، وإنما أخذ يحدّق بشراسة في لي دونغ باو، في حين أخذ بعض الجالسين يجيئون بأصوات عالية ومنخفضة: «نعم، بالطبع».

فقال لي دونغ باو بصرامة: «دعوا تشونغ فو يتحدث بنفسه؛ سأعطيك ثلاث دقائق، وإذا لم تقل شيئاً خلالها، فسأعتبرك موافقاً».

لم يردّ تشونغ فو أيضاً، في حين ساد المكان المليء بالحضور الصمت التام لثلاث دقائق. نظر لي دونغ باو إلى ساعته، وبمجرد انتهاء الدقائق الثلاث، قال: «حسناً، أنت موافق. سأسألك ثانية، لقد صارت الفرقة غنية الآن، ويمكنها إنشاء مزرعة خنازير لتمكين مزيد من الأهالي من كسب المال، فعلى أي أساس تحاول منع مثل هذا الشأن الجيد؟».

عندئذ ردّ تشونغ فو بعناد: «لقد صارت الآن قرية، وليست فرقة، هذا أولاً، وثانياً، لم أعتد على أي أساس، وإنما اعتمدت على العقد المكتوب بحروف سوداء على ورقة بيضاء، مدة تعاقدتي خمس سنوات، والآن بعد عامين فقط استعدته مني، إنك لا تفي بوعدك أيها الأمين دونغ باو».

«اللعة، القرية هي القرية. ما دمت مثقفًا هكذا، أريدك أن تجري عملية حسابية، لقد تعاقدت على بركة الأسماك، فكم من المال يمكن أن تحصل عليه القرية في العام الواحد على الأكثر؟ وكم عدد الذين يمكنهم كسب المال في القرية؟ ولكن إذا أنشأت مزرعة خنازير على قطعة الأرض نفسها، فكم سيكون عدد الذين يمكنهم كسب المال في القرية، وكم من المال يمكن دفعه للقرية؟ إن اسم عائلتك لي، فهل فكرت في المسألة بالوقوف على الوضع العام لقرية شياوليغيا؟⁽¹⁾ عندما تناول طعامًا شهياً وتستمع بحياة جيدة، فماذا ستفكر إذا رأيت جيرائك سيكون وينوحون بعد خسارتهم لكل شيء؟ أليس عليّ الاهتمام بأمركم باعتباري الأمين؟ الأمر على مرأى ومسمع من الجميع، لماذا لم تفكر في مساعدة العمدة يانغ جارتك والتي كانت ترعاك؟ سؤاله الأخير، هل حصلت على فائدة لنفسه أنا لي دونغ باو؟».

عندما كان لي دونغ باو يقول شيئاً في كل مرة تقريباً يجيبه شخصٌ بنعم من الأسفل، وبالوقت يزداد عدد الموافقين تدريجياً. وقف تشونغ فو صامتاً، فالتمسك بأي عقد كان سيعني بطريقة غير مباشرة معاداة الشعب، وهل يريد الخروج من منزله في شياوليغيا لاحقاً أم لا. لذا اضطر للبقاء صامتاً.

استمع لي دونغ باو إلى ردود أفعال الجميع لبعض الوقت، ثم نظر إلى تشونغ فو مجدداً فوجد نظرتة قد توقفت عن العناد أخيراً، ومن ثم قال: «تشونغ فو، لقد حادثتك بالمنطق، يمكنني أيضاً أن

(1) شياوليغيا تعني بالصينية عائلة لي الصغيرة.

أستخدم قبضتي معك، ولكنني أفضل محادثتك بالمنطق، وقد حدثتكم أمام الجميع. إنني أرى خسارتك الشخصية، لذا فبال تأكيد عليّ أن أعوضك. ولكنك رأيت بنفسك أنك عندما قدمت شكوى إلى البلدة والمحافظة، لم يدعمك أحد، لأنك لست صاحب حجة قوية. أمّا أنا، لي دونغ باو، فأنا صاحب حجة قوية، لذلك فلن أستخدم قبضتي معك، حتى لا تقول إنني أجبرتكم أيها الرجل الذي يطالب بتوضيح الأمور للفرقة والقرية. اليوم تحدثت إليك بالمنطق وبوضوح، انتهى الأمر، وهذا كل شيء. أأليك ما تقوله؟ لتقل كل ما تريده اليوم».

صمت تشونغ فو قليلاً، ثم قال: «أسيكون كلامي ذا فائدة؟ إنك تريد التخلص من العقد، فما الفائدة من كلامي الفارغ؟».

«اللعنة، أأأكل طعاماً أم قذارة؟ أكلّ هذا كان بلا جدوى بعدما أخذت وقتاً طويلاً لأحدثك فيه بالمنطق؟» في النهاية استشاط لي دونغ باو غضباً.

كان أهالي القرية بالأسفل قد اضطربوا بالفعل، وأخذوا يتهمون تشونغ فو بأنه غير معقول، وليس لديه ضمير، هل كان عليه أن يترك الجميع جائعين حتى تنتهي الخمس سنوات وبعدها تُبنى مزرعة الخنازير. والبعض قالوا أيضاً إنه حتى ولو أُعيدت بركة الأسماك لتشونغ فو الآن، فلن يتركوه ينعم بتربية الأسماك، وسيأتون مساءً ليقتلوا جميع الأسماك. في حين أراد البعض الآخر تهدئة الأمور، ونصحوا تشونغ فو بأن يأخذ المبلغ التعويضي دون إحداث جلبة، وأن يبحث عن عمل جيد في مزرعة الخنازير، حتى يسعى للشراء مع الجميع، وهذا أفضل كثيراً من أي شيء.

عندئذ، صعد شي قن إلى المنصة، وخفف من حدة الأجواء: «استمعوا إليّ جميعاً، واسمعني أنت أيضاً يا تشونغ فو، في البداية عندما فتح الأمين دونغ باو فرن الطوب، كنت أول من عارضه، ولكن فيما بعد أثبتت الحقائق أنه كان على حق. إن خطوات الأمين دونغ باو أكبر من خطواتنا، ولم نكن نفهم في البداية؛ لقد قادنا الأمين دونغ باو لنعيش حياة سعيدة خلال السنوات القليلة الماضية، وغير تماماً ملامح فرقتنا، فرقة العُزّاب، من لا يزال أعزب في القرية بأكملها الآن؟ فقط الأمين دونغ باو وحده. وإنجازاته واضحة أمام الجميع. هناك بعض الأمور التي سيصعب عليك تقبلها في البداية يا تشيونغ فو، يمكنني تفهّمك، فقد كنت مثلك من قبل. دعنا لا نتحدث عن الصواب أو الخطأ، فجميعنا أهالي شياوليغيا، ما من شيء لا يمكن توضيحه بين أفراد الأسرة الواحدة حتى يضطروا للذهاب والشكوى في البلدة والمحافظة. أنت، فلتعدّ إلى المنزل وتفكر جيداً في مصلحة الجميع، ولا تفكر فقط في خططك الخاصة، وعندما تصل إلى حل، تعال إليّ، أو اذهب إلى الأمين دونغ باو. لقد تعلّمت بنفسك مهارات تربية الأسماك وصرت جيداً فيها، كما أن الأمين دونغ باو قد أخبرني أنك شخص ماهر، وطلب مني الاستفادة منك كفتي في مزرعة الخنازير. لو أردت ذلك، فستكون هناك فرصة تنتظرك، نحن بصدد تحديد خمسة أشخاص للذهاب إلى المقاطعة والتدريب على تكنولوجيا تربية الخنازير. ولو لم ترد ذلك، فلدي اقتراح، يمكنك الذهاب إلى مكان آخر للتعاقد على بركة أسماك، وستستمر الفرقة في شراء أسماكك كلوازم لرأس السنة كعادتها، فجميعنا أهالي

شياولييجيا. ما رأيك؟ فلتعد وتفكر مليًا، ولا تصعب الأمور على نفسك دائمًا».

كان تشونغ فو في البداية غاضبًا من نظرية لي دونغ باو عديمة المنطق لدرجة أنه كان سينفجر من شدة الغضب، ولكنه لم يكن يتوقع أن يمد شي قن إليه يده التي تبدو وكأنها لا تحمل ضررًا، فضحك ساخرًا طاردها كل الغضب من جسده، وهذا ليس لأنه اقتنع، ولكن لأنه قد فهم أن لا جدوى من المقاومة. كان محبطًا؛ فقد لعب لي دونغ باو دور الرجل الطيب، ولعب شي قن دور الرجل الشرير، فكيف سيكون له رأي، وكيف سيمكنه أن يستخدم العقد للفتاهم مع كل أهالي القرية. أخفض ناظريه، وأخفض معهما رأسه الذي لطالما رفعه عاليًا. وأمام كل هؤلاء الناس، أراد أن يموت.

وعندئذ، أعلن لي دونغ باو انتهاء الاجتماع، فنزل شي قن من على المنصة وأصرّ على جرّ تشونغ فو للذهاب إلى منزله، وجلسا معًا وتحدّثا طوال الليل، فقدّم له ما يكفي من الإخلاص والاحترام، وأخيرًا هدأ غضب تشونغ فو، ورأى أنه ليس أمامه خيار آخر سوى أن يذهب معهم إلى المقاطعة للتدريب على تربية الخنازير.

في غضون ستة أشهر أو أكثر بقليل، بدأت الخنازير المُدخلة إلى القرية في إنجاب العديد من الخنازير الصغيرة واحدًا تلو الآخر، وذلك بعد تربيتها في ظل مهارات تشونغ فو والآخرين بعد عودتهم من التدريب في المقاطعة. وليست مبالغة عند وصف السلالات الجديدة بأنها ممتازة، إذ كان يمكن لأفضل أنثى خنزير أن تلد في المرة الواحدة ما يصل إلى ثلاثة عشر خنزيرًا، والأردأ

يمكنها أن تلد تسعة خنازير أيضًا، وفي غضون ستة أشهر أو أكثر بقليل، وصل عدد الخنازير في المزرعة إلى ألف خنزير. حتى إن الجميع قالوا إن بإمكانهم سماع الخنازير وهي تصيح بسعادة من بعيد. وصار بإمكان العديد من نساء القرية الحصول على رواتب تكفيهن لتأمين حاجتهن من الطعام، حتى صار بإمكانهن بيع نخالة الأرز للقرية لإطعام الخنازير.

وفقًا للخطة التي وضعها شوي الكبير، كان لي دونغ باو في كل مرة تلد فيها الخنازير يرسل اثنين من أذكى الرجال في القرية للتواصل مع مشتري الخنازير، وفي حالة مصادفتها لشركات أغذية أو مصانع لتصنيع اللحوم، كان لي دونغ باو بنفسه يذهب للتواصل معها ويوقع عقودًا مع كل منها، وما إن تكبر الخنازير الصغيرة، حتى يبيعهما ويكسب المال.

روث الخنازير؟ كان الطلب يفوق العرض. إذ كان أولئك المزارعون المحترفون في زراعة الحبوب والبطيخ يتبعون الرائحة الكريهة وينفقون المال لشراء الروث، وينقلونه بجرار تلو الآخر إلى منازلهم. ولكن مياه الصرف الصحي الناتجة عن مزرعة الخنازير ظلت تُصرف في النهر، وإلا فإلى أين ستذهب.

لكن عملية انتظار حمل الخنازير وولادتها ونمو الخنازير الصغيرة وبيعها بالمال كانت طويلة حقًا، وكادت تستغرق عامًا كاملاً، كانت مزرعة الخنازير تحرق المال، وكل الأموال التي كانت تنفقها مكتسبة من الأموال التي كسبها مصنع الأسلاك الكهربائية

ومصنع الطوب وفريق الهندسة المعمارية ومصنع الخرسانة الجاهزة، إذ كانت تُنفق المال وكأنه مياه جارية بشكل يُحزن القلب. ولكن، لم يُبدِ أحد أيَّ اعتراض، كانوا جميعًا مزارعين ويعرفون جيدًا قيمة الخنزير الواحد، بل ويستطيعون حساب قيمة الخنزير السمين ذي العيون البيضاء بأصابع أقدامهم، بالإضافة إلى رؤيتهم لإناث الخنازير وهي تحمل وتلد مرة أخرى، ومعرفتهم بأن الآلاف من الخنازير الصغيرة ستولد، وهذا كله يعني المال. ولذلك كان الجميع مفعمين بالأمل.

كان تشونغ فو مثقفًا حقًا، إذ كان الأفضل بين الخمسة الذين ذهبوا للتدريب معًا. يُقال إن دائمًا ما يموت خنزير أو اثنين بعد الولادة، ولكن تشونغ فو نجح في التعامل مع معدّل بقاء الخنازير على قيد الحياة بعد الولادة، فحاز على إعجاب العاملين بمحطة التكنولوجيا الزراعية. وبعد أقل من عام، صار الجميع يطيعونه في الأمور التقنية، حتى إن لي دونغ باو عندما عقد اجتماعًا للقرية بأكملها، وقام بتكريم تشونغ فو بتعيينه نموذجًا لتكنولوجيا تربية الخنازير. عند سماع تشونغ فو لكلمة «تكريم» عندما كان واقفًا أسفل المنصة، ضحك ساخرًا، واحتقره جدًّا. وعلى الرغم من أنه كان سعيدًا جدًّا في داخله، إذ كان قد استعاد وقاره أخيرًا خلال هذه الفترة، فإنه لم يكن يبدو سعيدًا عند رؤية لي دونغ باو. ولكن لي دونغ باو لم يكن يهتم بهذه التفاصيل الصغيرة، إذ كان يعطيها لشي قن، وشي قن كان شخصًا سلسًا، ولم يكن تشونغ فو منافسًا له.

في النهاية، لم يعالج لي دونغ باو مياه الصرف الصحي وفقًا لخطة سونغ يون هوي، إذ لم يكن بإمكانه فعل ذلك ماديًا لأن مزرعة الخنازير كانت تستهلك النصيب الأكبر من رأس المال، وكان عليه أيضًا إبقاء بعض المال لسداد المعاشات والنفقات الطبية لجميع مستي القرية.

كان يرغب أصلاً في توسيع نطاق مصنع الأسلاك الكهربائية، وإضافة خط إنتاج جديد، ولكنه لم يكن لديه المال.

لحسن الحظ، كانت الخنازير من سلالة جيدة، ولكل منها اسم أجنبي، مثل دوروك، والزهرة البيضاء الكبيرة؛ وكان تشونغ فو يقدم لها علفًا جيدًا، حتى إن الجميع قالوا إن كل ما تأكله الخنازير يتحوّل إلى لحم، وذلك عند رؤيتهم للخنازير وهي تولد وتكبر، وتتغير يومًا بعد يوم، ويختلف شكلها كثيرًا في الشهر الواحد، وبعدها كانوا ينتظرون لمدة عام كامل من الشقاء حتى تكبر كثيرًا، صار بإمكانها الآن أن تنمو بما يتجاوز النصف كيلوجرام في اليوم الواحد. وبعد فترة طويلة من العمل الجاد، وقبل عيد الربيع، تم ذبح أول دفعة من الخنازير السمينة ذات العيون البيضاء بنجاح، وبيعت بالكثير من المال. وهكذا صار من الممكن توقّع مستقبل أفضل.

إلى هنا، وعلى الرغم من أن تشونغ فو كان غاضبًا من لي دونغ باو، فإنه لم يكن لديه ما يقوله أمام قراراته المتسلطة.

عاد سونغ يون هوي إلى المصنع بعد انتهاء إجازة عيد الربيع، وأخبره مدير القسم الذي كان يعمل فيه بقليل من الحسد إن مكتب تجديد المعدات قد أرسل بالفعل قائمة بأسماء الموظفين الذين سيتفاوضون مع رجال الأعمال الأجانب للمراجعة. وهذه المرة، وبالإضافة إلى ثقل المهمة، فإنها تتطلب أيضًا التعامل مع شركات أجنبية، لذا كانت المعايير عالية والمتطلبات صارمة فيما يتعلق بأعضاء فريق التفاوض بالطبع. فبالإضافة إلى كونهم أقوياء فنيًا، كان عليهم أيضًا أن يكونوا أقوياء سياسيًا، مزيج مزدوج من القوة. ولذلك شكّل المصنع خصيصًا فريق تدقيق لمراجعة شؤون الأعضاء العشرة المكونين لفريق التفاوض، وكان من المقرر أن تظهر نتيجة المراجعة مباشرة بعد عيد الربيع.

عند سماعه لهذا، شعر سونغ بوجود خطأ ما، فقائمة الأسماء صحيحة، وتتضمن أشخاصًا يتمتعون بمهارات تقنية جيدة وقادرين على صنع القرار وإدخاله حيز التنفيذ، ومن بينهم هو نفسه الذي كان قادرًا على إنجاز المهمات وجيدًا في اللغة الإنجليزية، ولكن المشكلة كانت تكمن في القوة سياسيًا. فخلفيته العائلية لديها ملف في السجلات، هل يمكن أن تُثار القضية القديمة بعد المراجعة الصارمة؟ وحتى لو لم تُثر القضية القديمة، فإن مسألة اعترافه بشيون جيان شيانغ كصديق أثناء عملية تصحيح الحزب لم تنتهِ حتى الآن، فكيف ستُعتبر هذه قوة سياسيًا؟ دائمًا ما كان سونغ يشعر أن احتمال اجتيازه للمراجعة ضئيل جدًا، حتى ولو لم

يكتشف فريق المراجعة هذا الأمر، فمن الصعب ضمان عدم كشف بعض الغيورين له ومهاجمته به.

عندما فكّر في المواجهة الفنية مع الأجنب والتي طال انتظارها، بدلاً من الزيارات المنزلية السطحية التي أجراها في بكين، وعندما فكّر في أن هذا الأمل قد يتلاشى كالفقاعة بسبب أدائه في اجتماع تصحيح الحزب، أملت بقلبه مشاعر مختلطة. فتجراً ونظر في داخله، ورأى بوضوح كلمة باهتة، وهي «الندم». وأدرك أن مثل هذه المسألة الصغيرة تحتاج فقط إلى الاعتراف بخطئه أمام المنظمة، ولن تكون بمثابة مسألة كبيرة أبداً.

ظلت المخاوف تصارع سونغ يون هوي لثلاثة أيام، ولكنه لم يتخذ أي إجراء. وفي اليوم الثالث، أُصدِرَت نتيجة المراجعة، وحُذِفَ شخصٌ من العشرة، وكان هذا الشخص غير المحظوظ هو سونغ يون هوي، والسبب في هذا كان قضية تصحيح الحزب. وبعد ذلك، رُشِّحَ يوي شان تشينغ ليكون الشخص العاشر بسبب قوته الفنية وإمكاناته الشبابية ومهارته في اللغة الإنجليزية. تظاهر سونغ وكان شيئاً لم يكن أمام الجميع، ولكنه اضطر للابتسام بمرارة خلفهم، إذ كان عليه التفكير من قبل في مسألة التفاوض مع الأجنب أثناء عملية تجديد المعدات، وكان عليه التفكير أيضاً في المتطلبات الصارمة للانضباط الصارم في الشؤون الخارجية بشأن الملامح السياسية للمشاركين في المفاوضات، ربما حسب يوي شان تشينغ حساب هذه النتيجة سلفاً حينما لم يكن يبالي بنظرات الناس إليه، وأسرع في طرح الموضوع للنيل من سونغ يون هوي؛

هل يكون يوي شان تشينغ قد نال تلميحا من كبير المهندسين ليو؟
يوي شان تشينغ ذلك الرجل، لقد كان على علم مسبق باحتمالية
عقد مفاوضات مع مجموعات الأعمال الأجنبية، فلم لا يُجرب
الأمر؟ فكّر سونغ يون هوي في أن كل هذا بسبب إهماله، فقد
أعطى الفرصة ليوي شان تشينغ. ولكن، هذا كل ما يمكن فعله،
ومن يسعى للفضيلة حق سعيها يجدها.

عندما رأى الأمين شوي النتيجة، استشاط غضبا، لكن لم يكن
بيده حيلة، فالانضباط في الشؤون الخارجية صارم وغير عادي،
وأحيانا لا يمكنه أيضا أن يدعم شخصا واحدا، فهذا سيكون
واضحا جدا. علاوة على ذلك، فإن ما تركّز عليه هذه المفاوضات
بصفة رئيسة هو الناحية التقنية، وتحتاج بشكل أكبر إلى الاعتماد
على كبير المهندسين ليو، ومن الواضح أن يوي شان تشينغ سيكون
صهر كبير المهندسين في المستقبل، لذلك فلن يكون من المناسب
أن يتدخل الأمين شوي ويسحب يوي شان تشينغ إلى أسفل خوفا
من إهانة الشخصية الرئيسة في الموضوع. ولكنه كان غاضبا من
سونغ لكونه عديم الفائدة، وأراد أن يعترف هو على نفسه، فدعاه
ببساطة، وأخذ يحدث فيه وهو داخل من الباب بوجه شرس، وبعد
قليل، سأله بصوت منخفض سؤالا قصيرا: «ما الأمر بينك وبين
رجل العصابة ذاك؟»

هذه المرة، توقّف الأمين شوي عن التوبيخ، وأخيرا أعطاه
الفرصة للتحدّث، فأسرع سونغ يون هوي بالرد: «إنه ليس رجل
عصابة، يا سيادة الأمين شوي، ليس أنا فقط، بل الكثير من العاملين

بالورشة يشعرون بالأسى تجاه شيون، وجميع من تعاملوا معه يعرفون أنه رجل شهيم حقًا. فهو من عزّفتني على بيئة المصنع عند مجيئي إلى هنا للمرة الأولى، وهو من كان يوصلني بدراجه إلى العمل ومنه متحدّيًا الرياح والأمطار عندما كنت أعمل بنظام المناوبات، وحتى ذلك اليوم الذي وقع فيه بمشكلة، كنت أعمل وقتًا إضافيًا ورجعت متأخرًا جدًّا متوقّعا أنني سأموت جوعًا، ولكن بعدما عدت إلى الغرفة، وجدته قد أعدّ لي الطعام بالفعل.

لقد تشاجر هذه المرة بسبب فتاة تعمل في المطعم، إذ كانت تجمعها بها علاقة حب. لقد سمعت أن أحدهم في تلك الليلة قد أساء إلى تلك الفتاة في المطعم، فلم يتحمّل شيون جيان شيانغ هذا وأثار جلبة. ولكنني لم أفهم قط لماذا لم يكن لديه دائمًا أي أمل في المستقبل هو وأذن الدب وأولئك الذين يتشاجرون دائمًا، وإنما يعيشون اليوم بيومه فقط. من الواضح أنهم أشخاص حريصون على مساعدة الآخرين، ولكنهم يرتدون قمصانًا مزينة بالزهور وأحذية من جلد البقر الميت ويتحدّثون ويتصرّفون بغرابة ولا يشعرون براحة إلا إذا دفعوا الآخرين لكرههم، لطالما شككت في أنهم قد فقدوا الأمل في أنفسهم، إذ اعتاد أصدقاء شيون المجيء إلى غرفتي، ولم يكونوا يزعجونني إذا ما رأوني أقرأ أو أفعل شيئًا، فهم عقلاء جدًّا. وكثيرًا ما كنت أتحدّث معهم، لست ناضجًا بما يكفي للتحليل، ولكن هناك عدة أسباب لسلوكهم الغريب، الأول هو عملهم يوميًا في نظام المناوبات، فوفقًا لما قالوه، فإن حياتهم اليومية تتمحور حول النوم، وعادة ما يكون الشخص الذي لا ينام جيدًا سيئ المزاج، والثاني هو أن المصنع الرئيسي ينصّ على

أن الزوجين الذين يعملان في المصنع فقط هما الذين يمكنهما الحصول على شقة خاصة بهما، وعدد الفتيات في مصنعنا قليل جدًا، ومعظمهن من أبناء العاملين بالمصنع، لم يستطع شيون جيان شيانغ وأصدقاؤه العثور على حبيبة، كما أن مصنعنا بعيد عن المدينة، لذا فإن احتمالية تعاملهم مع فتيات أخريات ضئيلة جدًا، وجميعهم متقدمون في السن ويقربون من الثلاثين، وحتى لو لم يقولوا هذا، فهم مكتئبون حقًا، والثالث هو أنهم يعملون بطريقة روتينية كل يوم، ولا يرون أي تغيير، وعندما يخرجون لا يرون سوى عشرات الآلاف من العاملين بالمصنع، وبالنسبة لشاب نشيط، فهذا قد يكون مقيدًا جدًا، وهذا ما أعتقده، لأنني عندما تحدثت معهم عن تحديث المعدات بالورشة، كانوا متحمسين جميعًا، بل وقدموا اقتراحات إيجابية أيضًا.

قد يشعر الذين لا يعرفونهم أنهم وحوش فظيعة عندما يرونهم مرتدين تلك القمصان، ولكن من يعرفونهم سيعرفون أنهم ليسوا سيئي الطباع. لقد أردت حقًا أن أساعدهم في الخروج من مصيبتهم، ولكن ما باليد حيلة. وأكثر ما كنت أستطيع فعله هو تذكيرهم كالمراة العجوز بعدم الشجار وقت خروجهم، ولو عادوا بعد الشجار بالفعل، كنت أساعدهم في معالجة جراحهم. لا أجرؤ على تخيل صورتهم بعد عودتهم من السجن لعشر سنوات، ولو مضت أسعد لحظاتهم خلال تلك السنوات العشر، فكيف يمكنني تحمل إدانتهم على أخطائهم الماضية، أو أن أتبع أولئك الذي لا يعرفون الحقيقة ويطلقون عليهم رجال عصابات. في الحقيقة، كان يوي شان تشينغ يعرف هذا أيضًا، ولكن ربما لأنني ذهبت إلى

الورشة مباشرة بمجرد مجيئي إلى المصنع، فقد أصبحت علاقتي بهم أفضل».

في البداية كان الأمين شوي عابسًا غير راغب في الاستماع، ولكن فيما بعد صارت نظرتَه أكثر تركيزًا، حتى إنه كان يحدّق في سونغ يون هوي دون أن يرف له جفن. وبعدما انتهى سونغ يون هوي من كلامه، فكّر الأمين شوي قليلاً، ثم سأله: «ألدك شعورٌ بالتقيّد أيضًا في المصنع؟».

«إن مستواي الثقافي أعلى قليلاً، لذا يمكنني إثراء حياتي الفكرية، بل وأظنّ أن الوقت غير كافٍ لما أريد فعله. ولكنهم مختلفون؛ فحياتهم الفكرية تحتاج إلى الإثراء من العالم الخارجي، وفي الليل لا يفتح قصر ثقافة العمّال سوى غرفة المطالعة، ولكنهم لا يحتاجون إلّا للسينما والعشاء والشراب فقط. هل يمكنهم ألاّ يثيروا المتاعب بعد احتساء الشراب؟ في الحقيقة هناك الكثير من هؤلاء موجودون في الغرف الجماعية، وشيون جيان شيانغ وأصدقاؤه ليسوا استثناءً. وكلّما زاد عدم تفهّم الآخرين لهم، زاد احتقارهم لهم، وزاد عداؤهم للآخرين».

«ولكنهم ليسوا أطفالاً، فهم كبار...».

«ولذلك فهم يحبّون مشاهدة مسلسل «غوريالات غاريسون»، فحتى اللصوص في المسلسل يمكن احترامهم، ويأملون أيضًا في استخدامهم من قبل زعيم مثل هذا».

«هل هناك أي وسيلة لتحفيزهم؟ فلتعدّ وتفكّر جيدًا، إن العمل مع الشباب يمثل مشكلة في الحقيقة، فقبل ستين أو سبعين عامًا تم

حشدهم أكثر مما ينبغي، والآن لم يعودوا يحصلون على الاهتمام الكافي، يمكنك أن تكتشف هذه المشكلة جيدًا جدًا. ولكن، فحتى ولو لم تُتَّح لك فرصة المشاركة في هذه المفاوضات مع رجال الأعمال الأجانب والسفر إلى الخارج للبحث، عليك أن تعدّل طريقة تفكيرك، وألا تفقد الأمل في نفسك مثلهم. تفضّل».

وافق سونغ يون هوي على الخروج، فقد شعر براحة كبيرة بعد توضيحه الأمور للأمين شوي، ولكنه عندما فكّر في ضياع فرصة المشاركة في المفاوضات، وأيضًا ضياع فرصة السفر، شعر باكتئاب شديد؛ إذ كان السفر إلى الخارج شيئًا لطالما حلم به طوال سنوات عدة، ولطالما راود خاطره منذ سفر ليانغ سي شن إلى الخارج. يا للأسف، حقًا يا للأسف. فلم يعد بوسع التلميذ إلا أن يصرخ دون جدوى.

5

في نهاية الأسبوع، حضر زفاف أحد الزملاء من قسم التكنولوجيا الحيوية. وكان العريس والعروس كلاهما من أبناء العاملين بالمصنع، لذا كانا ثريين، وأنيقين، فأصرّا على الذهاب إلى حجز مطعم بالمدينة لإقامة مأدبة الزفاف، فاضطر الجميع إلى الذهاب بدراجاتهم. لم يكن من الممكن ارتداء ملابس العمل في مأدبة الزفاف، لذلك لم يسع سونغ يون هوي سوى ارتداء سترة التويد الزرقاء الداكنة التي صممها بنفسه وصنعتها أمه، ولم يكن لديه مرآة، لذا لم يعرف أيضًا كيف يبدو. مشط شعره وخرج، ولكن

في منتصف الطريق كانت الرياح قد أفسدته. وجميع من رأوه من
الزملاء قالوا إن هذا الفتى وسيم، وإنه كان يخبئ وسامته في الأيام
العادية. فكان يبتسم ويمرّ.

بعد انتهاء المأدبة، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً
بالفعل، وكانت الليلة الشتوية مظلمة للغاية. أخذ الجميع يودّعون
العروسين تباغاً، في حين أوقف العريس سونغ يون هوي فجأة،
وأشار إلى فتاة شابة تقف بجانبه تدعى تشنغ كاي يان، وطلب منه
المساعدة في إعادتها. فوافق سونغ يون هوي، ورأى تشنغ كاي
يان تلك مستديرة الوجه، ومستديرة العين والفم، وحتى مستديرة
الأصابع، فبدت مضحكة جداً.

ودّع سونغ يون هوي زميله العريس مرة أخرى، ولكنه رأى
الجميع يضحكون بطريقة غريبة، هل يمكن أن تكون هذه خدعة
أخرى للتوفيق بينه وبين فتاة؟ لماذا لا يبتكرون بعض الخدع
الجديدة، كل مرة يطلبون منه توصيل فتاة بدراجته، لا يوجد أي
ابتكار على الإطلاق. عندما نظر إلى تشنغ كاي يان، رآها تنظر إلى
العروس بوجه ساخر مغرور، وعندما رأت سونغ يون هوي ينظر
إليها، أسرعت بالتخلي عن الابتسامة، وسعلت مُحرجة، واحمرّ
وجهها. لم يدرِ سونغ يون هوي ما إذا كان عليه الضحك أم البكاء،
فما ذلك الشيء الذي أعطاه زميله إياه؟ فالفتاة صغيرة لم تكبر بعد.

بعد قليل، انطلقا مع الجميع في طريق العودة إلى المصنع،
وبمجرد أن ركبت تشنغ كاي يان الدراجة، اشتم سونغ يون هوي
رائحة قوية تُهيج الأنف، فأسرع بالدراجة وكأنه يطير حتى لا يختنق.

وبعد فترة طويلة من الانطلاق، لم ينبس سونغ يون هوي ببنت شفهِ، وهكذا تشنغ كاي يان الجالسة خلفه أيضًا. حتى وصلا إلى منتصف الطريق تقريبًا، عندئذ تحدّث تشنغ كاي يان وقالت: «جميعهم يقولون إنك طفل معجزة يا سونغ الصغير، وإنك استطعت الالتحاق بالجامعة دون الدراسة بالمرحلة الثانوية، إنه لأمر مذهل حقًا».

كان صوت تشنغ كاي يان تمامًا كمظهرها، مستدير ورقيق، وإذا ضغطت عليه بإصبعك، فستشعر وكأنه حلو وناعم. شعر سونغ يون هوي بالحرج من عدم الإجابة، ولكنه تكاسل عن التحدّث كثيرًا: «لا يوجد شيء مذهل في هذا».

«ولكنك لم تدرس بالمرحلة الثانوية؟»

«لقد درستها بنفسى حقًا». فجأة لاحظ سونغ يون هوي وجود خطأ ما، فلماذا قال «حقًا» هنا.

«لا عجب في أنك لم تتعلم على يد أحد بعد دخولك المصنع، ومع ذلك فإن مهاراتك جيدة حقًا. جميعهم يقولون إن الميكانيكيين يتصلون بك مباشرة في حالة مواجهة أي مشكلة في الورشة، أليس كذلك؟».

«وماذا يقولون أيضًا؟» لم يكن سونغ يون هوي راغبًا في الإجابة على هذه الأسئلة السخيفة، فأراد استخدام هذا لقطع أسئلة تشنغ كاي يوان.

ولكنه لم يكن يتوقّع أنها لن تفهم التلميح وستستمر: «يقولون أيضًا إنك صديق جيد، ومخلص، ولو كنت موجودًا قبل التحرير،

لما استطاعوا إخضاعك حتى باستخدام ماء الفلفل وكرسي النمر⁽¹⁾».

لم يكن سونغ يون هوي يتوقع أن يكون هذا هو تقييم الناس العام لدعمه شيون جيان شيانغ، إذ كان يظن أن جميعهم يعتقدون أنه متواطئ مع رجل عصابة. فضحك ضحكين قصيرتين، وعاد للتكاسل عن التحدث. وبعد دخول مصنع جينتشو، كان أكثر ما يزعجه هو تجمُّع كل العاملين على القيل والقال، وكيف تمكَّنوا أيضًا من المجادلة مع تشنغ كاي يان التي بدت جاهلة بشكل واضح.

ظَلَّت تشنغ كاي يان طوال الطريق تحاول فتح مواضيع للمحادثة، ولكن سونغ يون هوي كان يتظاهر بعدم سماعها، وتدرّجًا اضطرت لأن تصمت في النهاية. ظلَّ سونغ يون هوي شخصًا جيدًا حتى النهاية، حيث أوصلها إلى باب منزلها، والذي كان يبدو أنه يقع في منطقة مباني منازل المديرين. قفزت تشنغ كاي يان من على الدراجة، ثم استجمعت شجاعته وقالت: «لقد أتسخ مندليك عندما مسحت المقعد الخلفي من أجلي، ما رأيك في أن أغسله وأعيده لك؟».

فزع سونغ يون هوي لدرجة أنه قال بسرعة: «لا داعي لا داعي»، وقفز على الدراجة وانطلق مبتعدًا. تغسل المنديل؟ أليس هذا كرواية الفتاة والباحث؟ مخيف. وعندما استدار لينظر إلى تشنغ كاي يان مرة أخرى، رآها ما زالت واقفة في الطريق،

(1) طرق قديمة للتعذيب.

فاضطر للعودة إليها، وقال لتشنغ كاي يان التي غمرتها الفرحة: «فلتصعدي أولاً، وأنا هنا في الأسفل، لَوحي لي بعدما تدخلين غرفتك. اصعدي بسرعة».

ابتسمت تشنغ كاي يان فرحة وتدللت قليلاً، ثم صعدت. وبعد قليل، أخرجت رأسها من نافذة في الطابق الثاني، وقالت بصوت عالٍ في الأعلى: «أشكرك، فلتعد مبكراً. تصبح على خير». وقبل أن تُنهي كلامها، خرج رأسان آخران من النافذة، ففرّ سونغ يون هوي مذعوراً.

ولكنه لم يكن محظوظاً بما يكفي، فأثناء هروبه بسرعة، لحق بدراجة أخرى من دون قصد، فاستوقفه ذلك الرجل، واتضح أنه يوي شان تشينغ. ووسط الرياح الباردة القاسية، كانت ابتسامة يوي شان تشينغ وكأنها تعبر الفصول لتبلغ الربيع قبل أوانه. فاضطر سونغ يون هوي لإبطاء دراجته، وقادا دراجتهما جنباً إلى جنب. وفجأة سأله يوي شان تشينغ: «هل أنت من الريف يا سونغ الصغير؟ هل نشأت في الريف؟».

لم يعرف سونغ يون هوي القصد من السؤال، فسأله بفضول: «هل تتعلم قراءة الطالع؟ أحسنت». فضحك يوي شان تشينغ: «لست أنا، إنها تشي مينغ، إذ قالت إنك من الريف بالتأكيد، لذلك فأنت تقوم بأي شيء على نحو غير عادي من الاجتهاد، ووضعك حقاً... حقاً، هاها، قوي».

فكّر سونغ يون هوي، ما الجيد في هذا، ذات مرة علّقت زميلة مدللة في الكلية عليه وعلى زملائه الآخرين القادمين من الريف،

قائلة إنهم طموحون جدًا، ولكن وضعهم غير رشيق وغير هادئ على الإطلاق، وليسوا كالأسود الرابضة بين الزروع وتستعد للهجوم، وإنما كالذئب ذات العيون الحمراء التي تستعد دائمًا لاختطاف الطعام. على الرغم من أن عائلة ليو قد شهدت صعودًا وهبوطًا أثناء الحركة، فإن ليو تشي مينغ تظل في النهاية فتاة مدللة. غضب سونغ يون هوي داخليًا بشكل غير عادي، ومع ذلك فقد تظاهر بالابتسام وقال: «هل أتيت لتوك من منزل كبير المهندسين ليو؟ يبدو أنك تستعد للزواج؟».

«مبكرًا، مبكرًا، هاها، لا داعي للاستعجال. وأنت، من أي منزل فتاة خرجت لتوك؟». ضحك سونغ يون هوي قائلاً: «لقد كنت عاملاً فقط، ولم أدخل من الباب ولم أشرب الشاي. أوه، عندما ذكرت الريف، تذكرت تلك المرة التي جاءت فيها صديقتي الصغيرة في الصيف الماضي، هاهاها».

شعر يوي شان تشينغ بقليل من الحرج عندما تذكر تلك المرة التي انزعجت فيها ليو تشي مينغ وبكت على يد ليانغ سي شن، بالإضافة إلى أن ليانغ سي شن حينها قد سبته بالمنحرف باللغة الإنجليزية، حتى إنه لم يعرف معنى هذه الكلمة العامية إلا عندما بحث عنها في القاموس بعد عودته، وللحظة لم يستطع الحفاظ على غروره، فغيّر الموضوع على الفور، واستمر في السيطرة على الموقف: «الأسبوع المقبل، علينا الذهاب معًا إلى شانغهاي لأخذ المقاسات وتجهيز البدلات، ولو كانت المعدات التي ستفاوض عليها في الولايات المتحدة، فسيمكنني أن أساعدك في أخذ شيء لصديقتك الصغيرة تلك».

شعر سونغ يون هوي وكأن سكينًا يخترق قلبه، فقال بفتور:
«لقد أتت جهودك بشمارها أخيرًا يا يوي الصغير».

فضحك يوي شان تشينغ ضحكة ساخرة غير عادية، إذ كان بالطبع يعلم ما وراء كلام سونغ يون هوي، ولكن ما الهدف من التظاهر بالطيبة كمن يخفي إبرة في كرة من القطن؟ فعلى أي حال، الفرصة تخصه بالفعل، المفاوضات، وحتى السفر إلى الخارج، لبضعة أيام، سيمكنه التعامل مع أعلى القيادات من قرب، وحينها أي شيء سيكون من الصعب أن يحصل عليه؟ لذلك، لم يكن هناك داعٍ لإخفاء أي شيء أمام سونغ يون هوي، بل وفكر مفتخرًا في أنه قد حصل على كل شيء بجهوده الذاتية، حتى إن وضعه أيضًا صار جميلًا جدًا.

عاد سونغ يون هوي إلى غرفته، وأخذ يتقلب في الفراش غير قادر على النوم، شاعرًا بحرارة في كل جسده، حتى في مثل هذا الطقس البارد، أخرج كلتا يديه من اللحاف وأمسك رأسه وأخذ يفكر، ولم يشعر بالبرد على الإطلاق. فقد ظلّ يفكر في سؤال: ألم يعف الزمن على تلك المقولة التي يسمعا كثيرًا منذ طفولته «لا تكن لديك نية لإيذاء الآخرين، ولكن عليك الحذر منهم»؟

في اليوم التالي عندما ذهب إلى العمل، كان الجميع ما زالوا يتناقشون في هذا الأمر، حتى إن البعض أشاروا إلى أن يوي شان تشينغ لو لم يقمع سونغ، لكانت الفرصة من نصيب سونغ. شعر سونغ بالصداع بعد سماعهم، وتمنى ألا يقولوا شيئًا. ولكن كيف للزملاء ألا يقولوا شيئًا، فقد أصبح لدى جينتشو أخيرًا مثل هذا

الحدث الكبير للحديث عنه بعد سنوات عديدة. في ذلك اليوم، شعر سونغ وكأن اليوم يمرّ عليه كسنة، فهرب إلى غرفة المطالعة بالمكتبة باحثًا عن الهدوء. وعند مروره بجانب ليو، كان يبدو طبيعيًا.

في المساء، كان سونغ يون هوي مستلقيًا على السرير يقرأ كتابًا بعد العشاء، وحينها أتت تشنغ كاي يان. يبدو أن سونغ يون هوي كان لديه حس غريب، أو يمكن القول بأنه كان ينتظر مجيئها. كان مهذبًا ولكنه لم يستقبلها بحرارة أيضًا، فلم يُحضر كوبًا من الماء للفتاة الصغيرة إلا بعد تسخينه أولاً. وبعد قليل، امتلأت الغرفة برائحة قوية.

لذلك شعرت تشنغ كاي يان بقليل من التوتّر، إذ كان لديها الشجاعة الكافية لتأتي إلى هنا، ولكن لم تكن لديها الشجاعة الكافية لترفع رأسها إلى أعلى. فأمسكت بعلبة طعام مصنوعة من الألومينيوم ووضعتها أمامها. ثم سألتها سونغ يون هوي: «كيف عرفتِ أنني أسكن هنا؟».

«سألت الزملاء، وعرفت بمجرد أن سألت». لم يكن هناك داع لمواجهة الرياح الباردة في هذه الليلة، لذلك كانت تشنغ كاي يان تتحدث بصوت هادئ ورقيق.

«أوه، صحيح، جميع زملائك من أبناء العاملين بالمصنع. هل تعرفين ليو تشي مينغ؟ ابنة كبير المهندسين ليو؟».

«بالطبع أعرفها، إنها زميلة أخي في الدراسة». لم تستطع تشنغ كاي يان منع نفسها من النظر لسونغ يون هوي بنظرة حذرة، «وأنت هل تعرفها أيضًا؟».

«بالطبع، فأنا أذهب إلى المكتبة كثيرًا، وألتقي بها كثيرًا. إنها فتاة هادئة وجميلة جدًا».

«ولكنها الآن على علاقة بيوي شان تشينغ الذي يعمل بقسم التكنولوجيا الحيوية، يوي شان تشينغ ذاك الذي دهسك. ألا تعلم؟ إنها بغیضة جدًا، لقد تحالفت مع يوي شان تشينغ ووالدها ليدهسوك، يقول أبي إن الفرصة كانت لك بالتأكيد. دعك منها».

لم يستطع سونغ يون هوي منع نفسه من الضحك، وقال: «إنها تدخل وتخرج مع يوي شان تشينغ، وجميع من في السكن يعرفون هذا. ألم يفقد والدها السلطة قبل فترة؟ حينها أتت ليو تشي مينغ إلى غرفة يوي شان تشينغ لتبحث عنه، ولكنه كان يختبئ منها في كل مكان، إلى أن استعاد كبير المهندسين ليو منصبه، وعاد الاثنان معًا. لقد رأينا هذا جميعًا».

«حقًا؟» وبمجرد الوصول إلى هذا الموضوع، لم تعد تشنغ كاي يان مقيدة، ولكنها صدمت بما قاله سونغ يون هوي، وحدقت بعينها فبدتا مستديرتين.

«لا تخبري أحدًا، ولكن ليو تشي مينغ فتاة رقيقة جدًا، لقد تعاطفنا جميعًا معها، ولم نكن لتتحمل رؤية شخص مثلها حزين. أليس لديك محاضرات اليوم؟».

لم تقل تشنغ كاي يان شيئًا، وإنما أخذت تحدق بصرامة فيه، ومن داخلها تشعر بالاشمئزاز الشديد من تعاطفه مع ليو تشي مينغ، وبعد فترة، ابتسمت عنوة وقالت: «ليس لدي محاضرات اليوم،

غداً. أشكرك على توصيلك لي مساء أمس، تقول أمي إنك شخص مسؤول والجميع يشهدون لك، فقد أوصلتني ولم تغادر إلا بعدما انتظرتني حتى أصعد. لقد أرادت أن تأتي بنفسها لتشكرك، ولكنني لم أسمح لها بالمجيء حتى لا أخيفك. أنا...» قدّمت تشنغ كاي يان العلبه إلى سونغ يون هوي، «لقد أعددت فطيرة لحم مع البيض المطهوه على البخار، تقول أمي إن الطعام ليس جيداً في المقصف... حسناً، عليك أن تقبل هذا، فهذه طريقتي في شكرك».

لم يرفض سونغ يون هوي، وإنما فتح علبة الطعام، فوجده طعاماً مطبوخاً بالبخار في العلبه، وعليه بيضتان صفراوان، ورائحته شهية جداً. فضحك وقال: «شكراً لوالدتك، أعتذر منك، ولكنها مجرد خدمة، لم يكن هناك داعٍ لأن تطبخي لي طبقاً. يبدو لذيذاً، هل يمكنك الطهي؟».

رفعت تشنغ كاي يان إصبعها بصراحة وقالت: «لا أعرف سوى طهي هذا الطبق فقط، وأخي ساعدني في تقطيع اللحم المفروم».

نظر سونغ يون هوي إلى وجهها الخجول البريء، وضحك بصدق لأول مرة في هذا اليوم: «إنني ماهر جداً في الطهي، ولكن لا يمكنني استخدام مهاراتي هنا». كان مزاجه جيداً، فنهض وأحضر عيدان تناول الطعام الموضوعه على الرف، وعاد ليتذوق فطيرة اللحم مع البيض المطهوه على البخار، وكان مذاقها جيداً، «حين يُزهر عُصن بزهره واحده فقط، فبالأكيد ستكون في أبهى صورة. وفطيرة اللحم مع البيض التي تصنعينها جيدة أيضاً، فكل مجال له المتخصصون فيه».

«ولكن لماذا أشعر وكأنك تسخر مني؟» بدت تشنغ كاي يان غير مقتنعة.

لم يستطع سونغ يون هوي منع نفسه من الضحك مرة أخرى، إذ كان شكها معقولاً جداً، ولكن من الواضح أنها كانت تعرف نفسها جيداً، إنها مضحكة حقاً. «على الرغم من أنك لا تستطيعين سوى طهي طبق واحد، ولكنك تطهينه بشكل جيد جداً. مثلي تمامًا، فأنا جيد في المجال التقني، ولكنني فاشل كإنسان. لن ألقى بما في هذه العلبة، فمن المؤسف أن تُلقي بيضتان كاملتان، سأعيدها إليك بعد تناول ما بداخلها. أين تعملين؟ سأوصلك إلى العمل عندما يحين الوقت».

سألته تشنغ كاي يان بدهشة: «ألا تعرف من أنا حقاً؟ لقد تحرّرت يوي شان تشينغ عني بالتفصيل منذ البداية، وقد أزعجته. أنت لا تعرف من أنا، ومع ذلك أوصلتني إلى المنزل مساء أمس؟».

على الفور تذكر سونغ يون هوي أن يوي شان تشينغ بعد وصوله مباشرة حاول ملاحقة ابنة تشنغ مدير المصنع الفرعي الخاص بصيانة الآلات، ثم تذكر مبنى منزل المدير، فلم يستطع إلا أن يقول: «إنها أنت؟».

«لقد ظننت أنك تعرف منذ فترة طويلة، إنك إنسان مميز حقاً، فقد ظنّ الجميع أنك شخص انتقائي جداً وأنت تحقّر جميععاملات في المصنع، ولكن اتضح أنك لم تنظر إليهن مطلقاً. هل تكتفي بالتحديق في الكتب كل يوم؟».

«نعم، لذلك فأنا أعرف ليو تشي مينغ أكثر من أي شخص آخر».

عندئذ اغتمّ وجهها، وأخبرها حدسها بسؤال ما: «لعلك تحب ليو تشي مينغ كثيراً؟ لماذا تتحدث عنها دائماً؟».

«نحن العُزّاب جميعنا نتحدّث عنها، ما المشكلة؟».

فقالت بقليل من الحزن: «لا شيء، فقط أسأل. سأغادر. عليّ العودة قبل الثامنة». نظر سونغ يون هوي إلى ساعته، فوجدها الثامنة إلا الربع. فنهض قائلاً: «سأوصلك، هل أتيتِ بدراجتك اليوم؟». وعلى الفور امتلأ وجهها بالفرح والسرور، وابتهجت قائلة: «حقاً؟ ستوصلني؟ لقد أتيت بالدراجة، ولكنني لا أستطيع القيادة ليلاً...».

«إذا لتعودي على مهل. ولكن عليك أن تخبريني بمكان عملك، فسأشعر بالحرص لو أخذت أتجوّل وأسأل عن مكان عمل ابنة مدير المصنع تشنغ».

«أنا أعمل في الإحصاء التابع لإدارة النقل والتسويق، لقد درست المحاسبة في الجامعة المفتوحة. سونغ... هل ستأتي للبحث عني حقاً؟».

نهضت تشنغ كاي يان، وقد احمرّ وجهها. عند مجيئها كانت تتلو النصوص البوذية، وكان أكثر ما تتمناه ألا يعيد إليها سونغ يون هوي علبة الطعام على الفور، وإنما يعيدها إليها في وقت آخر، حتى تكون هناك فرصة أخرى، كانت تأمل حقاً أن يعيد سونغ يون

هوي العلبة إلى منزلها، ولكن من الجيد أيضًا أن يعيدها إليها في مكان عملها، نفس الشيء، نفس الشيء.

لم يُجب سونغ يون هوي، وإنما عبّر عن التأكيد بالابتسامة. عندما أوصلها إلى أسفل المنزل، صادف بعض الأشخاص، فنظروا جميعًا إليهما، واتضح من نظراتهم فهمهم للأمر. لم يكن سونغ يون هوي بحاجة للتخمين، إذ كان متأكدًا تقريبًا من أنه عندما يرافقها إلى المنزل، سيقول الجميع غدًا إنهما قد وقعا في الحب، ولذلك ظلّ طوال الطريق ينظر إليها، وينظر إلى السماء، شاعرًا وكأن الأمر مضحك. ألا يحب العاملون في جينتشو الثرثرة والقبل والقال؟ حسنًا، فقد خطط لإثارة غيرة تشنغ كاي يان، حتى تنشر كلامًا غير لائق عن يوي شان تشينغ؛ فأبناء العاملين بالمصنع هؤلاء لديهم دائرة تبادل ثرثرة ثابتة ونشطة، ومن السهل جدًا أن تقوم تشنغ كاي يان الغاضبة بتشويه العلاقة بين ليو تشي مينغ ويوي شان تشينغ أمام صديقاتها، كما أن تلك العلاقة بينهما يمكنها جدًا إشباع رغبة الآخرين في الشماتة، وهذا النوع من النميمة ينتشر بأسرع ما يمكن. لماذا سيقلق من عدم سماع كبير المهندسين ليو لهذا الأمر؟

فقط تشنغ كاي يان وحدها هي التي كانت تشعر وكأنها ستطير من الفرحة، وتتمنى ألا ينتهي طريق العودة. ولكنها كانت تشعر بغصة في قلبها أيضًا كلما تذكرت ليو تشي مينغ. لذلك كان عليها أن تحث ليو تشي مينغ على الزواج بسرعة حتى لا تشغل بال سونغ يون هوي. كان الحل الذي فكّرت فيه هو أن تنشر الأخبار في كل مكان، وتطلب من ليو الزواج مبكرًا حتى تُسرّع بإنجاب الأبناء

وربط يوي شان تشينغ أثناء تولي كبير المهندسين ليو لمنصبه لمدة عامين، وإلا فقد يعدل يوي عن قراره بعد العامين. وسرعان ما انتشرت هذه الأخبار في جيتشو كالنار في الهشيم.

بالنسبة للوالدين الذين كانا قد مرّا بما يكفي من التقلبات في الحركة الماضية، فكانا يعرفان جيدًا نوايا يوي شان تشينغ هذا، ولكنهما لم يكن بمقدورهما فعل شيء نظرًا لإصرار ابنتهما عليه. ولكن أمام النصيحة التي اتفق عليها الجميع تقريبًا، لم يكن أمامهما خيار آخر سوى التثهد ومواجهة الأمر، فعادة ابنتهما مهمة جدًا، ولا يوجد أهم من العثور على الشخص المناسب.

في اليوم السابق للذهاب إلى شانغهاي لأخذ المقاسات وتجهيز البذلات، استدعى كبير المهندسين ليو أعضاء فريق التدقيق بالمصنع، وأيضًا الموظفين المعنيين بالمكتب الهندسي العام في قسم التكنولوجيا الحيوية، وجلسوا في غرفة الاجتماعات معًا لتقييم سونغ ويوي، وأيضًا جميع الموظفين الفنيين الذين على قدرٍ من الكفاءة في اللغة الإنجليزية في المصنع بأكمله. كان الأمر بسيطًا جدًا، إذ كان عليهم الإمساك بورقة معلومات تقنية باللغة الإنجليزية وترجمتها شفهيًا أمام الجميع. وقد فسّر كبير المهندسين ليو هذا بأنه على الرغم من وجود مترجمين متخصصين في المصنع الرئيسي، ووجود مترجمين في الشركة الصينية لاستيراد وتصدير التكنولوجيا، فإن فريق التفاوض يحتاج بالأكثر إلى مترجمين متخصصين أيضًا.

وحده سونغ يون هوي هو الذي كان واثقًا من نفسه، وكأنه يقرأ لغة صينية، أما يوي شان تشينغ، فلم يكن لديه قاموس، فأخذ

يتصبب عرقًا من التوتّر، وهكذا الآخرون كلهم تقريبًا. لذلك، استنتج كبير المهندسين ليو بشكل صحيح أن يوي شان تشينغ ليس قويًا كسونغ يون هوي من حيث الناحية التقنية، أمّا من حيث الترجمة، فقد رأى الجميع بالفعل أنه، هل يمكن لمستوى كهذا في الترجمة أن يخرج إلى الناس؟ وكيف يمكن إحراج الصينيين هكذا أمام رجال الأعمال الأجانب؟ حتى إن كبير المهندسين ليو قال بصراحة إن يوي لا يستحق الذهاب، فلغته الإنجليزية لن تُفيد، ويمكن للمصنع الرئيسي أن يجد مهندسًا كبيرًا وسيكون أكثر فائدة من يوي، وعلى أي أساس سيذهب يوي. كما حذّر كبير المهندسين الجميع من تقدير يوي شان تشينغ بسببه؛ إذ لا يمكنه التضحية بالمصلحة العامة في سبيل تحقيق المصلحة الخاصة. وفي النهاية أقسم أنه سيكون قدوة حسنة لهم، فما دام في منصبه ولو ليوم واحد، فسيظل صارمًا مع أقاربه وأصدقائه حتى النهاية. وقد دفعت هذه الكلمات يوي للشعور بالإحراج.

كان سونغ يون هوي مستمعًا بوجه يملؤه الحماس، في حين كان ساخرًا في داخله. أمّا بالنسبة للمسرحية، فقد أُجبر كبير المهندسين على التصرّف، لذلك قام بتمثيل مسرحية جيدة للتضحية بعائلته في سبيل العدالة لحفظ ماء الوجه لا أكثر، وفي الوقت نفسه قطع الطريق تمامًا أمام يوي شان تشينغ، مما اضطر يوي للتراجع إلى الوراء. بالطبع استطاع هذا الأب معرفة أنه يستحيل على ابنته التخلّي عن يوي من نفسها، لذلك لم يكن أمامه سوى التصرّف بقسوة تجاه يوي.

كان سونغ يون هوي يعرف أن ما فعله كان مؤامرة، مؤامرة لا يمكن الكشف عنها للآخرين. ولتكن مؤامرة لا مشكلة. ولكن إلا الخيانة، فالخيانة خيانة، أينما كانت، وهو سيظل وقياً لأصدقائه دائماً.

بعد مرور الأمر، أرسل سونغ يون هوي صورة ليانغ سي شن إلى تشنغ كاي يان، حتى تظن أن لديه حبيبة بالفعل وتراجع. لطالما كره إضاعة الوقت مع ذوي المؤهلات الضعيفة، ظناً منه أنهم عديمو الفائدة، ولكن تشنغ كاي يان كانت الإنسانية الوحيدة التي تمكن من معرفة معدنها بنظرة واحدة.

مرّ كل شيء دون أن يترك أثراً، فكان البعض سعداء، والبعض الآخر تعساء، ولكن الجميع رأوا أن السعداء كان لديهم سبب للسعادة، والتعساء كانوا يستحقّون التعاسة. كان سونغ يون هوي يتمنى حقاً التواصل مع يوي شان تشينغ بمفرده، وأن يسأله، من صاحب الوضع القتالي الأفضل في نظر الجمهور الآن؟ ولماذا ينكر الجميع وضع يوي؟ ولكن لم يكن سونغ ليسأله مثل هذا السؤال بالطبع، فما الفائدة من الفوز على الآخرين بوضع كلمات؟

كان الجدول الزمني ضيقاً للغاية، وسرعان ما أُعدت البذلة وصارت جاهزة للتجربة، ولأنها كانت مُعدّة وفقاً للمقاسات، فلم يكن هناك ما يحتاج إلى تعديل تقريباً. فقط شعر الجميع بعدم الارتياح بعد ارتدائها. ولم يفهموا لماذا يحب الأجانب ارتداء مثل هذه الملابس السميقة والقاسية على الكتفين والصدر، فهذا النوع من الملابس يشبه ارتداء الدروع عندما يصبح الطقس

دافئًا قليلًا، فهي خانقة جدًا. يُقال إن الخياط الماهر الذي صنع البدلات كان خياطًا معروفًا جدًا في مجموعة الربطة الحمراء في شانغهاي قديمًا، وقد علّم الجميع قائلاً إن هذه البدلات لا يمكن طيها، ويجب تعليقها على شماعة أينما ذهبت. بالطبع لم يكن من الممكن ترك القادة يصعدون إلى السيارة وينزلون منها حاملين البدلات في أيديهم، لذا كان على سونغ يون هوي أن يحمل نصف كمية البدلات، وكانت ثقيلة جدًا لدرجة أنها تثقل كاهل رجلٍ قوي، فتمنى لو كان بإمكانه الحصول على شيّالة كتف ليحملها عليه.

6

كان الطقس ما يزال باردًا في شهر مارس بيكين، وظهرت مجموعة مكونة من عشرة أشخاص من مصنع جينتشو العام يرتدون جميعًا بدلات زرقاء داكنة وربطات عنق باللون الأحمر العنابي، وبعد خضوعهم لتدريب صارم على الانضباط في الشؤون الخارجية، ظهروا على طاولة المفاوضات مع رجال الأعمال الأجانب. كان جدول الأعمال ومكان الاجتماع كلاهما من تنظيم الشركة الصينية لاستيراد وتصدير التكنولوجيا، وحتى الأمين شوي كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها مثل هذا الحدث العظيم. دخل سونغ يون هوي إلى قاعة المفاوضات رفيعة المستوى، فانبهر فاعرًا فاه محدقًا في الثريا اللامعة الفارحة المتدلّية فوق رأسه والسجادة الصوفية المفروشة تحت قدميه والتي كانت أكثر نعومة وسماكة من مرتبة سريره. ولم يللم فضوله المترامي في كل

أرجاء المكان إلى أن دخل رجال الأعمال الأجانب إلى القاعة، فتحوّل فضوله إلى فضول سري يراقب الألمان ذوي الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين.

كانت الشركة الصينية لاستيراد وتصدير التكنولوجيا قد دعت شركتين، واحدة من ألمانيا والأخرى من الولايات المتحدة الأمريكية، وكلاهما كانتا تتحدثان بالإنجليزية. كان أكثر ما يشغل سونغ يون هوي وكبير المهندسين ليو وغيرهم من الموظفين الفنيين هو درجة اتّساق المعايير والتقدّم التكنولوجي والمقارنة بين الأسعار، في حين كان أكثر ما يشغل الأمين شوي وموظفي الشركة الصينية هو التأثير الدولي ووضع الصداقة في المقام الأول. وقد عمل سونغ يون هوي وكبير المهندسين ليو معًا بشكل جيد جدًّا، فمن الناحية التقنية، كان الكبير يتمتّع بالعمق، والصغير يتمتّع بالمرونة، فحظي الاثنان باحترام مهندسي الطرف الآخر لما بينهما من توافق. حتى إن الجانب الصيني كاد يعتمد على هذين الاثنين فقط في التحدّث بشأن المسائل التقنية في المفاوضات. على الرغم من أن سونغ يون هوي لم يكن جيدًا في التحدّث، فإنه لم يكن يحتاج أحيانًا إلا لنطق اسم اثنتين من المعدات على الرسم ثم الإشارة بيديه فيتّضح الأمر للطرف الآخر. سارت المفاوضات التقنية بسلاسة ويسر، إذ كان الجميع خبراء، وكان كل شيء مفهومًا بمجرد التحدّث، وبمجرد التفاهم سجّل الجميع توقيعاتهم للموافقة. ولكن بالنسبة للمفاوضات بشأن الأسعار والتسهيلات المُلاحقة، فلم يستطع سونغ يون هوي إلا أن يكتفي بالاستماع، وظلّ يفكّر، هل يمكن لوضع الصداقة في المقام الأول أن يكون

بهذه الأهمية؟ ولماذا لا يضع الأجانب الصداقة في المقام الأول في تعاملهم معنا؟ بيد أنه كان ذا نفوذ ضئيل ولم يكن لديه الحق في الكلام، لكن في رأيه، فقد كلفت المعدات ما لا يقل عن مليوني دولارٍ إضافية.

كانت المعدات التي تم التأكيد عليها في النهاية من ألمانيا، فشرع سونغ يون هوي بقليل من خيبة الأمل، فلو كانت المعدات من الولايات المتحدة، لكان قد تمكّن من الذهاب إلى هناك ورؤية ليانغ سي شن.

أشاد الأمين شوي بكبير المهندسين ليو لاختياره الجيد للموظفين، فلولا جهوده المضنية لتحويل مجرى الأمور والإبقاء على سونغ الصغير، لما استطاع الاثنان توحيد قواهم على طاولة مفاوضات اليوم. لم يكن سونغ يون هوي يعرف ما كان كبير المهندسين يفكر فيه حقًا، فعلى الرغم من تعاملهما على نحو جيد خلال هذه الفترة في بكين، وأن كبير المهندسين ما زال لا يبخل عليه بمعلومة، وأنه ما زال يحترم الكبار، فقد صار يعلم الآن بالفعل أن تقدير كبير المهندسين في قلبه لن يعود مثلما كان.

بعد العودة إلى جينتشو، تبع سونغ يون هوي كبير المهندسين وفريقه للبدء في مسح واختيار الموقع للمعدات الجديدة بناءً على البيانات المقدّمة من الجانب الألماني، ومن ثم ارتقت معرفته إلى مستوى أعلى، فقد علم أن مجال الآلات الكيميائية يشمل أيضًا الهندسة المدنية. سرعان ما تمت ترقية سونغ يون هوي إلى منصب مهندس على درجة نائب رئيس قسم، وحينئذ لم يُعد يرى يوي

شان تشينغ على مضمار السباق بالفعل. ومن الغريب أيضًا أنه لم يُعد يراه حتى عند دخوله إلى مبنى السكن أو الخروج منه. لا يدري ما إذا كان هذا بسبب انشغاله في العمل، وجدول العمل والراحة المعكوس، أم بسبب تجنُّب يوي له. نعم، فكيف يمكن لشاب واعد أن يواجه الآخرين عندما ينظر إليه حموه المستقبلي بازدراء؟

بعد فترة وجيزة، أُرسِل سونغ يون هوي الحامل للقب المهندس الشاب إلى مصنع المعدات بألمانيا لتفقد المعدات برفقة اثنين من المهندسين الكبار في منتصف العمر، واللذين كانا مسؤولين عن المعدات وقد شاركوا أيضًا في المفاوضات. كان الأمين شوي يأمل أن يتفقد أحد المعدات قبل شحنها للتأكد من سلامتها وعدم وجود أي مشاكل جودة بها، وذلك لتجنُّب اكتشاف المشكلات بعد شحن المعدات الجديدة إلى الصين والاضطرار لإعادتها، مما قد يؤثر على تقدُّم المشروع، ويؤثر أيضًا على الصداقة بين الطرفين. وقبل المغادرة، تبَّههم الأمين شوي بشدة قائلاً إن ثلاثتهم سيعرضون صورة للشعب الصيني بأكمله في ألمانيا، لذلك يجب عليهم أن يكونوا حذرين، وألا يعرضوا أنفسهم للإحراج خارج البلاد.

انطلق الثلاثة رجال مرة أخرى مرتدين بذلات زرقاء داكنة وربطات عنق باللون الأحمر العنابي وحاملين نفس الحقائق الجلدية السوداء الكبيرة. وكانت الحقيبة الجلدية الخاصة بكل منهم تحوي عشرات الأكياس من سيقان الخردل المخللة، إنها تلك المخلات الجديدة من ماركة شيه تشياو والمغلَّفة في عبوات لامعة، كان طعمها لذيذًا جدًّا وجاهزة للأكل مباشرة وسهلة الفتح

جدًا، ولكنها كانت باهظة الثمن أيضًا، ومن الصعب إيجادها في الأسواق، وكان أحد الرفاق العاملين بمكتب الشؤون العامة هو الذي طلبها من أحد العاملين بشركة الأغذية في البلدية. لم يكن لديهم في الحقائب أي ملابس شخصية، فقط كان لدى كل منهم مجموعتان جديدتان من زي العمل الموحد باللون الرمادي الترابي، ومجموعة من زي العمل الموحد الطويل باللون الأزرق الداكن، وزوج من الأحذية الجلدية العازلة للكهرباء. لقد تبع الثلاثة رفاقهم من الشركة الصينية لاستيراد وتصدير التكنولوجيا، ولكن بعد وصول الرفاق إلى فرنسا، ودّعوهم للذهاب بالطائرة إلى ألمانيا بمفردهم. سافر سونغ يون هوي ومن معه إلى ألمانيا مرتدين البذلات القاسية التي شددت أجسامهم فبدوا كالمومياءات، وما إن وصلوا إلى المصنع وبدّلوها بملابس العمل حتى بدوا وكأنهم قد تحرروا من أغلالهم.

يُتسم الألمان بأسلوب عمل صارم جدًّا، وأحيانًا ما يكونون نمطيين كالإنسان الآلي، وكأن رؤوسهم تخلو تمامًا من كلمة «المرونة»، وينقذون العمليات كافة وفقًا للقواعد. كان سونغ يون هوي بارعًا في اللغة، لذا كان بإمكانه إجراء محادثات ممتعة مع الألمان في فترات الراحة، وكانوا أيضًا يحترمون هذا الشاب المجهتد الماهر، بل وكانوا على استعداد أيضًا لبذل الجهد والتحدّث باللغة الإنجليزية مع هذا الفتى الصيني. وقد تعلّم سونغ يون هوي العديد من المعارف في مجال الإدارة من خلال محادثتهم، وحينها فقط عرف أن تفاصيل الإدارة يمكنها أن تكون دقيقة إلى هذا الحد، وبالمقارنة بنظام مسؤولية العمل الذي نقّده في

المصنع الفرعي والورشة الأولى بمصنع جيتتشو، كان الأمر أشبه بلقاء بين جيش الطريق الثامن والجيش النظامي الصيني. بالإضافة إلى تحسُّن مستوى سونغ يون هوي في الإنجليزية ونضوج مهاراته، فقد كان تعرُّفه على المصانع الأجنبية أكبر مكسب له من الرحلة إلى ألمانيا، حقًا فوق كل سماءٍ سماء.

بعد الانتهاء من تفقُّد المعدات في ألمانيا، ومراقبة المعدات أثناء تحميلها على السفن تحت توجيهات وكيل الشحن، عاد سونغ يون هوي ومن معه إلى ديارهم. لقد عاش ثلاثتهم على نحو مقتصد في ألمانيا، وأكلوا الحقيبة المليئة بأكياس سيقان الخردل المخللة بأكملها، وادَّخروا مبلغًا من المال بالعملات الأجنبية، والمهندسان الآخران أحضرا أجهزة منزلية من متجر الصداقة باستخدام قسائم الصرف التي استبدلوها بالعملات الأجنبية، في حين اشترى سونغ يون هوي لنفسه آلة حاسبة من ألمانيا مباشرة، كما اشترى لوالديه مجموعة من الأشياء الجديدة واللذيذة، واشترى ببقية المال كله أدوات مكتبية جديدة عملية متينة، ووزَّعها واحدة تلو الأخرى بعد عودته إلى جيتتشو.

بعد فترة وجيزة، بدأت عملية تركيب المعدات بنشاط تحت إشراف المهندسين الألمان. وباعتبار سونغ يون هوي جهة الاتصال العامة مع المهندسين الألمان، فقد ساعد والد تشنغ كاي يان، وهو نائب المدير تشنغ الذي تمت ترقيته بالفعل إلى نائب مدير للمصنع الرئيسي، للبدء في عملية التركيب. وعلى الرغم من أنه كان ما زال على مستوى نائب رئيس القسم، فإن دوره كاد يكون

على مستوى المدير، فقد اشترط الاستفادة من الخبرات الألمانية في الإدارة بجميع الأعمال في نطاق مسؤولياته، وذلك بأن يقوموا بإنجاز الدفعة، ثم قبولها، ثم تمريرها، على أن يسجلوا كل خطوات العمل، وأن يكون هناك أشخاص مسؤولون عنها. وهكذا أضاف المعرفة الإدارية التي تعلمها للتو إلى فهمه الخاص، وطبقها بشكل كامل في الإدارة، فصار يتعلم أثناء العمل، ويعمل أثناء التعلم.

دعم نائب المدير تشنغ سونغ يون هوي بطريقة ما، وبالطبع لم يكن يتبع كل كلمة يقولها بطريقة عمياء، ولكنه دائماً ما كان يمتص آراء واقتراحات سونغ يون هوي على نحو انتقائي وموجه، كما لو كان سونغ يخضه. لطالما تساءل سونغ عما إذا كان نائب المدير تشنغ يهتم به هكذا بسبب ابنته تشنغ كاي يان، ولكن الأمر لم يبدو هكذا، ألم يدفعها سونغ إلى الاستسلام من قبل؟ لم يستطع سونغ إيجاد سبب مناسب، ولكنه كان يشعر بالذنب تجاهها بسبب هذا.

كان سونغ يون هوي مخلصاً جداً في عمله بسبب دعم مدير المصنع تشنغ، فكان يناقش المهندسين الألمان بشأن ترتيبات المشروع صباح كل يوم، ويتفقد تقدّم المشروع بنفسه مساء كل يوم، وبسبب قوة ذاكرته، فلم يكن يترك أصغر التفاصيل في ترتيبات العمل، إذ كان يتفقد التقدّم والجودة، ويشرف على التصحيح ويدوّن الملاحظات. وفي صباح اليوم التالي، كان يواصل مناقشة ترتيبات المشروع مع المهندسين الألمان وفقاً للتقدّم. كان مضطراً لأن يكون جاداً هكذا، إذ لم يكن يرغب في إحراج العاملين بجيتشو أمام الألمان الصارمين، لذا كان عليه التفقد أولاً، حتى

إذا ما وجد مشكلة يُسرع بحلها طوال الليل قبل تفقُّد المهندسين الألمان للأمر في اليوم التالي، وقد استفاد كثيرًا خلال هذه العملية؛ إذ لم يكن يتعلَّم التكنولوجيا فحسب، بل كان أيضًا يتعلَّم الإدارة، كما اكتشف طرقًا لتحفيز العاملين.

كان الطقس يتغيَّر في موقع البناء مع كل يوم يمرّ، ولذلك تجاوزت عملية تركيب المعدّات الفترة المتوقّعة، وهي فترة العمل التي حدّدت وفقًا لفترات العمل التي تحتاجها مصانع محلية أخرى لتركيب المعدّات أيضًا. كان العمل الإضافي أمرًا شائعًا لدى الجميع على كافة المستويات، وبالأكثر العاملون بمجال الإدارة لم يكن لديهم أي أيام تخلو من العمل الإضافي. وبالنسبة لسونغ يون هوي هذا الشاب الأعزب، فالعمل الإضافي لم يكن يمثل أي مشكلة، ولكن بالنسبة لنائب مدير المصنع تشنغ وغيره ممن لديهم أسر، فالعمل الإضافي المتكرر كان مشكلة كبيرة، ولكن نظرًا لتولّي نائب مدير المصنع تشنغ لزام الأمور، فلم يكن أحد ليجرؤ على الشكوى.

كان مدير المصنع تشنغ يعاني من مشاكل في المعدة، لذلك كان يحتاج إلى توصيل خضروات ووجبات من المنزل وقت العمل الإضافي، وغالبًا ما كان يُحضِر لسونغ يون هوي وجبة أيضًا. أراد سونغ أن يرفض ولم يستطع، فرغب في إعطاء مدير المصنع تشنغ ثمن الوجبة، ولكنه رفض أيضًا، مما جعله حزينًا، إذ كان يعلم أن ما تريده عائلة تشنغ هو تصريحه بحبه لتشنغ كاي يان.

في ذلك اليوم، خرج بعد تفقُّد المعدة الرئيسة مرتديًا زي العمل الأزرق الداكن، ووجهه وجسمه غارقان في التراب والعرق

والشحم، ويدها مَسْخَتَانِ مثل كَفَيِ الدب، حتى أن جميع من في موقع العمل سَخَرُوا منه بنية طيبة عند رؤيته، وكان سونغ يون هوي أثناء إعطاء التعليمات يسخر من أسنانه البيضاء أيضًا التي أظهرت تناقضًا حادًا مع مظهره. وعند مروره بموقع النجارة، أمسك بحفنة من نشارة الخشب وفرك بها الشحوم من يديه، فتناثرت النشارة المَسْخَعة في كل مكان، وصارت هاتان اليدان أكثر خشونة الآن من أي وقت مضى. وعند اقترابه من مكتب القيادة، رأى امرأة نحيفة قليلًا تحمل حقيبة قماشية باللون الأزرق السماوي وتدخل إلى مكتبه، وترتدي أيضًا ملابس العمل وخوذة الأمان، تمامًا مثل أي امرأة عاملة في جيتتسو. وما إن أُضِيَّت الأنوار في الداخل، حتى اتضح لسونغ يون هوي أنها تشنغ كاي يان. لم يكن يتوقع أبدًا أن تشنغ كاي يان التي كانت ممثلة الجسم وتبدو مضحكة ستصير نحيلة ونحيفة هكذا. فانصدم، وأسرع بالاختباء، وعندما رأى الأنوار تضيء في مكتب مدير المصنع تشنغ الذي بجانبه، خمن أن تكون تشنغ كاي يان قد مرّت من الباب الصغير الذي يربط بين المكتبين. لن يمكنه العبث مع هذه الفتاة. لذلك لم يجرؤ على دخول المكتب أيضًا، وإنما استدار وعاد إلى موقع العمل. وبعد مرور نصف ساعة، انطفأت الأنوار، فعاد في هدوء، ولكنه لم يكن يتوقع أن يصطدم بمدير المصنع تشنغ الذي كان يوصل ابنته إلى الخارج، فلم يكن لديه الوقت الكافي للاختباء.

في حين قال مدير المصنع تشنغ بهدوء لسونغ يون هوي: «هل خرجت لتوك من موقع العمل يا سونغ الصغير؟ أسرع وتناول

الطعام. سأوصل كي يان بالدراجة إلى المنزل، فهي لا تجرؤ على قيادة الدراجة بمجرد حلول المساء».

بالطبع كان سونغ يعرف هذا، فقد واجه مثل هذا الأمر مرتين. ولكنه اليوم قد أخرج بكلامه المعسول، ففي النهاية لن يستطيع تجاهل كل ما بذله مدير المصنع تشنغ من عمل شاق، واضطر لأن يقول على مضض: «انتظر يا سيادة المدير، فأنا سأغسل يدي وأوصلها. الطريق ليس سهلاً».

على الفور ابتسمت تشنغ كاي يان وقال بنبرة قلق: «ولكنك لم تأكل بعد، فلتوصلني بعد أن تنتهي من الأكل، لست في عجلة من أمري، وليس لدي ما أفعله مساءً».

كان سونغ يون هوي مصرًا على توصيلها مبكرًا، ولكن مدير المصنع تشنغ قال: «لقد كنت مشغولاً طوال اليوم يا سونغ الصغير، فلتتناول طعامك أولاً، وسيكون لديك وقت كافٍ بعد الأكل. وسأتحدث معك عن بعض الأمور أيضًا». أثناء قوله لهذا دخل إلى مكتب سونغ يون هوي.

فتبعته تشنغ كاي يان عن قرب: «أبي، وقت الطعام ليس وقتًا جيدًا للتحدث».

فكر مدير المصنع تشنغ في أنه لم يرَ من قبل مثل هذه التضحية. في حين أن سونغ يون هوي كان لديه شعور بأنه يجلب المصيبة إلى نفسه بيديه، فتناول هذه الوجبة وكأنه يمضغ حصي، ورأسه مدفون في علبة الطعام، وكأنه بصدد كارثة عظيمة. ضحك مدير المصنع تشنغ

وقال: «لقد قلت لابني من قبل، يا بُني، لو أطلقت العنان لمعدتك كل يوم، فستكبر معدتك، وعندما تذهب إلى بيت حميك وحماتك فيما بعد، تناول قدر ما تستطيع من الطعام حتى يفتخرا بك، فالرجل الحقيقي هو من يعرف كيف يأكل. بمجرد رؤيتك وأنت تأكل يا سونغ الصغير، شعرت وكأن بإمكانني تناول طبق آخر».

لم يجرؤ سونغ يون هوي على قول شيء، وبعدها أنهى طعامه في قضمين أو ثلاث ضحك قائلاً: «عندما كنت في ألمانيا، كنت أحلم بالأرز الأبيض ولحم الخنزير المقدد كل يوم. وبعد عودتي لم أشبع من اللحم المقدد إلا بعدما اشتريت ثلاثة أطباق منه في المطعم».

أخذت تشنغ كاي يان تضحك بعد سماعها لهذا وتقول: «سأطهو لحم الخنزير المقدد غدًا».

لم يدر مدير المصنع تشنغ ما إذا كان عليه الضحك أم البكاء، وبدأ في الشعور بالندم لحمايته لابنته بشكل جيد جدًا، فكيف لها ألا تكون ناضجة هكذا، وآلا تفهم أن من تواجهه هو سونغ يون هوي الناضج، فلم تعرف كيف تعبر عن قصدها بطريقة خفية، مما دفع الآخرين للضحك عليها. نظر سونغ يون هوي إلى تشنغ كاي يان، ولم يجرؤ على مجاراتها، فقال: «سريعًا، سأغسلها سريعًا»، ونهض وخرج ليغسل الصحون. كان المدير تشنغ يعرف بالطبع إن هذا يعني الرفض، ولكن عندما نظر إلى وجه ابنته المليء بالتوقُّعات، شعر أن الاستمرار في هذا الوضع ليس حلاً، ومن الضروري مساعدة ابنته في العثور على طريقة أخرى.

اصطحب سونغ يون هوي تشنغ كاي يان وانطلقا، ونظرًا لعدم وجود المدير تشنغ في الجوار، كان على سونغ يون هوي انتهاز الفرصة للبدء من الحلقة الأضعف في عائلة تشنغ، حتى يمكنه حل مشكلة الاضطرار للاستفادة من عائلة تشنغ كل يوم. قاد بحذر ولفّ حول الطريق المؤقت الأكثر وعورة، إلى أن وصل إلى طريق واسع، وعندئذ قال لها: «شكرًا لكِ ولعائلتك يا تشنغ الصغيرة».

«لماذا تشكرني، فعلى أي حال كان عليّ إحضار الطعام إلى أبي، وأخبرتني أمي أنه عليّ إحضار الطعام لك أيضًا. أنت تعمل بجد كل يوم، ولو لم تأكل جيدًا فستتأثر صحتك».

انتظر سونغ يون هوي بصبر حتى انتهت تشنغ كاي يان من كلامها، ثم قال على مهل: «لذلك عليّ أن أشكركم كثيرًا. ولكنني في موقف صعب الآن. أتعرفين ما المقصود برجل يعيش على أموال امرأة؟».

«أوه، هذه ليست كلمة جيدة...، هل قال أحد إنك تعيش... تعيش...».

«نعم. لذلك... أرجو منك مساعدتي. أعلم أن قول هذا يعدّ جحودًا لاهتمام عائلتك بي، لذلك لا أعرف ماذا عليّ أن أقول، ولكنني أشعر أنكِ يمكنكِ تفهّم محنتي بالتأكيد، ها ها، فليحيا التفهّم، أليس كذلك؟ إنني في محنة كبيرة الآن».

على الرغم من أن قلب تشنغ كاي يان لم يكن يرغب في هذا مطلقًا، فإنها عندما رأت سونغ يون هوي واقفًا في محنة بسبب

قول الآخرين إنه يعيش على أموال امرأة، قالت دون تردد: «لن آتي بدءًا من الغد، وسأدع أخي الكبير يأتي».

كاد سونغ يون هوي أن يصمت تمامًا، ولكن حتى يتوقف عن إجبار نفسه على تناول طعام عائلة تشنغ، اضطر لمواصلة إقناعها قائلاً: «سيظل الأمر على حاله هكذا، ألم أتوقف عن المجيء الفترة الماضية، ولكن ظلّ الآخرون يقولون أيضًا إنني في موقف صعب. لا يمكن لأحد أن يساعدني سواك، لتطلمي من والدتك أن تتوقف، وهي ستستمع إليك. عليك أن تساعدني، من فضلك، من فضلك». ولكنه كان متشككًا كثيرًا بشأن تأثير كلامه، لذلك اضطر للتعمق في تحليل الأسباب محرّجًا، ظنًا منه أنها لن تفهم.

لم تكن تشنغ كاي يان راغبة في التوقف على الإطلاق، ولكن لم يكن بإمكانها الرفض بعد قول سونغ يون هوي لهذا، فاضطرت للموافقة، بل وصارت كمن يقدم تنازلاتٍ مُدلة، فبعد عودتها إلى المنزل، قالت إنها هي من يرفض توصيل الوجبة، وإن هذه فكرتها. بعد ذلك، توقفت عائلة تشنغ عن إرسال وجبة مرةً أخرى، ولكن المدير تشنغ استمر في دعم سونغ يون هوي كما كان ودون انتظار المقابل، بل وكان ذلك الدعم مقترنًا بالعمل، لذلك كان من المستحيل على سونغ يون هوي أن يرفضه. ومن ثم أخذ الضغط الداخلي يزداد فيه شيئًا فشيئًا.

وبعد فترة وجيزة، وبتوجيهات من المدير تشنغ، دعا سونغ يون هوي جميع الشباب في موقع العمل إلى رفع شعار «أكُرس شبابي للحزب»، وأنشأ قلمًا خاصًا لاكتشاف الأعمال الشخصية

المتقدّمة للشباب ونشرها على السبورة عند باب مكتب القيادة في الموقع. إن التركيز على اكتشاف الأعمال فريد جدًا، فمتوسط ساعات العمل الإضافية للشباب شهريًا يمكنه أن يصير نقطة بارزة، مما يُظهر روح العمل غير الأنانية لدى شباب العصر الجديد. وقد قال المدير تشنغ إن الأفراد المتقدمين يحتاجون إلى أعمال متقدمة لتوضيح المشكلات، كما يجب صناعة بعض النقاط البارزة في الأعمال المتقدمة، وهي ضرورية للدعاية. كان الجميع يعرفون أن هذا مجرد مقال سطحي، ولكن كان عليهم جميعًا تنفيذه بكل جدية. وطلب من سونغ يون هوي ألا يكون مهملاً عند كتابته، وألا يكون أنانيًا ولا مبالغًا أيضًا، وعليه أن يركّز المقال حول كلمة «الشباب»، ويبرز «الشباب» في هذه الحقبة الفريدة ومدى تفرد الجيل الجديد في الثمانينيات.

لقد مرّ المدير تشنغ بفترات صعود وهبوط، وظلّ يكافح في الدوائر الرسمية لسنوات عديدة، والآن يناضل من أجل منصبه باعتباره الرجل الثاني في جينتشو، لذا فلديه العديد من الأفكار الفريدة. وقد استفاد سونغ يون هوي كثيرًا من هذه الأفكار. كان أقرب الناس إلى سونغ يون هوي جميعهم أشخاصٌ ذوو طباع أدبية وأفكار تقليدية عن الولاء وطاعة الوالدين والعفة والصلاح، مثل والديه والأستاذ لو، ولأنه أراد اتباع طريقٍ آخر، فكان عليه أن يعلم نفسه بنفسه، وأن يتلمّس طريقه في الظلام، وتوجيه المدير تشنغ المخلص هو وحده الذي ساعد سونغ يون هوي على التواصل الحقيقي مع البيروقراطية ومنحه نظرة جديدة كليًا. ولكن المدير تشنغ هذا، هو في الواقع والد تشنغ كاي يان.

استنتج سونغ يون هوي من هذه التجربة أن عليهم التعلّم من روح فريق الكرة الطائرة للسيدات⁽¹⁾، ورفع شعار «الكفاح في المئة يوم الأخيرة»، وزيادة تحفيز جميع الرفاق في موقع العمل، وأيضًا إظهار سير العمل على قدم وساق في الموقع للأجانب. وقد اعتمد المدير تشنغ هذا الاقتراح، وبعد مناقشته مع القادة، حدد تاريخ بدء العد التنازلي للمئة يوم. وفي ذلك اليوم، غرست الأعلام الملونة في موقع العمل، وأخذت مكبرات الصوت الرمادية العالية الصوت ترؤج لشعار «الكفاح في المئة يوم الأخيرة» مرارًا وتكرارًا، فبدأ البناء في الموقع وكأنه قد دخل في مرحلة العدو السريع، وبلغت مشاعر الجميع ذروتها، ناهيك من الأجانب الذين كانوا يأتون لمشاهدة الضجة الحادثة في الموقع، بل وحتى العاملون في الموقع أيضًا أصابتهم العدوى وضاعفوا جهودهم.

ونظرًا لكونها عملية بناء لمصنع قديم، فلم يكن هناك حاجة لإضافة العديد من البنى التحتية الملحقة كالمياه والكهرباء، إذ كان كل ما يلزم هو إقامة منشأة رئيسة واحدة فقط دون الحاجة للتفاوض مع السلطات المحلية بشأن مدّ دوائر المياه والكهرباء، لذلك كان المشروع بسيطًا إلى حد ما، وكان من السهل أيضًا التحكّم في مدة البناء، حتى إنه كان من الممكن تقريبًا التنبؤ بتحقيق شعار «الكفاح في المئة يوم الأخيرة» مع اقتراب نهاية العام. بمجرد دخول موقع

(1) ظهر هذا التعبير في الثمانينيات من القرن العشرين، وهو مستمد من الإنجازات التاريخية لفريق السيدات الصيني لكرة الطائرة، الذي فاز ببطولة العالم عام 1981 لأول مرة، ثم تبعها بعدة ألقاب دولية متتالية. ويشير إلى الروح القتالية الجماعية العالية.

العمل، كان الأمر يبدو مشابهًا تقريبًا لأي مصنع مكتمل، باستثناء أن بعض الآلات لم تكن تعمل بكامل طاقتها بعد. تم طلاء المعدات، وغُلِّقت لافئات واضحة، وبدت المباني أنيقة ونظيفة، وبدت غرفة التحكم لامعة ونظيفة، وكأنها تنتظر فقط شخصًا يُعلن قائلاً «ابدأ» فتبدأ جميع الآلات في العمل.

كلما اقتربت المراحل النهائية، وخاصة مرحلة اختبار الضغط في بيئة محاكاة التشغيل، صار جميع أفراد مكتب القيادة أكثر حذرًا وخوفًا من حدوث أي خطأ في اللحظات الأخيرة لآلا تضع كل جهودهم السابقة. خاصة لأن المعدات الموجودة بين أيديهم كانت معدّات ألمانية تم شراؤها بمبالغ كبيرة من النقد الأجنبي، ولو تعرّضت لأي تلف، فسيهدر النقد الأجنبي الثمين للبلاد، بل والخسارة الأكبر ستكون للوقت الذي لا يمكن إهداره، ولو حدث تلف للمعدّات، سيكون من الضروري شحنها مرة أخرى من ألمانيا، كما أن الوقت المستغرق في الشحن والتخليص الجمركي على طول الطريق سيؤدي في النهاية إلى بقاء المعدات التي تم شراؤها بمبالغ كبيرة من النقد الأجنبي خاملة لفترة طويلة. لذلك كان الجميع يتصبّبون عرقًا من الحذر والخوف، بما في ذلك المهندسون الألمان. وبسبب القيود الجسدية للعاملين في منتصف العمر وكبار السن، فكان معظم العاملين في الصفوف الأمامية من الشباب أمثال سونغ يون هوي.

كان الأمين شوي على دراية بكيفية إدارة الأمور، فكان يريد أيضًا استغلال فرصة إدارة المعدّات الجديدة لإظهار نفسه

في الوزارة والفوز برأس مال سياسي، وهذا يتطلب منه إيجاد مواضيع مختلفة للظهور بها في صحيفة الوزارة وتحويلها إلى جزء من جدول أعمال اجتماعات الوزارة. فقام أولاً بترشيح التقرير الذي كتبه سونغ يون هوي له إلى الوزارة باعتباره نموذجاً مثاليًا للاستكشاف النشط للجنة الحزب بجينتشو لأعمال تثقيف الشباب في العصر الجديد. وبعد ذلك، عندما رأى أن موقع تركيب المعدات كاد يتحول إلى ساحة معركة ونضال للشباب، وأن جيلاً جديداً من العمال الفنيين قد بدأ في النمو كبراعم خيزران الربيع بعد المطر، انتهاز الفرصة ودعا مراسلين من الصحف والمجلات الكبرى على مستوى البلدية والمقاطعة والوزارة، ونظّم بحماس حفلاً لانضمام الشباب المغاوير إلى الحزب على الخطوط الأمامية، وكان لهذا الحفل خلفية ومعنى، وكان له بالأحرى معنى تثقيفي عميق، وبخاصة أن الدموع التي ذرفها الشباب المغاوير متأثرين في الصور، والأصوات المنهكة التي سجّلها المراسلون بأمانة، قد دفعت القادة الجالسين في المناصب العليا للنظر إلى أداء العاملين بجينتشو، وبالأكثر النظر إلى قدرة لجنة الحزب بجينتشو على الحشد والعمل والتماسك. أخذ الأمين شوي يروج لجينتشو مرة تلو الأخرى، بالطبع لم يكن بإمكانه الترويج لنفسه في كل شيء، إذ كان عليه أيضاً باعتباره مرشداً ترشيح أشخاص مثل سونغ يون هوي الذي اكتشفه بطريقة استثنائية، ليقود سونغ والآخرين، ثم يقوم سونغ يون هوي والآخرين بإظهاره، وهكذا سيكون تأثير الدعاية أكثر طبيعية ومصداقية.

ولكن، ما أدهش سونغ يون هوي هو ظهور يوي شان تشينغ مرة أخرى أمامه، فخلال الحفل كان يتبع الأمين شوي ذهابًا وإيابًا، وبدا وكأنه يستمتع بعمله ويحظى بتقدير كبير. وبعد السؤال، عرف أن يوي قد قطع علاقته بليو تشي مينغ، ولم يُعد على اتصال بها، بل استخدم علاقاته ببساطة ليتقل من القسم الفني الذي كان كبير المهندسين ليو يسيطر عليه إلى مكتب المصنع الذي يخضع للقيادة المباشرة للأمين شوي. كما قالت والدته تشنغ أيضًا إن هذه الخطوة من يوي شان تشينغ قد نالت استحسان الجميع، إذ قالوا إن الرجل عليه أن يحظى ببعض الطموح. كما أن الأمين شوي وكبير المهندسين ليو ليسوا على طريق واحد، فالآن بعد الانتهاء من استيراد المعدات، لم تحتج أعمال التركيب لمهارات كبير المهندسين، بالأحرى لن تكون هناك حاجة إليه عند تشغيل المعدات المستوردة فيما بعد، فلماذا سيتعين على يوي شان تشينغ التثبُّث بقدمه وتحمُّل روائحها الكريهة؟

لم يكن بإمكان سونغ يون هوي أن يفهم، لماذا يمكن لشخص مميز كالأمين شوي أن يستخدم يوي هذا الوصولي الواضح. ولكن نظرًا لضيق الوقت، فلم يكن بإمكانه إجراء تحليل دقيق، إذ كان يعمل طوال النهار والليل تقريبًا، فقد تم تعليم المواهب الشابة المنقولة من الورش المختلفة كافة المعارف والمهارات المطلوبة للمعدات الجديدة، وقد اجتاز أولئك الشباب الاختبارات أيضًا. وفي المساء، كانت تُجرى محاكاة للتشغيل الفعلي، حيث نُقلت غرفة اجتماعات مكتب القيادة إلى موقع العمل، وجميع العمليات كانت تُنفَّذ على الأجهزة، الفرق الوحيد عن التشغيل الفعلي هو أن

الأجهزة لم تكن موصلة بالكهرباء حقًا. كان من المقرر في الأصل إجراء هذه التدريبات نهارًا، ولكن سونغ لم يكن لديه الوقت الكافي خلال النهار، وكانت هذه الفترة هي الأكثر أهمية في اختبارات ضغط المعدّات، لذا كان عليه أن يكون حاضرًا لحل المشكلات بسرعة في أي وقت، كما أنه كان يرغب في المشاركة بنفسه في جميع المسائل المتعلقة بالمعدّات، إذ كان يرغب في أن تكون له السلطة الحقيقية الوحيدة على المعدّات الجديدة. ولحسن الحظ، فقد دعم المدير تشنغ رغبته الأنانية الصغيرة.

ونظرًا لأن الأمين شوي كان قد خطط بالفعل إقامة حفل كبير لوضع حجر الأساس، فقد كان على القادة ذوي الصلة المجيء إلى غرفة التحكم للضغط على الزر الأكثر أهمية، وقد اشترى المصنع الرئيسي معدّات تصوير خصيصًا لتسجيل هذه اللحظة التاريخية في جينتشو. لذلك، كان عليهم التجربة مرارًا وتكرارًا، وخاصة في تدريبات بدء التشغيل. كان المدير تشنغ مهتمًا أيضًا بهذا الأمر، فقد ترتكب العديد من الأخطاء الصغيرة خلال عملية التركيب، ولكن في حالة وجود قادة الوزارة، لا يمكن أن تحدث أي أخطاء على الإطلاق، لذلك كان يظهر كثيرًا أيضًا في موقع التدريب.

ولكن، من أجل ضمان عدم حدوث أي أخطاء وقت التشغيل الفعلي، وحتى ضمان التشغيل على نحو سلس وجميل، فكان من الضروري تدريب عمّال التشغيل حتى يبلغوا من المهارة غايتها. فكانوا يتدربون كل ليلة، ولا يستريحون لليلة واحدة. كما طلب سونغ يون هوي تعليق شعار في غرفة التحكم يقول: «تشغيل

المعدّات الأكثر تقدّمًا بإدارة شبه عسكرية». في حين كانت المزحة بين الجميع هي: «تبا، لا نصدّق أن معدات الأجانب ستعجزنا». ولكن بعد وقت قليل من المزاح، قالوا إن الإدارة شبه العسكرية هي في الواقع أشدّ قسوة من العسكرة الكاملة.

أما سونغ يون هوي ذاك الذي لا يتعب ولا ينام بما يكفي كل يوم، فلم يكن ينام إلا أقل من ستّ ساعات في اليوم فقط، فاسودّ وجهه ونحف جسمه، وظهرت بثرتان على شفّتيه، واحدة على كل جانب تقريبًا، واحدة تلو الأخرى. سخر منه أصدقاؤه المقرّبون قائلين إن هذا نتيجة تقبيل حبيّته. وما وجدّه سونغ غريبًا هو أنه لم يشعر بالتعب، والآخرين أيضًا لم يروا أنه متعب، بل رأوه جميعًا بعيونه اللامعة ظاهرًا في كل مكان.

كان من المقرر إقامة حفل وضع حجر أساس المشروع في السادس والعشرين من ديسمبر، ودُعي العديد من الرفاق القادة. كانت أصوات الأجراس والطبول العالية تدقّ عاليًا والأعلام الملونة ترفرف أمام المبنى الإداري الأساسي للمصنّع الرئيسي. وبعد الحفل، وضع القادة خوذة الأمان الحمراء ودخلوا على مهل إلى غابة الخزانات والأبراج للمعدّات الجديدة، وشرح نائب مدير المصنّع تشنغ الذي كان يضع خوذة أمان حمراء أيضًا الطبيعة المتقدّمة للمعدّات في الموقع. بعد ذلك، وصل القادة إلى غرفة التحكم الرئيسة، فقبلوا بالترحيب والتصفيق من قبل عمّال التشغيل الذين كانوا يضعون خوذة أمان بيضاء. وبعدها تحدّث عدد من القادة، وقف القائد الأكبر أمام لوحة التحكم الرئيسة،

وضغط على الزر الأكبر على اللوحة الملونة بالأحمر والألوان الأخرى.

وكما كان الحال في التدريبات العادية، كان عمّال التشغيل يبلغون بصوت عالٍ عند القيام بكل خطوة في العملية، وسونغ يترجم للمهندسين الألمان، فكانوا يسيرون ذهابًا وإيابًا أمام المؤشرات المختلفة ويلاحظون على الفور الأرقام المعروضة على الورق المطبوع، ويقدمون ملاحظات حول تعليمات التشغيل في أي وقت. في النهاية، القتال الفعلي يختلف تمامًا عن التدريبات، فقد يحدث أي شيء على نحو غير متوقع، ما يجعل الوضع متوترًا كساحة المعركة حقًا. لحسن الحظ، بدأت الوحدة العمل بسلاسة، ولكن كانت هناك مفاجأة غير خطيرة، وقد لاحظها سونغ يون هوي وأعضاء الطاقم الآخرون الذين كانوا على دراية بالأمر، ولكن في النهاية لم ينطلق أي جهاز إنذار.

عندما توقفت جميع المنحنيات المرسومة على لوحات المعلومات بلا حراك إلى حد ما، استدار سونغ يون هوي وأبلغ القادة، فسار التشغيل على نحو سلس وناجح. وضجت غرفة التحكم الرئيسة بأصوات التصفيق مرة أخرى. ذهب بعض الأشخاص إلى الموقع للحصول على عينات من المنتجات الجديدة، في حين ذهب البعض الآخر لإبلاغ القادة بالبيانات المتقدمة بعد إجراء اختبارات سريعة، وكان القادة قد صافحوا الأمين شوي والآخرين مهتئين إياهم ومُعربين عن تشجيعهم لهم. كان القائد القادم من الوزارة يعرف سونغ يون هوي بالفعل، فربّت على كتفه ومدحه

لكونه شابًا واعدًا. لم يجرؤ سونغ يون هوي على البقاء كثيرًا في غرفة التحكم الرئيسة، فكان يبلغ القادة بالاتجاهات، ويذهب مباشرة إلى موقع المعدات ليتفقد أحوال التشغيل الفعلي، ويصعد إلى الخزان البرجي ليتحقق مما إذا كانت الأرقام الموجودة في الموقع لقياس الضغط والحرارة وغيرها متسقة مع الأرقام الظاهرة في غرفة التحكم الرئيسة أم لا، ويعرف ما إذا كانت معدات نقل الغاز والسوائل بها أي تسريب أم لا، ويعرف ما إذا كانت المعدات عالية السرعة تعاني من أي عطل أم لا، ولم يكن هو وحده من يذهب إلى كل مكان للتحقق، وإنما كان المهندسون الألمان أيضًا موجودين في الموقع بشكل صارم، وأيضًا المهندسون الصينيون لم يغيب أي منهم عن موقعه، كانوا جميعًا كمن يواجه عدوًا كبيرًا. فلا يمكن لأحد أن يخسر.

بعد مرور عدة سنوات، صار بإمكان الجميع رؤية صورة مقربة لسونغ يون هوي في المواد المصورة بالأرشفيف، واضعًا خوذة الأمان الحمراء، بوجه يبدو شابًا جدًا مقارنة بمن حوله من قادة، وعلى شفتيه بثرتان كبيرتان صادمتان. كانت هذه اللحظة هي الأكثر فخرًا في اعتقاد سونغ يون هوي، فقد اجتمع فيها شبابه ومثله وحكمته بشكل مثالي، فأطلقت أجمل مظاهر التألق. وبعد سنوات عدة، ارتقى إلى مكانة أعلى، وصار يشرف على مشروع أكبر. ولكن كان شبابه قد ذهب بالفعل، وذهبت معه حماسه.

بعد التشغيل السلس، والتسليم السلس بين المناوبة النهارية والمناوبة الوسطى، أخذ الجميع يعودون تباعًا إلى مقر القيادة،

عالمين أن المعدّات طالما عملت بشكل طبيعي في مناوبة، فلن تحدث مشكلة كبيرة عمومًا فيما بعد. عندئذ شعر سونغ يون هوي بإرهاق شديد وكأن جسده كله ينهار، فقال لزميله «سأستلقي قليلاً»، ولفّت نفسه بمعطف عسكري وسقط على الكرسي الخشبي الطويل، وغطّ في نوم عميق. كان الجو دافئًا جدًا بفعل الحرارة المتبقية في المكتب، فنام سونغ يون هوي نومًا عميقًا ولم يكن ليستيقظ ولو على صوت الرعد.

جاءت تشنغ كاي يان بعد انتهاء الدوام بدراجتها لمشاهدة الأجواء المليئة بالمرح، وعندما رأت أن والدها ليس موجودًا، لم تستطع منع نفسها من التسلل خفية عبر الباب الصغير لإلقاء نظرة على مكتب سونغ يون هوي، ولم تتوقع أنه سيكون موجودًا. فرأت سونغ يون هوي ينام بعمق مستلذًا بالنوم دون وسادة، وشعره مَسْخ ومبعر، وعيناه اللامعتان مختبئتان في تجويفي عينيه الغائرتين، وبشرته منتفختان ولامعتان. فبكت عندما رأت مظهره، واتصلت بالمنزل، وجلست بهدوء بجانبه.

تلقى شقيقها الأكبر تعليمات من والدته التي تلقت المكالمة، وجاء إلى المكتب قلقًا، فوجد شقيقته الصغرى جالسة على كرسي صغير بلا ظهر ممسكة بيد سونغ يون هوي وتغفو بجانبه، وعلى وجهها ابتسامة رقيقة مع آثار دموع على خديها، فأطفأ الأضواء ببساطة وأغلق الباب وغادر.

نام سونغ يون هوي هذه المرة بعمق أكثر من أي وقت مضى، دون أي أحلام، حتى إنه لم يتقلّب، وظلّ نائمًا حتى استيقظ بشكل

طبيعي. عندما استيقظ شعر بضعف في جميع أطرافه، وكان جفناه منتفخين لدرجة أنه لم يستطع فتح عينيه، فجلس شاردًا لبعض الوقت، إلى أن استجمع قواه ونهض، وكان الوقت بعد الظهر بالفعل. سحب المنشفة وخرج ليغسل وجهه، وعند الحوض التقى بزميل له كانت جفونه أيضًا منتفخة لكنه كان مبتسمًا، ومع ذلك فقد شعر سونغ يون هوي أن ابتسامة زميله تحمل بعض الغموض والاستفهامية. فذهب تحت الصنبور ليغسل وجهه حاملًا شكوكه، ولكنه شمّ رائحة خفيفة، فزاد الشكّ لديه وأوقف تدفق المياه على الفور لبحث عن مصدر الرائحة، فوجده بسهولة على يديه. فحدّق في يديه، ولم يتمكن عقله المنهك من الفهم، إذ أنه لم يعد إلى السكن منذ عدة أيام، فمن أين جاءت هذه الرائحة إذا؟

ولكنه سرعان ما عرف الإجابة في المساء، حيث نقل له فانغ بينغ الذي حلّ محل شيون جيان شيانغ في الغرفة الموضوع الأكثر سخونة منذ افتتاح الورشة الجديدة: إن ابنة نائب مدير المصنع تشنغ قد خرجت من مكتب سونغ يون هوي في الصباح الباكر بشعر مبعثر. وعلى الفور سخر سونغ يون هوي من الأمر، ولكنه تذكر فجأة تلك الرائحة المشبوهة في يده، ففغرفاه محدّدًا. وفكّر عندما ذهب المدير تشنغ إلى المأدبة بعد الحفل أمس، وكيف كانت تشنغ كاي يان توصل الوجبات إلى مكتب المدير تشنغ كل يوم، وحتى عندما لم تقم بتوصيل الوجبات، كانت تأتي أيضًا لتلقي نظرة عليه تقريبًا، وكيف أنها لم تكن تجرؤ على قيادة الدراجة بمجرد حلول الظلام، وكيف أنها تحب استخدام الأشياء ذات الرائحة القوية، وكيف بدت في الصباح... بشعر أشعث... من مكتبه... لم يكن

بحاجة حتى لعقل شيرلوك هولمز ليستتج ما ستقوله الشائعات.

ولكنه لم يكن يتوقع أيضًا أن تذهب الشائعات أبعد من تكهّناته. فهناك الكثيرون ممن يفرحون برؤية المدير تشنغ العظيم وهو يعاني من فضيحة في بيته، والشائعة الأكثر انتشارًا كانت تقول إن سونغ يون هوي يتشبّث بالأثرياء والأقوياء، فكان الاستخفاف بتشنغ كاي يان يتمحور حول كلمتين: «امرأة منحلة». كان سونغ يون هوي يتابع تطوّر الشائعات بقلق وذعر، وقد حاول شرح الأمر، ولكن حتى فانغ بينغ أشار بحذر إلى أنه لا يوجد دليل يدعم ادّعاءه بالنوم لمدة عشرين ساعة دون أي فترات راحة. وأخيرًا، فهم سونغ أن هذا حساب مُربك، لذلك توقّف عن شرح الأمر لأي شخص آخر غير فانغ بينغ. حتى إنه تصوّر محنة عائلة المدير تشنغ، تلك المحنة التي كانت ترداد سوادًا كلما تصوّرها.

عند ذهابه إلى العمل يوم الاثنين، وبعد دخوله إلى المكتب، لمح المدير تشنغ المحطّم. فأراد أن يصعد ويفسر له الأمر، ولكن المدير تشنغ ابتسم قسرًا وقال إن الشائعات ليست مدعاة للقلق، كما طلب من سونغ يون هوي أن يعمل مطمئنًا، وألا يشتت انتباهه. ولكن كيف لسونغ يون هوي ألا يبالي. فعندما رأى المدير تشنغ الذي يبخل عليه بمعلومة ما زال متسامحًا في ظل هذا الموقف الصعب، تخيل أن رجلاً كبيرًا مثله لا يستطيع أن يرفع رأسه أمام الناس بسبب شؤون أبنائه، صار الإحساس بالذنب في قلبه أثقل وأثقل، وظلّ مضطربًا طوال الدوام.

قبل انتهاء الدوام بنصف ساعة، طلب سونغ يون هوي

المغادرة مبكرًا، وظهر أمام باب مكتب الإحصاء التابع لإدارة النقل والتسويق. ومنذ ذلك اليوم، وقع سونغ يون هوي في الحب.

في الحقيقة كان الحب أمرًا بسيطًا جدًا، فجميع أفراد عائلة تشنغ طيبون جدًا مع سونغ يون هوي، ولا سيما تشنغ كاي يان التي كانت مطيعة له في كل شيء. وسونغ يون هوي أيضًا كان يعرف كيفية رد الجميل، لذا كان صادقًا معها. عندما تصبح الرياح الشرقية لطيفة، وتصبح مياه النهر الربيعية دافئة، وتتحول أغصان الصفصاف إلى اللون الأخضر، يكون الربيع قد حلّ في الطبيعة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عام 1985

1

أرسلت ليانغ سي شن هدية عيد الميلاد مرة أخرى إلى قسم التكنولوجيا الحيوية بالمصنع العام عن طريق مكتب البريد وفقًا للعنوان، ثم سقطت في يد تشنغ كاي يان التي كانت في المصنع أيضًا. كانت تشنغ كاي يان تحمل علبة هدايا ثقيلة، وشعرت بالحزن عندما فكّرت في تلك الصورة التي أراها إياها سونغ يون هوي، وتلك الفتاة الجميلة التي بدت بعيدة المنال وأنيقة لدرجة تُحِبُّ الآخرين. وفي وقت الظهيرة، التقيا لتناول الغداء في المقصف، وعندما أعطت تشنغ الطرد لسونغ، رأت تلك الفرحة على وجهه مجددًا.

لم تستطع تشنغ كاي يان إلا أن تتمتم: «لماذا أنت سعيد هكذا، فلن يمكنك الطيران إلى هناك على كل حال».

عندئذ تذكر سونغ يون هوي أنه لم يشرح هذا الأمر لها، فأسرع وأخبرها بإيجاز عن العلاقة التي تجمعها بليانغ سي شن، ولم يتوقع أنها ستشعر بالقلق بشأن اكتسابه أو خسارته، إذ كانت سعيدة بعدم وجود مثل هذا العدو الوهمي، ولكن منزعجة لأنه لم يقع في حبها منذ البداية، فامتلاً وجهها بتعابير مختلفة. لم يهتم سونغ بأفكار تشنغ، ولم يكلف نفسه أيضًا عناء تناول الغداء، وإنما أخرج

مفاتيحه وفتح السكين الصغيرة الموجودة في سلسلة المفاتيح ليفتح بها الطرد المغلق بإحكام، وما إن ألقى نظرة حتى وجدها كومة أخرى من الكتب، فلم يستطع منع نفسه من الضحك. وعندما نظر إلى العناوين، وجدها مجموعة كتب في مجال الإدارة. فبعد عودته من ألمانيا، كان قد أرسل إلى ليانغ سي شن يخبرها عن الكثير من خبراته في ألمانيا وإعجابه بإدارة المصانع الألمانية، ولم يكن يتوقع أن تُرسل له كومة الكتب هذه من قبل ليانغ سي شن هذه الفتاة المُخلصة.

على الرغم من أن تشنغ كاي يان كانت تعرف بالعلاقة بينهما، فإنها لم تستطع الاطمئنان لها، وعندما رآته يقرأ الرسالة وهو يأكل، فقدت شهيتها. بالإضافة إلى أن الرسالة كانت مكتوبة كلها باللغة الإنجليزية، فلم يكن بإمكانها قراءتها حتى ولو أرادت ذلك، ومع ذلك كانت رغبتها في قراءتها تزداد مع تزايد عدم قدرتها عليها. فانتظرت بصبر انتهاء سونغ من القراءة، وبعد أن طوى الرسالة بعناية ووضعتها في الكتاب، سألته: «ماذا قالت لتجعلك فرحًا هكذا؟».

«إن طرق التدريس لديهم في الولايات المتحدة تختلف تمامًا عن طرقنا، وهي ممتعة جدًا». لم يقل سونغ يون هوي الكثير، وبدل الموضوع، «كاي يان، أخطط للعودة إلى المنزل لبضعة أيام قبل عيد الربيع، استعدّي لطلب إجازة لثلاثة أيام لتعودي معي إلى المنزل وترين والدي. وفي اليوم الثالث سأوصلك إلى القطار لتعودي إلى جينتشو، فعليك قضاء رأس السنة الجديدة مع والديك. وفي اليوم الثالث من الشهر الأول سأعود للعمل في جينتشو، فلن يمكنني

دائماً أن أطلب من الآخرين الإنابة عني في فترة عيد الربيع. لو كنتِ موافقة، فسأتحدّث مع والدك في الأمر مساءً».

على الفور تحوّل تركيز تشنغ كاي يان، ولم تُعد تهتم بليانغ سي شن: «أنا... إنك مُفاجئٌ جدًّا، ولكن هل سيحبني والدك؟ ما الهدية التي عليّ إحضارها؟ وما الملابس الأفضل لأرتديها؟ ما رأيك بأن أبدو بمظهر أكثر تواضعًا؟».

فردّ سونغ يون هوي بعدم موافقة: «علامَ كل هذا القلق!».

شعرت تشنغ كاي يان بالخجل وبالسعادة أيضًا عند سماعها لهذا، وحتى على الرغم من أنهما كانا يتواعدان رسميًا منذ بضعة أيام فقط، وبدا أنه من غير المناسب العودة معه إلى المنزل في وقت مبكر هكذا، لكنها عندما رأت مدى هيمنته وافقت بلا تردد.

لم يكن سونغ يون هوي قلقًا على الإطلاق بشأن رفضها لاقتراحه، وعندما وافقت رسميًا كان بالفعل قد نظر إلى يوي شان تشينغ الذي ظهر بجانبه. فمدّ يده لتحية يوي، والذي أتى لينظر إلى تشنغ، ثم سأل سونغ: «متى ستعطيني ملخصك السنوي؟ لا يمكنك مواصلة المماطلة معي».

رمقت تشنغ كاي يان يوي شان تشينغ بنظرة جانبية ثم أخفضت رأسها لتأكل متجاهلة إياه. ابتسم سونغ يون هوي قائلاً: «سأخرجه وأعطيك إياه بعد الظهر. لمَ هذه العجلة؟».

«بالطبع، جميعنا ننتظر منكم كتابة ملخص المصنع الرئيسي، ولو تأخرت فسنكون جميعًا في ورطة. من فضلك ساعدني، سأنتظرك بعد الظهر مهما تأخر الوقت».

«أوه، أعتذر، أعتذر، عطّلت عملكم، سأرسله لك بعد الظهر بالتأكيد». مدّ سونغ يون هوي يده وربّت على يوي شان تشينغ.

أمسك يوي شان تشينغ بيد سونغ يون هوي، وانحنى وسأل بصوت هادئ يمكن لتشنغ كاي يان سماعه: «متى سنأكل حلوى الزفاف؟».

«بعد رأس السنة الجديدة». أجابه سونغ يون هوي بتأكيد.

«مبارك يا صغيري». ترك يوي شان تشينغ يده سونغ يون هوي، وغادر. وهنا فقط رفعت تشنغ كاي يان رأسها، وسألته بفضول: «لقد أزعجك كثيرًا، لم كنت مهذبًا معه؟».

«يمكنني أن أكون وقحًا عندما يستلزم الأمر، ويمكنني أن أكون مهذبًا عندما يستلزم الأمر، لا يوجد تناقض. سيتعين علينا التعاون معًا كثيرًا في العمل فيما بعد، لذا علينا دائمًا إظهار بعض المجاملة عند اللقاء. هل بردت وجبتك؟ لقد دعوتك لتناول الطعام في غرفتي ولكنك لم تذهبي».

«سيكون أمرًا سيئًا لو رأى الناس ذلك».

«ألستُ أذهب كثيرًا إلى منزلك لتناول الطعام؟ ما الخطأ في ذلك؟».

«هناك أبي وأمي وأخي في المنزل، الأمر مختلف».

لم يدرِ سونغ يون هوي أعليه الضحك أم البكاء، ولم يجرؤ حتى على ذكر ما يعنيه ذهابها معه إلى مسقط رأسه والإقامة ليوم واحد خوفًا من أن تأخذ الأمر على محمل الجد. على العكس من

ذلك، كان كبيراً عائلة تشنغ مؤمنين بنزاهة سونغ يون هوي، ووافقاً مباشرة على السماح لابنتهما بطلب إجازة والذهاب معه لمقابلة كبير عائلته سونغ قبل عيد الربيع، حتى أن والدتها ذكرت موعد الزفاف على مائدة الطعام، فقال المدير تشنغ بلا تردد أنه كلما تم في وقت أقرب، كان أفضل، وسينتقل سونغ يون هوي للعيش في منزل عائلة تشنغ، ويغادر بعد توزيع شقة خاصة به. فشرع سونغ يون هوي بامتنان شديد للطف عائلة تشنغ تجاهه من البداية إلى النهاية.

لم يستطع كبيراً عائلة سونغ منع نفسيهما من الإعجاب بزوجة ابنتهما المستقبلية الجميلة، ومع ذلك أرادت تشنغ كاي يان إظهار كفاءتها، وأنها فاضلة وقادرة على القيام بالأعمال المنزلية، ولكنهما لم يسمحا لها بذلك. لم يكن لدى الصغيرين ما يفعلانه، فاصطحب سونغ يون هوي تشنغ كاي يان وذهبا إلى التل الخلفي لقريه شياوليجيا، إلى قبر شقيقته الكبرى ليخبرها. فرق قلب تشنغ كاي يان، وبكت. مسك سونغ يون هوي بيدها، وانتظر حتى تنتهي من البكاء، ثم نزلا من الجبل. وبعد النزول سألتها: «هل تشمين رائحة كريهة؟ لنذهب ونرى كيف تسير الأمور في مزرعة الخنازير الخاصة به».

«لقد شممتها منذ وقت طويل، إنها أسوأ من مصنعنا الرئيسي. هل سنذهب لرؤية زوج شقيقتك؟».

أوماً سونغ يون هوي برأسه، وقاد الدراجة نحو الأسفل مصطحباً إياها، وطوال الطريق أخذ يخبرها كيف بُني فرن الطوب،

وكيف رُدِمَت بركة الأسماك، ولماذا أرادوا تربية الخنازير، وما السبب في بناء مصنع الأسلاك الكهربائية، وما قصة تلك الرافعة الجسرية الطويلة. وكانت تشنغ كاي يان منبهرة بما يقول كمن يستمع إلى قصة. وعندما مرّ بمصنع الأسلاك الكهربائية، رفع عينه فرأى أن اللافتة الموجودة على الباب قد تغيّرت إلى مصنع دنج فنغ للأسلاك الكهربائية. ثم استدار ليُلقي نظرة، فلم يجد خزان ترسيب مياه الصرف الصحي، فلم يسعه إلا أن يهزّ رأسه سرّاً، ولكنه لم يستطع قول شيء أمامها، ذهب إلى منزل لي دونغ باو لرؤية والدته، وتبادل بعض الكلمات، وأهداها لوازم العام الجديد، ثم انطلق الاثنان إلى مزرعة الخنازير. وبعد الانطلاق في الطريق سألته تشنغ كاي يان بهدوء: «هل صهرك قوي جدّاً هكذا؟ فجميع من قابلتهم طوال الطريق كانوا مهذّبين معك».

«إنه كفءٌ جدّاً، ولكن سيكون من الأفضل لو كان مستواه التعليمي أعلى». لكن بعد قول هذا، فكّر سونغ يون هوي قليلاً وقال مناقضاً لنفسه: «ولكن لو كان مستواه التعليمي أعلى، فربما لم يكن ليحقق الإنجازات التي حققها اليوم». بعد رحلته إلى الخارج، وترأس تركيب المعدات الكبير لستّة أشهر، أصبح سونغ يون هوي أكثر نضجاً في التفكير بالمشكلات، وصار بإمكانه التعبير عن قصده بالفعل. عند القيام بأي شيء، يكون من الضروري التفكير في الكثير من الأشياء من جميع الجوانب، وفي حالة عدم كفاية الظروف، يتعيّن الحفاظ على رباطة الجأش والتقدّم بشجاعة. يبدو أن الضغط كبير على لي دونغ باو ذلك القائد.

ضحكت تشنغ كاي يان قائلة: «ما دمت قلت إنه كفاء، فهو بالتأكيد كفاء جدًا».

فكر سونغ يون هوي، هل لي دونغ باو كفاء حقًا؟ ولكنه لا يبدو كفاءًا بالمعنى التقليدي، «إنه... أكثر جرأة، أكثر جرأة في التصرف، ولكنه لا يراعي كافة الجوانب عند التفكير في مشكلة ما. إننا متناقضان، فأنا لست جريئًا مثله. لذا فنحن لا نُقارن ببعضنا البعض».

وبينما كانا يتحدّثان، وصلا إلى مزرعة الخنازير، والتي كانت على بُعد غمضة عين بالدراجة. كان معظم أهالي شياوليجيا يعرفون سونغ يون هوي، لذا كان دخوله المزرعة سهلاً كما كان الحال في مصنع الأسلاك الكهربائية. دخل، وارتدى حذاءً برقبة عالية، وخطا فوق بركة الأدوية، ورفع الستارة المصنوعة من اللباد، فظهرت مزرعة الخنازير ذات الحرارة العالية والرائحة الكريهة في الداخل. كان لي دونغ باو يصطحب تشنغ بينغ يوان في جولة، وما إن رأى شخصًا قادمًا، وتأكد أنه سونغ يون هوي، حتى تخلّى عن تشنغ بينغ يوان وركض مقتربًا، وأمسك بيديّ سونغ يون هوي صارخًا: «سمعت أنك ذهبت إلى ألمانيا الغربية هذا العام، ثم سمعت أنك مشغول جدًا، وافتقدت والديك كثيرًا. شكرًا جزيلًا على الحلوى الأجنبية التي أحضرتها، فما زلت تتذكّر أن أمي تحب الحلوى أكثر من أي شيء آخر. خطيبتك؟ لقد ذكرت والدتك ذلك للتو».

«لماذا تشكرني، أنا الذي أشكرك كثيرًا على رعايتك لوالديّ في هذه الفترة. حبيبتي تشنغ كاي يان، كاي يان، ادعِه بأخي

الأكبر». فدعته تشنغ كاي يان بـ «أخي الأكبر» وهما يتصافحان بقوة، وشعرت أن زوج الأخت هذا متحمس حقًا لسونغ يون هوي، لذلك فعلى الرغم من شعورها بأنه يرتدي ملابس غير مرتبة وأنه يبدو شرسًا، فإنها تقبلته على الفور. «أخي، اذهب لعملك، ولتحدث بعدما تنتهي».

«تعاليا معي واستمعا، فهو ليس سرًا من أسرار الدولة، ولتعطيناني بعض النصائح. أفكر في استيراد المزيد من سلالات الخنازير وبناء صف آخر من حظائر الخنازير، ولكن المال لا يكفي، فطلبت من المحافظ ترتيب السياسات. هيا بنا».

تبعه سونغ يون هوي، ورأى تشنغ كاي يان عيناها محدقتان من الدهشة، فسألها مبتسمًا: «الأمر مضحك؟». فأومأت برأسها: «مضحك جدًا، تمامًا مثل اسمه الأخير، فهو شعلة نشاط، ولكن وجهه شرس حقًا».

ضحك سونغ يون هوي، وتقدم إلى المحافظ تشن ليصافحه، وقدم نفسه مرة أخرى عندما رأى أن لي دونغ باو لم يقدمه جيدًا: «أنا أعمل في مشروع... بالمصنع الفرعي الأول التابع لمصنع جيتشو الرئيسي».

«أوه، أعرفه، إنه من المشاريع الرئيسة في المقدمة. أنت... تذكرتك، لقد ظهرت في صحيفة المقاطعة. قلت أيضًا إن اسمك يبدو مألوفًا جدًا، واتضح أنني كنت قد سمعته من زوج أختك، إنك شاب واعد، شاب واعد جدًا. عليك تقديم التوجيهات لشياولي جيا،

فالوعي السياسي لدى الرفيق لي دونغ باو منخفض جدًا، ها ها». كان تشن بينغ يوان لطيفًا جدًا معه.

أضافت تشنغ كاي يان على مضمض نيابة عن حبيبها: «إن سونغ يون هوي يتولّى حاليًا مسؤولية الورشة الهندسية الكبرى، وهو مدير أكثر ورشة لها مستقبل واعد في مصنعنا الرئيسي».

«أنت لا تخافين من المبالغة أيضًا». قال سونغ يون هوي ضاحكًا، «يا سيادة المحافظ تشن، كنت دائمًا أسمع أنك من المؤيدين الأقوياء المعروفين بأعمال الإصلاح في المدينة بأكملها، وكنت معجبًا بحضرتك لفترة طويلة».

«الرفيق دونغ باو هو رائد الإصلاح وممارسه حقًا، إنه ليس سهلاً».

لطالما كان لي دونغ باو غير محبّ لسماع مثل هذه المجاملات الرسمية، فقاطعه قائلاً: «أي رائد أنا، فقد كنت أول من نفذ التعاقد مع الأسر سرًا، وتعلّمت هذه السياسات من شقيق زوجتي هنا، وهو الرائد الحقيقي، وهو الآن أول من سافر في رحلة عمل إلى ألمانيا الغربية. يا سيادة المحافظ تشن، ألم تقلّ إنني من المصلحين، وافق على صرف ثلاثمائة ألف يوان، وسأستخدم أي مبلغ لدي لمضاعفة حجم مزرعة الخنازير».

«لا تتصرف بغباء معي، أليست كل حظائر الخنازير فارغة؟».

«هذا لأن الخنازير الكبيرة قد بيعت لتوّها هذه الأيام، وبعد رأس السنة ستُحضّر الخنازير الصغيرة جميعها إلى هنا، ولن تكفي

الخطائر، لتذهب وتتنظر إذا لم تكن تصدقني». وبعدما قال هذا، سحب تشن بينغ يوان ومضى، وبدأ تصرّفه وقحًا، ظل يتحدث أثناء السير، «كان من الممكن فصل الخنازير الصغيرة في وقت سابق، ولكن الجو بارد جدًا هذه الأيام، وأخشى أن تتجمد حتى الموت. لتذهب يا سيادة المحافظ وتعدّها، كيف لهذه الخطائر أن تستوعب كل هذه الخنازير الصغيرة؟».

تبعتهم تشنغ كاي يان إلى غرفة أخرى، وخطت مرة أخرى على بركة الأدوية، وفي لمحّة رأّت خنازير صغيرة سمينة بيضاء كالثلج تندرج على الأرض ذهابًا وإيابًا، كان الأمر ممتعًا حقًا، ولكن لي دونغ باو كان قد ألقى جملة بالفعل: «ما الممتع في الأمر، سيكون من الممتع أكثر أن تتزوجا مبكرًا وتنجبا طفلًا سمينًا». وعلى الفور احمرّ وجه تشنغ كاي يان، وضحك من بجانبها جميعًا.

سأل تشن بينغ يوان: «كم عدد الخنازير الصغيرة؟ وكم عدد الخنازير الكبيرة التي يمكنك تربيتها هنا؟».

«هذه الدفعة ما زالت في طور التكاثر، وبعد ولادتها سيكون عددها ألف وخمسمائة خنزير تقريبًا، لا يمكنني تربية أكثر من ألف خنزير فقط هنا. سمعت أن الخنازير لا تباع جيدًا في الصيف، لذلك أخطط لإبقاء بعضها للتكاثر هذا الصيف، وأسعى جاهدًا لبيع ثلاثة آلاف خنزير بحلول نهاية العام. قال الاتحاد الائتماني بالبلدة إنه لا يملك الكثير من المال، لذلك أتيت إليك يا سيادة المحافظ تشن، فأنت لديك الكثير من المال وعلاقاتك قوية».

عندما سمع سونغ يون هوي هذا فكر قليلاً، وشعر أن خطة التوسُّع هذه قابلة للتنفيذ، ولكنه لم يقاطعهما. وضع تشن بينغ يوان يديه خلف ظهره ونظر إلى الخنازير الصغيرة، وبعد فترة قال: «سأعود وأدرس الأمر، وعلى أقرب تقدير سأعطيك المال بعد رأس السنة الجديدة».

«على أبعد تقدير بعد رأس السنة الجديدة، وإلا فلن تتمكن حظائر الخنازير من استيعاب نمو الخنازير، وسرعان ما ستكتظ بها. يا سيادة المحافظ تشن، أنت لديك المال».

«حتى ولو كان لدي المال، فعليّ أيضاً اتباع الإجراءات بشكل صحيح، كيف لي أن أعطيك المال غداً وقد طلبته اليوم».

«بعد غد، بعد غد سيكون جيداً أيضاً. لقد قلت إذا تم هذا التوسُّع، فسيمكنني اللحاق بمزرعة الخنازير في السوق». تفاوض لي دونغ باو معه كبائع الخضروات الصغير.

«لماذا لا تقوم بالتوسُّع أكثر قليلاً، وتبيع خمسة آلاف سنوياً، وترتّب الخنازير على نطاق واسع». قال تشن بينغ يوان هذا بعدما فكر قليلاً.

«أخشى ألا يستوعبهم السوق، فالخنازير الحية لا يمكن تخزينها». أخيراً قاطعهما سونغ يون هوي. في حين قال لي دونغ باو: «لتعطني ستمائة ألف، وسأوسِّع المبيعات لخمسة آلاف». فقال تشن بينغ يوان: «حسناً. سأتي غداً مرة أخرى، فأنا لم أتناول غداء اليوم. يا سونغ الصغير، لتعد إلى المنزل كثيراً وتدعم تنمية مسقط رأسك».

غادر تشن بينغ يوان، فسأل سونغ يون هوي لي دونغ باو ناظرًا إلى الغبار المتصاعد خلف السيارة: «خمسة آلاف، هل سيستوعبها السوق؟».

«في العام الماضي كان لدينا ألف خنزير، لن تكون مشكلة لو أضفنا ألفًا أخرى. هذا العام أصبحت حياة الجميع أفضل، لذا فهم يأكلون اللحوم أكثر، خمسة آلاف، لتكن خمسة آلاف. لتتناول الغداء في منزلي».

«سنعد ونأكل في منزلي، فهي ستعود غدًا إلى جينتشو. ما رأيك في أن تأتي معنا إلى منزلي».

«حسنًا، سأخبرك بشيء ما». دخل لي دونغ باو المزرعة مرة أخرى، ونادى بصوت عالٍ على لي شي قن، وطلب منه إعداد مبلغ من المال ووضعه في ظرف ليعطيه لتشون بينغ يوان غدًا. ولكن لم يكن هذا ما يريده تشون بينغ يوان. وعندما خرج، كان قد غير رأيه بالفعل، «إذا وافق على إعطائي ستمائة ألف، فسيكون لدي المال لتوسعة مصنع الأسلاك الكهربائية، فتجارة المصنع مُربحة جدًا، وعليّ توسعة مصنعي بكل قوتي. وسأوسع مزرعة الخنازير أيضًا، ولكن ما دام أعطاني المال، فسأقرر أنا ما إذا كانت ثلاثة آلاف أم خمسة آلاف خنزير. هيا بنا».

«ألن يحاسبك؟».

«يحاسبني على ماذا؟ ليس دوره محاسبتني». دهش سونغ يون هوي، وأدرك فجأة شيئًا ما، فنظر نظرة جانبية إلى تشونغ كاي يان،

وقال بغموض: «احذر».

«مّمّ تخاف. سنأكل طعامًا جيدًا في منزلك اليوم، فطهو أمي هو الأسوأ، وطهوك هو الأفضل».

«أنا أيضًا أريد تناول الطعام الذي يطهوه هوي الصغير، فدائمًا ما يقول إنه يطهو أفضل مني». لم تفهم تشنغ كاي يان المشكلة الخطيرة التي يتحدث عنها الرجلان.

«إن طهوه أفضل منك بالتأكيد، فهو يستخدم عقله في كل شيء. لقد نحفت كثيرًا يا هوي الصغير».

«إنه يشقى كثيرًا، ولا ينام في اليوم سوى ست ساعات فقط، وأحيانًا لا ينام أيضًا. ولكنه الآن صار أفضل أخيرًا، واكتسب وزنًا مرة أخرى».

«الرجال، لا يخشون الشقاء. من الآن فصاعدًا عليك الاهتمام بما يأكله وما يلبسه في المنزل، ودعيه يعمل جيدًا، فلديه عقل جيد، لذا لا تدعيه يهدر تفكيره على الأشياء التافهة. أسمعيت؟» لم يستطع لي دونغ باو منع نفسه من تذكر أيام سونغ يون بينغ، إذ لم يكن ذا أموال كثيرة حينها، ولكن حياته كانت مريحة جدًا، وكأنها أيام خيالية. وعندما نظر إلى تشنغ الصغيرة التي لم تكبر بعد، شعر أن هوي الصغير لن يعرف كيف يتحمل الشقاء، فكان عليه أن يساعده بتوجيهها أولاً. وافقت تشنغ كاي يان بابتسامة، ولم تشعر مطلقًا بأنها تتلقى توجيهات، لأن الأخ الأكبر قد عاملها بالفعل كزوجة لسونغ يون هوي.

ضحك سونغ يون هوي عند سماعه لذلك، ولكنه فكّر في أن لي دونغ باو قد أصبح وحيدًا الآن، وأنه لا يستطيع فعل شيء على عكسه تمامًا، ولن يمكنه أيضًا الاعتماد على والدته دائمًا. فشرع بتناقض قليلاً، وقال: «أخي، إذا كانت هناك فتاة مناسبة، فلتتزوج مرة أخرى، يجب أن تكون هناك امرأة في البيت».

«هراء». زار لي دونغ باو، ولم يقل شيئًا، واسودّ وجهه.

خافت تشنغ كاي يان لدرجة أنها اختبأت خلف سونغ يون هوي، ولم تجرؤ على النظر إلى لي دونغ باو الذي كان يركب الدراجة بجانبها. في حين لم يخف سونغ يون هوي، بل شعر براحة كبيرة، راحة من أجل شقيقته. ولكن لا يمكنه أيضًا تعطيل لي دونغ باو، فتنهد، وقال: «لن نعترض أنا ووالداي».

لم يُجب لي دونغ باو، وخلع القفازات، وحوّل راحة يده ليظهرها لسونغ يون هوي، وعلى الرغم من أن الكلمات التي كان قد كتبها على راحة يده حينها لم تكن واضحة، فإن عدة بقع سوداء ظلّت موجودة إلى الأبد كالوشم. وللوقت توقّف سونغ يون هوي عن إقناعه، فقد أوضح موقفه بالفعل على أي حال.

كان سونغ يون هوي قليل الكلام أصلاً، ولم يكن لي دونغ باو جيدًا في المجاملات أيضًا، بالإضافة إلى أن كليهما كانا في مزاج سيئ، ولم تجرؤ تشنغ كاي يان على الكلام خوفًا من لي دونغ باو، لذا لم يقل أي منهم شيئًا واحدًا في طريق العودة إلى عائلة سونغ. وفي النهاية قام سونغ يون هوي بطهو طبقين، ووضعهما أمام لي دونغ باو كنوع من المواساة، وفي المقابل وجه لي دونغ باو نظريه

بعيدًا. وعندما فهمت تشنغ كاي يان الأمر فيما بعد، تأثرت بشدة، ونظرت للي دونغ باو باحترام أكبر.

بعد توديع تشنغ كاي يان، ظلت والدة سونغ يون هوي قلقة من أن ظروف المعيشة البسيطة قد تدفع زوجة ابنها المستقبلية لاحتقارهم، ولكن سونغ يون هوي لم يكن قلقًا. وفكر في الصعود إلى السطح لتجديد البلاط، ولكنه أعلم بأن لي دونغ باو كان قد غيَّره بالفعل. ونظر إلى المنزل، فوجده منخفضًا وقديمًا ورطبًا حقًا، وفيه العديد من مواضع التسريب، ويحتاج إلى تجديد كلي، فطلب من والديه استخدام الأموال التي أحضرها بالإضافة إلى مَدَّخرات المنزل لبناء منزل جديد، ولكنهما رفضا قائلين إنهما سيستخدمانها لزواجه. وبصرف النظر عن الطريقة التي روج بها لوالديه عن بيئة المعيشة في ألمانيا، لكنهما ظلَّا رافضين ومصرِّين على إنفاقها على زواجه. فغضب وقال إنه سيتزوج أثناء السفر، ولن يُقيم حفل زفاف، وبعد قول هذا، تأثر حقًا بما قاله، ورأى أن الزواج أثناء السفر فكرة جيدة.

في يوم رأس السنة الجديدة، أحضر لي دونغ باو لوازم العام الجديد كعادته إلى باب المنزل، فبادر سونغ يون هوي بمناقشة بناء منزل جديد مع لي دونغ باو. لم يعد لي دونغ باو مهتمًا بطلب سونغ يون هوي منه الزواج بامرأة أخرى، وقام الاثنان بوضع الخطط أمام كبير عائلته سونغ، وفي النهاية وبعد الجدل، دفع سونغ ثمن جميع المواد، ودعا لي دونغ باو العمَّال لبناء المنزل. كان المنزل من تصميم سونغ، وكان يحمل نكهة تلك الفيلات التي شاهدها

في ألمانيا الغربية، له طابقان وسقف ونوافذ معقدة جدًا، ولكن لي دونغ باو لم يوافق على نصف التصميم، فكانت النتيجة النهائية غريبة جدًا. وعلى الفور قام الاثنان بحساب كمية وسعر الأسمت والجير والطوب والبلاط وغيرها من المواد، وطلب سونغ يون هوي من والديه سحب الأموال من البنك وإعطائها للي دونغ باو، ولو لم يفعلوا هذا، فسيفتقع جزءًا من راتبه كل شهر ويعطيه إياه. فلم يكن أمام والديه خيار آخر سوى الموافقة.

كما أخبر سونغ يون هوي لي دونغ باو عن جمال بيئة المعيشة في ألمانيا الغربية، وحُسن تخطيط المنازل والطرق، فطلب لي دونغ باو منه أن يخطط شياوليجيا وفقًا لهذا الجمال، إذ يمكنه أيضًا تحويل شياوليجيا لتبدو كحديقة كبيرة. فتحمّس سونغ يون هوي كثيرًا لهذا. ولأنه شخصٌ لا يستطيع الجلوس ساكنًا، فقد ذهب إلى تلة شياوليجيا ونظر حوله لفترة طويلة، ولكن عند رؤيته للمنازل القروية المكتظة في القرية، شعر أن لا وسيلة لديه للبدء. ففي النهاية الصين لديها عدد كبير من السكان.

في وقت فراغه، سأل والدته إذا ما كان يانغ الصغير بائع كعك المانتو يأتي أم لا، فأخبرته أنه في الصيف قد ودّع العائلات التي كانت تشتري منه الكعك، وأخذ شقيقه الأصغر إلى الشمال الشرقي حقًا. فشر سونغ يون هوي بقليل من الإعجاب تجاه ذلك الفتى، فعلى الرغم من صغر سنه، فإنه قد ذهب إلى الشمال الشرقي، ولكننا الآن في عيد الربيع، وكان من المفترض أن يعود يانغ بائع المانتو إلى منزله للاحتفال، فتساءل عما إذا كانت أحواله جيدة في الشمال الشرقي أم لا.

كان الاسم الكامل ليانغ الصغير بائع المانتو هو يانغ شيون، واسم شقيقه الأصغر يانغ سو. بعد تخرُّج يانغ سو من الإعدادية، أخذ الأخوان حمولتين من المقابس والقوابس الكهربائية وغيرها من الأشياء الصغيرة، وركبا القطار إلى الشمال الشرقي. وأثناء الدردشة طوال الطريق، كان يانغ شيون متأثرًا بالاسم الجيد الذي اختاره له والده، فهو الذي مكَّنه مع إخوته من التجوُّل كل يوم حاملين حمولة كعك المانتو وسله البيض، والآن صاروا يتجوِّلون مجددًا، ويذهبون أبعد وأبعد، إلى الشمال الشرقي.

لقد قام بعض معارفهم القدامى الذي غادروا القرية فيما مضى بإنفاق المال واستخدموا علاقاتهم لاستئجار طاولة بيع للأجهزة الكهربائية في متجر متعدد الأقسام في إحدى مدن الشمال الشرقي، فذهب الأخوان يانغ لمراقبتها بالنيابة عنهم. لم يكن هناك أجر ثابت، فلو باعا الكثير، سيكسبان الكثير، ولو باعا القليل، سيكسبان القليل. ولأن يانغ شيون كان يخشى الجلوس خاملًا عند العمل على طاولة البيع، فقد أخذ عينات للتجوُّل بها في الشوارع بحثًا عن مؤسسات لبيعها. وعندما كان عمَّال الأمن يرونه فتى صغيرًا مثيرًا للشفقة وذا لسان حلو، كانوا يرشدونه في كثير من الأحيان ويخبرونه بالأشخاص المهمين الذين يجب عليه الذهاب إليهم. وعلى الرغم من كونه صغيرًا، فإنه كان شجاعًا، كما أنه كان قد عمل لعام كامل في تجارة كعك المانتو بالفعل، لذلك كان ماهرًا في الإقناع، وحتى أمام المستين الصارمين، كان بإمكانه أيضًا استمالة

قلوبهم. ولكنه كان قد بدأ لتوّه العمل في الأجهزة الكهربائية، لذلك لم يكن يعرف المؤسسات التي قد تحتاج إليها، وكان عليه في كثير من الأحيان التحدّث لفترات طويلة حتى يشتري الناس على مريض مقبسين كهربائيين من أجله. وعلى الرغم من ذلك، فإن تجارته تظلّ أفضل من شقيقه الأصغر الذي يعمل على طاولة البيع. فكّر يانغ شيون أن هذا يعني البيع أمام طاولتي بيع وكسب راتبين، وعلى الرغم من أن الدخل كان يبدو أقل من الذي كان عليه وقت بيع المانتو، فإنه لم ييأس؛ فقد بدأ لتوّه، وفي بداية بيع المانتو، لم يكن المشترون يحبونه أيضًا. لا تستهن به، فهو ذو خبرة كبيرة.

بعد الركض يمينًا ويسارًا لأكثر من أسبوعين، أخيرًا تأثر رئيس قسم التوريد والتسويق في أحد المصانع بيانغ شيون الفتى الصغير الذي يتصبب عرقًا في هذا الطقس الحار، وكتب له خمسة أنواع من الأجهزة الكهربائية ليسأله عمّا إذا كانت لديه أم لا، فأجابه مباشرة بأنها موجودة، وأخرج له من الحقيقة اثنين من الأجهزة التي تلبّي المواصفات ليجربها، قائلًا إنه لم يجلب الثلاثة الأخرى وسيذهب على الفور لإحضارها. في الحقيقة لم تكن الثلاثة الأخرى موجودة في طاولة البيع التي يتولّى أمرها، ولكن كان هناك الكثير من أهالي قريته يعملون في تجارة الأجهزة الكهربائية في المدينة، فوجد تلك الأنواع الثلاثة الأخرى في طاولتي بيع آخرين، والتقى بزميله القروي المدير الذي كان يُدعى لاو وانغ، وناقشا معًا تقاسم الأرباح بلهجتهم القروية، ثم حمل الأجهزة الثلاثة وطار مسرعًا إلى ذلك المصنع، ولحسن الحظ كان الوقت قبل نهاية يوم العمل بقليل. فتأثر رئيس قسم التوريد والتسويق كثيرًا، وطلب من يانغ

شيون أن يأتي بعد ثلاثة أيام ليسأل عن نتائج التجربة. وعندما سأل بعد ثلاثة أيام، طلب منه رئيس القسم أكثر من سبعين قطعة من الأنواع الخمسة، ففرح يانغ شيون كثيرًا، وذهب بدراجه في أربع رحلات مستغرقًا يومين حتى أحضرها أخيرًا.

بعد حصوله على حصة كبيرة من الأرباح، فرح يانغ شيون كثيرًا لدرجة أنه هرع إلى سوق المزارعين ليشتري نصف كيلوجرام من أرخص لحم بطن خنزير، وتناول مع شقيقه وليمة من لحم الخنزير المقدم بشهية كبيرة، وشعر الأخوان بالرضا وكأنهما في رأس العام الجديد. بعد ذلك، واصل السير في الشوارع والأزقة باحثًا عن فرصة لجلوس القرفصاء في الزوايا. أحيانًا ما كان يحصل على ربح، وأحيانًا أخرى لم يكن يحصل على شيء، ولكنه دائمًا ما كان يحفظ جيدًا أولئك المُصنَّعين الذين على استعداد لشراء البضائع من أصحاب الأعمال الفردية، فكان يذهب إلى منازلهم بين الحين والآخر، ويناديهم بالأعمام والعمات، ويزورهم كلما سنحت الفرصة مبتسمًا، ودائمًا ما كان يحصل على شيء، بصرف النظر عما إذا كان بينهما عمل أم لا. وبمرور الوقت، أصبحت القائمة الموجودة بين يديه أطول وأطول، واضطر إلى شراء دفتر ملاحظات صغير من المتجر متعدد الأقسام ليسجل فيه. وقد أصبحت سلاحًا سحريًا في يده. كما تحسنت وجبات الأخوين تدريجيًا، وأخذت أطباق اللحوم تزداد شيئًا فشيئًا.

ولكن الأوقات السعيدة لا تدوم طويلًا، فسرعان ما حلّ الشتاء في الشمال الشرقي، والشتاء هناك قاسٍ جدًا بشكل لا يوصف،

وطويل لدرجة تُفقد الأمل، ففي البداية توزّمت أيدي الأخوين يانغ التي لم تُصب بتقرحات قط من فرط البرد، وصارت منتفخة كالماتو الذي كانا يبيعانه فيما مضى، ثم تشقق جلدهم وتقرّح، حتى صار من الممكن رؤية عظام بيضاء في مواضع التقرّح. حاول الاثنان جاهدين مقاومة البرد والتكيّف مع البيئة المحيطة، فاشترى ملابس من السكّان المحليين للتدفئة وموقد فحم خاص لتدفئة المنزل، فأنفقا الكثير من أموالهما التي كسباها حديثاً على هذه الأشياء الصغيرة. وبعد أن تعلّما كيفية استعمال موقد الفحم، بدأت تقرّحات أيديهما أخيراً تلتئم تدريجياً. وبعد مرات عديدة من السقوط، تعلّما أخيراً خدعة قيادة الدراجة على الجليد، وأخيراً تكيّفا مع البرد القارس في الشمال الشرقي. لقد ظنّا أن الأمر كان صعباً بما فيه الكفاية، ولكن معارفهم من القرية قالوا إنهما شابان صغيران في النهاية، فلم يتعلّما الصينية الفصحى أسرع من القرويين الآخرين فحسب، بل تكيّفا مع الشمال الشرقي أسرع منهم أيضاً.

أخيراً جاء عيد الربيع الذي لطالما انتظراه. وبعد رأس السنة الجديدة، اجتمع القرويون معاً للحديث عن عودتهم للديار، كان الجميع متحمّسين عند الحديث عن العودة، ولكنهم شعروا بالقلق عندما فكّروا في ترك منازلهم المستأجرة أو البضائع المخزنة في المستودعات، خوفاً من سرقتها من قبل اللصوص. لم يكن يانغ شيون يعلم مدى افتقاده للمنزل، ولكن بعد عدة أيام من التفكير، اقترح على الجميع قائلاً إن كلهم لديهم عائلات، فلم لا يضعون بضائعهم في ذلك المستودع الأكبر الذي يمتلكه لاو وانغ، ولأنه لن يعود إلى المنزل، فسيحرس هو المستودع. وطلب من لاو وانغ

ومن معه أن يأخذوا شقيقه يانغ سو معهم ثم يعودوا به. كان كثيرًا ما يشتري البضائع من أولئك القرويين، لذلك كان الجميع يعرفونه جيدًا ويثقون به، كما أنه من سكان القرية ويعرفون بيته، ولو حدث شيء، فلن يستطيع الهروب كالراهب الذي لن يمكنه الهروب من المعبد، لذلك شكر الجميع يانغ شيون وأخذوا يعودون تباغًا لأخذ بضائعهم وتجميعها في مخزن لاو وانغ. وكانت البضائع كثيرة جدًا لدرجة أنه لم يكن من السهل حشر سرير ليانغ شيون، وتبقت أيضًا زاوية صغيرة لإشعال موقد الفحم الخاص به.

قضى يانغ شيون الشتاء الأكثر برودة بمفرده، فكان كل يوم يختبئ في فراشه ويقرأ الصحف والمجلات التي تركوها له ليشعل بها موقد الفحم، وإذا ما جاع كان يخبز كعكتي مانتو على الموقد، ولم يأكل الجياوتسي إلا في ظهيرة يوم رأس السنة الجديدة. وبعد قضاء عيد الفوانيس، أخذ القرويون يعودون واحدًا تلو الآخر، فكان يُعطيهم أشياءهم دون أن تنقص شيئًا واحدًا، وفاز بإعجاب أولئك القرويين، وخاصة العجوز لاو وانغ الذي صار يفضلُه منذ ذلك الحين.

عند تسليم آخر البضائع من المخزن، أخذ الطقس يتحسن تدريجيًا، وبدأت العديد من المصانع في الإنتاج بكامل طاقتها، لذلك كانت بحاجة لشراء السلع، وكيف يمكن ليانغ شيون أن يضيع مثل هذه الفرصة للعودة إلى المنزل وزيارة عائلته، فانتظر حتى انتهت هذه الذروة الصغيرة، وحقق ربحًا صغيرًا أولاً ثم استعد للعودة إلى المنزل. ولكن قبل عودته تناقش العديد من

أهالي القرية معه بطريقة مهذبة، طالبين منه المساعدة في العودة ببعض البضائع. رفض يانغ شيون في البداية، لأنه كان يرغب في بيعها بنفسه، فبعد ستة أشهر من التجارة صار يعرف ما يباع جيدًا وما لا يُباع، لذلك فكّر في العودة ببعض البضائع ذات المبيعات الجيدة ليضعها في المنزل المستأجر، حتى لا يظلّ يحصل على حصة صغيرة من المبيعات. ولكن عندما عاد إلى المنزل المستأجر وفتح الرسائل وحسبها بعناية، أدرك أن الكثير من الناس يريدون منه إحضار أشياء، ومن الأفضل أن يطلب من بعض الأشخاص إحضارها ثم تجميعها معًا، بعدها يطلب ببساطة من سيارة إرسالها، ولم يدر ما إذا كان سيحقق ربحًا أم لا. في اليوم التالي ذهب إلى شركة شحن، وسأل عن سعر الذهاب إلى مسقط رأسه. ثم تناقش مع لاو وانغ والآخرين، فاتفق الجميع على أنها فكرة جيدة. بعد ذلك قام جميع من طلبوا في البداية من يانغ شيون إحضار البضائع بمضاعفة الكمية.

عندما يكون الناس بعيدين عن المنزل، فإنهم دائمًا ما يقومون بأعمال تجارية صغيرة كالشراء والبيع، ويكونون دقيقين جدًا بشأن سعر الشراء. كان لدى كل منهم مكان في ذهنه لشراء أرخص السلع، فكانوا يذهبون سرًا إلى يانغ شيون ويسلمونه مذكرة، ويطلبون منه أن يبقي الأمر سرًا، ومكتوب أعلاها إن منتجًا معينًا قد تم شراؤه من الشركة المصنّعة «أ»، وعليه أن يذهب إلى هذه الشركة، ويخبرونه بالسعر، ومقدار المبلغ الإجمالي، والعنوان الذي يجب تسلّم الأموال منه، ويطلبون منه أن يفعل بالضبط ما هو مكتوب في المذكرة، بالطبع كان من بينهم من يستهدفون التئمّر

على يانغ شيون لكونه شابًا صغيرًا مطيعًا وتسهل السيطرة عليه. وقبل حتى أن يستقل يانغ شيون القطار، كانت برقياتهم قد وصلت بالفعل إلى المنزل توضح الوضع وتطلب إعداد المال.

كان يانغ شيون يحمل أكثر من عشرين مذكرة في يده، ولم يكن غيبًا أيضًا، فلو فعل كما أخبره أولئك الناس، لظل مشغولاً جدًا في قريته ولا يعرف ماذا يفعل، ولن تكفي البضائع حتى ولو بحث عنها لمدة شهر. لذلك فبعد ركوب القطار، رسم جدولاً كبيراً، وكتب فيه نفس المنتج على خط أفقي، حتى يمكنه إيجاد الشركة المُصنّعة صاحبة السعر الأرخص والجودة الأعلى بالمقارنة بين الشركات. وبعد عودته إلى الديار، قاد دراجته التي كان يبيع بها المانتو لمقارنة الأسعار بين ثلاث شركات، واستخدم كمية الشراء الضخمة التي طلبها العديد من الأشخاص مجتمعين للضغط على تلك الشركات المُصنّعة، وضغط أسعار الشحن الخاصة بهذه الشركات، وأخذ يقارن بينها وبين أرخص سعر مكتوب في الجدول، وقد تعامل معه المصنعون كأحد أفراد عائلاتهم.

كان يانغ شيون يتعلّم أثناء العمل، ويعمل بعدما يتعلّم، وبعد عشرين يومًا من العمل الشاق، كانت كل البضائع تقريبًا جاهزة، وينقصها فقط الأسلاك الكهربائية. كان هناك أكثر من عشرة أشخاص يحتاجون استيراد الأسلاك الكهربائية، من بينهم ثمانية يريدون استيرادها من مصنع يُدعى دنغ فنغ للأسلاك الكهربائية. فيما مضى كان يانغ شيون يجول في كل مكان حاملاً كعك المانتو على كتفه كل يوم لمدة عام، لذلك كان يعرف بالطبع أين يقع مصنع

دفع فنع للأسلاك الكهربائية. في الصباح الباكر، انطلق بدراجته، حتى وصل إلى قرية شياوليجيا عند الظهر تقريبًا، وجلس عند ممر التل وأكل كعكتي مانتو كانتا داخل جيبه، وبعدها انطلق إلى أسفل التل وصولاً إلى المصنع.

عندما وصل إلى المصنع، رأى ثلاثة خطوط إنتاج، أحدها بدأ جديدًا تمامًا، ومرتبّة بشكل مذهل تحت ثلاثة أكواخ. ولأن الورشة كانت بلا جدران، فكان من الممكن رؤية كل شيء بمجرد الوقوف أمام المدخل. لا عجب في أن تكون متنوعة هكذا، إذ كان لديها كل ما يريده الكثيرون.

كان لدى يانغ شيون خبرة كبيرة نظرًا لاستيراده للعديد من البضائع، لذلك فبعد وصوله إلى المصنع دخل مباشرة إلى مكتب الإدارة. كان هناك شخصان جالسان وجهًا لوجه ويتحدثان في مكتب مدير المصنع، وعندما رأى ذلك الرجل الشرس الجالس مقابل الباب يانغ شيون، ألقى نظرة جانبية عليه وسكت، فاستدار ذلك الرجل الذي كان ظهره إلى الباب، وعندما رأى الفتى الصغير يانغ شيون قال مباشرة: «لقد أوقفنا تعيين العمّال». وما إن أنهى كلماته حتى استدار مرة أخرى. كان هذان هما لي دونغ باو ولي شي قن.

وعلى الفور عرض عليهما يانغ شيون الصفقة مبتسمًا: «يا عمي، أتيت لشراء ألفي حزمة من الأسلاك الكهربائية». ونظرًا لكونه ذا نفوذ قليل، فقد ألقى العرض الكبير بمجرد دخوله من الباب ليسحق الطرف الآخر.

وبمجرد أن قال هذا، استدار شي قن مرة أخرى، وقال ضاحكًا:
«فلتعد إلى المنزل وتدعو والدك، لا تمزح معنا».

«اسمي يانغ شيون، وقد أحضرت المال معي بالفعل، دعني
أتفاوض معك يا عمّي بشأن السعر. ولكن هناك بعض الأشياء
التي تحتاج لمواصفات تصنيع خاصة». دخل يانغ شيون المكتب،
ووجد لنفسه مقعدًا بهدوء وجلس عليه.

وبعين خبيرة فهم شي قن على الفور أن هذا الفتى الذي أمام
عينيه قد أتى إليهما في عمل حقًا. فنهض بسرعة وأحضر كوبًا
أبيض كالثلج مصنوعًا من المينا ليعدّ كوبًا من الشاي ليانغ شيون.
ظلّ يانغ شيون يشعر وكأن سلكًا كهربائيًا حيًا يحترق بجانبه، نظر،
فوجد لي دونغ باو متكئًا على كرسي ويراقب في صمت. فابتسم
وحيّاه: «مرحبًا يا أخي الكبير».

«هل تناديه بعمي، وتناديني بأخي الكبير؟» ظلّ لي دونغ باو
ينظر إليه بحسد، «ماذا تعمل عائلتك؟ لماذا تحتاج لكل هذه
الأسلاك؟ هل يثقون بك لتأتي؟».

«عائلتي مزارعون، والدي توفي مبكرًا، وأنا ذهبت مع آخرين
إلى الشمال الشرقي للعمل بالتجارة وإعالة عائلتي، وأتيت هذه المرة
لمساعدة الجميع في إحضار بعض البضائع. يا أخي، سمعت أن
أمين لجنة الحزب بقرية شياوليجيا قد فقد والده أيضًا في سن مبكرة،
ويقولون جميعًا إنه شاب واعد، أقول هذا لأن أبناء الفقراء أمثالنا
عليهم تحمّل المسؤولية في سن مبكرة. يجب علينا العمل مبكرًا
وكسب الرزق وإعالة إخوتنا، وإذا لم نعمل فلن يتبقى لنا شيء».

ضحك لي دونغ باو عند سماعه لذلك: «أخي شي قن، هذا صحيح، ألم نكن فقراء من قبل؟ كان لدينا هدف واحد في الماضي، وهو الحصول على ما يكفي من الطعام». وبعدما أنهى لي دونغ باو كلامه، قال شي قن: «حقًا، هذا صحيح، وحينها كنت سعيدًا بمجرد التفكير كل يوم في التوقف عن كوني عازبًا. يانغ أيها الصغير، هذا هو الأمين لي أمين قرينتنا، وأنا مدير مصنع دنج فنج، واسم عائلتي أيضًا لي. أخبرنا، أي مواصفات تريدها؟».

مدّ يانغ شيون يديه مصرًا على الإمساك بإحدى يدي لي دونغ باو ومصافحته، وأخذ يقول «لقد سمعت عنك الكثير» مرارًا وتكرارًا، ثم أخرج قطعة ورق من جيبه وأعطاها لشي قن. لطالما كان لي دونغ باو معتادًا على مثل هذه اللباقة، لذا لم يشعر بأي إطراء على الإطلاق، ولكن صار لديه انطباع جيد تجاه يانغ شيون. قرأ شي قن المذكرة، ثم قرأ التقرير الذي بين يديه، وقال: «هناك نوعان غير متوفرين في المخزن، سأرتب لتصنيعهما فورًا، ويمكنك القدوم لتسلمهما بعد غد».

سأل يانغ شيون: «سيادة المدير لي، هل الأسلاك لديكم طويلة بما يكفي؟».

«بالطبع طويلة بما يكفي، فلتذهب إلى الورشة وتنتقي لفة لتقيسها كما تريد».

«هل هناك أقصر منها، بأربعة أو خمسة أمتار؟».

امتعض شي قن، وقال: «إنك شكّاك جدًّا في مثل هذا العمر الصغير».

لاحظ يانغ شيون تعيّر تعبيرات وجهه، فقال ضاحكًا: «لقد أسأت فهمي يا سيادة المدير لي، كنا نبيع الأسلاك بكميات كبيرة لمصانع الأسلاك الحكومية، وعادة ما كان السكان يشترونها ويقطعونها إلى لفات بطول بضعة أمتار، فكانوا على أي حالة يذهبون بها إلى المصنع، ويسرق منها الكهربائيون بضعة أمتار ويأخذونها إلى منازلهم، ولم يكن أحد يحقق في الأمر. ولكن إذا قطعناها بهذا الشكل، فستبدو العبوة فضفاضة، وسيتمكن الآخرون من رؤية ذلك لو دققوا فيها. لذلك فمن الأفضل أن تقطعوا أنتم بضعة أمتار أولاً، ونقطع نحن من السعر وفقاً للنسبة. كما ترى تلك التي رسمت عليها دائرة حمراء، هذه هي التي تتطلب تقصيرها».

كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها شي قن بهذه الخدعة، فلم يسعه سوى أن يتبادل النظرات مع لي دونغ باو الذي بدا محدقًا، وقال مازحًا: «كيف يمكنك الغش بهذه الطريقة، ألا تخشى أن يكتشف أحدهم هذا ويحطم متجرك؟». فضحك يانغ شيون وقال: «نحن ندير عملاً تجاريًا صغيرًا، وبما أن المصانع الحكومية تتطلب منّا توزيع السجائر والهدايا عند الشراء، فكيف ستجني المال إذا لم تحقق أرباحًا منها؟ لقد أخذوا الفوائد بالفعل، فلماذا يأتون ويدمرون متجرتنا؟».

قال لي دونغ باو: «هناك من هو أكثر دهاءً من هونغ وي، هل جميعكم تفعلون هذا؟».

ضحك يانغ شيون، فكيف يفعل الجميع هذا، تلك البضاعة التي يريد تقطيعها هي بضاعة يريد لها لنفسه، إذ إنه يذهب من باب

إلى باب لبيعها، ومعظم عملائه من الشركات المملوكة للدولة، وهي أكثر ما يحتاج إلى هذا النوع من الأسلاك القصيرة. ولكنه لم يقل هذا: «الجميع يفعلون هذا، وإلا فكيف كنت سأعرف. أرجو من الأمين لي والمدير لي الجلوس بهدوء، وأنا سأذهب بنفسي إلى الورشة لأخذ المقاسات».

شاهد لي دونغ باو يانغ شيون وهو يخرج مبتسماً وقد ظهرت أنيابه الكبيرة، فانتظر حتى يبتعد، وقال: «إنه ماكر جداً في مثل هذه السن الصغيرة». فضحك شي قن قائلاً: «بما أنه يريد كمية كبيرة، فلنعطه دفعة وفقاً لمواصفاته، ولن نفعل هذا في باقي منتجاتنا، وإنما سنجعلها بالحجم العادي. لا يمكننا فتح هذا الباب علانية، فلدينا عمل تجاري ضخم، ولو تعلم الجميع هذه الخدع الصغيرة، فكيف سيمكننا إدارة هذا العمل».

أوماً لي دونغ باو برأسه: «كُن حذرًا، فلو فتح أحد هذه الباب الصغير، وتجراً على التلاعب بأموال القرية، اضربه حتى الموت، وأرسله إلى السجن لبضع سنوات، دعنا نرى من سيجرؤ على فعل هذا».

تردد شي قن قليلاً: «قال سي باو إن الأمين الكبير يقبل المال والبضائع من الناس، ويعطيهم الطوب بأسعار منخفضة».

صدم لي دونغ باو للحظة، وحدق في شي قن دون أن يقول كلمة واحدة. في هذا الوقت، غاد يانغ شيون، وأخذ يتفاوض مع شي قن بشأن السعر وفقاً للمواصفات الخاصة، وظل يخفض السعر حتى وصل إلى مستوى يرضيه، ثم أعطاه دفعة مقدمة من

المال، واتفق على تسلُّم البضاعة بعد غد. ظل لي دونغ باو صامتًا، وذراعاه مطويتان إلى صدره في ذهول، حتى إنه لم يتبته إلى يانغ شيون عندما حيّاه مغادرًا، إذ كان يفكّر في شأنه الخاص. وبعد عودة شي قن، سأل بصوت منخفض، وهو أمر نادر، قائلاً: «هل حققت في الأمر؟» كان يعلم أن شي قن لن يتحدث أبدًا بالهراء دون التحقيق في التفاصيل بوضوح، على العكس تمامًا من سي باو. وما دام قال شي قن هذا، فلا بد أن يكون الأمر صحيحًا، لذلك فهذه المشكلة خطيرة.

3

«حققت، وعثرت على دليل قاطع. والعديد ممّن يقودون الجرارات يعرفون بالفعل». أخرج شي قن ظرفًا، «الدليل بالداخل». أخذ لي دونغ باو الدليل وقرأ بعناية، وعقد حاجبيه بشكل أكثر إحكامًا، وبعد القراءة، ضرب الطاولة بقوة ونهض، فقفز شي قن معه، وأمسك به: «لا تنفعل، لم أخبرك من قبل خوفًا من أن تنفعل، دعني أنهي التحقيقات الخارجية أولاً، ثم سأخبرك بعد ذلك. تعامل مع الأمر بشكل صحيح، فعمّك يختلف عن الآخرين».

«لقد رأه الجميع». بدا لي دونغ باو شرسًا حقًا.

«ولكنه عمّك، وليس شخصًا آخر». أمسك شي قن بلي دونغ باو بإحكام، «أو اطرده بهدوء، وكأنه تقاعد، حتى يمكننا التفسير للجميع».

«لا يمكن». حاول لي دونغ باو الإفلات منه بصعوبة، «راقب مصنع الأسلاك الكهربائية». وغادر مسرعًا إلى مصنع الطوب لمقابلة الأمين الكبير. لم يكن أمام شي قن حل سوى رفع سماعة الهاتف والاتصال بالأمين الكبير أولاً، ولكنه فكر قليلاً، ثم وضع السماعة. كان واثقًا في تعامل لي دونغ باو مع الموقف، ولكنه كان قلقًا، لذلك لم يجرؤ في النهاية على تجاهل الأمر، فركب الدراجة وتبعه مبتعدًا.

وصل لي دونغ باو إلى مصنع الطوب، وهرع مباشرة إلى مكتب الأمين الكبير، ودخل دون كلمة واحدة، ثم أغلق الباب والنافذة، وألقى بالظرف أمام الأمين الكبير. ولم يعرف الأمين الكبير ما هذا، ففتح ونظر، وللحظة شحب وجهه، ولم ينبس ببنت شفة. حدّق لي دونغ باو فيه، وقال وهو يصرّ على أسنانه: «عمي، أنت عمي، اسمح لي أن أسألك أولاً، كيف يجب أن أتعامل مع الأمر؟».

ظلّ الأمين الكبير صامتًا، وأخرج سيجارة، لكن يديه كانتا ترتعشان، ولم يستطع إشعال عود الثقاب. لم يساعده لي دونغ باو، وإنما ظلّ محدّقًا فيه، ولم ينطق بكلمة.

جاء شخص إلى المكتب للبحث عن الأمين الكبير، ولكنه عندما رأى الجو متوترًا من الخارج، غادر مختفيًا على الفور. جلسا في مواجهة بعضهما صامتين لعشر دقائق كاملة، وأخيرًا أشعل الأمين الكبير عود الثقاب ليشعل به السيجارة.

استجمع لي دونغ باو أكبر قدرٍ من الصبر في حياته كلها، وانتظر صامتًا حتى ينتهي الأمين الكبير من سيجارته. وظنّ أن الأمين الكبير سيتحدّث حينها، ولم يتوقّع أن يقف الأمين متأرجحًا، ويتوجّه نحو

الباب بظهر منحني، دون أن يعبر عن رأيه. لم يكن أمام لي دونغ باو خيار سوى الاعتماد على شبابه ولياقته ليخطو بساقه ويسدّ بها الباب ويمنع الأمين الكبير من الخروج. «عمّي، أعطني كلمة».

«أنت تقرر». وقف الأمين الكبير أمام الباب، ولم يحاول فتحه بقوة، ولكنه لم ينظر أيضًا إلى لي دونغ باو. صُدم لي دونغ باو، واسودّ وجهه، وفكّر قليلاً، ثم سحب ساقه التي كانت تسدّ الباب: «عمّي، لقد شاهدتني وأنا أكبر، ولو لم تستغل الفرصة الأخيرة التي أعطيتها إياك، فأنت تعلم ما سأفعله».

«وهل ستركني لو ترجيتك؟ أنا أعرفك جيدًا».

«ما دمت تعرفني جيدًا، فلماذا فعلت هذا الجرم عن علم؟».

«ليس بالأمر الكبير، لم أتوقّع أن يجرؤ أحد على التحقيق. لقد صارت شياوليجيا عالمك الآن». قال هذا، وفتح باب المكتب، فرأى شي قن الذي هرع إلى الداخل، وتمتم قائلاً، «أحسنت يا لي شي قن، أيها العبد الكلب».

شعر شي قن بنظرة الأمين الكبير وكأنها سكين تخدش وجهه، وبالطبع، لم يكن الأمين الكبير ليردّ على تحيته. ثم رأى الأمين الكبير يتجه نحو البوابة، ويحاول ركوب الدراجة، لكنه فشل، واضطر لدفع الدراجة إلى الخارج. بعد ذلك أسرع إلى المكتب، فرأى لي دونغ باو خارجًا بوجه مكفهر، فسأله: «هل تشاجرتما؟».

هزّ لي دونغ باو رأسه: «على الفور، سيتولّى هونغ وي إدارة مصنع الطوب، عليك التحقيق بوضوح في الحسابات، والإعلان عنها».

«في الحقيقة، إن انسحاب العمّ دون كلمة كافٍ لتفسير المشكلة، فالجميع في القرية يعرفون جيدًا بالأمر، ولنعتبره قد تقاعد، لا تحقق في الأمر إلى هذه الدرجة. يقول المثل إذا ضربت لا تصفع وجهًا، لُنْبِقِ للعمّ بعض الوقار».

«حقوق! حقق حتى النهاية! فعمّي يعرف أنني سأفعل هذا».

تردد شي قن للحظة، ثم قال: «إن العمّ يعرف الكثير، ماذا لو طلب منا الإفصاح عن الهدايا التي قدّمناها لقادة المحافظة ومصنع الأسلاك في المدينة المجاورة؟ إذا كشف الأمر، فستكبر الأمور».

«شي قن، أنت تخاف من كل شيء. افعل ما أقوله لك، حقق. هل تظن أن عمّي يجرؤ على إثارة المتاعب؟ فحتى القرد العجوز لم يكن ليتجرأ على إثارة المتاعب في هذا الشأن».

دائمًا ما كان شي قن يسعى لضمان الحماية بنسبة مائة بالمائة، فكيف سيتجرأ على المقامرة بحياته كلي دونغ باو. ولكنه عندما نظر إلى موقف لي دونغ باو، ووجد أنه لن يستطيع إقناعه، اضطر لإجراء التحقيق، كما أن لي دونغ باو كان يفهم في الحسابات أيضًا، ولو أبعدته لقفز للتحقيق في الحسابات، وحينها ستكون الضربة أقوى للأمين الكبير. وبينما كانا يتحدثان، استدعى لي دونغ باو هونغ وي بالهاتف، فهرع إلى المكان، وقفز من دراجته وسألها لاهثًا: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟ لقيت ألقيت التحية على الأمين الكبير، ولكنه تجاهلني تمامًا، وبدا وجهه وكأنه ظلّ جائعًا لثلاثة أيام».

فردّ لي دونغ باو باختصار: «ستتولى إدارة مصنع الطوب بدءًا من اليوم، فقد حدثت مشكلة وتقاعد عمّي. لا تخبرا أحدًا بالسبب قبل ظهور النتيجة النهائية».

قال شي قن: «ما رأيك في أن نعقد اجتماعًا لكوادر القرية للنقاش واتخاذ القرار؟».

«هل ستجرؤ على التصويت؟» سأل لي دونغ باو محدقًا.

ظلّ هونغ وي مرتبكًا مما سمعه، إلى أن ركب لي دونغ باو الدراجة مغادرًا، وعندها فقط عرف القصة كاملة من فم شي قن، فلم يستطع منع نفسه من لومه: «ألا تُحزن دونغ باو هكذا؟ كيف تريد منه التعامل مع الأمين الكبير؟ لقد دفعت كليهما إلى طريق مسدود». فتنهّد شي قن: «لم أكن أريد فعل ذلك، ولكنني مسؤول عن الحسابات، ولو لم أقل شيئًا، لكانت أيدي الأمين الكبير قد امتدت أكثر وأكثر. أتظن أن الجميع لا يعرفون؟ جميعهم يخفون الأمر عن دونغ باو ليس إلا، وقد استغلّوا انشغال دونغ باو للتمثيل أمامه، ورأوا أنه سيكون من الأفضل لو تعلّموا من الأمين الكبير كيفية كسب بعض المال من دون علم لي دونغ باو. إذا لم أقل أنا المُحاسب الحقيقة، من كان سيقولها. كما أنني لو لم أوقف الأمين الكبير، لبدأ الجميع في الشك حتى فينا نحن الاثنين المسؤولين. الشيء الوحيد الذي يقلقني هو كيفية تعامل دونغ باو مع الأمين الكبير، فلطالما كان دونغ باو قاسيًا جدًّا».

فكّر هونغ وي قليلًا، ثم قال: «الأمين الكبير وقح أيضًا، فلديه أحفاد بالفعل ولكن يتصرّف بطريقة غير لائقة، لقد نهب أموال

القرية كلها ولم يخش أن يتقده الآخرون عند الخروج. لقد ذكرت هذا الأمر لدونغ باو من قبل، ولكنه كان يثق بالأمين الكبير كثيرًا، فأطلق لسلطته العنان، على عكس ما كان يفعل معنا، إذ كان يحقق في حساباتنا كل يوم كما لو كان يحقق مع مجرمين».

نظر شي قن إلى هونغ وي بعمق لفترة طويلة، ثم قال: «أنا أدير الحسابات بيد، وأدير مصنع الأسلاك الكهربائية ومزرعة الخنازير باليد الأخرى، لذلك فأنا مدعاة للشك أكثر منك. لا يمكن، كان عليّ أن أسمح لدونغ باو بتوضيح مسؤولياته، وإلا لما استطعت مقاومة تعلم الجشع من الأمين الكبير يومًا ما. صحيح، كان عليّ ذكر الأمر لدونغ باو، فقد أفسد الأمين الكبير بتدليله إياه. الناس ليسوا آلهة، ومن لا يضعف أمام العملات الفضية اللامعة».

فرد هونغ وي: «لا تنظر إليّ بهذه الطريقة، فأنا جيد جدًا، على الأكثر يمكنني فقط الحصول على بضع سجائر من الآخرين. إن أسعار الأشياء التي نبيعها واضحة، فمن يمكنه العبث بها كما فعل الأمين الكبير. ليس لدي وقت للحديث معك الآن، عليّ عقد اجتماع مع العاملين بمصنع الطوب. وفي المساء علينا أن ننصح دونغ باو معًا، ونطلب منه ألا يُبعد الأمين الكبير أكثر من اللازم، وأن يكون أكثر ودًا معه، حتى لا نقلق نحن الواقفين متفرجين بالجوار».

نظر شي قن إليه بعمق مرة أخرى، وأوماً برأسه بغموض، وقرر الذهاب إلى مكتب القرية للتحقيق في الحسابات، لينفذ كلمة

«حقق» التي قالها لي دونغ باو. كان عليهما تأدية واجبهما على أكمل وجه، فلا يمكنهما اتهام الأمين الكبير ظلمًا، ولا يمكنهما أيضًا تبرئته عبثًا، ولكن عليهما أن ينصحا دونغ باو بآلا يكون قاسيًا في التعامل معه. بيد أن كلام هونغ وي تبّه وأقلقه من احتمالية ارتكابه لنفس خطأ الأمين الكبير يومًا ما، فمن السهل عليه جدًا أن يمدّ يده، أسهل كثيرًا من الأمين الكبير، كما أن لي دونغ باو يثق به، وجميع الأختام بحوزته، ولو قدّم حسابًا مزيفًا، فلن تتمكن الآلهة حتى من اكتشاف ذلك. إنه يتصرّف حاليًا وفقًا لضميره، ولكن ماذا عن المستقبل؟

أخذ قلق شي قن يزيد كلما فكّر في الأمر، فبدأ في التخطيط للتغيير.

بعد مغادرة هونغ وي بفترة وجيزة، ذهب إلى مكتب القرية، ولكنه رأى ابن الأمين الكبير متكئًا على الباب ويبتسم له بأدب: «أخي الكبير شي قن، إلى أين أنت ذاهب؟».

كان ابن الأمين الكبير أكبر سنًا من شي قن، ولكنه صار يتبع فئة شباب القرية في إطلاق لقب الأخ الكبير على شي قن، وبالطبع فهم شي قن السبب، فهو موجود هنا لمساعدة والده في التجسس. لم يرغب شي قن في الكذب، فرد مباشرة: «ذاهب للتحقيق في الحسابات». قال هذا فقط.

«أخي شي قن، لقد قلت إنكم جميعًا تحملون اسم عائلة لي، كما أن الأمين دونغ باو قد تمت ترقيته على يد والدي، ألا يمكنكم

إظهار بعض الرحمة وإنقاذه؟ لماذا لا تتعلمون من باو دونغ⁽¹⁾ وتصرون على استبعاد والدي؟».

«اللعنة، لو كان بوسعك القيام بعمل لائق وكسب القليل من المال، لما اضطر والدك للوصول إلى هذا الحد. لا تتحدث معي، لقد أمرت بالتحقيق في الحسابات. لو كنت بارًا بوالدك؛ إذًا عليك تحمّل مسؤوليته».

عندما رأى ابن الأمين الكبير أن محاولاته في الإقناع باءت بالفشل، استشاط غضبًا، وسدّ باب المكتب ليمنع شي قن من الذهاب إلى مكتب المالية: «لي شي قن، أيها الكلب الذي يلحق مؤخرة لي دونغ باو، من الذي أمرك بالتحقيق في الحسابات؟ أخبرني، أخبرني، ألم تكن أنت من تقدّم بشكوى؟ أيها الكلب، أيها الكلب الذي يأكل القذارة...».

كان شي قن شخصًا متحفظًا، لذا لم يغضب مباشرة بمجرد سماعه للسباب، وإنما نظر إلى الأشخاص الذين مدّوا رؤوسهم من ساحة التجفيف لإلقاء نظرة، وقال بهدوء: «ما زال الأمين دونغ باو لم يتعامل مع الأمر بعد حفظًا لماء وجه والدك، وأنت من يُشير ضجة حول فضيحتة، إذًا من يحاول تشويه صورة والدك الآن؟».

صُدم ابن الأمين الكبير، وغطى فمه من الذعر، فاستغلّ شي قن الفرصة وحاول المرور من الباب ذاهبًا إلى مكتب المالية. ساء الأمر في عيني ابن الأمين الكبير، وخشى من إيجاد شي قن للأدلة

(1) سياسي صيني عاش في عهد أسرة سونغ وهو معروف بأمانته.

بعد التحقيق، لذا أصرّ على إبقاء شي قن خارج مكتب المالية واندفع إلى الأمام وعانقه بقوة لمنعه من الدخول حتى كاد شي قن يسقط. فظنّ شي قن أن ابن الأمين الكبير يهاجمه، وغضب أخيراً، فتصارعا وقاتلا بعضهما بشراسة. وفي هذه اللحظة، صار ما لم يكن دونغ باو وحتى هونغ وي ينويان الإفصاح عنه معروفاً لدى الجميع بعد هذه المشاجرة وصياح ابن الأمين الكبير. فلم يعرف الجميع باختلاس الأمين الكبير فحسب، وإنما رأوا بأعينهم أيضاً أنه أثار المتاعب بشكل غير معقول وأمر ابنه بعدم السماح بالتحقيق في الحسابات، وبصرف النظر عمّا إذا كان الأمين الكبير هو من أمر ابنه أم لا، فقد وقع هذا الحساب المالي على عاتق الأمين الكبير، وعلى الفور تدمّرت سمعته.

سرعان ما فصل المحيطون بينهما، وساعد ذوو النفوذ شي قن زعيم القرية الجديد في سباب ابن الأمين الكبير، ولعنوا كل أسلافه، في حين أخذ مُحبّو السلام يدفعون ابن الأمين الكبير ليعود إلى المنزل إلى أن أوصلوا ذلك المشاغب إلى بوابة فناء منزله. كان الأمين الكبير قد طلب من ابنه في البداية الذهاب واستطلاع الأمور، والاستعداد للتحرك على أساسها، وظلّ واقفاً في الفناء بأذنين مائلتين مصغيتين، ولم يتوقع أن يسمع ابنه وهو يكشف الأمر في وضح النهار، وأن يسمع إهانات الآخرين وبصاقهم عليه. وعندما فكّر في سمعته المجيدة طوال حياته، وأنه لم يسقط قط في فترات الحركات، والآن صار يُهان من الآخرين، أصبح يخجل من الخروج ومقابلة الناس، واختبأ في المنزل، ولم يجرؤ على مقابلة أحد، بل لم يجرؤ على إرسال ابنه لمقابلة أي شخص. لم

يستطع النوم طوال الليل ولا الجلوس بهدوء طوال النهار، خاصة عندما فُكّر في الإجراءات التي قد يتخذها لي دونغ باو ويعقد اجتماعًا ويجمع أهالي شياولي جيا كلهم لإدانته ومعاقبته بلا رحمة، وما إذا كانت عضويته في الحزب ستُغنى أم لا. وعند سماع أي صوت بالخارج، كان يقف ويصغي بقلق وكأن الرياح تعوي، كما كان يخشى سماع تعليقات الآخرين، لكنه كان يرغب أيضًا في سماعها، ومن ثم فقد شهيته، وصار يقضي يومه كله في التدخين.

أخيرًا، وفي مساء اليوم الثالث، جلب المحاسب ذو الأربع عيون إليه آخر الأخبار عبر النافذة، فقد وجد شي قن كومة من أوراق الموافقة على أسعار غير معقولة للوحدات، حتى إنه وجد أسعارًا مبالغًا فيها للخردة لعدة أشهر، والآن بدأ في البحث عن أشخاص للتحقق من أوراق الموافقة واحدة تلو الأخرى والتأكد مما إذا كانت هناك خدعة أم لا، والبحث في دفاتر محاسبة مصنع الطوب للتحقق مما إذا كانت أسعار الخردة حقيقية أم لا. لم يكن الأمين الكبير يتوقع أن يكتشف شي قن أن أسعار الخردة في ازدياد، إذ كانت هذه هي أكبر خدعة قد قام بها، ولم تكن مسألة تافهة مثل اختلاس بضعة يوانات من الناس، فأدرك على الفور أن المشكلة خطيرة، ومن المرجح أن تتم مقاضاته. جلس في حالة اكتئاب، وكلما فُكّر في الأمر، زاد انزعاجه، وزاد خجله من الناس، وزاد شعوره بخطورة العواقب. كان الجو ممطرًا في الخارج، فوجد لنفسه حبلًا رقيقًا من القنب وشنق نفسه في منتصف الليل.

للحظة، صممت جميع الأصوات التي كانت تدين الأمين الكبير، فالموت أعظم حدث، وبدأ البعض في انتقاد لي دونغ باو

وشي قن بسبب هجومهما الوحشي على الأمين الكبير المحترم. بعد أن طلب لي دونغ باو من شي قن التحقيق في الحسابات، بقي في موقع البناء لعدة أيام للإشراف على المشروع، ولم يتوقع أن يسمع مثل هذا الخبر المشؤوم عن الأمين الكبير، فأصيب أيضاً بالذهول، وتساءل عمّا إذا كان قد بالغ كثيراً في تهديده. في ذلك اليوم، عاد مسرعاً إلى القرية لحضور جنازة الأمين الكبير، ولكن عائلة الأمين لعنته وسبته، ولكنه لم يردّ، واستدار مغادراً. ولكن أهل الريف ظلّوا يلعنونه بلا هوادة، وخاصة ابن الأمين الذي فتح فمه على لي دونغ باو، ولعنه قائلاً إنه لم يكتفِ بقتل زوجته فحسب، بل قتل أيضاً المُحسن الذي رقاها بيديه، عندئذ لم يستطع لي دونغ باو التحمّل أكثر، وفتح كفه الذي كان بحجم مروحة اليد المصنوعة من سعف النخيل، وصفع ابن الأمين الذي رأى للحظة نجومًا أمام عينيه، ولم يجرؤ على اللعن أكثر، ولكن الجميع ظلّوا ينظرون إليه بعبوس وبرود. لم يكن شي قن غاضبًا، لكنه سدّ باب منزل عائلة الأمين الكبير ووبّخهم، ولم يردّ على سبابهم، فقد مات الأمين الكبير بالفعل، فهل سيستخدم الأدلة للدفاع عن نفسه قائلاً إن الأمين كان يستحق العقوبة وهو من قطع علاقته مع الناس بنفسه؟

بعد الجنازة، تحوّل لي دونغ باو وشي قن اللذان كانا يحققان في الفساد إلى متهمين بكونهما بلا قلب. ومن ثم دفع هذا الحدث أهالي شياوليغيا للشعور بعدم الأمان، وأولئك الذين يمكنهم التعامل مع الأموال العامة ويتمتعون بالقليل من السلطة صاروا يعرفون بقسوة الأمين وعمدة القرية، فقد تعاملوا حتى مع الأمين

الكبير، وأخذوا يزنون الأمور في قلوبهم مفكرين من عساه أن يكون أهم من الأمين الكبير.

ولكن شي قن لم يتمكن من الخروج لعدة أيام، إذ ظلت عائلة الأمين الكبير تسدّ بابه بعد عودتهم من الجنازة. في حين كان لي دونغ باو شرسًا، لذا لم يجرؤ أحد على سدّ بابه، ولكنّ بعضًا من نوافذ منزله قد تحطّمت. ظلّ لي دونغ باو في صراع داخلي بشأن موت الأمين الكبير، ففيما مضى كان الأمين الكبير قد رقاه، وكان يقدره، ويحميه، ولولا التظاهر بالطاعة الذي كان يقدمه الأمين الكبير للكومونة، لما استطاع لي دونغ باو تحقيق إنجازاته اليوم. كانت عائلة الأمين الكبير تسبّه بكونه بلا قلب، فكان يشعر بأنه بلا قلب حقًا لأنه أجبر الأمين الكبير على الموت، وفي الوقت نفسه كان يشعر أن هذا ظلم بين. إنه مسؤول عن قرية، ولو سمح للأمين الكبير بمدّ يده، ألن يعدّ هذا تقصيرًا في أداء واجبه؟ لو سمح للأمين الكبير بالاختلاس، ألن يوبّخه أهالي القرية لكونه متواطئًا معه، لكنه اتخذ إجراءً للتعامل مع الأمين الكبير، وعندما انتحر، لعنه أهالي القرية بأنه بلا ضمير، كيف له ألا يكون إنسانًا على الإطلاق؟

نتبه أحد المحيطين بأن منزل شي قن ظلّ محاصرًا لثلاثة أيام، وربما نفذ الطعام لديه، وللحظة عرف لي دونغ باو أن لا أحد يجرؤ على العبث مع أقارب الأمين الكبير الذين يحاصرون منزل شي قن في حالة من الحداد والبكاء، ويمكن لأقارب المتوقّي أن يفعلوا أي شيء، وما سيفعلونه سيجلب الحظ السيئ للآخرين طوال

حياتهم. كان عليه فقط أن يتخذ إجراء، وحتى ولو تعرّض للحصار والسباب، كان عليه أيضًا فعل هذا، لأنه زعيم القرية في النهاية، وهو من أصدر قرارًا بالتحقيق الشامل في أعمال الأمين الكبير، لذا فإن مسؤوليته هو أن يتحمّل الضغط الأكبر، وليس شي قن. في الأيام الثلاثة التي سبقت جنازة الأمين الكبير، ظلّ دونغ باو صبورًا وصامتًا، وكان هذا احترامًا منه للأمين، ولكن الآن بعدما رقد الأمين في سلام، لم يعد يستطيع التحمّل، إذ كانت كلمة «التسامح» تتضاءل في عقيدته بالحياة.

طلب لي دونغ باو من سي باو الذهب وشراء حزمة من اللحوم والخضروات، وحملها مسرعًا إلى منزل شي قن، دون أن يطلب من أي شخص أن يأتي برفقته. كان يسير متمايلًا، وتبعه من بعيد بعض من الفضوليين. وعند وصوله إلى باب منزل شي قن، تظاهر أولئك الذين كانوا في فترة حداد بعدم رؤيته، وظلّوا جالسين صامتين خافضين رؤوسهم يقرعون الطبول، ولم يفسحوا الطريق. فصاح لي دونغ باو بهم من خارج دائرة الحداد: «أفسحوا الطريق». فلم يُعِره أحد اهتمامًا، وخمّنوا جميعًا أنه على الرغم من جرأته، فإنه لن يدوس أيضًا على رؤوس الآخرين ليمرّ.

فلم يتهورر لي دونغ باو كما توقّعوا، ولكنه أيضًا لم يتعامل بأدب، وإنما وقف خارج الدائرة وصاح بصوت عالٍ: «أنا من أمر شي قن بالتحقيق في هذا الشأن، لكل خطأ مرتكبه، ولكل دين دائن، إذا أردتم التعامل مع أحد، فلتتعاملوا معي أنا، ولكن ليس لديكم الشجاعة. كان عمّي شخصًا أحترمه فيما مضى، فكان أول

من أذهب إليه عند حدوث مشكلة ما لأسأله عن كيفية التعامل معها، وكان يخبرني بأن أتعامل كما يحلو لي. حسنًا، إذا سأته حتى كما يحلو لي، حتى ولو كان الفاعل والدي، فسأحقق في الأمر حتى ولو حدثت مشكلة، وسأحقق في الأمر إلى النهاية حتى لو مات، حتى يمكنني تقديم تفسير لكم، ولنرى إذا ما كنت قد أخطأت في حقه، وإذا ما كنتم قد أخطأتم في حق شي قن. وبالنسبة للمشكلة التي ستظهر بعد التحقيق، فلو كانت اختلاسا، سيعوضها أبناءه، ولو كانت عدم ضمير، فسيتم المعاقبة وفقًا لذلك. اليوم، أطرح الأمر للأبناء، لو كانت لديكم الشجاعة، استمروا في سد الباب، ولو لم يخرج شي قن، فسأدعو البلدة للتحقيق في الحسابات. يمكنكم إجباري قدر طاقتكم، فأنا لي دونغ باو أعزب منذ طفولتي، ولا أخشى شيئًا». بعدما أنهى كلامه، ألقى بحزمة اللحوم والخضروات بقوة من فوق الحائط، واستدار مغادرًا.

أخذ أفراد عائلة الأمين الكبير ينظرون إلى بعضهم بعضًا في حيرة، وكان بعضهم قد استغلوا نفوذ غيرهم ولعنوه بألا تكون له ذرية. وكلما زادت لعناتهم، زاد انفعالهم، وخرجت زوجة الأمين الكبير من بين الجمع، ورفعت عصا الخيزران الملفوفة بالورق الأبيض وضربت لي دونغ باو على رأسه: «أيها الوغد، لقد أجبرت زوجي على الموت، والآن تريد إجباري أنا؟».

فأمسك لي دونغ باو بعصا الخيزران وسحبها لدرجة أن زوجة الأمين الكبير كادت أن تتعثر وتسقط على الأرض، فأمسكها أقاربها وأوقفوها. ثم أشار لي دونغ باو بالعصا إلى الجميع، وقال:

«كنت أنوي التعامل بهدوء مع هذا الأمر، وأن يتقاعد عمّي بهدوء ويُعيد المال بهدوء، دون أن يعلم أحد، وعمّي نفسه كان يعلم بهذا جيدًا، فعاد إلى البيت والتزم الصمت. لكنكم أحدثتم ضجة أمام مكتب القرية وكشفتم الأمر، هل رأيتم ابنًا كهذا في العالم، يتمنى أن يخجل والده من الناس، لقد انتحر عمّي، لكنه أُجبر على الموت من قِبَل ابنه عديم الفائدة. واليوم بعدما دُفِن عمّي، ما زلتُم لا تدعونهُ يرقد في سلام، وتبكون وتوحون في كل مكان خوفًا من ألا يعرف الآخرون كيف مات عمّي، حسنًا، سأساعدكم، فبعد ظهور نتيجة التحقيق في قضية عمّي، سأقوم بنشرها على لوحة الإشعارات حتى يعلم كل فرد في القرية، هل أنتم راضون الآن؟ أيها الأبناء المتمردون، لقد قتلتم عمّي، ومازلتم لا تتركونه بسلام حتى بعد موته».

بينما كان لي دونغ باو يتحدث، كان الجمع يحدثون ضجة، وحاول البعض انتزاع عصا الخيزران من يد لي دونغ باو، لذا لم يكن أمامه خيار سوى أن يتحدث بصوت عالٍ وهو يضرب عشوائيًا بالعصا. كان الجمع يخافون من أن ينشر نتيجة التحقيقات على اللوحة حقًا، لكنهم كانوا أيضًا في موقف صعب جدًا، إذ لم يكن بمقدورهم أيضًا الذهاب بمجرد إخافتهم من قِبَل شخص ما، كما أن أبناء وأقارب الأمين الكبير كانوا في حالة حزن على وفاة والدهم، ولا يمكنهم الذهاب بمجرد إقناع دونغ باو لهم بكلمتين. بالإضافة إلى أن لي دونغ باو عادة ما كان يلعب دور الطيب، وكان شي قن يلعب دور الشرير، مما أعطى الناس فرصة لحفظ ماء وجوههم، ولكن الآن بعد محاصرة منزل شي قن من

قَبْلَهُمْ، لم يُعَد باستطاعته مواصلة لعب دور الشرير. انفعلت زوجة الأمين الكبير، وأخذت تتدحرج على الأرض وهي تنوح: «الأمين يضرب الناس، الأمين يضرب الناس، لا أريد العيش بعد الآن...»، وأمسكت بكل ما استطاعت حملة وألقت به على لي دونغ باو.

فغضب لي دونغ باو، وتساءل في داخله لماذا لا يستمع هؤلاء للنصيحة ولا يتصرفون بعقلانية، وألقى بعضا الخيزران، وشمر عن ساعديه: «اللعنة، لطالما كنت أتشاجر منذ طفولتي وحتى كبرت، فماذا سيحدث لو ضربت الآخرين». قال هذا واستعدّ لضرب ابن الأمين الكبير الذي لم يكن لديه الشجاعة لضربه وجهاً لوجه واكتفى بمهاجمته خلسة، ولم يتوقع أن يفتح باب منزل شي قن، ويندفع شي قن إلى الخارج وهو يطأ على الجمع ليعانق لي دونغ باو ويوقفه: «أيها الأمين، لا تقلق بشأني، دعهم يحاصرون منزلي، ولتذهب أنت لتتولى شؤون القرية. أنا بخير، اذهب بسرعة».

حاول شي قن إيقاف الشجار، ولكن أفراد عائلة الأمين الكبير زادوا حماساً وأخذوا يضربونهما باللكمات وعصي الخيزران. فاستشاط لي دونغ باو غضباً، ودفع لي شي قن جانباً، وبدأ أولاً بصفع ابن الأمين الكبير على وجهه، ثم أمسك بزوجة الأمين التي كانت تندفع نحوه، ورفعها وصاح: «من يجرؤ على الضرب؟ هل تعتقدون أن ما أقوله أنا لي دونغ باو هراء؟» كانت زوجة الأمين في حالة حزن بعد فقدان زوجها، ولم تتم لعدة أيام، وكانت تشعر بالدوار، وبعدما رفعها لي دونغ باو عالياً ودار بها، أظلمت عيناها، وفقدت الوعي. لاحظت ابنتها أولاً حدوث شيء ما، فصاحت

قائلة: «لقد ماتت، أمي، أمي، ماذا بك؟» لم يتوقع لي دونغ باو أن تكون السيدة العجوز ضعيفة هكذا، فسحبها إلى الخلف وألقى نظرة عليها، فوجد عينيها مغلقتين بإحكام، وتصرّ على أسنانها، فتحوّل سريعاً من رفعها إلى احتضانها، وأمر لي شي قن أن يحضر المال ويتبعه، واستعد للذهاب بها إلى المركز الصحي بالبلدة.

لم يتعجّل شي قن في الدخول لإحضار المال، وأوقف لي دونغ باو وقرص السيدة العجوز، وخلفه انهالت بعض اللكمات على جسديهما، ولكن ليس كثيراً. عندئذ صارت أعين أبناء الأمين، الذين كانوا يريدون أصلاً الإمساك بلي دونغ باو بقوة، مركزة على يد شي قن، غير مهتمين بالشجار والقتال. ولحسن الحظ، استيقظت السيدة العجوز على يد شي قن، فاختطفها أبناؤها من أيديهما، ولم يجرؤ أحد من الجمع على اللهو بحياتها، فالتقوا حولها وعادوا بها إلى المنزل. في حين صرّ ابن الأمين الكبير على أسنانه وهدد لي دونغ باو بالانتباه إلى والدته الأرملة، فسخر لي دونغ باو منه، وقال إن أي شخص يريد أن يحدو حدو القرد العجوز يمكنه التقدّم.

بينما كان يشاهد الجميع يغادرون، تنهد شي قن قائلاً: «لحسن الحظ أن أفراد عائلة الأمين الكبير ليسوا كثيرين، وإلا لكانوا هدموا منزلي، وحينها للأسف لن يكون أمامي خيار سوى القبول، حتى ولو صارت حياتي على المحكّ. اطلب من والدتك الاختباء في مكان ما، حتى تبعد عن نيران غضبهم لعدة أيام».

«نيران غضبهم؟ وهل يستطيعون فعل شيء، ألم نعانٍ من تنمّر القرد العجوز من قبل! لن تختبئ، لماذا نخاف منهم؟».

«الرجل الذكي لا يتكبّد خسارة أمام عينيه».

«مّمّ سأخاف؟ لم أفعل شيئًا خاطئًا، ولست جشعًا للمال ولا شهوانيًا، كيف سيجرؤون على إثارة المتاعب؟ كما ترى فأنت شخص محترم، ولم يجرؤوا أيضًا إلا على سدّ منزلك، ولن يجرؤوا على هدم جدرانهم. هل تعتقد أنهم على حق؟ حق! ابدأ اليوم في مواصلة التحقيقات، ولا تدع الآخرين يظنون أننا أجبرنا عمي على الموت».

«دونغ باو، لا تقتلهم جميعًا. فقد مات الأمين الكبير، وفقدوا حياة شخص منهم، لا يمكنك التصرّف بتهور بعد الآن».

«أخي شي قن، لو لم تحقق أنت، فسأدفع للبلدة لترسل شخصًا للتحقيق، علينا التحقيق في هذا الأمر بشفافية وحتى النهاية، وإلا فقد يؤثر على هيئة قيادة قريتنا، ويدفع أهالي القرية جميعًا للظن بأننا قطاع طرق من المجتمع القديم. علينا توضيح الأمور، فلا يجوز أن ندعهم يثيرون ضجة لثلاثة أيام بعد وفاة شخص ما ثم يصمتون، فيظنّ الآخرون أننا نسهل الاستخفاف بنا. ما زال أماننا عمل فيما بعد، هل سمعتني، ما زال أماننا عمل».

وافق شي قن بلا حول ولا قوة، واستدار ليُلقي التحية على من في المنزل، ثم ذهب إلى مكتب القرية لمواصلة التحقيقات. على الرغم من حسن خُلقه، فإنه لم يكن شخصًا عديم الإحساس أيضًا، فقد غضب بعد احتجازه في المنزل لثلاثة أيام؛ وعلى الرغم من مراعاته للوضع العام، فإنه في داخله كان يشعر بالظلم أيضًا. في البداية تجاهل ما يمكن تجاهله مراعاة لإنجازات الأمين الكبير

فيما مضى، ولكن الآن لو لم يخرج بدليل ويتحدّث على أساسه، فسُتُبت عليه وعلى لي دونغ باو تهمة اضطهاد الأمين الكبير حتى الموت، وكيف يمكنه تحمُّل هذه الجريمة. على الرغم من أنه كان ما زال لديه بعض المخاوف، وسيكون من السيئ القيام بشيء مبالغ فيه للأهالي والأقارب في القرية، خاصة وأن الشخص قد مات بالفعل، ويمكن لحياته أن تعادل أي مبلغ من المال، لكنه كان عليه إجراء تحقيق شامل أيضًا، وأن يحقق في الأمر بشفافية وحتى النهاية، بصرف النظر عما إذا كان سيتم نشر النتيجة على لوحة الإشعارات أم لا، كما كان عليه أن يواجه ضميره المذنب، ويقدم ولو تفسيرًا، إذ لم يكن هو من أجبر الأمين الكبير على الموت، وإنما تصرُّفات الأمين الكبير هي التي أجبرته على الموت.

بعد تراجع عائلة الأمين الكبير، لم يواصلوا سدّ الطريق أمامه، إذ يحاول الناس دائمًا بذل قصارى جهودهم في البداية، ثم تضعف قواهم بعد ذلك. تمكّن شي قن من الخروج بسلاسة والتحقيق لمدة ثلاثة أيام، وبعد التحقق من عدة مصادر، قدّم رأيه النهائي للي دونغ باو. نظر لي دونغ باو، ووجد أن المبلغ الفعلي للاختلاس قد وصل إلى ثلاثين ألف يوان، فاستدعي جميع كوادر القرية لعقد اجتماع وسألهم عن كيفية التعامل مع الأمر، وكانت النتيجة أنهم لم يجروا جميعًا على إبداء الرأي. وفي النهاية طالبوا بتسليم حق اتّخاذ القرار لجميع أهالي القرية.

لم يُبد لي دونغ باو رأيه أيضًا، فقد تعلّم الدرس هذه المرة، إذ رأى أن أولئك النساء القرويات لا يتحدّثن بعقلانية، فسلم ببساطة

حق اتخاذ القرار لأهالي القرية، ليقرروا بأنفسهم ويتحرّكوا بناءً على قرارهم. ولم يكن في عجلة من أمره، بل ظلّ صبوراً من منتصف الشهر إلى نهايته، وقد اكتسب هذا الصبر من تعرّضه للتوبيخ كل يوم من قِبل عائلة الأمين الكبير، ومن القيل والقال والشائعات بين أهالي القرية والتي كانت تنهال عليه كالرصاص، كان هذا الصبر لا يقدر بثمن بالنسبة له، فقد كان بمثابة الدرس الذي علّمته إياه حياة الأمين الكبير: لا يمكنك القيام بالأمر كما يحلو لك. كان أيضاً بفضل إقناع شي قن المخلص خلف الكواليس، فقد أخبره بوسيلتين أكثر لياقة للتحقيق ومعاينة الأمين الكبير، حتى يخبره بهذه الطريقة أن القيام بالأمر ليس من الضرورة أن يتمّ من خلال مسار واحد سريع وحاسم.

في تلك الفترة، انتشرت الشائعات حتى وصلت إلى البلدة، فاتصل العمدة للاستفسار عن الأمر، ولم يُجبه له دونغ باو مؤقّتا، إذ كان لا يرغب في الكشف عن أي شيء. وحتى عندما اتّصل به تشن بينغ يوان، ظلّ مطبقاً فمه لا يقول شيئاً، إذ كان يريد من أهالي القرية اتخاذ قرارهم بأنفسهم.

في نهاية كل شهر، كان يُعقد اجتماع لتوزيع مبالغ تأمين العمل لكبار السن في القرية، وشرح ما قامت به القرية وما ستقوم به من أجل الأهالي. كان لي دونغ باو قد وضع هذه القاعدة في البداية من أجل توظيف العمال، لذا كان عليه إخبار أهالي القرية بصراحة وصدق عن أماكن الوظائف الشاغرة، وأن عليهم التفكير جيداً قبل التسجيل، والقرية ستختار أفضل المتقدمين لتجنّب إثراء عائلة

وإيذاء أخرى. لذلك كان جميع الناس من كافة الأعمار يشاركون بفاعلية في الاجتماعات المنعقدة في نهاية كل شهر. واليوم ليس استثناء، فبعد حدوث مثل هذا التغيير الكبير في القرية، صار الجميع ينتظرون تفسيرًا من القرية للأمر، لذا كانوا جميعًا متحمسين. ولي دونغ باو أيضًا كان يريد الاستفادة من اجتماع اليوم. وبعد انتهاء العشاء، امتلأت ساحة التجفيف على الفور بالحاضرين.

صعد لي دونغ باو إلى المنصة في الموعد المحدد، غير مهتم بحضور عائلة الأمين الكبير أو عدم حضورهم، وأعلن للجميع جدول أعمال الاجتماع كالمعتاد، وأخيرًا أعلن عن قضية الأمين الكبير. فقد أعلن بشكل مباشر، وبأدلة واضحة يمكن التحقق منها، اختلاس الأمين الكبير لأكثر من ثلاثين ألف يوان من الأموال العامة بمصنع الطوب والبلاط، أما بالنسبة لتخفيض الأمين الكبير للأسعار بشكل غير قانوني بعد قبول الفوائد، فمن الصعب العثور على شهود وأدلة لبيان حجم الخسائر التراكمية التي لحقت بالمصنع بسبب وفاة الأمين الكبير، ونظرًا لاستحالة تأكيدها بشكل نهائي، فلا يمكن الإعلان عنها بشكل غير مسؤول في الاجتماع.

بعد انتهاء لي دونغ باو من الحديث، انفجر الجميع في ضجة، أكثر من ثلاثين ألف يوان، دون احتساب الفوائد التي حصل عليها الأمين الكبير خفية، هذا المبلغ يساوي ثلاثين ألف أسرة، وهو ما يكفي لتأمين العمل لجميع كبار السن في القرية لمدة عام. وأمام هذه البيانات الحقيقية والضخمة، انحاز جميع الحاضرين إلى جانب واحد.

جلس لي دونغ باو على المنصة صامتًا لبعض الوقت، محدّدًا بحزن في الحضور الذين كانوا يتهايمسون بعضهم بعضًا، وبعدما انتهوا تقرّيبًا، رفع صوته داعيًا الجميع للعودة إلى منازلهم والتفكير بدقّة، أولاً، إذا ما كانوا يريدون إرسال الأدلّة إلى مكتب الأمن العام، والسماح للأمن بالمتابعة؛ ثانيًا، إذا ما كانوا يريدون السماح للابن بسداد دين الأب، واستعادة الأموال المسروقة. وللحظة اندهش لي دونغ باو وشي قن عندما أجاب الجميع بأنهم يريدون ذلك. لقد نسوا جميعًا أنهم قبل اجتماع اليوم كانوا يتهمونه بالذهاب إلى أبعد حد وإجبار الأمين الكبير على الموت، وعندما أجابوا برغبتهم في إعادة الأموال المسروقة، لم يفكّروا فيما إذا كان ذلك سيقتل زوجة الأمين وأبناءها.

لم يوافق لي دونغ باو علنًا، وأعلن انتهاء الاجتماع، وطلب من الجميع التفكير مليًا في الأمر قبل التصويت.

لقد شرح القضية للجميع بوضوح، وأخيرًا شعر بارتياح من زوال الصخرة الضخمة التي كانت جاثمة على صدره طوال هذه الفترة. كان أول من غادر الساحة، ملقيًا وراءه حماسة الجماهير بازدراء. كان وجهه باردًا، وقلبه باردًا، أي نوع من الناس هؤلاء، لا يميزون بين الصواب والخطأ، ولا يهتمون إلا بالمال. لقد فعل الكثير من أجلهم، حتى إن يون بينغ الطيبة ضاعت حياتها من أجل القرية، كما أنه ما زال يعيش في منزل قديم مصنوع من الطين، ولم يأخذ لنفسه قرشًا واحدًا، ولكن عندما تعامل بنفسه مع عنصر فاسد كمن يسلم قطعة من لحمه، لامة أولئك القرويون. لقد عانى شي

قن من الأمر نفسه، إذ كان مسؤولاً عن الكثير من الأمور، ولو كان قد عُيِّن في مصنع مملوك للدولة، لكان قد خُصَّص له منزل، ولتلقَى المكافآت، ولكنه عندما احتُجِز في منزله، من ذهب لِيُنقِذه؟ ومن أتى ليقول كلمة عادلة؟ لا أحد. يا له من أمر تقشعر له الأبدان!

لقد كان لي دونغ باو متحمّساً بشدة تجاه قرية شياولي جيا، والآن بعد أن اختلس الأمين الكبير المحترم من أموال الجماهير، ولم يتمكنوا من التمييز بين الصواب والخطأ، فقدَ الاهتمام بالقرية.

لم تُدرك عائلة الأمين الكبير خطورة المشكلة إلا بعد انتهاء الاجتماع، فانظروا حتى نام الجميع وأصبح القمر مظلمًا والجو عاصفًا، ثم ذهبوا بهدوء إلى لي دونغ باو ليتوسلوا إليه. رفض لي دونغ باو فتح الباب على الرغم من تدميره من شدة الطرق. وبعد ذلك، ذهبت زوجة الأمين الكبير إلى والدته لتتراجها، ولكنه ظلّ صامتًا، ولم يقل إنه سيرسل الأدلة، ولم يقل أيضًا أن الأمر سينتهي إلى هذا الحد، فتركهم قلقين غاضبين. لقد تعلّم درسًا عميقًا من الممارسة العملية، ولم يُعد يسعى بِالْحاح نحو المصلحة العامة كما كان من قبل.

كان غضب لي دونغ باو، الناتج عن صبره وعدم إبداء رأيه، موجّهًا نحو مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية بالمدينة. واليوم، وصلت إنتاجية خطوط الإنتاج الثلاثة بمصنع دنغ فنج للأسلاك الكهربائية إلى نفس مستوى إنتاجية مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية بالمدينة. وباستثناء الاستحواذ على شركة الكهروميكانيكا، التي لم يدرجها في خطته، وعدم تمكنه من

الضغط على بضائع مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية بالمدينة في شركة الكهروميكانيكا، لكنه كان يريد استحواذ موظفي التوريد والتسويق بمصنع دنغ فنج للأسلاك الكهربائية على المصانع واحدًا تلو الآخر، وعلى التُّجار واحدًا تلو الآخر، حتى يستولي على جميع فرص عمل مصنع المدينة. مكتبة سُر من قرأ

لم يكن لموظفي التوريد والتسويق بمصنع المدينة أن ينافسوا موظفي التوريد والتسويق النشطين القادمين من قرية شياوليغيا، فأخذ إنتاجهم في التضاؤل أكثر فأكثر، وباستثناء معدّات الكابلات التي لم تكن شياوليغيا تستطيع تصنيعها، لم يكن بمقدور معدّات الكابلات لدى مصنع المدينة سوى إنتاج عدد معين من الكميات المخطط لها، كما أن معدّات الأسلاك كانت تتوقّف عن العمل في معظم الأحيان. ولكن هذا لا يهم، إذ كان جميع موظفيهم يذهبون إلى العمل، ويطيحون بمديرهم، ويحصلون على رواتبهم كالمعتاد، وفي أسوأ الأحوال لا يحصلون على مكافآت.

عندما رأى لي دونغ باو أن بوابة مصنع الأسلاك الكهربائية بالمدينة ما زالت مفتوحة، والعُمال يذهبون إلى العمل كالمعتاد، شعر بقلق، وفكّر في تركيب إحدى معدّات الكابلات للضغط بشكل كامل على مصنع المدينة. ولكنه للأسف كان قد ركّب لتوّه مجموعتين من معدّات الأسلاك الكهربائية، واحدة جديدة وأخرى قديمة، ولم يكن لديه فائض من المال، لذا لم يتمكن من تركيب معدّة الكابلات.

لم يكن بإمكانه إلا النظر حول مصنع المدينة بعينين قاتمتين وهو يصرّ على أسنانه سرًا عند ذهابه للقيام بالأعمال في المدينة.

تلقى يانغ شيون البضائع من المصانع المختلفة، ولكنه لم يتمكن من شحنها مؤقتًا، فأخذ يبحث في كل مكان عن سيارات لشحن البضائع إلى الشمال الشرقي، وبحث في شركات الشحن في المدينة كلها، حتى إنه ذهب أيضًا إلى شركات الشحن في المدن المجاورة، وترك رقم هاتفه في كل مكان، وكان ذلك الرقم هو رقم هاتف مكتب القرية التي يعيش فيها.

كان صبورًا، حتى إنه انتظر لما يقرب من أسبوع، إلى أن وصل عدد من السيارات التابعة لإدارة الحبوب لتوجه إلى الشمال الشرقي لشحن فول الصويا. فأتى إليه السائق سرًا للقيام بهذا العمل الخاص، لذلك كانت تكلفة الشحن أرخص بكثير من المعتاد.

عند وصول البضائع إلى الشمال الشرقي، لم يتلاعب يانغ شيون في تكلفة الشحن، لكن في سعر توصيل البضائع، إذ فكر في أنه قد حصل على سعر أقل من المتفق عليه من قِبَل الجميع، ولذلك يمكنه الحصول على فرق السعر بالطبع. ومع ذلك، فإن الأسعار المنخفضة قد أسعدت أهالي قريته الذين كانوا في الشمال الشرقي، لذلك لم يُمانعوا مطلقًا أن يحقق يانغ شيون ربحًا صغيرًا من فرق السعر، وتسلموا بضائعهم وعادوا بها مسرورين. لم يكن هذا المبلغ الناتج عن فرق السعر كبيرًا، ولا صغيرًا، إذ لم يكن يتجاوز بضعة قروش في كل سلعة، ولكن القليل المتراكم يصبح كثير، لذلك فإن شاحنة كبيرة من طراز جي فنغ باللون الأخضر العسكري مليئة بالبضائع كانت كافية تمامًا لإسعاد يانغ شيون.

أيضًا الخدعة التي نُفّذت في الأسلاك الكهربائية، استطاع يانغ شيون تحقيق ربح قليل منها، وكان سعيدًا جدًا بذلك. وطلب من أخيه مواصلة العمل على طاولة بيع الآخرين، في حين بدأ هو في التركيز بشكل خاص على بيع الأسلاك الكهربائية. أخذت قائمة الشركات الموجودة بين يديه تزداد طولاً، وأخذت المؤسسات التي تطلب منه، ذاك الشيطان الصغير، البضائع تزداد عددًا، فاشترى دراجة ثلاثية العجلات مستعملة، وكان يوصل البضائع كل يوم تقريبًا. كان الصيف القصير في الشمال قد انتهى لتوّه عندما اضطر للعودة مرة أخرى إلى مسقط رأسه لإحضار الأسلاك الكهربائية. وهذه المرة أيضًا، طلب منه البعض إحضار بضائع معه، وبالطبع أحضرها لهم، ولكن هذه المرة كانت معظم البضائع المحتملة في السيارة من أسلاكه الكهربائية، وقد اشتراها بالمال الذي كسبه على مدار العامين اللذين تبعوا تخرجه من المدرسة الإعدادية، بالإضافة إلى المال الذي اقترضه من الأقارب والأصدقاء. كما أحضر معه البرتقال الأخضر الناضج من مسقط رأسه، وكان يُهدي المصانع عند زيارته لها كيسًا شبكيًا من البرتقال، فيلقى ترحيبًا غير عادي. وطلب من أخيه الأصغر ألا يعمل على طاولة البيع بعد الآن، وأن يتولّى إدارة مخزنها الخاص ويكون مسؤولاً عن الشحن والتسليم. كما أقام علاقة مع مصنع صغير مجاور لهما، فكان يرسل عشرين يوانًا شهريًا للمصنع ليحصل على خط هاتف استقبال فقط. وكان هاتفهم مشغولاً جدًا في أغلب الأحيان.

كانت جودة الأسلاك التي أحضرها يانغ شيون مماثلة للأسلاك العادية، ولكن بسعر منخفض جدًا؛ كان يانغ شيون

فتى مجتهدًا، فكان يطرق بنفسه أبواب الشركات ليسألهم عمّا إذا كانوا يريدون شراء بضاعته، ويعرض البضائع الجديدة التي لديه؛ لم يكن يانغ شيون ذا لسان معسول فقط، بل كانت أيضًا هداياه الصغيرة لا تنقطع، فكان دائمًا ما يحمل معه القليل من الأطعمة الصغيرة المُميزة بجيانغنان عند ذهابه إلى الشركات، كالبرتقال والشاي وكعك الأرز وحلوى الحليب من شانغهاي، فيقبلها الناس بابتسامة؛ كما كان يسلم البضائع في موعدها، حتى ولو كان الجو ممطرًا أو عاصفًا، لم يكن أي شيء يعطله. وأي عميل كان يتعامل معه كان يتلقّى خدمة مريحة جدًّا، فلا يكون لديه أي نية في التعامل مع غيره.

سرعان ما حلت نهاية العام مرة أخرى، وقد أصبح يانغ شيون تاجرًا محليًا رئيسًا للأسلاك الكهربائية، فلم يكن يبيع بالتجزئة فقط، بل بالجملة أيضًا، ولم يكن أهالي القرية أولئك يطلبون منه البضائع فحسب، بل السكان المحليون أيضًا، وليس أهالي القرية الموجودين في نفس المدينة فحسب، بل أيضًا أهالي القرية بالمدن المجاورة الذين سمعوا عنه. فكان مضطرًا للعودة مرة تلو الأخرى إلى مسقط رأسه ليشحن الأسلاك الكهربائية إلى الشمال. ومع تزايد أمواله كالثلج المتساقط، استطاع العودة إلى مسقط رأسه بثروة قدرها عشرة آلاف سلسلة من العملات المعدنية بحلول نهاية العام. وبعد قضاء عطلة العام الجديد، انطلق عائداً إلى الشمال الشرقي، مُرسلاً شاحنتين كبيرتين محمّلتين بالأسلاك الكهربائية، واللتان كان قد أنفق عليهما كل أمواله الخاصة.

كان الجميع يناديه بـ «يانغ التاجر الماكر الصغير»، ودائمًا ما كان يقبل اللقب بفخر. كما أطلقوا على شقيقه الأصغر يانغ سو لقب «يانغ التاجر الماكر الآخر».

استغرق الأمر من يانغ شيون سنة ونصف فقط ليتحوّل من يانغ الصغير بائع المانتو إلى يانغ التاجر الماكر الصغير. كان الأمر سريعًا سرعة البرق.

5

استغل لي دونغ باو امتلاكه للقليل من وقت الفراغ، ودعا جرازًا ليأخذه لزيارة سونغ يون هوي المتزوج حديثًا، كما كان الجرار يحمل ثلاثة كهديّة كان قد حصل عليها بطريقة ما. عند وصوله إلى جيتشسو، طلب سونغ يون هوي إجازة ليرافقه بالطبع، ثم طلب الرجلان من تشنغ كاي يان العودة إلى منزل والديها، وظلّا يتحدّثان خلف الباب المغلق ليوم وليلة كاملين. أخبر لي دونغ باو سونغ بالقصة الكاملة لانتحار الأمين الكبير، وناقشا كيفية منع حدوث ذلك مرة أخرى. لم يكن لدى سونغ شيئًا ليفعله بعد تشغيل الورشة الجديدة، فكان كل يوم يقرأ الكتب المختلفة التي أرسلتها ليانغ سي شن إليه حينما قالت بغطرسة إنها ستحسّن من تقدّمه حتى لا يتفوّق أحد عليه بسهولة، بما في ذلك كتب الإدارة. كان عليه أيضًا تدريس تشنغ كاي يان التي تأخرت في دراستها للمحاسبة في الكلية الليلية بسبب الزواج، ولأنه كان يشعر بعدم وجود مكان لعرض موهبته التي اكتسبها لتوّه، أخذ يتناقش مع لي

دونغ باو حول تغيير الإطار الإداري من ناحية لضمان منع تعامل شخص واحد مع الأموال وغيرها من الظواهر التي تختبر ضمير المرء، وذلك من خلال الإشراف المتقاطع، ومن ناحية أخرى زيادة دخل المديرين إلى حد كبير ليصيروا أقل جشعًا عند وجود المال بين أيديهم.

بعد يوم وليلة كاملين، تم تحديد السياسة العامة تقريبًا، وألقى لي دونغ باو تحية الوداع وانطلق مسرعًا، إذ كان مشغولاً جدًا في العمل، لذا كان من الأفضل له البقاء في مكان العمل طوال الوقت. شعر سونغ يون هوي وكأنه قد فقد شيئًا ما، وكان يشعر بحسد شديد تجاه التقدّم الريادي النشط بشياولي جيا. وعلى النقيض من ذلك، تم تركيب المعدات المستوردة في مصنع جينتشو العام ودخلت حيز الإنتاج، فعادت الحياة والعمل إلى حالة الركود مجددًا، دون أي شغف.

ومع ذلك، كان يعرف جيدًا أن هذا النوع من الحياة لم يكن ما يريده، ولكن ما باليد حيلة، فمصنع جينتشو العام خاضع للقيود السياسية، ولم يكن من السهل مطلقًا على شاب مثله أن تتم ترقيته وتقديره مرارًا وتكرارًا، ولذلك كان عليه ألا يبني المزيد من الخيالات غير الواقعية. لقد كان محظوظًا جدًا، فقد سنحت له الفرصة العظيمة لاستيراد المعدات، والتي استغلّها لاستخدام مهاراته الفريدة في اللغة الإنجليزية وقدراته القوية على استيعاب المعارف الجديدة كشاب، فحطّم العقبات التي وضعها عدد لا يحصى من الفنيين الكبار في المستويات الأعلى، وتميّز في عملية

تركيب المعدات الجديدة، وثبت مكانته. حتى إن الجميع ظنوا أن عليه أن يكون طموحه قد وصل إلى نهايته، ولكنه ظلّ يتطلّع لمواصلة الركض.

كان لي دونغ باو قد عاد لتوّه إلى شياوليجيا عندما سمع في المكالمة الهاتفية التي أجراها للإبلاغ عن وصوله سالمًا شخصًا يخبره بحماس شديد قائلاً إن سعر لحم الخنزير المحلي قد تم تحريره، وسعره في السوق قد أصبح الآن أعلى من ذي قبل، ولحسن الحظ هناك دفعة جديدة من لحم الخنزير في المزرعة على وشك البيع، لذلك يمكن بيعها بسعر جيد. كانت هذه الثروة غير متوقعة. فتساءل لي دونغ عما إذا كان شوي الكبير قد رأى يوماً كهذا عندما حثّه على تربية الخنازير.

فرح سونغ يون هوي للي دونغ باو من ناحية، ولكونهم قادرين دائماً على اغتنام الفرص الأولى في السياسات الوطنية والبقاء في طليعة موجة الإصلاح وتغيّر حياتهم يوماً بعد يوم، ولكنه من ناحية أخرى شعر بالقلق على نفسه متسائلاً عن سبب عدم وصول رياح ربيع الإصلاح إليه حتى الآن.

ولكن سرعان ما أصبح سونغ يون هوي غير قادر على الشعور بالملل والانزعاج بشأن عدم تحقيق طموحاته، فبعد استيراد المعدات من ألمانيا الغربية ودخولها حيز الإنتاج، وزيادة الإنتاج، وتحسّن الجودة، زاد الاستهلاك أيضاً، وتهاكت المعدات، كما زادت التكاليف. وبعد عام واحد، انخفضت أرباح جينتشو بدلاً من الارتفاع، وبحلول منتصف العام عانت الشركة من الخسائر أثناء

إجراء صيانة شاملة للورشة الأولى. سرعان ما هبت رياح التأمل في قرار استيراد المعدات في الوزارة، وتوجّهت الأنظار نحو جينتشو وغيرها من المؤسسات الرئيسة، وصار صوت تساؤل داخل الوزارة عمّا إذا كان تحديث المعدات مجرد استيراد أعمى ليس أكثر.

استُدعي الأمين شوي لحضور اجتماع في بكين، وعاد متعرّضاً لانتقادات شديدة. ولكن على الأقل استطاع رؤية أن هبوب هذه الرياح كان بجهود من مدير المصنع فيّ الذي كان قد ضغط عليه فيما مضى. كان الأمين شوي يعرف جيّداً ماذا يحدث، ولكن كان من المستحيل عليه أن يشكو، وذلك لانخفاض أرباح جينتشو بعد استيراد المعدات. لم تكن لديه الثقة الكافية للرد، إذ قد تعرّضت كلمته حول تحسين الجودة لانتقادات ممّن أعلى منه. كما أنه لم يكن جيّداً في الناحية التقنية، لذا كان من المستحيل عليه أن يواجه الاتهامات المتعلقة بالناحية التقنية، لذلك شحب وجهه ولم ينبس ببنت شفة، وظلّ صامتاً منتظراً انتهاء الاجتماع. لم يناقش الاتّباع المتهور للتيار السائد الذي ربما كان يتخلل قراره منذ البداية، وذلك ليتراجع أمام رئيسه الذي انتقده، أولاً، كان خائفاً من تسجيل ذلك في محضر الاجتماع واستخدامه كأداة لمهاجمته في المستقبل، فقد مرّ بالعديد من الحركات، وكان يعلم بالفعل أنه لا ينبغي للمرء ترك أي أثر خلفه عند القيام بأي شيء. ثانياً، لم يكن مقتنعاً، ولم يعتقد بوجود أي خطأ في استيراد المعدات.

بعد العودة إلى جينتشو، عقد الأمين شوي اجتماعاً للفنيين ذوي الصلة لدراسة ومناقشة كيفية تقليل التكاليف، وزيادة

الإنتاج، وخلق الإيرادات. كان سونغ يون هوي أيضًا من بين الذين تم استدعاؤهم، وقد صار الآن بإمكانه الجلوس في نهاية طاولة الاجتماع، في حين جلس يوي شان تشينغ في المحيط الخارجي، إذ كان يسجل محضر الاجتماع باعتباره عضوًا في مكتب المصنع. كانت الأجواء كثيبة كوجه الأمين شوي.

على الرغم من حضور مين مدير المصنع الفرعي الأول للاجتماع، والذي كان أيضًا مديرًا للورشة الجديدة، فإنه لم يجد فرصة للتحدث من الأصل، وكان الأمين شوي يعلم أيضًا أن المدير مين كان مجرد شخصية رمزية، وأن سونغ يون هوي هو من يدير في الحقيقة. كان موضوع المناقشة بطبيعة الحال هو كيفية تقليل تكاليف إنتاج المعدات المستوردة، وقد سأل الأمين شوي سونغ يون هوي عن أي رابطة يمكن تحسينها، مشيرًا بشكل مباشر إلى الجدول المفصل للتكاليف التي كانت الإدارة المالية بالمصنع قد قَدَّمتها من قبل.

وقف سونغ يون هوي أمام الجدول، وأخذ يجيب عن الأسئلة واحدًا تلو الآخر. وبحسب إجاباته، فإن المعدات الجديدة تعمل بشكل جيد حاليًا، وجودتها مضمونة جدًا، ووفقًا للبيانات، فإن كفاءة التشغيل لا تقل عن نظيراتها الأجنبية مطلقًا. كان يمكنه استخلاص البيانات على الفور، وإظهار الناتج الوحدوي للمستويات الأجنبية المتقدمة، والخسائر المقابلة للمياه والغاز والكهرباء والتشغيل المعتاد، ومعدّل العائد، وقيم الورشة التي يتولّى إدارتها، ولم يكن الفرق كبيرًا جدًا بين الاثنين، لذا لم يكن ينبغي لتقنيات تشغيل الورشة الجديدة أن تكون مصدرًا لارتفاع التكاليف.

قال الأمين شوي بصرامة: «ولكن البيانات تُظهر أن تكلفة منتجات الورشة الجديدة أعلى بكثير من تكلفة الورشة الأولى، كيف تفسّر هذا؟».

ردّ سونغ يون هوي متفاجئًا: «لا يمكن، باستثناء الارتفاع القليل في استهلاك الكهرباء مقارنة بالورشة الأولى، فإن معدل إنتاجية الورشة الجديدة أعلى بكثير من الورشة الأولى، وجودتها أعلى بكثير أيضًا، وهذه جميعها من شأنها تقليل النفقات المترتبة بسبب استهلاك الكهرباء».

فقاطعته مدير الإدارة المالية: «هناك أيضًا نسبة اهتلاك، يجب تضمينها في التكاليف أيضًا، ربما لا تعرف هذا بشكل جيد. فنسبة اهتلاك الورشة الجديدة كبيرة جدًا، والمعدات في الورشة الأولى قد استُهلكت جدًا لدرجة أنها تكاد تكون قد فقدت قيمتها تقريبًا».

«أوه، صحيح». شعر سونغ يون هوي بانزعاج شديد، فقد درس المحاسبة من قبل، كيف يمكنه أن ينسى الاهتلاك؟ ولم يستطع منع نفسه من السؤال: «هل ستكون أسعار منتجات الورشة الجديدة مماثلة للورشة الأولى؟ إذا كان الأمر هكذا، فسيكون الأمر أشبه ببيع البيض على أنه بطاطس، وستعاني منتجات الورشة الجديدة من الاهتلاك الضخم، وستفقد كل مزاياها».

«نعم، لقد وضعت الدولة سعرًا موحدًا للمنتجات المماثلة. الفرق بين منتجات الورشة الأولى والورشة الجديدة في الأساس هو الفرق بين البطاطس من الدرجة الثالثة والبطاطس من الدرجة

الأولى، وليس كالفرق الجوهرى بين البطاطس والبيض. لذلك فإن مبيعات منتجات الورشة الجديدة جيدة جدًا».

أصيب سونغ يون هوى بالذهول، فكيف يمكن أن يكون هناك شيء غريب كهذا في العالم؟ إذ ذهب فكره إلى أنه في الوقت الذي تسعى فيه شياولي جيا جاهدة لصياغة القواعد لمنع مديري المصانع من الانخراط في الفساد وبيع البيض على أنه بطاطس، يتخذ مصنع جيتتسو بيع البيض بثمان بخس على أنه أمر مسلم به، أي نوع من النظام هذا؟ سأل بفضول: «ألم ينادوا بتوسعة استقلالية المؤسسات؟ أليس لدينا الحق في تحديد أسعار المنتجات؟».

أخذ الجميع ينظرون إلى سونغ يون هوى وكأنه كائن فضائي ينزل من مركبة فضائية مجهولة الهوية، ولم يستطع حموه المدير تشنغ إلا أن يذكره بتجنّب الحماقة، إذ كان يعرف صهره جيدًا، ويعرف أنه يقرأ أشياء معقدة وفكره متقدّم جدًا، «إن منتجاتنا مواد استراتيجية وطنية، وتخضع للنظام الموحد للبيع والشراء، كما أننا مؤسسة مهمة، ونختلف عن تلك المؤسسات الصغيرة. وجميع قنواتنا وأسعارنا تحدّد من قِبَل الدولة، ولا يمكن تغييرها».

اندهش الأمين شوي قليلاً من افتقار سونغ يون هوى للحس العام، وسأله محدّدًا فيه: «إن نسبة الاهتلاك الشهري ثابتة، سونغ أيها الصغير، هل يمكنك تقليل تكاليف التشغيل كالمياه والكهرباء، أو زيادة الإنتاج إلى حد كبير، حتى يمكنك تقسيم نسبة الاهتلاك الشهري الضخمة قدر الإمكان، وذلك في ظل فرضية التقليل البسيط لجودة المنتجات؟».

«يمكنني... فقط تغيير عملية التصنيع قليلاً». أجاب سونغ يون هوي، ثم قال بحزن شديد، «ولكن، معدّات جيدة كهذه...».

لم يسمح الأمين شوي لسونغ يون هوي بالتعبير عن حزنه، وأصدر قراره على الفور: «جيد جدًّا، الطريقة التي اقترحتها الإدارة المالية لتقسيم التكاليف وإيجاد الأسباب بمستوى تلو الآخر جيدة جدًّا، لقد وصلنا إلى جوهر المشكلة بالفعل. إن تنفيذ الخطوة التالية في أسرع وقت ممكن يقع كله على عاتقك يا سونغ الصغير، عليك تغيير عملية التصنيع والسعي لتحسين الإنتاجية في أسرع وقت ممكن خلال الثلاثة أيام التالية».

«في يوم واحد، يمكن إنجاز تغيير المعايير في مثل هذا الوقت من الغد». قال سونغ يون هوي واثقًا، ولكنه لم يكن سعيدًا من داخله.

نظر الأمين شوي إليه نظرة عميقة وقال: «أيها الشاب، يبدو أنك عنيد. إن العصر الحالي يركّز على الاقتصاد، والمكافآت التي يحصل عليها جميع العاملين في المصنع ترتبط بالفوائد الاقتصادية، هل تعتقد أن الاقتصاد مهم أم لا؟».

على الرغم من أن سونغ يون هوي ابتسم وأوماً برأسه، فإنه لم يكن راضيًا حقًا من داخله، فلو كان تغيير معايير الجودة هو المطلوب الوحيد، لماذا قاموا باستيراد معدّات من ألمانيا الغربية إذًا؟ فاستخدام معدّات جيدة كهذه لإنتاج منتجات منخفضة الجودة يشبه ذبح دجاجة بسكين ذبح العجول. وعندما لاحظ

حموه ذلك أسرع بانتقاده قائلاً: «الشباب لا يرون المشكلة من كافة النواحي، فلا يمكن التركيز على الجزء الخاص بورشة واحدة فقط عند إجراء الحسابات للمصنع الرئيسي بأكمله».

ضحك الأمين شوي عند سماعه لذلك: «هذا لأن الحموم يخفي مهاراته الفريدة ولا يعلمها لصهره، هاها، يبدو أن المشكلة تكمن في تشنغ الكبير خاصتنا». ضحك الجميع، وانتهى الاجتماع بسعادة. وتغيرت الأجواء الجدية التي سادت في بداية الاجتماع.

كان سونغ يون هوي يعلم بطبيعة الحال أن حماه قد حاول تسوية الأمور من أجله، فبحث عن فرصة للاتصال به ليشكره. يبدو أنه ما زال غير ناضج في التعامل مع الناس بالمقارنة مع أولئك القادة، ولا يستطيع هزيمة أعدائه بسهولة ويسر كما فعل الأمين شوي والمدير تشنغ.

بعد عودته إلى الورشة، ذهب مباشرة إلى غرفة التحكم لتغيير المعايير. وكان المدير مين حاضرًا أيضًا، ولكن بالطبع كان سونغ يون هوي وحده هو من يجلس في مقعد الإرسال الرئيس. لم يستطع المدير مين منع نفسه من التفكير بلا حول ولا قوة في أن هذا الفتى مهما كان صغيرًا، فلا أحد يمكنه استبعاده من منصبه كنائب مدير للورشة، ومن الناحية الفنية، فلا يمكن لأحد أن يحل محله في المستقبل القريب. كان المدير مين في الأربعينيات من عمره، ويعتبر قائدًا شابًا وواعدًا في المصنع العام، وعلى العكس من الأمين شوي الذي كانت تفصله عدة مستويات عن سونغ يون هوي، كان المدير مين حذرًا جدًا من سونغ يون هوي الصاعد سريعًا، وكان يعلم جيدًا

أنه لو كان هو من أجاب بنفس الإجابة عن الأمين شوي في اجتماع اليوم، لغضب الأمين شوي، الذي لطالما كان صارمًا، وأخذ يوبّخه. كان يشعر بالغيرة من سونغ يون هوي؛ إذ لم يكن صهرًا للمدير تشنغ فحسب، بل أيضًا سليلًا مباشرًا للأمين شوي.

لم يكن سونغ يون هوي يعلم أن مديره المباشر يقف خلفه ويفكر بعمق عندما كان منغمكًا في العمل، إذ كان مشغولًا جدًا بالتحديق في التغييرات المختلفة على الأقراص، ولم يكن لديه الوقت للتفكير في أي شيء آخر، حتى إنه كاد يدخل طعام العشاء في فتحة أنفه. ظل مشغولًا هكذا حتى استقرت كافة البيانات في فجر اليوم التالي، ثم قاد العاملين ليتفقد كل ركن من أركان الموقع، بعدها ألقى نظرة أخرى على بيانات غرفة التحكم الرئيسة، وأخيرًا عاد إلى المنزل لينام.

لم يكن سونغ يون هوي يتوقع أنه عند إخراجه للمفتاح ليفتح الباب، ستكون تشنغ كاي يان الموجودة بالداخل قد فتحتة بالفعل. فنظر سونغ كاي يان إلى زوجته الناعسة وسألها بفضول: «ألم تنامي يا قطتي الصغيرة؟ أنتظريني؟» فقد صار يدعو زوجته بعد الزواج بمودة بـ«قطتي الصغيرة».

«نعم، اذهب للاستحمام، وأنا سأعدّ لك البيض».

فركت تشنغ كاي يان عينيها وهمت بالذهاب إلى المطبخ، فأشفق سونغ يون هوي عليها، وأوقفها معانقًا إياها، ثم قال: «لا تعدي الطعام، أنا نعسان جدًا، سأستحمّ أولاً ثم أذهب إلى السرير مباشرة».

«لا يمكن، عليّ الحفاظ على معدتك. ألم يُصب زوج أختك بنزيف في المعدة لأنها لم تحافظ عليها؟».

حمل سونغ يون هوي زوجته ووضعها على السرير، وأمسك بها ولم يسمح لها بالنهوض: «نامي، وسأتناول بسكويتك الممزوج باللوز، أخيرًا أتيت لي الفرصة لتناول بسكويتك خلسة، هاها».

اطمأنت تشنغ كاي يان عندما سمعت هذا، فتقلبت ونامت كالقطة الصغيرة. بعد خروج سونغ يون هوي من الحمام، وعلى الرغم من أنه كان متعبًا حقًا، فإنه لم يرد أن يخذل تشنغ كاي يان، فأكل خمس أو ست قطع صغيرة من بسكويت اللوز، ثم نام، وبعدها سمع المنبه، فأيقظ تشنغ كاي يان لتذهب إلى العمل.

ظلّ سونغ يون هوي نائمًا حتى الظهر، وأعدّ بعض الطعام لتأكله زوجته بعد عودتها. فأكلت ونامت، وجلس سونغ يون هوي بجانبها يفكر فيما حدث في اجتماع أمس. ألا توجد طريقة لبيع المنتجات عالية الجودة بسعر عالي؟ هل علينا حقًا إخراج منتجات متوسطة من المعدات الجديدة من أجل الفوائد الاقتصادية؟

لا يمكن لجيتشو أن تزدهر كشياوليجيا، وليس هذا فقط، بل إنها مضطرة للانحدار والتدهور. ولم يكن هناك أي طريقة أمام سونغ يون هوي ليتراجع بها عن عناده.

ظلّ سونغ يون هوي مكتئبًا لعدة أيام. في اليوم الأول، ذهب مع تشنغ كاي يان لتناول العشاء في منزل والدها بعد العمل، وبعد العشاء خرجا ليشاهدا فيلمًا. وفي اليوم الثاني، أعدّ الطعام

بنفسه، واستغلّ الجو المشمس للعب كرة الريشة في ملعب صغير حتى تصيبًا عرقًا، وكانت تشنغ كاي يان سعيدة جدًا، فأخيرًا قد اصطحبها زوجها للعب؛ إذ كانت لدى سونغ حياة منتظمة، في الصباح عندما يستيقظ للركض وممارسة الرياضة، تكون تشنغ كاي يان ما زالت نائمة، وفي المساء يقرأ ولا يشاهد التلفزيون كثيرًا، وفي معظم الأحيان تشاهده تشنغ بمفردها في غرفة المعيشة، في حين يقرأ سونغ بمفرده في غرفة النوم. لذلك كانت تشعر بالاستياء في كثير من الأحيان. كان اليوم الثالث هو عطلة نهاية الأسبوع، فذهب سونغ بعد العمل إلى المبنى الإداري للمصنع الرئيسي للقاء تشنغ، وانطلقا مباشرة إلى المدينة ليتناولوا وجبة في مطعم عريق. كان سونغ مختلفًا في المدينة عمّا يكون عليه في منطقة المصنع، إذ لم يكن بحاجة لإظهار النضج المناسب لهويته كقائد، فكان يدفع الدراجة بيد، ويمسك بتشنغ القطة الصغيرة باليد الأخرى، وأخذ الاثنان يتجولان على طول الطريق ويشاهدان المنظر الليلي للمدينة.

كان هناك العديد من الشباب الآخرين الذين يتجولون أزواجًا في الشارع أيضًا، ويمرّون بجانب سونغ يون هوي وزوجته. فقالت تشنغ كاي يان وهي تسخر منه: «انظر، أنت الوحيد الذي يرتدي ملابس العمل في الشارع بأكمله، تبدو قبيحًا جدًا».

«أبدو جميل المظهر، حتى ولو ارتديتُ كيسًا من القماش، نحن واثقون من أنفسنا». ابتسم سونغ يون هوي، «انظري، جميع من في الشارع يرتدون فساتين بلا أكمام في هذا الجو الحار، وأنت

الأكثر التزامًا. كنت أنوي اصطحابك للرقص أصلاً، ولكني الآن لن أجرؤ على ذلك خوفاً من تخريب فكرك الملتزم».

لم تهتمّ تشنغ كاي يان بما قال، وضحكت قائلة: «كل هذا بسبب تلك فتاتك الأمريكية الصغيرة، فالآن لم تعد هناك أي فتاة تجرؤ على ارتداء ملابس بلا أكمام في مصنع جينتشو بأكمله».

«أوه، إلى هذه الدرجة؟ ليانغ سي شن تلك الشيطانة الصغيرة، لقد أخبرتني في رسالة قبل بضعة أيام أنها وقعت في حب شاب أشقر ذي عيين زرقاوين من عائلة أرستقراطية. هل وجدت ليو تشي مينغ حبيبًا آخر؟».

«لا، وعلى العكس منها يوي شان تشينغ، رائحته تفوح في الأرجاء، وسرعان ما وجد حبيبة جميلة جدًا وتعمل في المختبر. عندما سافرت إلى الخارج يا هوي الصغير، ماذا كانت الفتيات ترتدي في ألمانيا الغربية؟ هل يرتدي الأجانب ملابس خفيفة جدًا؟» لم تكن تشنغ كاي يان تحبّ التحدّث كثيرًا عن ليانغ سي شن. على الرغم من أنها قالت ذلك عن غير قصد، فإنها لم تكن راغبة في مواصلة الموضوع الذي يتحدّث عنه زوجها.

ضحك سونغ يون هوي وقال: «لقد كنت هناك لفترة قصيرة فقط، وكنت في العمل معظم الوقت، ومع ذلك، فبعض فتيات ألمانيا الغربية كن يرتدين ملابس مخيفة حقًا في المساء، حتى إنني لم أكن أجرؤ على رفع رأسي للنظر. الناس في شمال أوروبا طوال القامة، لقد صادفت في الورشة... صادفت...» فجأة تذكر سونغ يون هوي شيئًا ما، ووقف في منتصف الطريق بعينين شاردين

كالأحمق. بدا الأمر وكأن شيئاً مهماً على وشك الخروج من فمه، ولكنه ظلّ عالقاً بين شفثيه. ما هذا الشيء؟ ظلّ سونغ يحاول التذكُّر، ولكن دون جدوى.

نظرت إليه تشنغ كاي يان بغرابة، وأخذت تربت على يده بلطف، ولكن عندما رآته متجاهلاً إياها، دفعته بكل قوتها، فعقد حاجبيه قائلاً: «لا تزعجيني، أنا أفكر في شيء». لم تكن تشنغ كاي يان سعيدة عند سماعها لهذا، لماذا يتصرّف بهذا الشكل؟ فعبست وسارت بمفردها متممة بعدم رضا. ولكن بعد عدة خطوات، أدركت أنه لا يتبعها، فتجاهلته غاضبة، وواصلت المسير. بعدما سارت لمسافة طويلة، لم تُعدّ قادرة على التحمُّل أكثر ودخلت في زقاق لتسترق النظر إلى الوراء، لكنها رآته يمشى ببطء خافضاً رأسه، ولم يعرف أصلاً أو لم يهتم بأنها قد ابتعدت. فذرفت دمعتي حزن في هدوء من عينيها، إنه لا يهتم بها مطلقاً. لم تعرف ما إذا كان يفكر في الفتاة الصغيرة الموجودة في الولايات المتحدة، أم يفكر في العمل، فبعد ستة أشهر من الزواج، أدركت تدريجياً أنها يبدو وكأنها لن تستطيع أن تكون الأولى في قلب سونغ يون هوي، إذ كان لا يلاحظ وجودها إلا خارج أوقات العمل والدراسة. وعند انخراطه في العمل أو الدراسة، يعتبرها غير مرئية، حتى إنه يتمنى لو تختفي من تلقاء نفسها، تماماً مثلما حدث اليوم.

ولكن بالنسبة لها، كان سونغ يون هوي هو كل شيء.

أخذت تشاهده وهو يدفع الدراجة ويمشي مفكراً، وكأنّ لا أحد بجانبه، وبعد السير لفترة طويلة أيضاً لم يشعر بعدم وجود من

كان بجانبه. ظلّت تشاهده وهو يقترب ببطء من المكان الذي تقف فيه، ويمرّ ببطء من أمامها وعلى وجهه ابتسامة خفيفة. فأرادت حقًا ألا تنادي عليه، وأن تترك نفسها لتضيع في المدينة حتى ترى ماذا سيفعل. ولكنها لم تكن لتجرؤ على ذلك، فالظلام دامس، وأنوار الشارع خافتة جدًا، لذا كانت خائفة، بالإضافة إلى أن طريق العودة إلى المصنع كان طويلًا ومظلمًا. لم يكن بإمكانها إلا أن تناديه من الخلف «سونغ يون هوي» ودموع القهر تنهمر من عينيها، فرأته يستدير وكأنه في حلم، وعندما رآها عاد بوجه مبتهج وقال بابتسامة: «قطتي الصغيرة، لماذا أنتِ هنا، ألا تعلمين أن الوقوف في الأزقة غير آمن ليلًا!».

وبفضل اهتمامه اللطيف، تلاشى استياء تشنغ كاي يان فورًا، ولكنها ظلّت تشعر بالقهر، فوقفت في مكانها محدقة والدموع في عينيها متحجرة. لم يرَ سونغ يون هوي دموعها إلا بعدما اقترب، فسألها متعجبًا: «ماذا بك؟ من ضايقتك؟ أم سقطت في مكان ما؟». «أنت!» اتهمته تشنغ كاي يان بغضب، «لقد طلبت مني ألا أزعجك، وضيعتني في الشارع الواسع، كنتَ عديم الصبر ووقحًا معي».

فأشار سونغ يون هوي إلى وجهه مندهشًا، يفكر كيف يمكن أن يحدث ذلك، ولكنه عندما نظر إلى المنطقة المحيطة، أدرك أنه ربما يكون قد شرد في التفكير متجاهلاً تشنغ القطعة الصغيرة التي بجانبه، فأسرع بوضع الدراجة جانبًا، وفتح يديه ليمسح دموعها،

وأمسك بيديها وقال بابتسامة: «أعتذر يا قطتي الصغيرة، كنت أفكر في العمل. فقد توصلت لفكرة، فكرة جيدة جدًا...».

«لا أريد أن أسمع». غطت تشنغ كاي يان فم سونغ يون هوي بغضب، «إنك تنساني بمجرد التفكير في العمل».

«حسنًا، حسنًا، لن أقولها. توجد مثلجات هناك، سأشتري لك واحدة، انتظريني». عبر سونغ يون هوي الطريق بسرعة، واشترى واحدة، واحدة فقط حقًا. ثم قشر الورقة، وأعطها لتشنغ كاي يان: «ألسيتِ غاضبة مني بعد الآن؟».

«لا يمكن رشوة الرفاق الثوريين بهذه السهولة». قالت تشنغ كاي يان هذه الكلمات القاسية بصوت رقيق وخافت، «لم ينته الأمر بعد».

«إذًا ماذا تريدان؟ هل أعد لكِ المثلجات المألحة بعد العودة إلى المنزل؟ أم مثلجات الفاصوليا الخضراء؟». عندئذ فقط ابتسمت تشنغ كاي يان، وقالت بخجل: «لنعد... أريد أن أجلس أمامك». وكما توقعت تشنغ كاي يان، فقد بدا سونغ يون هوي محرجًا: «لا يمكن، فهناك أشخاص من مصنعنا على طول طريق العودة، وسيكون لذلك تأثير سيئ إذا رأونا».

«أريد الجلوس، أريد الجلوس، وإلا فسأظلّ غاضبة، من قال لك أن تتركني وحدي».

«ألا تعتقدين أن الجو حار؟».

«ليس حارًا، فالرياح ستهب أثناء قيادة الدراجة».

نظر سونغ يون هوي حوله ولم يجد أحدًا يعرفه، ومن ثم ساعد تشنغ كاي يان في الجلوس أمامه مضطرًا، كان يشعر بالخجل الشديد لدرجة أنه أراد أن يجد طريقًا مظلمًا. اختبأت تشنغ كاي يان في حوض زوجها، فقد ضايقته، ولكنها لم تُعد غاضبة ولا شاعرة بالقهر بعد الآن، وإنما رفعت المثلجات بسعادة وأصرت على مكافأته بقضمة. وبعد قليل، انتهت من تناول المثلجات، واستدارت قليلاً مستغلة الظلام لتعانق زوجها الذي يجلس خلفها، وامتلأ قلبها بشعور غير عادي بالرضا. في البداية كان سونغ يون هوي يشعر بحرج كاللص، خائفًا من انتشار القيل والقال حول الحب بين الزوجين الشابين في عائلة المدير سونغ بحلول الغد، فهو شاب رقيق، ولن يكون قادرًا على التصرف كرجل راشد في الورشة بعد الآن، ناهيك من احتمالية رؤية الآخرين لحميميته بينه وبين زوجته في الأماكن العامة. ولكن بعد قليل، غرق في السعادة، وهدأت سرعة دراجته، وصارت الابتسامة تغطي وجهه.

لحسن الحظ أن تشنغ كاي يان لم تصعب الأمور عليه حقًا، وطلبت النزول من الدراجة عند الاقتراب من منطقة المصنع، وجلست بالخلف بظهر مستقيم ووجهها مقابل ظهر زوجها. كان الزوجان مبتسمين، ولم يكلفا نفسيهما عناء الحديث.

في اليوم التالي، اصطحب سونغ يون هوي تشنغ كاي يان إلى منزل والدها بروح معنوية عالية لقضاء عطلة يوم الأحد. كان منزل والدها كبيرًا، فما إن تدخل من البوابة الكبيرة حتى يمكنك رؤية أبواب الغرف في كل مكان كما كان في فيلم «حرب الأنفاق».

كانت عائلة تشنغ قد انتقلت بالفعل إلى مبنى مدير المصنع، وخارج المبنى كانت هناك مساحة خضراء واسعة، وداخله كانت السلالم والغرف واسعة أيضًا. كان والدا تشنغ يرغبان في سُكنى ابنتهما وزوجها معهما ليضيفا حيوية على المكان، ولكنهما لم يرغباً في ذلك، إذ رأى سونغ أنه لن يستطيع الاعتماد دائمًا على عائلة حميه، وأرادت تشنغ الالتصاق به طوال اليوم والعيش في منزلهما الخاص لتجنّب الإزعاج.

ذهب مدير المصنع تشنغ لصيد السمك قبل بزوغ الشمس، ولن يعود قبل الساعة العاشرة تقريبًا. لم يَكُن سونغ يون هوي يفعل شيئًا عند عودته إلى المنزل في مسقط رأسه، ولكن الوضع كان مختلفًا عند ذهابه إلى منزل حميه، إذ كان يظَلّ في المطبخ ليغسل الخضروات ويعدّ الطعام. عند انتهائه من إعداد طعام الغداء، سمع ضجيجًا آتيًا من غرفة المعيشة، يبدو أن حماه قد عاد. مدّ سونغ رأسه لينظر، فوجد حماه والأمين شوي قد دخلا معًا حاملين صنارتي صيد، ويتحدثان ويضحكان. حينها اضطر سونغ لتجفيف يده والخروج لاستقبالهما، وعندما رآه الأمين شوي ضحك، وقال للمدير تشنغ: «إنه أبعد ما يكون عن الهموم، وإذا غضب فإنه يعاندني، تمامًا كالطفل الصغير».

فابتسم المدير تشنغ ناظرًا إلى صهره، ولكنه قال لابنه: «اذهب لشراء زجاجة بيرة واحتفظ بها باردة، وادعُ العمّة شوي لتناول الغداء معنا، لقد اصطدنا الكثير من السمك اليوم».

«لا داعي لدعوتها، لقد ذهبت إلى منزل ابنا. هل تستطيع الطهو يا سونغ الصغير؟ سأترك لك السمك لإعداده».

أخذ سونغ يون هوي السمك ودخل به إلى المطبخ، ولكن والده تشنغ كاي يان التي كانت تنظف الأرض أخذته منه، وطلبت منه الخروج للترحيب بالضيوف. فأسرع بغسل يده، وخرج لتقديم الشاي والماء، ورأى أن تشنغ كاي يان الصغيرة في هذا المنزل قد وضعت بالفعل بذور البطيخ والحلوى. كانت تشنغ كاي يان قد أخبرته من قبل أنها دائماً ما تخاف عند رؤيتها للأمين شوي، ولذلك فبعدها انتهت من تقديم التسالي، دخلت مباشرة إلى غرفتها.

جلس الأمين شوي، وبعدهما شرب كوب الماء تنهد قائلاً: «لن تسير الأمور على ما يرام هكذا يا تشنغ الكبير. لقد فكرت في الأمر أثناء الطريق، وقررت أنه سيكون من الأفضل أن أذهب إلى بكين غداً. لتترأس أنت اجتماع الغد».

نظر المدير تشنغ إلى سونغ يون هوي وقال: «ألديك طريقة لتحسين الجودة مع الحفاظ على أوضاع الإنتاج الحالية؟ قم بالتحسين بقدر ما تستطيع». فردّ سونغ يون هوي: «سيادة الأمين شوي، أبي، هذا ليس مستحيلاً من الناحية العملية فقط، بل من الناحية النظرية أيضاً. أنا لست غاضباً، ولكني ما زلت مستاءً لأن معدات جيدة كهذه لا يمكنها إلا إنتاج بعض السلع العادية».

«هل يجب على كل الذين يتمتعون بخلفية فنية أن يتحدثوا بنفس الطريقة؟» لم يكن الأمين شوي متغطرساً كعادته في منزل

عائلة تشنغ، وكان يتكلم بأريحية شديدة، «فكر بشكل متعمق أكثر، وفكر أكثر في مصلحة العمل، لا يمكن القيام بتجارة خاسرة».

«لقد فكر في الأمر بشكل متعمق بالفعل، فقد كان منغمسًا في التفكير فيه أمس، حتى إنه كاد يتركني في وسط المدينة». بعد سماع نقد الأمين شوي لسونغ يون هوي، أسرعت تشنغ كاي يان بالردّ نيابة عنه.

ضحك سونغ يون بينغ قائلاً: «كدت أتركها حقًا. كنت أفكر في وثيقة بداية العام مساء أمس، تلك التي رأيتها هنا عند والدي، كانت تقول إن الشركات الكبيرة ومتوسطة الحجم المملوكة للدولة مثلنا يمكنها التقدّم بطلب للحصول على حق العمل المباشر مع الخارج. لقد حفظتها عندما رأيتها، ولكن لم أهتم بها كثيرًا، إلى أن تذكّرتها مساء أمس، وهذه تمامًا هي الطريقة التي ستحلّ مشكلة معدّاتنا الجيدة التي تنتج سلعًا منخفضة الجودة. ونظرًا لأن منتجاتنا النهائية لا يمكننا بيعها محليًا إلا ببخس ثمنها، لذلك علينا إيجاد طريقة لبيعها في الخارج، ولا يمكننا أيضًا السماح لشركات التجارة الخارجية بشرائها بأسعار منخفضة، لذا علينا بيعها مباشرة، وكسب النقد الأجنبي، وذلك ببيعها بأسعار دولية. إن جودة منتجاتنا قادرة على المنافسة دوليًا».

نظر الأمين شوي بنظرة شك لسونغ يون هوي، وبعد قليل، سأل المدير تشنغ: «هل لديك أي انطباع؟» وعندما رأى المدير تشنغ يهزّ رأسه، أضاف قائلاً: «وأنا ليس لدي انطباع أيضًا، هل يمكن أن تكون قد أخطأت الفهم يا سونغ الصغير، وأن الأمر لا يتعلّق بالتصدير، وإنما بتوسيع استقلالية المؤسسات؟».

احمرّ وجه سونغ يون هوي، وقال: «ينبغي ألا يكون الأمر خاطئًا، فقد رأيتها في بداية العام بعد فترة وجيزة من عيد الربيع، ويمكنني البحث عنها وإيجادها».

«في ذلك الوقت كنت مشغولاً بالزفاف، كيف كان لديك القدرة على التركيز هكذا؟» قال المدير تشنغ بقليل من عدم الاقتناع.

ضحك الأمين شوي وقال: «الفكرة نفسها صحيحة، فصباح اليوم كنت أناقش هذه القضية مع تشنغ الكبير، وقد طبقت صناعات أخرى نظام التسعير المزدوج بالفعل، ولكننا مازلنا مقيدين ولا نستطيع فعل شيء. لقد قيّدوا أيدينا وأقدامنا، في حين أتوا أمس يشكون من عدم قدرتنا على تحقيق جودة جيدة وإنتاج مرتفع وأسعار منخفضة في الوقت ذاته. قلت يوم الاثنين إنني سأذهب إلى بكين لطلب السياسات وتطبيق نظام التسعير المزدوج، لنرى من يستطيع أن يمنعنا من البيع بسعر مرتفع. لا يمكننا السماح لشخص حقوقد بائس مثل فيّ الكبير أن يخنقنا حتى الموت، ألا تعتقد ذلك يا تشنغ الكبير؟».

«علينا القيام بهذا، وإلا فإن المكافآت ستقلّ بضعة أشهر أخرى، وسيقوم العمّال بإضراب، فقد أظهرت إحصاءات هذا الشهر أن الكثير منهم قد اضطروا لطلب إجازات. في البداية عندما قمنا ببناء الورشة الجديدة فكّرنا أيضًا في التصدير يا شوي الكبير، فمن المؤسف الاحتفاظ بالمعدّات التي تم شراؤها بمبالغ كبيرة من النقد الأجنبي وعدم استخدامها لكسب النقد الأجنبي. بما أنك ستذهب شخصيًا إلى بكين لطلب السياسات، فقد يكون من

الأفضل أن تتخذ خطوة أكبر وتعزز صورتك كرجل إصلاح في الوزارة».

فكر سونغ يون هوي بينه وبين نفسه، هل يعتبر هذا إصلاحياً؟ هل ما زال مصنع جينتشو في طليعة الإصلاح؟ في الحقيقة لقد تم تحرير الأسعار على المستوى الشعبي منذ فترة طويلة، ومنذ بضع سنوات وحتى الآن، ما زالت السلع كقضبان الفولاذ والأسمت التي يشتريها مصنع المنتجات الجاهزة بشياوليغيا عبارة عن مواد غير مخطط لها، وأسعارها تختلف تمامًا عن تلك التي يقدمها نظام المواد. ولكنه لا يستطيع قول هذا، فكثرة الكلام لا تخلو من الخطأ.

فكر الأمين شوي قليلاً، وسأل: «هل الوثيقة في منزلك؟».

أخرج المدير تشنغ مفتاح المكتب، وطلب من سونغ يون هوي الذهاب إلى مكتبه لإحضار كافة الوثائق ذات الصلة الصادرة منذ عيد الربيع. وبعد خروج سونغ يون هوي، أخذ الأمين شوي والمدير تشنغ يبحثان طويلاً في نظام التسعير المزدوج، ويفكران في أنسب حجة لتقديمها للوزارة. ولكن الأمين شوي ظل يشعر بالقلق بشأن التصدير، فطلب من المدير تشنغ الهاتف ليتصل بصديق يعمل بإحدى شركات التجارة الخارجية في بكين. وبعد المكالمة الهاتفية، تحسّن مزاجه كثيراً، وقال ضاحكاً: «الفتيان لديهم ذاكرة قوية، هذا صحيح، ولكن ما زالت نقاط التطبيق نادرة جداً، وما زالت شانغهاي في المرحلة التجريبية، ويمكن للمصانع أن تجد لنفسها عملاء أجنب، وأن تحدد أسعارها بنفسها،

وتسوي أسعار النقد الأجنبي بنفسها، وتكون مسؤولة عن أرباحها وخسائرها بنفسها. وليس على شركات التجارة الخارجية إلا توقيع العقود بالنيابة عن العميل، وتقاضي رسوم الوكالة. ولو تمكنا من فعل هذا، فسنكون قد نجونا».

بعد إحضار سونغ يون هوي للوثيقة وهو يتصبب عرقاً، استخرج المقال الذي كان يقصده، فقرأه الأمين شوي وضحك، ثم أعطاه للمدير تشنغ، والذي قرأه وضحك بدوره أيضاً. وقال الأمين شوي ضاحكاً: «الشباب في نهاية الأمر، لا يفهمون سوى نصف المشكلة، ولكنه جهدٌ جيد أيضاً. ما زلنا لا نستطيع التنفيذ بثقة قبل أن يتحوّل خطاب المؤتمر إلى وثيقة رسمية. ولكن هذه ثغرة، مما يبيّن أن المديرين في المستويات الأعلى على استعداد لفتح هذه الثغرة، وما داموا يفكرون في هذا، فسأدخل أنا أيضاً، فالذباب لا يعضّ البيض الخالي من الشقوق، لذا سأكون أنا الذبابة الأولى».

كان الثلاثة يضحكون في غرفة المعيشة معاً، ولكن بعد الضحك، بدأوا في المناقشة. كان ابن المدير تشنغ قد عاد بالبيرة بالفعل، ولكنه لم يستطع مقاطعتهم، إذ لم يكن من هذا النوع من الأشخاص. وعندما رآه المدير تشنغ، شعر قليلاً بالحزن، فلو كان ابنه يتمتع بنصف موهبة صهره، لتمكّن من الموت حقاً غير آسف عليه.

حتى إن الأمين شوي أعرب عمّا بداخل المدير تشنغ قائلاً: «إن صهرك هذا مرشّح جيد لإدارة الأعمال، ولكن لسوء الحظ مهاراته التقنية جيدة جداً، لدرجة أنني متردد جداً بشأن استبداله من منصبه كفتيّ».

ردّ المدير تشنغ: «ولكنّي أقترح أن يعمل بجد في منصبه كفنيّ لعدة سنوات أخرى، حتى يكتسب المزيد من الخبرة أولاً».

بعد توديع الأمين شوي، أغلق المدير تشنغ الباب، وبدأ في توجيه سونغ يون هوي، أولاً، لم يكن عليه كشف حقيقة رؤيته للوثيقة؛ ثانيًا، لا يمكنه التصرّف بأريحية مع الأمين شوي إذا رآه في أي مناسبة فيما بعد؛ إذ إنه لا يتصرّف بأريحية مع الأمين شوي حتى بعد سنوات طويلة من الصداقة بينهما، ثالثًا، اخفِ مواهبك، ومها بلغت درجة تميّزك، عليك إخفاؤها قليلاً. وقد قبل سونغ يون هوي توجيهاته.

كان مصنع جيتتسو مجتمعًا صغيرًا يضم كل المرافق الضرورية على الرغم من صغر حجمه، فبمجرد صعود الأمين شوي إلى الطائرة المتجهة إلى بكين، انتشرت الشائعات بكل أنواعها حول الورشة الجديدة في كل أنحاء المصنع. كانت الورشة الجديدة في الأصل أشبه بوحدة من أفضل الورش في العالم، إذ كانت عبارة عن فيلق جديد من جيش الكوميتانغ تم تشكيله حديثًا بمعدّات أمريكية، وجميع الذين يخرجون منها كانوا أكثر استقامة من غيرهم، وكانت لديهم فرصة أكبر في الارتباط، ولكن بين ليلة وضحاها، تحوّلوا إلى مادة للسخرية بأنهم حسنو المظهر ولكنهم عديمو الفائدة.

كما أصيب عمّال الورشة الجديدة بالإحباط بسبب المناقشات داخل غرفة التحكّم الرئيسة، لماذا أصبحت الورشة الجديدة مصدرًا لخسائر المصنع الرئيسي بعد بنائها بتكلفة وجهد كبيرين؟

لماذا تراجعَت فجأة وانخفضت جودة منتجاتها قبل بضعة أيام؟ في الحقيقة، لم تكن مكافآت ورواتب الورشة الجديدة أعلى من بقية الورش، ولكن جميع من فيها كانوا يعملون بمعنويات عالية لمجرد أنها كانت مبتكرة وواعدة، ولكن الآن، تحوّل الحلم إلى حقيقة، واكتشفوا أن الأميرة التي كانوا متحمسين للزواج منها لم تكن إلا خادمة أُستبدلت فقط.

كان الجميع يعرفون أن هذا هو الوقت المناسب للعمل الأيديولوجي وتقديم الحقائق وتفسيرها. ولكن، عندما تساور الشكوك قلوب الناس، هل سيكون من السهل قبول الحقائق؟ عند بناء الورشة الجديدة في البداية، سُرحت كافة مزايا المعدات الجديدة لتحفيز مشاعر الجميع، وكأن لهيب الحماس قد انطفأ، فبعد أن وصل حماسهم إلى ذروته وقت تركيب المعدات، صارت الكلمات الفارغة الآن بالكاد يمكنها تحفيزهم. في الماضي، كان يمكن للورشة الجديدة أن تكون الأولى من حيث الجودة على الأقل، ولكن الآن، أصبحت ميزة الجودة مضطرة إلى تدمير نفسها، وما يُسمّى بنظام التسعير المزدوج والتصدير ما هي إلا أشياء يبذل الأمين شوي قصارى جهده لتحقيقها، وما زال نجاحه أو فشله غير معلوم، ولا يمكن الإعلان عن نتيجة ذلك مسبقاً. واجه سونغ يون هوي صعوبة في العمل الأيديولوجي.

وفقاً للمتعارف عليه، فإن العمل الأيديولوجي للورشة كان من اختصاص أمين لجنة الحزب بالمصنع، ولكن سونغ يون هوي دائماً ما كان يعتبر الورشة الجديدة بمثابة معركة الخاصة،

ورأس ماله الخاص، وأنها ابنٌ له وقد كبر، وهو من يتحمّل مسؤولية مظهره سواء أكان حسنًا أم سيئًا، وهو أيضًا من يتحمّل مسؤولية تربيته سواء أكانت جيدة أم سيئة، لذلك كان لديه تجاه الورشة الجديدة مشاعر ومسؤوليات تختلف عن الآخرين. ومن ثم، حل العمل محل الحياة المتناغمة السعيدة التي دامت لثلاثة أو أربعة أيام، ولكن ما باليد حيلة، إذ كان عليه التوصل لحل مناسب والتفكير والتخطيط بمفرده.

كان أمامه ثلاثة خيارات: إمّا المواجهة المباشرة للمشكلة، وإما تجميل المشكلة ظاهريًا، أو حتى تجنّبها. كان الحل الأضمن هو تجنّب المشكلة، وعدم اتّخاذ أي إجراء، وترك العمّال يقلقون، وما دامت لم تقع حادثة تخص الإنتاج، يمكن نقل جميع المشكلات إلى المصنع الرئيسي لاتّخاذ القرار. والمشكلة التي لا يمكن للمصنع العام أن يحلها كيف يمكن لنائب مدير ورشة أن يتحمّل مسؤوليتها. الخيار الثاني هو تجميل المشكلة ظاهريًا. إن المواجهة المباشرة للمشكلة، وإخفاء الحقائق، غالبًا ما يؤديان إلى انتشار الشائعات بشكل أكبر، وليس أفضل من تجنّب المشكلة. الخيار الثالث هو المواجهة المباشرة للمشكلة، وهو الخيار الأكثر خطورة، وأيضًا الخيار الأكثر صعوبة من حيث التنبؤ بنتائجه. ولكن سونغ يون هوي بقوة شبابه، اختار هذا الخيار الأكثر خطورة. ألم يقولوا إن الفهم هو الأفضل؟ وما دامت الحقائق موضحة للعمّال، فسيتفهمون الصعوبات التي تواجه الورشة الجديدة. وما داموا يتفهمونها، فسيتولّد لديهم شعور بالمسؤولية.

كانت هذه نتيجة حبسه لتشنغ كاي يان في غرفة المعيشة وهي تشاهد التلفزيون، واستلقائه على السرير والتفكير في ردود الأفعال تجاه هذه الخيارات الثلاثة لمدة يومين. لم يناقش الأمر حتى مع المدير تشنغ، إذ ظنّ أنه بالتأكيد سيطلب منه مراقبة الأمر لفترة من الوقت، ثم اتّخاذ القرار بعد عودة الأمين شوي لرؤية التوجّه السياسي الذي توصل إليه. ولكن كيف لسونغ يون هوي أن ينتظر، فبالنظر إلى الوقت الذي استغرقه الحصول على الموافقة على تقرير استيراد المعدات، يمكن تصوّر كم من الوقت سيستغرق التقدّم بطلب للحصول على الاقتراحين هذه المرة. كما أن معنويات الورشة الجديدة لن تنتظر أحدًا، لذلك لن يستطيع الوقوف متفرّجًا. وبعدهما ذاق ويلات الضرب والإهانة في طفولته، أصبح الآن لا يرغب في التخلّي عن حق المبادرة ولو قليلاً. كان يمكنه الالتزام بالصمت، لكن كان عليه أيضًا المبادرة بالتحكّم في مسار حياته.

في اجتماع ما قبل العمل، أخبر الجميع بوضوح بالمكانة التي تحتلّها معدّات الورشة الجديدة على المستويين الدولي والمحليّ، والقيود السياسية التي تواجهها منتجات الورشة الجديدة حاليًا في التداول، ولماذا قرر المصنع الرئيسيّ تقليل الجودة وزيادة الإنتاج مؤقتًا بهدف تقليل التكاليف، وأين نقاط الخسارة الرئيسة لمعدّات الورشة الجديدة. وفي النهاية شجّع الجميع أيضًا قائلاً إن السياسات الوطنية دائمة ما تتجه نحو تخفيف القيود المفروضة على المؤسسات وفتح مسار استقلاليتها، والاتّجاه السياسي حاليًا هو تقليل القيود على المؤسسات مع زيادة استقلاليتها بشكل

تدريجي، لذلك فإن آفاق العمل في الورشة الجديدة ما زالت تحمل الطابع المتفائل. ولكن الورشة الجديدة تقف حاليًا في حالة من الظلام الذي يسبق الفجر، وربما تظهر عوامل غير مواتية مختلفة خلال هذه الفترة، والأوقات الصعبة تتطلب من الجميع التعاون معًا وتوحيد الجهود والتغلب على الصعوبات.

دائمًا ما يصعب على الشائعات أن تنمو على أرض خصبة بالحقيقة. شرح سونغ يون هوي الحقائق، فبدد على الفور الشائعات كافة التي انتشرت بين فرق العمل المختلفة. وظل يناقش الحقائق في حين كان الجميع يتحدثون بملل وتشاؤم في الفروق الحادثة على لوحة العدادات. عند الحديث عن القيود المفروضة على قنوات التوزيع، كان الجميع يتحدثون عن التغيرات النشطة التي لحقت بالمؤسسات التي يعمل بها الأقارب والأصدقاء، وعلى النقيض من ذلك، كان يزداد حزنهم وغضبهم عند الحديث عن المعاملة غير العادلة التي تتلقاها هذه المعدات الجيدة في الورشة الجديدة، إذ قالوا إن هذا الأمر يُشبه إجبار طائر العنقاء على الهبوط في حظيرة دجاج مصنوعة من القش، وإنها ليست مشكلة طائر العنقاء نفسه.

ولكن ما لم يتوقعه سونغ يون هوي هو أنه في غضون يومين قد ساد شعور عام بالأسى بين موظفي الورشة الجديدة الذين لطالما اعتبروا من النخبة في المصنع، وقد دفع هذا الشعور أولئك العمال إلى بذل المزيد من الجهد في تحسين جودة المنتجات نسبيًا، وذلك على أساس تحديد الإنتاج، إذ قالوا جميعًا إن البشر يحافظون على

كرامتهم تمامًا كما تحافظ الأشجار على لحائها، ولن يمكنهم السماح بالنظر إليهم بازدراء من قِبَل العاملين في الورشة الأولى أو حتى في الورش المساعدة الأخرى. كان سونغ يون هوي في البداية يريد فقط تبديد الشائعات من خلال الإعلان بصدق عن الحقيقة حتى يتمكن الجميع من العمل براحة بال ودون ذعر، لكنه لم يتصور أن تذهب النتيجة في اتجاه لم يكن ليتوقعه مطلقًا. وكما يقول المثل، فإن قلوب البشر لا يمكن التنبؤ بما فيها، ولا يمكن لأحد التنبؤ بالاتجاه الذي سيسير نحوه الرأي العام. لم يكن يتوقع أن تؤدي المسألة إلى توحيد الجميع وإبراز قوة فريدة من نوعها.

لقد احتفظ سونغ يون هوي بهذا المثال في ذهنه، فقد تبين أن تحريك قلوب البشر يمكنه أن يتم من خلال التحفيز الإيجابي، ويمكنه أيضًا أن يتم من خلال القمع السلبي، وكل موقف يعتمد على الظروف.

ومع ذلك، فإن خيار سونغ يون هوي قد جلب عليه المتاعب في النهاية، إذ إن المدير مين الذي يرأسه أخذ يوبّخه في الاجتماع الأسبوعي منتقدًا إعلانه لمحتوى ما نوقش في اجتماع محدود للجمهور قبل إصدار المصنع الرئيسي لرأيه النهائي، قائلاً إن هذا تصرف غير منظم وغير منضبط على الإطلاق. لم يبرر سونغ يون هوي الأمر، ولم يدحضه أيضًا، وإنما أخفض رأسه مستمعًا إلى التوبيخ. كان يقول لنفسه، إن الطريق متعرج، ولكن المستقبل مشرق، ما دمت قد اتخذت القرار، فعليك المثابرة والمواصلة مهما حدث.

ولكن من ناحية أخرى، أحيانًا ما كان سونغ يون هوي يشعر بالإحباط عند التفكير في التقدّم السريع الذي أحرزته شياوليغيا، في حين أن العمل في مصنع كبير مثل جيتشو مقيد بتعقيدات كثيرة، ويتخلله الكثير من الاحتكاكات، لذلك تخرج النتائج بجودة سيئة جدًا. كان يتساءل أحيانًا، ماذا كان ليحدث لو ذهب إلى شياوليغيا؟

ولكنه لم يكن يعلم أن الأوضاع في شياوليغيا لم تكن سلسلة كما كان يتصوّر.

6

عاد لي دونغ باو إلى شياوليغيا، وعقد عدة اجتماعات مع كوادر القرية لضبط خطة الإصلاح المؤسسي للمشروعات الجماعية بالقرية، وبعد صياغتها رفعها إلى قادة القرية للموافقة عليها. وعندما رأى قادة القرية المسودة المبنية على أساس فكر سونغ يون هوي انبهروا بالحجج غير المألوفة فيها، وبعد ذلك أرسلوها إلى المحافظة. عندما قرأ تشن بينغ يوان المسودة، استدعى لي دونغ باو للاستفسار عن بعض الأسئلة، فطلب لي دونغ باو من شي قن الذهاب أيضًا للتفسير حتى لا ينفد صبره من كثرة الأسئلة.

كان الاعتراض الأكثر شيوعًا في المحافظة يتعلق بمسألة التوزيع. على الرغم من أن القادة الذين كانوا قد خرجوا لتوهم من نظام المساواة قد قبلوا نظام التعاقد مع الأسر، وتكيفوا مع نظام

التعاقد مع المصانع ومبدأ «من يعمل أكثر يحصل على أجر أكبر»، فإنهم لم يفهموا مطلقاً سبب حصول قادة مشاريع البلديات، التي يتولى رئاستها كوادر القرى، على عمولات عالية، وتساءل العديد من قادة المحافظة حول هذه المسألة على الفور، وعن احتمالية قيام كوادر القرية بالاستفادة بشكل أكبر من المنافع التي يحصلون عليها من الموارد الجماعية بالقرية؟ وهل من المعقول أن يستخدم كوادر القرية سلطتهم كقادة للقرية لوضع قواعد تسهل مصالحهم الشخصية؟

وتساءل البعض أيضاً عن المبلغ الذي قد يحصل عليه كوادر القرية باعتبارهم رؤساء للمشروعات في الوقت ذاته، وذلك بناءً على الوضع التجاري الحالي لقرية شياوليغيا. أعطاهم شي قن رقمًا، فقالوا جميعًا إنه رقم كبير. فأوضح شي قن أن رواتب موظفي المؤسسات ستزيد أيضًا، كما أشار البعض إلى أنه من غير المعقول أن يتم تقسيم الأموال التي تنتمي أصلاً للجماعة في القرية لصالح الأفراد، ولا يمكن تفويض أساس التعاونية الاشتراكية باسم الإصلاح.

ظلّ لي دونغ باو عابسًا ولم ينطق بكلمة، إذ كان شي قن يعلم كل ما يريد لي دونغ باو قوله، كما أنه انزعج بشدة عند سماعه لما يقولونه، وتمنى أن يضرب أحدهم، لذا كان من الأفضل ألا ينطق بكلمة. ولكن بعد سماعه للمناقشة التي استمرت لساعتين، لم يعد بإمكانه التحمّل أكثر، وسألهم لو لم يتم زيادة دخل المديرين بشكل مناسب، فأين ستنعكس قدراتهم إذا؟ كان سونغ يون هوي

قد أخبره بهذا الكلام، وقد حفظها جيدًا. وأضاف مباشرة السؤال الثاني، إذا لم يتم تفويض دخل المديرين وأداؤهم، فبأي طريقة ستمنع جرائم استغلال السلطة لتحقيق مكاسب شخصية كما فعل الأمين الكبير المُنتحر؟ كما قال لي دونغ باو، بما أن قادة المحافظة قد قالوا إن هذا وذاك غير ممكنين، إذا يجب عليهم التوصل إلى طريقة للقضاء على الفساد.

اعترض بعض القادة على غطرسة لي دونغ باو ككادر قروي صغير، قائلين إن العمل الريفي يركّز حاليًا على تنمية الاقتصاد فقط، ويتجاهل التثقيف الأيديولوجي، وبسبب إهمال التثقيف الأيديولوجي ظهرت انحرافات فكرية لدى المديرين. فاستشاط لي دونغ باو غضبًا، إذ رأى أن الأمين الكبير هو من كان يقود تثقيف القرويين وتحسين فكرهم، كما أن الأمين الكبير قد تلقى تثقيفه من مستويي المحافظة والبلدة، وقد استوعب العمل الأيديولوجي في المحافظة، ولكن لماذا كان الأمين الكبير هو أول شخص يختلس عندما امتلك سلطة الموافقة بين يديه؟ وللوقت شعر قادة المحافظة بالإحراج من سؤال لي دونغ باو، ومع ذلك فقد صرّوا على أسنانهم ورفضوا الموافقة.

عندما رأى شي قن أن النقاش قد وصل إلى طريق مسدود، حاول المراوغة قائلاً إن مسألة التوزيع يمكن مناقشتها فيما بعد، ويمكن أيضًا تقليل نسب التوزيع وفقًا لآراء القادة. ولكن القضية الأساسية في هذه المسودة لم تكن مسألة التوزيع، وإنما مسألة إنشاء مؤسسة للإدارة الجماعية بقرية شياوليغيا. اعتقد لي دونغ

باو أن شي قن كان يتحدث بطريقة مهذبة جداً، إذ كان بإمكانه أن يقول مباشرة إن قادة المحافظة لا يرون إلا المال وينسون الموضوع الرئيس.

لحسن الحظ أن تشنغ بينغ يوان كان يتساهل مع شياوليغيا، لذا فقد أصرّ على رئاسة الاجتماع، ومن ثم أعاد المناقشة إلى الموضوع الرئيس. وبالنسبة لإنشاء مؤسسة شياوليغيا، وخاصة عندما رأوا تفسير شي قن الذي بدا احترافياً مما صعب على قادة المحافظة إبداء أي اعتراض، فقد طرحوا بعض الأسئلة السطحية التي ليس لها صلة بالموضوع، ثم وافقوا مباشرة على إنشاء المؤسسة.

على الرغم من أن مسألة التوزيع لم تكن قد تم حلّها بعد، فإن لي دونغ باو كان يعرف أن الموافقة على مسألة التوزيع في المحافظة لن تتم إلا إذا لم يحصل جميع كوادر القرية على رواتبهم. لذلك، فقد قرر أنه بصرف النظر عما ستقوله المحافظة، فإنه سيعود إلى القرية ويعقد اجتماعاً لتنفيذ المسودة، ومفادها أن يكون هونغ وي مسؤولاً عن مصنع الطوب ومصنع المنتجات الجاهزة؛ ولي تشونغ فو مسؤولاً عن مزرعة الخنازير، وهذا القرار قد فاجأ لي تشونغ فو بشدة، فخالجته مشاعر مختلطة وهو ينظر إلى لي دونغ باو وهو يعلن التعيينات على المنصة؛ وسُلم مصنع الأسلاك الكهربائية إلى لي تشونغ مينغ الذي كان خريج المدرسة الثانوية بالقرية ويساعد لي شي قن، كما كان يتمتع بمهارات متميزة وشخصية مرنة؛ وتعاقد أحد القرويين على إدارة فريق الهندسة المعمارية، ليكون مسؤولاً عن أرباحه وخسائره، إذ كان لي دونغ باو يظنّ أن دخل الفريق محدود

ويواجه الكثير من المتاعب. كان المسؤول العام هو لي دونغ باو، ونائبه لي شي قن، ولم يتغير لقباهما، إذ بقيا كما هما، أمين وعمدة قرية. أما بالنسبة لكيفية التوزيع، فلم يُقل لي دونغ باو أي شيء بشأنها. إذ كان في الماضي يُخبر أهالي القرية بكل شيء أولاً بأول، أما الآن فقد صار متكاسلاً عن إخبارهم، إذ إنه سيوتبخ حتمًا لو أخذ الكثير من المال، إذا فليوتبخوه، وهو لن يفسر الأمر على أي حال.

وفي الاجتماع، طرح البعض مسألة استعادة الأموال التي اختلسها الأمين الكبير، فأخذ لي دونغ باو ينظر طويلًا بصمت في اتجاه منزل الأمين الكبير، وأجاب قائلاً إن حياة الأمين الكبير تساوي ثلاثين ألف يوان. وللحظة سخنت النقاشات بين الجمهور الجالس أسفل المنصة، ولكنه لم يكن مهتمًا بما يقولونه، فقد ذهب مباشرة بمجرد أن أنهى كلامه، إذ لم يُعد يؤمن بإرادة الشعب، فهو يعمل بجدّ لتحسين الاقتصاد الجماعي بالقرية، وهو فخور بنفسه، وهذه الأرض التي ربّته فخورة به أيضًا، كما يمكنه عيش حياة كريمة، ومساعدة أهالي شياوليغيا على عيش حياة كريمة أيضًا، وهذا يكفي. إرادة الشعب؟ ماذا يمكنه أن يحقق لو اكتفى بالاستماع إلى إرادة الشعب؟ من دعمه في البداية لفتح فرن الطوب؟ ومن أطاعه في البداية عندما نقّذ التعاقد على الأراضي؟

عند صرف الراتب الشهري الأول بعد التعديل الهيكلي، اندلعت النقاشات بين القرويين، وعلى الرغم من أن أحدًا لم يكن ليتجرأ على البوح بهذا أمام لي دونغ باو، فإن شي قن ومسؤولي تلك المصانع قد تعرّضوا جميعًا للإدانة والانتقاد، حتى إن تشونغ

فو قد تخلى عن تحيزاته السابقة وذهب إلى لي دونغ باو ليشكو قائلاً إن عليه تخفيض راتبه، ولكن لي دونغ باو أخبره أنه لو بذل جهداً أكبر وأفضل، فسيحصل على المزيد من المال، ولو كان هناك من يجيد تربية الخنازير أيضاً، فيمكنه أن يحل محل لي تشونغ فو. لماذا الخوف من الانتقاد؟ فمن لا يتعرض للانتقاد عندما يكون قائداً؟ هل من السهل أن يكون الشخص قائداً؟ إن مواجهة الانتقاد أيضاً مهارة، وما دمت تمشي وتقف وتجلس باستقامة، سيكون كل شيء على ما يرام. بعد سماع تشونغ فو لهذا، لم يستطع منع نفسه من تذكر انتقاده للي دونغ باو بعد ردم بركة الأسماك التي كان قد تعاقدها عليها في البداية، وعلى الرغم من أنه ما زال يعتقد أن لي دونغ باو كان مخطئاً لعدم التزامه بالعقد، فإنه استطاع تفهّم هذا الأمين الذي يتصرّف بطريقة غير عقلانية بعدما سمع تفسيره عن مواجهة الانتقاد، فمن المستحيل على القائد أن يجعل كل الأمور تسير على ما يرام، دائماً ما سيكون هناك طرف غير مطيع، ودائماً ما سيؤبّخ القائد، وهذا أمر طبيعي. حينها شعر تشونغ فو بقليل من الذنب تجاه لي دونغ باو بسبب تجاهله للمصلحة العامة فيما مضى.

لذلك، لم يدخر تشونغ فو جهداً في نصح مسؤولي مزرعة الخنازير الذين صاروا يحصلون على الكثير من المال بأن يطمثنوا، واعتبر هذا بمثابة مساعدة للي دونغ باو في تخفيف المشكلات التي يواجهها.

كانت والدة لي دونغ باو قد سمعت المزيد والمزيد من الشائعات، لذلك كانت قلقة جداً من احتمالية وقوع ابنها في مشكلة

بعد عودتها إلى المنزل، وتوسّلت إليه ليخفف راتبه إلى النصف
تجنبًا للاعتقال والسجن يومًا ما. ولكنه أخبرها أنه لو قال أحد شيئًا
أمامها فيما بعد، فعليها أن تقول إن ابنها لن يحتكر منصب الأمين،
ولو كان هناك من لديه القدرة على القيام بذلك، فسيتخلّى ابنها عن
منصبه في نفس اليوم.

على الرغم من غطرسة لي دونغ باو، فإن الآخرين لم يستطيعوا
معارضته، وإنما تقبلوا الأمر بهدوء بعد نقاش استمر لعدة أيام.
ومن ناحية أخرى، ازدادت صعوبة شي قن وهونغ وي والآخرين
على توضيح الأمر، فاضطروا في النهاية إلى إلقاء المسؤولية على
عاتق لي دونغ باو، قائلين إن الأمين دونغ باو هو من يتخذ القرار،
ومن لديه الشجاعة فليذهب إليه للاستفسار عن الأمر. وكانت
النتيجة أن أهالي القرية لم يحدثوا جلبة إلا لبضعة أيام فقط، ولم
يُسمع صوتهم فيما بعد.

ومع ذلك، فقد أبلغ أحدهم المحافظة بالأمر، واتصل قادة
المحافظة به لانتقاده، ولكنه لم يخجل مطلقًا أثناء المكالمة، وأصرّ
على قول إنه لو استطاع أحد أن يحل محله، فلن يشغل منصب
الأمين أبدًا. ولكن، من يمكنه أن يحل محله؟ على الرغم من عقد
المحافظة لاجتماعات كبرى وصغرى لبحث ظاهرة «أنانية» لي
دونغ باو، وانتقاده باعتباره نموذجًا، فإنهم لم يتمكنوا من تغيير
الواقع. وفي النهاية، وبعد عدة أشهر من الصخب، لم تصل كل
المعارضات إلى شيء، ونُقّدت إصلاحات الهيكل الإداري
لشياوليجيا بالقوة، وبسلاسة، وبنجاح.

حتى سونغ يون هوي لم يتوقع أن شياوليجيا لن تحدث بها ضجة كبيرة بسبب قضية التوزيع، حتى إنه شعر أن جيتشو وشياوليجيا ليسا في نفس الدولة، إذ رأى أن شياوليجيا أرضٌ خصبة، أرضٌ خصبة لممارسة الأعمال التجارية.

لذلك، فكّر في مسيرته المهنية، وتمنى أن يواصل مسيرته نحو الأمام، ولكن، إذا استمر في وظيفته الحالية... فكّر في تلك الجملة التي قالها له الأمين شوي في منزل حميه: «إن صهرك هذا أكثر براعة في إدارة الأعمال مقارنة بالعمل الفني، وعقله حساس جدًا للسياسات، ولكن لسوء الحظ مهاراته التقنية جيدة جدًا، لدرجة أنني متردد جدًا بشأن استبداله من منصبه كفني». كما فكّر في مستوى أبعده، عندما اقترح عليه زميله الأكبر في غرفة السكن بالجامعة أن يدير عملاً تجاريًا فيما بعد. إن العمل التجاري هو طريق لا يمكن التنبؤ به، ولكنه أيضًا طريق مليء بالتحديات، بل ويبدو طريقًا سيمكّنه من إطلاق مبادرته الذاتية، أليس هذا هو الطريق الذي لطالما تمنى مواصلته؟ ولكن نقطة انطلاقه في طريق إدارة الأعمال صفر. أما بالنسبة للناحية التقنية، فقد حقق بعض النجاحات بها. بفضل موقعه الحالي الذي لا يمكن استبداله في مجال التكنولوجيا الحديثة، فإنه يمكنه بسهولة الحفاظ على نجاحه ما دام سيستمر فيه. بالإضافة إلى أنه بفضل ميزة السن، فإن تفوقه في المجال التقني أو في مجال إدارة الإنتاج في المصنع صار يلوح في الأفق، فقط عليه الانتظار بصبر لإثراء مؤهلاته.

ولكنه لم يكن راضيًا عن هذا الوضع المستقر.

في يوم تسلّم راتبه بعد تلقي تقرير عبر الهاتف من لي دونغ باو، استطاع أخيرًا سداد المال الذي كان يدين به لعائلة تشنغ عند زواجه. وعلى الرغم من أنه لم يكن مبلغًا كبيرًا، فإن الأمر يختلف دائمًا بعد السداد عمّا قبله، فقد شعر بارتياح كبير بعد السداد. أثناء تناول العشاء في منزل حميه، طرح فكرة عدم إعجاب تشنغ كاي يان بوظيفتها الحالية، وإذا ما كانت هناك طريقة لتنتقل إلى روضة الأطفال. ولم يتوقع أن تعترض تشنغ كاي يان نفسها، وحتى تتجنّب الذهاب إلى روضة الأطفال، تشاجرت مع والدها شجارًا بسيطًا استمرّ ثلاثة أيام، وقد انتهى باستسلام والدها. كانت شخصيتها طفولية بما فيه الكفاية، لذلك كان زملاؤها في الكلية يمازحونها بأنها تريد الذهاب إلى الروضة ليس لتعليم الأطفال، وإنما للعب معهم. ولكن المدير تشنغ وزوجته دعمًا اقتراح سونغ يون هوي، فهم أكثر من يعرف ابتهما، ودائمًا ما ترتكب أخطاءً في العمل الإحصائي بقسم التسويق، وعلى الرغم من أن المسؤولين لم يكونوا ليتجرؤوا على الشكوى، فإن المدير تشنغ كان مستاءً بالفعل.

كان سونغ يون هوي رجلاً لا يعرف الاستسلام حتى تحقيق الهدف، لذلك حاول «إنقاذ البلاد من طريق ملتو» أثناء العودة إلى المنزل: «يا قطتي الصغيرة، لم أقصد أنك لا يمكنك، وإنما قصدي هو أنك لطيفة جدًا، لذا لا أريدك حقًا أن تتلطّخي من قبل هؤلاء القدامى بقسم النقل والتسويق، أتمنى أن تظلي نقية وشفافة طوال

حياتك. علاوة على ذلك، هل نسيت أن روضة الأطفال لديها عطلات صيفية وشتوية، إنها فترات راحة طويلة جدًا، فكّرت في بقائك في المنزل خلال عطلتي الشتاء والصيف، ويمكنني بعد انتهاء الدوام أن أراك لطيفة وحيوية بعدما استرحت ليوم كامل، وأن أتناول الطعام الذي تعدّينه بيدك، لطالما تمّيت مثل هذه الحياة. ما رأيك؟».

لمعت عينا تشنغ كاي يان، صحيح، العطلة الصيفية والعطلة الشتوية، يمكنها الاستراحة لثلاثة أشهر في العام، ويمكنها خلالها استقبال سونغ يون هوي بحماس كل يوم، بدلاً من الشعور بالدوار من شدة التعب في بعض الأحيان هي وسونغ يون هوي أيضًا، فلا يكون أي منهما مهتمًا عند لقاء الآخر. «صحيح، يمكنني الآن تعلّم خياطة الملابس بصبر، كما يمكنني حياكة السترات، عليّ أن أصنع لك سترة ترتديها من حياكة يدي».

على الفور سحبت تشنغ كاي يان سونغ يون هوي من يده وعادت به إلى منزل والدتها، وطلبت من والدها نقلها، فاستجاب المدير تشنغ شفهيًا لطلبها، ولكنه شعر برجفة في قلبه وهو ينظر إلى صهره، فقد بذل قصارى جهده لتحقيق هدفه ولم يستطع، كيف لصهره أن يحققه ببضع كلمات إذًا؟ وما دامت ابنته تستمع هكذا إلى صهره، فهل ستعاني على يد صهره هذا الشاب الناضج؟ كان قلقًا من داخله بشأن هذا الأمر.

بعد العودة إلى المنزل، بدأت تشنغ كاي يان مجددًا في مشاهدة المسلسل الياباني «شبهة الدم» من بطولة ياماغوتشي

مومو، إذ كان الجميع يتحدثون عن هذا المسلسل هذه الأيام. بقي سونغ يون هوي قليلاً مع تشنغ كاي يان يشاهد المسلسل، وبعدها دخل مباشرة إلى غرفة النوم لقراءة الكتب. وبعد قليل من القراءة، ذهب فكره مجدداً إلى مسألة العمل كفني أم العمل التجاري، ولم يستطع إلا أن يخرج ورقة ويكتب رسالة إلى ليانغ سي شن. كان يشك كثيراً في قدرة ليانغ سي شن على فهم ما سيكتبه، ولكنه كان بحاجة إلى مكان للتحدث، فلن يكون من المريح التحدث في هذا الأمر مع من يفهمونه، بما في ذلك حماه؛ ولن يكون من المجدي التحدث فيه مع من لا يفهمونه، بل سيزداد إحباطاً إذا تحدث معهم، مثل زوجته. لذلك دون مشاعره في الرسالة، وسواء أكانت ليانغ سي شن ستفهمها أم لا، فقد عبر عن أفكاره الخاصة ولم يضطر لكتب مشاعره.

مما كتب في الرسالة: «... الآن أمامي خياران، الأول هو العيش والعمل بطريقة روتينية، وتعزيز الإنجازات المؤكدة؛ والثاني هو طريق ذو مستقبل غامض، كم أودّ أن أبذل قصارى جهدي لإنجاز الفكرة التي وضعتها في مقترح المشروع بعد تكريس كل طاقتي لبناء الورشة الجديدة، فسيكون هذا بمثابة استعادة لمبالغ النقد الأجنبي الضخمة التي أنفقت لشراء المعدات الجديدة من خلال المنتجات عالية الجودة التي ستتجها هذه المعدات، في الحقيقة، هذا هو طموحي أيضاً. وحالياً، وبسبب القيود السياسية، تُعتبر المعدات الجديدة كنزاً مخفياً، وقد حُفّضت مواصفاتها لإنتاج منتجات يمكن للمعدات القديمة إنتاجها، وهذا يحزنني كثيراً، لست أعلم إذا كان سيتم الموافقة على مقترح التسعير المزدوج

الذي قدّمه الأمين شوي إلى الوزارات المركزية للموافقة عليه أم لا، أو ما إذا كان سيتم الموافقة على استقلالية التجارة الخارجية أم لا، ولو تمت الموافقة على مقترح منهما، فسيكون للورشة الجديدة مستقبل باهر وستكون قادرة على رفع رأسها عاليًا. أعتقد أن الموافقة على مقترح واحد، أو حتى على الاثنين، هي مسألة وقت فقط. بسبب مهاراتي التقنية، فإن المصنع العام يرفض تمامًا السماح لي بترك الإدارة الفنية للورشة الجديدة وتسليمها لشخص آخر ليس على دراية كبيرة بالمعدّات. كما أنني لا أملك أي فكرة عن كيفية تصدير المنتجات أو اتباع مسار التسعير المزدوج، إنه أمر غريب جدًا، لماذا لا تضم كتبك عن إدارة الأعمال الكثير من المحتوى عن المبيعات؟ وبسبب غموض الكثير من الجوانب، فإنني أجد اختياري صعبًا بعض الشيء. لست مستعدًا للتخلّي عمّا لديّ، ولكنني قلق أيضًا بشأن المستقبل غير المتوقع، إنني مرتبك بشأن التمسك بما لديّ بدلاً من بذل كل إمكانياتي للبحث عن الأحدث والأعلى. أليس البقاء على الوضع الراهن هو خيار يتخذه كبار السن؟ أعتقد أنني ما زلت شابًا، فمن في مثل عمري من الطلاب الجامعيين الذين تم تعيينهم مؤخرًا في المصنع ما زالوا لا يملكون شيئًا في هذا العمر، وما زالوا يقفون عند خط البداية. إذا حافظت على هدوئي، ووقفت عند خط البداية بعقلية ووضعية المبتدئ، فماذا يمكنني أن أفعل، وكيف يمكنني أن أفعل ذلك؟...».

كما كتب سونغ يون هوي شيئًا آخر في الرسالة، إذ أخذ يبحث ليانغ سي شن على الاجتهاد جيدًا في الدراسة بالمدرسة الثانوية والالتحاق بأفضل جامعة، لأن البيئة التعليمية والإنسانية المتميزة

في الجامعة الجيدة لها تأثير كبير على حياة الفرد، وتحدث معها عن فرق التنشئة بينه وبين يوي شان تشينغ الذي تخرج في جامعة مرموقة. كما تحدث معها عن الوشاح الذي حاكته له تشنغ قطته الصغيرة، والذي كان مليئًا بالتواءات، ولكنه تأثر من حياكتها له كثيرًا. حتى إنه أخبر ليانغ سي شن عن الإصلاحات التي حدثت لتوها في فرقة شياولي جيا. كان يكتب وهو يفكر في مدى غرابة ما يفعله، فليانغ سي شن ليست إلا طالبة بالمدرسة الثانوية، كيف لها أن تفهم تلك الموضوعات التي لا تفهمها قطته الصغيرة؟ ولكنه لم يستطع إلا أن يكتب، وكأنه يكتب مذكراته، أو يدون أفكاره. تمامًا كما كان في الجامعة، إذ كان دائمًا ما يكتب رسائل إلى عائلته يخبرهم فيها بكل تجاربه وكل الأمور الجديدة، ودائمًا ما كانت شقيقته الكبرى توليه اهتمامًا، ورسائل الرد التي ترسلها ليانغ سي شن دائمًا ما تكون ذات مغزى أيضًا، ولم تكن فارغة مطلقًا، وعلى الرغم من أن أفكارها تحمل بعض الطفولية، فهي في النهاية صاحبة وجهة نظر، ولها منظور فريد من نوعه، وآراء واضحة، حتى إنها قد تكون حادة في أفكارها.

في الواقع، بعد كتابة الرسالة إلى ليانغ سي شن، فرز سونغ يون وي الأفكار التي لطالما جالت في ذهنه، وكتبها بوضوح على الورق، وعلى الفور اتخذ قراره. لا، لن يمكنه العيش بطريقة روتينية بالبداية ككاتب مدير للورشة الجديدة، واكتساب خبرة كافية، ثم الترقى إلى مدير للورشة الجديدة، ثم اكتساب خبرة كافية مرة أخرى، وفي أفضل الأحوال بعد أن تظهر التجاعيد عند زوايا عينيه ويصير أكبر سنًا بشكل واضح، سيتم نقله إلى مصنع فرعي ليعمل

كقائد، ثم... ثم... إلى أن يشيب شعر رأسه، وحينها سيصبح مدير المصنع سونغ المستقرّ. وفي وقت فراغه سيذهب إلى الصيد، ويشتري أريكة من أحد المصانع بسعر مخفّض، وينجب طفلاً ويربيه مدلاً، وأيضاً، يتعلّم النميمة من الآخرين ويصير حلقة مهمة في دائرة نقل الأخبار الصغيرة. ذلك النوع من الحياة، فطيع، وليس طموحه أو هدفه.

قبل عودة الأمين شوي من بكين، أفادت المعلومات الداخلية بأن إجراءات الموافقة كانت بالغة الصعوبة بسبب هذا الابتكار الضخم. بالنسبة لمؤسسة كبيرة كمصنع جيتشو، فإن كل خطوة تكون ذات أهمية كبيرة، ولا يمكن الموافقة عليها من أول مرة، إذ يحتاج الأمر إلى مراعاة الكثير من الجوانب، وأمام الأمين شوي الكثير من العمل ليقوم به، والكثير من الأفكار التي يتعيّن عليه الإبلاغ عنها.

لحسن الحظ، كانت تجديدات الورشة الأولى قد انتهت، وأخيراً تمكّن المصنع الرئيسي من النجاة من الخسائر بفضل الورشة الأولى. ولكن، عندما فكّر الأمين شوي في أن النصف الثاني من العام قد بدأ بالفعل، وأن أرباح المصنع الرئيسي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكافآت العمال، أصدر تعليماته لمدير المصنع تشنغ عبر الهاتف لإيجاد طرق لاستكشاف الإمكانيات وزيادة الأرباح، فاستدعى المدير تشنغ مديري المصانع الفرعية لمناقشة كيفية تعويض الخسائر التي تكبدها المصنع خلال الشهرين الأولين من النصف الثاني من العام. كان المدير مِين الأكثر اهتماماً بهذا الأمر،

لأن الخسائر قد حدثت في مصنع فرعي كان هو من يتولى إدارته، وأيضًا في الورشة الجديدة التي كان يعمل كمدير لها في الوقت نفسه.

كان المدير مين قد أسند المهام إلى الورشة الجديدة في الاجتماع الدوري للمصانع الفرعية، مطالبًا إياها بمواصلة زيادة الإنتاج وخفض الجودة، ما دامت معايير جودة المنتج فيها متساوية مع تلك التي في الورشة الأولى.

ولكن سونغ يون هوي تظاهر بالطاعة ولم ينقذ الأمر، وبعد مراجعة التقارير، رأى المدير مين أن إنتاج الورشة الجديدة لم يتغير، فاتصل بسونغ يون هوي يسأله عن موعد تغيير المعايير، فأعطاه سونغ يون هوي إجابة قائلًا إن التجارب قد أثبتت استحالة خفض الجودة بدون حدود، وإلا فستظهر مساحات كبيرة من التفحيم. كان المدير مين متشككًا، ولكنه لم يتمكن من دحض ذلك على الفور، إذ لم يكن يفهم المعدات الجديدة، فاضطر إلى استدعاء أحد مهندسي الورشة الجديدة للاستفسار عن الأمر سرًا، والذي أجابه باحتمالية التفحيم، ولكن احتمالية التفحيم لن تكون كبيرة إذا لم تتغير المعايير تغييرًا كبيرًا. فسأله المدير مين عمًا إذا كان تعديل معايير المنتج في الورشة الأولى قد يؤدي إلى التفحيم، وأجابه المهندس بأن المعدات لم تصل إلى مثل هذه المعايير المنخفضة مطلقًا، ولذلك فمن الضروري الملاحظة أثناء التعديل تمامًا كما حدث المرة الأخيرة، ومن الضروري أن يكونوا حذرين جدًّا، ولكن الأمر ليس مستحيلًا.

استشعر المدير مين إشارة من فم المهندس الذي لم يرغب في الإساءة إلى أي شخص، إشارة تقول بأن سونغ يون هوي لم يكن يعرف أيضًا باحتمالية التفحيم أو عدمها، ولكنه أصّر على رفض طلبه عبر الهاتف. بعد ذلك، شجّع المدير مين المهندس على التجربة، ولكنه قال بأنه لن يجروا، فحتى المدير سونغ كان متوترًا جدًا عند ضبط المعايير، ومهاراته ليست كمهارات المدير سونغ، وليست لديه الشجاعة لتجربة مثل هذه المعدات الباهظة الثمن.

بعد استوضح المدير مين للأمر، ذهب إلى سونغ يون هوي مرة أخرى، وطلب منه ضرورة تجربة خفض المعايير، واقترح عليه أن يكون حاضرًا في موقع العمل وليراقب الجميع عملية التفحيم من كتب. كان المدير مين قد أوضح الأمر بلباقة شديدة، ولكنه كان ينتظر رفض سونغ يون هوي. وبالفعل لم يخيب سونغ يون هوي أمله، ورفض الأمر مجددًا، فالمعدات الباهظة الثمن لا يمكن المخاطرة بتفحيمها.

لو كان شخصًا آخر مكان سونغ يون هوي، لكان المدير مين قد استطاع الضغط عليه بالمهمة حتى النهاية، ولكن هذا لم يكن ممكنًا بالنسبة لسونغ الذي كان مدير المصنع تشنغ يسنده. كان يمكنه استغلال أخطاء سونغ الواضحة وانتقاده، ولكنه لم يكن لديه أي فكرة من أين يبدأ مع معدات الورشة الجديدة، ولو انتقده، فقد يتحوّل إلى أضحوكة. ولكن، هذا لا يعني مطلقًا أنه مكبل اليدين بلا خطط، إذ كان ما ينتظره هو رفض سونغ المتكرر، وحينها سيسلم سونغ يون هوي للمدير تشنغ الذي كان قد كلفه بالمهمة ليتعامل

معه بنفسه، وسيكون الأمر بمثابة مزحة لو لم يتمكن المدير تشنغ من الضغط على سونغ ولو ألغيت أوامره من قِبَل صهره، ولو لم يتمكن سونغ يون هوي من تحمُّل ضغط حميه وخفض المعايير في النهاية، فستكون نيته في مقاومة المدير مين واضحة. على أي حال سيقع سونغ في مشكلة، وهو ينتظر فقط أن يقع بنفسه في الفخ. عندما ذهب لمناقشة الصعوبات مع مدير المصنع تشنغ، أشار أيضًا إلى احتمالية رفض سونغ لانتقاداته في اجتماع سابق، كما ذكر ذلك الاجتماع للمدير تشنغ، مما دفع المدير تشنغ للشعور بالإحراج الشديد مما فعله صهره.

بمجرد ذهاب المدير مين، اتَّصل المدير تشنغ بالورشة الجديدة، وطلب من الموظف البحث عن سونغ يون هوي على الفور.

بمجرد رؤية المدير تشنغ لصهره، قال له بصراحة: «يا هوي الصغير، أتستغل مهاراتك التقنية للتعبير عن كراهيتك للمدير مين؟ عليك أن تدرك وضعك، وعلى الرغم من أنك في سن يسمح بالتهوُّر، فإنك بالفعل من الكوادر المتوسطة، ولا يمكنك التصرُّف كما تريد ككادر، عليك مراقبة جميع الاتجاهات ومراعاة جميع الجوانب. فمثلاً، حتى ولو كنت تريد معارضة قرارات رئيسك، فلن تتمكن من القيام بذلك هذه المرة، لأن الأمر بزيادة الأرباح هذه المرة كان من قبلي، ولا يمكنك أن تدع المدير مين يراني وأنا في موقف حرج».

عندما رأى المدير مين سونغ يون هوي عاجزاً عن الكلام وقد بدت عليه نظرات الفهم والتعقيد في الوقت ذاته، فتنهَّد وقال: «اذهب،

وأسرع بضبط المعايير. أمّا بالنسبة لك ولرئيسك، فلا يتمنى أحد أن تكونا متحدين، ولكنكما دائماً تخطئان عندما تثيران الخلافات فيما بينكما. عليك التفكير ملياً قبل القيام بأي شيء فيما بعد».

وافق سونغ يون هوي وغادر، وبعد عودته إلى غرفة التحكّم، استذكر تجربة ضبط المعايير الماضية، فسارت هذه المرة بسلاسة شديدة، وخفض المعايير إلى نفس مستوى الورشة الأولى دون أي عوائق تقريباً، ولم يحتج للقيام بعمل إضافي، وانتهى من الدوام في الموعد المعتاد مساءً، وسار ضبط المعايير في غاية السهولة.

كان سونغ يون هوي يعلم أنه يواجه خطرًا محققًا، حتى إنه كان يرتدي جهازًا لاسلكيًا ويقف مباشرة بجوار فتحة المراقبة في الموقع لرصد التغيرات في لحظتها أثناء ضبط المعايير. لكنه كان يتصرّف بجرأة وشجاعة أكثر من المرة الماضية، لذلك فقد بدا للغرباء أن ضبط المعايير أمرٌ لا يوجد أسهل منه. وعندما علم المدير تشنغ بالأمر، دب على الأرض بقدمه وتنهّد طويلاً، ما زال شابًا، ما زال مندفعًا، ولا يعرف كيف يخفي نفسه بشكل صحيح ويتظاهر بأن الأمر صعبٌ للغاية؛ فقط لحفظ وقار المدير مين وإسكاته قليلاً. ولكن الآن بعدما سار الأمر بهذه السهولة، سيقول الجميع إن رفض سونغ يون هوي كان لتصعيب الأمور على المدير مين الذي لم يكن يفهم الورشة الجديدة.

وبخ المدير تشنغ سونغ يون هوي على طاولة العشاء، مشيرًا إلى أن قدرات المدير مين تلبي معايير الكوادر الشابة الحالية، وأن مستقبله باهر، فلماذا يُسيء إلى شخص قد يظلّ رئيسه إلى الأبد بسبب أمر بسيط؟

ظلّ شقيق تشنغ كاي يان الأكبر يضحك عند سماعه لهذا على طاولة العشاء، وقال كيف يمكن للرجل أن يكون بلا كرامة، ودعم زوج شقيقته، في حين ظلّت تشنغ كاي يان تحاول مقاطعة انتقادات والدها المتواصلة، ولكن والدها لم يستمع إليها هذه المرة، وظلّ هكذا حتى قاطعته والدتها، ومن ثم أخذ زوجها يطرح الأسئلة على والدها، ولم يتوقف حتى وصل إلى جوهر الأمر وعرف بالمصالح التي بينهما.

ومع ذلك، فقد انتشرت أخبار تقول بأن سونغ يون هوي قد قاطع المدير تشنغ ووضع في موقف محرج. وعندما سأل الطيبون سونغ يون هوي عن الأمر، لم يكن من سونغ يون هوي إلا أن سخر من نفسه وقال لا يمكن أن نحطّ من قدر معدّات جيدة هكذا إلى هذه الدرجة، وأنه لا يقف ضد المدير مين، وليس لديه أي تحييز شخصي ضد رئيسه، فهو ضد الفعل وليس ضد الشخص. كيف سيمكنه دائمًا استخدام معدّات الورشة الجديدة لتحقيق متطلبات المصنع الرئيسي في زيادة الإنتاج وتوفير الطاقة، ولكن بما أن حماه قد ضغط عليه، والذي يتولّى أيضًا منصب نائب مدير المصنع الرئيسي، فلم يكن أمامه إلا الطاعة، وعليه دائمًا الاستماع إلى حميه.

عندما انتشر هذا الخبر، تقبّل جميع موظفي الورشة الجديدة بهدوء خفض المعايير مرة أخرى، في حين أصبح المدير مين أكثر استياءً. وفي المجتمع الصغير في مصنع جيتشو الرئيسي، سرعان ما تطور هذا الحدث إلى تناقض خطير، وأصبح موضوعًا

للحديث بعد العشاء. إذ صار الجميع يقولون إن سونغ يون هوي مدعم من قبل حميه في الأعلى، ومن قبل موظفي الورشة الجديدة في الأسفل، كما أنه يتمتع بمهارات تقنية عالية، لذلك لا يمكن لرئيسه أن يفعل له شيئاً. وآخرون قالوا إنه سيواصل الترقّي عاجلاً أم آجلاً، والمدير مين غير حكيم، أو يغار منه خوفاً من أن يتغلب عليه، لذلك يهاجمه الآن بعد فوات الأوان.

كانت الشائعات منها الجيد، ومنها السيء، ودائماً ما كان المدير مين يستمع إليها ويقبلها كلها.

عاد الأمين شوي في زيارة وسط هذه الأحداث، وشعر باستياء شديد بعد سماعه بغطرسة سونغ، وشكّ في أن يكون الشاب قد استغلّ مهاراته، واستغل أيضاً عدم وجوده في الديار ووجود مدير المصنع تشنغ مكانه، لذلك نجحت مكيدته. ولكن الأمين شوي لم يقل الكثير، وإنما اكتفى بالاستماع ولم يعتبر الأمر مهماً، مما دفع المدير مين للشعور بالحيرة، ولم يفهم كيف يجب أن يتعامل مع سونغ. وبعد فترة وجيزة، عاد الأمين شوي إلى بكين مرة أخرى، تاركاً علامة استفهام للمدير مين.

بعد ذلك، وقعت خلافات حول بعض الأمور البسيطة بين المصنع الفرعي والورشة، فقبولت بعض أنشطة التفتيش المملة بالمقاطعة في الورشة الجديدة، وصار من المستحيل إصدار الأوامر من أعلى، مما وضع المصنع الفرعي في حرج شديد. ومع ذلك، فقد أخذ دعم العاملين بالورشة الجديدة لسونغ يون هوي يزداد مع الوقت، لذلك فقد نقد سونغ يون هوي مجموعة

القواعد الخاصة به في الورشة الجديدة، وكانت النظافة والنظام وما إلى ذلك جميعها مدرجة في اللوائح اليومية، ولم يحتج للقيام بأي أنشطة مفاجئة للتفاخر. ولأن الورشة بأكملها كانت جديدة، وذات إدارة جيدة، فلم تكن هناك أي نفايات ملقاة بشكل عشوائي، وجميع المعدات كان لها مكان تخزين ثابت، فكان يمكنك رؤية النظام في كل مكان بمجرد دخولك الورشة الجديدة. لم يكشف سونغ يون هوي مطلقاً عن دوافعه وراء مقاطعة حملة المصنع الفرعي، ولكن جميع مرؤوسيه قالوا إن ما ننقذه هو نظام رفيع المستوى وليست هناك حاجة للانحدار إلى هذا المستوى. كان العاملون بالأسفل منزعجين بسبب خفض الجودة، فانتهزوا هذه الفرصة أخيراً لاستعادة احترامهم لذاتهم. ومن ثم، فقد شاعت كلمة «الانحدار» على السنة العاملين بالورشة الجديدة.

ولأن سونغ يون هوي هو من رفض تنفيذ الأوامر، فقد ألقى المدير مين باللوم على سونغ يون هوي في جميع المناقشات. لم يكن المدير مين شخصاً جباناً، وحتى من حيث الدرجة، فباعتباره مديرًا لأهم مصنع فرعي تابع للمصنع الرئيسي، لم يكن أقل أهمية من مدير المصنع تشنغ مطلقاً، وبما أنه قد نصب فخاً لكشف سونغ يون هوي الذي كان كشوكة في حلقة، فبالطبع لن تكون الخطوة التالية أن يجول باكيًا في كل مكان شاكيًا مظالمه وساعياً للحصول على دعم الرأي العام كما فعل شيانغ لين ساو⁽¹⁾، وإنما سيذهب أولاً للإلقاء التحية على المدير تشنغ، وبعدها يأخذ في انتقاد سونغ

(1) شخصية برواية «البركة» للأديب لو شون.

يون هوي في الاجتماعات الكبرى والصغرى، ومن ثم يوقف سونغ يون هوي عن العمل بطريقة مؤقتة.

بمجرد تلقي المدير تشنغ تحية المدير مين التي بدت كإعلان للحرب، ذهب على الفور إلى سونغ يون هوي ووبّخه، ولكن ردّ سونغ يون هوي دفعه للتنهّد، إذ قال سونغ يون هوي إنه باستثناء الجانب الفني، لم يكن على استعداد لقبول ترتيبات المصنع الفرعي لزيادة الإنتاج وخفض الجودة بسبب إصراره في التكنولوجيا، ولم يكن ينوي فعل أي شيء آخر، كما أنه لم يكن لديه أي اعتراض في اجتماع المصنع الفرعي، وهذه الأمور سطحية على أي حال، فما الداعي للإساءة للآخرين بسببها. ومع ذلك، فلم يستطع السيطرة على الرأي العام في الورشة الجديدة، لأن موظفيها كانوا شديدي المقاومة لخفض الجودة، وبالتالي لم يكن أمامه خيار سوى التنازل أمام هذه الأغلبية الساحقة.

كان المدير تشنغ عاجزاً، إذ كان هو من أوصى بقوة بتولي سونغ يون هوي لمنصب نائب المدير في البداية، ولكنه فكّر أيضاً فيما إذا كان الشاب قادراً على تحمّل مثل هذه المسؤولية الثقيلة، وبالطبع كان يعرف أن سونغ لا يواجه أي مشكلات في الناحية التقنية. ولكن بصفته مديراً للورشة، فليس عليه تولي مسؤولية المعدّات فحسب، فالمعدّات تكون مجرد جماد ما دمت قد أتقنت مهاراتها التقنية، ولكن بصفته مديراً للورشة، عليه أيضاً تولي مسؤولية الأشخاص، فالأشخاص كائنات حية، ومن الصعب التعامل معهم، ومن الصعب فعلاً إدارة شاب ليس لديه الكثير من الخبرة لمثل هذا العدد الكبير من الأشخاص.

كان آخر ما يتمنى الأمين شوي رؤيته هو شجار بين اثنين من أفضل رجاله. كان يعزّ عليه كلاهما، ولكن كان عليه التدخل والتعامل إذا ما احتدم الخلاف بينهما، وسيشعر بالسوء أيا كان من يتعامل معه، كما كان عليه التعامل مع سونغ يون هوي بالتأكيد، فالشجار بين الرئيس والمرؤوس دائماً ما يستلزم عدم تشجيع المرؤوس على التمرد حفظاً للنظام في المصنع الرئيسي. ولكنه حقاً كان يحب هذا الشاب قليل الكلام الصادق الكفاء، وكان عليه أيضاً الحفاظ على وقار تشنغ الكبير. لحسن الحظ لم يصعب المدير تشنغ الأمور عليه، فقد ساعده في التوسط والضغط على سونغ يون هوي ليرجعه خطوة إلى الوراء وذلك بنقله إلى قسم التكنولوجيا الحيوية بالمصنع الرئيسي لمواصلة تولي الإشراف على تكنولوجيا الورشة الجديدة. وقد دفع هذا الأمين شوي للشعور بالاطمئنان، ومن ثم أخبر المدير مين والمدير تشنغ بطريقة معالجته للأمر التي كان قد فكّر فيها طويلاً، وهي إيقاف سونغ يون هوي عن العمل مؤقتاً وتركه كما هو، ثم تعيينه مرة أخرى.

لم يكن المدير مين يعتقد أن سونغ يون هوي قد فشل في تنفيذ عمل المصنع الفرعي بسبب عدم قدرته على السيطرة على الورشة الجديدة مهما قال، إذ كان يرى أن سيطرة سونغ على الورشة الجديدة فعالة جداً لدرجة أنه لم يكن ليتمكن من التدخل بصفته رئيسه. ولكن بما أن الطرف الآخر قد استسلم بالفعل، وبصرف النظر عن الأسباب التي دفعت سونغ للاستسلام، فلن يسعى للأمر أكثر من ذلك، إذ كان يرى مدى تقدير الأمين شوي لسونغ من طريقة تعامله مع الأمر، فعليك مراقبة المالك قبل ضرب الكلب،

ولو كان المالك هو المدير تشنغ، لكان قد تمكّن من إيجاد طريقة؛ ولو كان المالك هو الأمين شوي، لما استطاع فعل أي شيء متهور. ولكنه لم يُعَد سونغ إلى منصبه كنائب مدير للورشة، وإنما أوقفه عن العمل بصفة مؤقتة، لذا كان عليه المثابرة حتى النهاية، وإلا فكيف ستكون له الكلمة الأخيرة في المصنع الفرعي بعد ذلك. ولذلك ترك سونغ عاطلاً عن العمل في قسم التكنولوجيا الحيوية، ولكن دائماً ما كانت هناك علامة استفهام كبيرة في ذهن مدير المصنع الفرعي، إذ شعر بصعوبة التنبؤ بما سيحدث من قِبَل هذا الشاب الذي يخفي عينيه خلف إطار النظارة السوداء.

مع انطلاق العام الدراسي، نُقِلت تشنغ كاي يان إلى روضة الأطفال للبدء في العمل كمدرّسة، كانت تتمتع بطباع جيدة وتحب اللعب أيضاً، وتختلط بالأطفال على نحو جيد، حتى إنها كانت تتحدّث عنهم بعد العودة إلى المنزل بمرح وبهجة، فقد سمعت لوالدها، وظنّت أن مزاج سونغ يون هوي سيء لكنه ما زال يتظاهر بالابتسام، لذلك كانت تحكي له عن قصص الأطفال في كثير من الأحيان لتدفعه إلى الابتسام. لم يكن سونغ منزعجاً في الواقع، حتى إنه قد ذهب لتسجيل اسمه في قصر ثقافة العمّال بالمدينة ليتعلّم الغناء الأوبرالي الغربي الذي كان قد شاع لتوّه، وسجّل اسم تشنغ كاي يان أيضاً، فكانا يذهبان من وقت إلى آخر بعد انتهاء الدوام إلى قصر ثقافة العمّال بالمدينة للتدريب على الغناء، إذ كان لدى كليهما حس فني، وكلاهما صغيران إلى حد ما، وصوتاهما جميلان أيضاً، لذا فقد حققا بعض الإنجاز، وكانا سعيدين جداً،

وبخاصة أن تشنغ كاي يان كانت تعلم أصدقاءها الصغار الغناء بعد عودتها إليهم.

أصبح لدى سونغ يون هوي الوقت للذهاب إلى غرفة المطالعة بالمكتبة مرة أخرى، وعند لقائه مجددًا بليو تشي مينغ، شعر أن مزاجها الأنيق قد شابه بعض المرارة، ولم تعد لطيفة كما كانت، على العكس من القطة الصغيرة، فقد صارت القطة الصغيرة وعائلتها هم عائلته الثانية.

بعد جهود مضية، وصلت رسالة ليانغ سي شن أخيرًا، متضمنة كتابًا عن المبيعات. وعندما فتح الرسالة، أدرك سبب تأخر هذه الرسالة في الوصول. إذ كانت جدة ليانغ سي شن قد توفيت، فهرعت والدتها إلى الولايات المتحدة لحضور الجنازة، ولكن قوبلت بمعاملة باردة، ولم يجهز أي شخص غرفة لوالدتها، فاضطرت للإقامة معها في غرفتها، ولم يكن بإمكان الاثنين النوم على سرير فردي، لذا فقد اضطرت للنوم في كيس النوم لعدة أيام. لذلك كانت ليانغ سي شن قلقة من وفاة جدتها التي كانت أفضل من يعاملها في هذه العائلة، وإذا ما كان جدها، الذي يعاملها بلا مبالاة، وخالها، الذي يتمنى عدم ظهورها ويعاملها على أنها غير مرئية، سيتوقفان عن دفع رسوم دراستها بعد قبولها في الجامعة، أو حتى يطلبها منها العودة إلى الصين. قالت إن هذا ليس مستحيلًا، فقد اقترحت زوجة خالها ذات مرة أن تعود إلى الصين للدراسة في الجامعة قائلة إن تكاليف الجامعة هنا مرتفعة جدًا، وإن البالغين عليهم الإنفاق على أنفسهم. كان لدى والدتها قلقٌ مشابه، وقد

سألت جدها عن ذلك، ولكن ربّما لأنه كان محطّمًا بسبب وفاة زوجته، فلم يقدّم لها إجابة واضحة، مما تركها قلقة حتى قبل ركوب الطائرة.

قالت ليانغ سي شن أيضًا إن أكثر ما يقلقها الآن هو أن جدها لن يُعد كما كان، ومن ثمّ فإن أسرة خالها هي من تتولّى أمور العائلة، وقد لا تجد مشكلة في البقاء في منزل جدها، فالطعام والسكن نفقات بسيطة في النهاية، ولكن رسوم الدراسة هي المشكلة الكبرى. ومن خلال معاملة خالها وزوجة خالها لوالدتها استطاعت رؤية مدى حرصهما على إجبارها على العودة إلى الصين، ليتخلّصا من هذا العبء، وبالتالي سيتمكنان من الحصول على نصيب أكبر من الميراث. لذلك، فقد تناقشت مع زميلاتها في المدرسة، وقد ساعدها الجميع في التوصل إلى الكثير من الأفكار، إذ اقترحوا جميعًا حصولها على الميراث الذي تركته جدتها بشكل قانوني من خلال التقاضي، ولكن والدتها لم توافق، وقالت إن هذا سيُحزن قلب جدها الذي توفيت زوجته للتوّ، ولن يمكنه تحمّل صدمة أخرى، لذا لم تسمح لها بالقيام بأي شيء يؤذي عائلة جدها، ولكن والدتها كانت قلقة أيضًا، لذلك فقد نصحتها بكل طاقتها بالعودة إلى الصين فورًا لو لم تسر الأمور على ما يرام، قائلة إن والديها سيرتبان لها كل شيء في الصين. ولكن ليانغ سي شن اعترضت على هذا، فعدم ترك جدتها لوصية تقسيم ممتلكات وفقًا للعادات الصينية لا يعني أنها لا تمتلك الحق في ميراث جزء من ممتلكات جدتها، فهنا الولايات المتحدة. وما تتردد بشأنه الآن هو إذا ما كان عليها الانقلاب على خالها وأسرته أم لا.

بعد ذلك، كتبت ليانغ سي شن بقية الرسالة على عجل، قائلة إنها قد ذهبت إلى المكتبة ووجدت أن هناك عددًا قليلاً جدًا من كتب الإدارة التي تتحدث عن المبيعات، لذلك اضطرت لشراء كتاب متخصص في التجارة الخارجية، وهو يتحدث بشكل رئيس عن معايير وثائق التجارة الخارجية، ويمكن اعتباره بمثابة كتاب مرجعي، وقد يكون غير مفيد أيضًا. كما قالت إنها تؤيد اختيار السيد سونغ، وإن إضاعة وقته ستكون مضيعة للذكاء الذي منحه والداه إياه.

بعد قراءة سونغ سون هوي للرسالة، كتب رسالة ردّ على الفور، وأخبرها أن عليها أخذ زمام المبادرة بنفسها أينما ذهبت حتى تتجنب السلبية. كما قال إنه لا يعرف قوانين الولايات المتحدة، ولكن ما دامت القوانين تنص على حقها في الحصول على جزء من ميراث جدتها، فلها الحق في التمتع بهذا المال، وليس لخالها الحق في حرمانها منه، وتمنى أن تواصل البحث عن طريقة، والحصول على استشارة خاصة بشؤون البالغين في الولايات المتحدة تجنبًا للسلبية. كما أشار إلى خطئها في التفكير، فما دام يمكنها الحصول على الميراث بطريقة قانونية، فمن المفترض أن يكون خالها على دراية بالأوضاع في الولايات المتحدة، لذا فلا مجال للانقلاب، ولو انقلبت أسرة خالها عليها، فهذا يعني أنهم غير عقلانيين وقد عزموا على الاستيلاء على نصيبها. وفي هذه الحالة، لو كانت لدى أسرة خالها النية في تربيته، وعلى الرغم من أن التقاضي سيُحزّنهم، فإن الأمر سيبدو منطقيًا، وبعد انتهاء القضية يمكنها إظهار المزيد من الاحترام لهم لاستعادة العلاقات؛ ولو كانت

لديهم النية في طردها إلى بلدها، فستكون مسألة التقاضي مسألة وقت، ويفضل القيام بها عاجلاً وليس آجلاً. لكن ما كان يقلقه في الرسالة هو أنه: إذا رفعت فتاة صغيرة دعوى قضائية ضد أقاربها، فهل ستتهم المحكمة بها؟ وكيف هي المحاكم في الولايات المتحدة؟ وبعد أن عاشت أسرة خالها لسنوات طويلة هناك، وصار لديهم بعض المال، فهل ستكون لديهم علاقة طيبة مع المسؤولين، وهل سيقومون بحيلة خفية لتخسر ليانغ سي شن القضية؟ وبهذه الطريقة، ألن تكون ليانغ سي شن أكثر سلبية؟ لذلك، نصح سونغ يون هوي ليانغ سي شن باستشارة موثوق به قبل اتخاذ أي إجراء، وعليها التمسك بموقفها، والتأكد من عدم تعرّضها لأذى قبل رفع الدعوى القضائية.

لذلك، استعار سونغ يون هوي كتابًا للوائح والقوانين مختومًا بكلمة «سري» من مكتب المصنع الرئيسي، وكلما تعمق في قراءته، ازداد شعورًا بغموض قضية ليانغ سي شن. لم يكن يعرف قوانين الولايات المتحدة بوضوح، ولكنه دائماً ما كان يشعر بأن قوانين كل دولة لا تتغير جوهرياً، فأسرع بكتابة رسالة أخرى، وسرد فيها النقاط التي يجب مراعاتها، مُصرّاً على قيام ليانغ سي شن بهذه الأمور قبل رفعها للدعوى القضائية. وبعد إرسالها، ظلّ يشعر بالقلق تجاه ليانغ سي شن، كان قلقاً من بقاء فتاة صغيرة هكذا في الولايات المتحدة للدراسة بمفردها، ولو كان خالها لديه نوايا خبيثة حقاً، فستكون في ورطة حينها. ولو عادت للدراسة في الصين، فإن المنافسة في امتحان القبول الجامعي قد صارت شرسة جداً الآن،

كما أنها قد تلقت تعليمها باللغة الإنجليزية، لذا سيتعين عليها المذاكرة لسنوات عديدة حتى تشارك في اختبار القبول الجامعي بالصين. كان يشعر أن ليانغ سي شن الصغيرة تواجه صعوبة القتال وكأن الجنود أمامها والبحر وراءها. كان بلا حول ولا قوة، واعتقد أن والديها سيكونان أكثر قلقًا على ابنتهما الغالية بالتأكيد.

على غير المتوقع، أثمرت زيارات الأمين شوي للوزارة أخيرًا عن نتائجها، ووافقت وزارة التجارة الخارجية والتعاون الدولي على إجراء مصنع جيتتسو لبرنامج تجريبي والعثور على عملاء أجانب بمفرده، وتسوية سعر صرف النقد الأجنبي بنفسه، وتحمل الخسائر والأرباح بنفسه، مع قيام شركة تجارية لديها الحق في الاستيراد والتصدير بدور وكيل تصدير لها. وعلى النقيض من ذلك، لم تتم الموافقة على نظام التسعير المزدوج.

بمجرد عودة الأمين شوي، قام على الفور بتأسيس قسم للتصدير تحت إدارة قسم النقل والتسويق، وعين سونغ يون هوي مسؤولاً عنه. لم يكن يرغب أصلاً في نقل سونغ يون وي من الورشة الجديدة، ولكن نظرًا لعدم التوافق بين المدير مين وسونغ يون هوي، فلم يكن أمامه سوى التوصل إلى حل وسط لخلق بعض التوازن.

لقد حصل سونغ يون هوي على ما أراه، وتولى منصبه، وكان تحت يديه ثلاثة طلاب جامعيين كانوا قد دخلوا المصنع متأخرًا عنه، وجميعهم كانوا منقولين من الورشة. وأطلق الجميع عليهم اسم «عصابة الأربعة».

في الأول من أكتوبر، تزوج يوي شان تشينغ، وحضر سونغ يون هوي الزفاف برفقة تشنغ كاي يان. وبعد أن ثمل يوي، سحب سونغ خلف الحضور ليخبره بالحقيقة، واشتكى من الفرق بين وجود داعم وعدم وجود داعم، وأنه قد عمل بجِد لإنشاء قسم التصدير، وظنّ أنه سيكون المرشح الأفضل لإرادته، ولكنه لم يكن إلا كبش فداء. كان سونغ يتفهم جهود يوي، ولكن الفرصة لا تأتي مرتين، لذلك كان عليه أن يكون وقحًا. ولو كان يوي هو من يحظى بداعم، لما تخلى عن هذا المنصب بسهولة، ألم يدهسه يوي أثناء تصحيح الحزب ليمنعه من السفر إلى الخارج. ومع ذلك، لم ينكر سونغ، ولم يسخر من يوي كما سخر منه، وإنما قرر أن يتحلى بالتسامح وسعة الصدر.

ذهب سونغ يون هوي للمشاركة في معرض كانتون⁽¹⁾، وبالطبع كان الأمين شوي هو من يقود الفريق بنفسه. كان الأمين شوي راضيًا تمامًا عن عدم تصرّف سونغ بتواضع ولا بغطرسة عند تحدّثه مع رجال الأعمال الأجانب، وعن كونه أقوى كثيرًا من الثلاثة الباقين في قسم التصدير، وعلى الرغم من عدم فهم الأمين شوي لما يقولونه أثناء التحدّث، فإنه بخبرته الطويلة استطاع بوقوفه جانبه رؤية إثارة سونغ لحماس رجال الأعمال الأجانب، لذا فقد شعر بأنه لم يبحث عن الشخص الخطأ.

استطاع سونغ يون هوي إثارة إعجاب رجال الأعمال الأجانب من خلال معرفته بالمنتجات الدولية المماثلة وإتقانه الفني الذي

(1) معرض للاستيراد والتصدير في الصين.

لا يُضاهي، حتى إن بعضهم طلبوا إيجاد فرصة لزيارة جيتتشو، ومجموعة أخرى من رجال الأعمال رتبوا للذهاب إلى جيتتشو بعد انتهاء المعرض مباشرة. لقد أعطى الفوز من أول محاولة لسونغ إحساسًا غير محدود بالنصر.

على الرغم من الانشغال في العمل، فإنه دائمًا ما يكون هناك القليل من وقت الفراغ. وفي وقت فراغه، رافق الأمين شوي في نزهة بشوارع قوانغتشو، وكان كلاهما في حالة صدمة من الفوضى في المدينة، إذ وجد أن المنتج الواحد يمكن لسعره أن يختلف تمامًا بمجرد اختلاف المتجر. والعديد من مجهولي الهوية المشكوك بهم قاموا بسحب المارة في الشارع واقتادوهم إلى مكان عند الزوايا، ثم فتحوا ملابسهم ليكشفوا عن العشرات من ساعات اليد اللامعة وتفاوضوا على أسعارها في الشارع، ثم أخذوا المال بيد وأعطوهم الساعات باليد الأخرى. عندما رأى الأمين شوي مدى انخفاض السعر، ومدى جمال البضاعة، اشترى لولديه اثنتين من الساعات الرجالية الأتوماتيكية بالكامل والتي تُظهر التاريخ واليوم من علامة أورينت التجارية، كما اشترى ثلاث ساعات نسائية لزوجته وزوجتيّ ابنيه. حتى إن بعض أسواق المزارعين كانت تبيع أقمشة جميلة لا تحتاج إلى قسائم قماش، فاشترى الأمين شوي الأقمشة بعشرات الأمتار، واشترى سونغ يون هوي أيضًا، اشترى كلاهما الكثير وكانهما لا يريدان المال، وكانا سعيدين جدًا.

ومع ذلك، فلم يكن الأمين شوي أحمر، إذ إنه في طريق العودة إلى جيتتشو برفقة رجال الأعمال على متن الطائرة، سأل سونغ يون

هوي عمّا إذا كانت الخلافات بينه وبين المدير مين هي محاولة للهروب من الورشة الجديدة كمن ينقذ البلاد من طريق ملتوي. وأمام سخرية سونغ يون هوي، قام الأمين شوي بتشريح العلاقة بينهما كما لو كان يضايق طفلاً، وأخذ يسأل سونغ يون هوي أسئلة نعم أم لا واحداً تلو الآخر. كان سونغ محرّجاً جداً، وكان وجهه محمراً عندما اعترف متلعثمًا بأن سبب ذهابه إلى قسم التصدير هو لتحقيق تصوّره الأصلي الذي كان لديه وقت استيراد المعدات، وأنه في الحقيقة لا يتحمّل رؤية الورشة الجديدة التي بناها بتعبه وجهده وهي تنحدر إلى إخراج منتجات منخفضة الجودة. على الرغم من أن الأمين شوي قد وبّخه قليلاً، فإنه لم يقلق كثيراً، فمن الطبيعي جداً أن يكون لكل شخص حيلته، ولكنه شعر فقط أن هذا الفتى نادر الوجود، إذ رآه مستعداً للتراجع بشكل حاسم في موقف مفيد، وتحمل الإذلال منتظراً الفرصة، وهذه الدرجة من التحمّل، وهذه الدرجة من الشجاعة، لا يمكن ليوي شان تشينغ وغيره مضاهاتهما.

بالطبع لم يكن الأمين شوي خائفاً من أن يقفز سونغ يون هوي الشاب من راحة يده، إذ كان مثل بوذا العظيم الذي كان يلعب بسعادة كلما قفز الملك القرد بسعادة أيضاً. كان بالفعل قد جمع ما يكفي من رأس المال لدعم الأذكىء من مرؤوسيه، لذلك لم يكن عليه بالطبع أن يكون ضيق الأفق مثل وو دا لانغ⁽¹⁾ عند فتحه للمتجر، على العكس من المدير تشنغ، الذي انتظر ترتيب

(1) شخصية خيالية في الرواية الصينية الكلاسيكية «حافة الماء».

الأمين شوي لنقل صهره إلى قسم المبيعات الخارجية بإدارة النقل والتسويق، حتى يفهم أخيرًا سبب اقتراح صهره المفاجئ بنقل ابنته من إدارة النقل والتسويق إلى روضة الأطفال، وليدرك أخيرًا أن الصراع الذي ظلّ قائمًا طوال الفترة الماضية بين صهره والمدير مين كان متعمدًا، وأن كل شيء كان مدروسًا من قبل صهره، وقد نجح في إخفاء الأمر عن حميه، مما يدل على مدى دهائه؛ ومن ثمّ بدأ المدير تشغيع يقلت كثيرًا بشأن ابنته البريئة.

بعد عودة سونغ يون هوي إلى جينتشو، باشر عمله على نحو منظم، وقد ظنّ الجميع أن عليه ارتداء بذلة لاستقبال الضيوف الأجانب، لكنه ظلّ مرتديًا ملابس العمل، ولكن بشكل أكثر أناقة ليس إلا. لقد سافر إلى الخارج من قبل، لذلك كان يفهم كيف يتعامل الناس في الخارج. ولذلك قاد الضيوف الأجانب إلى الورشة الجديدة، وكان جميع العاملين بالورشة متحمسين جدًا تجاهه. كما كان قادرًا على الإجابة عن أسئلة الأجانب الذين كانوا على دراية بالمجال مثله، فكان يقدم لهم شرحًا تقنيًا فيقتنعون تمامًا. ومع ذلك، فمن أجل الحصول على عينات لتقديمها للأجانب، وبعد الحصول على موافقة الأمين شوي، عاد إلى غرفة التحكم الرئيسة وأشرف على نائب مدير الورشة الجديدة الذي حل محله لضبط معايير التشغيل والبدء في إنتاج منتجات عالية الجودة. كان جميع العمّال ما زالوا ينادونه بالمدير سونغ، فأخذوا يضحكون قائلين إن المدير سونغ يرعى الورشة الجديدة، حتى إنه يبحث عن زوج لها ليسلمها إياه. في حين قال سونغ يون هوي ضاحكًا إنه لا يتحمّل رؤية الورشة الجديدة وهي تنحدر. لذلك، كان عمّال

الورشة قرييين جدًا من سونغ يون هوي، ومن الواضح أن نائب المدير الذي حلّ محله لم يتمكن من السيطرة على الوضع، حتى إنه اضطر للتراجع أمام سونغ يون هوي.

أخذت مجموعة رجال الأعمال العينات وعادت بها إلى الديار لفحصها، وبعد فترة وجيزة أتت مجموعة أخرى. ومن ثم صار قسم التصدير بالمصنع مشغولاً وسط التحديات.

لقد أعاد انطلاق التجارة الخارجية الميزة الفريدة للورشة الجديدة. ووسط هذا كله، كانت جهود سونغ يون هوي معروفة لدى الجميع. وسونغ يون هوي أيضًا كان يدرك أهميته الشخصية للورشة الجديدة، وسيكون من المستحيل لو قال إنه لم يشعر بالفخر.

تلقت ليانغ سي شن رسالتي سونغ يون هوي واحدة تلو الأخرى، وقد اتفقت تمامًا مع رأي سونغ يون هوي بشأن التمسك بحقها في المبادرة مهما حدث، وتعلمت كثيرًا من تحليله للمكاسب والخسائر، ولكنها ضحكت عندما قرأت الرسالة الثانية، مدركة أن السيد سونغ الشجاع كثيرًا لا يفهم بعض الأمور أيضًا، ففرحت حقًا واستغلت هذه الفرصة النادرة لتكتب رسالة لتعليم السيد سونغ بشأن القوانين الأمريكية. بعد ذلك، اتخذت إجراءً وأرسلت وبحث عن محام موثوق به وقادر بمساعدة معلمها ليمثلها ووالدتها في قضية النضال من أجل ميراث جدتها. لحسن الحظ أنها كانت تُقيم في سكن المدرسة، لذلك لم تكن مضطرة للعودة إلى المنزل ورؤية وجوه أسرة خالها في فترة الدعوى القضائية.

ومع ذلك، فقد سارت القضية ببطء، ولم تظهر نتيجتها حتى وقت حلول عيد الميلاد. وعند عودتها إلى المنزل، وبخها جدها، واتهمها بالعصيان، وكتب رسالة إلى والدتها ليلومها، ولكن والدتها ظلت مهتمة بحياة ابنتها، فأرسلت إليها خطاب تفويض، مما دفع أسرة الخال للانقلاب عليها. في حين ظلت ليانغ سي شن الشابة متحمسة للقتال، وصرت على أسنانها مصممة على الاستمرار في الدعوى القضائية حتى النهاية. فلماذا لا تصر على أمر منطقي؟ حتى إنها تناقشت مع زملائها بشأن طلب مساعدة وكالة طرف ثالث، مما أجبر جدها على كتابة شيك لدفع نفقات مدرستها الثانوية لمدة ستة أشهر لكونها قاصرًا. بعد ذلك، لم يكن أمامها إلا ترك الأمر للقدر، فلو أمكن إنهاء الدعوى القضائية قبل قبولها بالجامعة، فسيمكنها الحصول على مبلغ كبير من الميراث؛ ولو لم يكن ذلك ممكنًا، فهي لا تعرف ماذا عليها أن تفعل في الخطوة القادمة، وحينها، سيتعين عليها مواجهة الكثير من المشكلات، ولذلك اضطرت إلى السير خطوة بخطوة. لحسن الحظ أنها قد حظيت بدعم من زملائها، وسعت بكل شجاعة وجرأة للحصول على دعم الجميع.

لقد مكنتها ترك والديها والسفر بمفردها إلى الولايات المتحدة من النمو، ودفعها لقاء أقاربها في المحكمة من النضج أسرع وأسرع.

وقف لي دونغ باو شاعرًا بالرضا وسط دائرة دافئة من الروائح النتنّة، يشاهد بضعة خنازير سميّنة تُدفع إلى أعلى المنحدر وتقاد إلى داخل الجرار لتُحشر وتُنقل إلى أرض أخرى خارج مزرعة الخنازير. أقبل نحوه من قريب لي تشونغ فو مدير المزرعة، ومدّ يده يعطيه لفافة تبغ، لم يكن لي دونغ باو يُدخّن، ولوح بيده رافضاً أخذها، فلم يضغظ عليه، إذ كانت القرية كلها تعلم أن الأمين لا يُدخّن، ويشرب النبيذ فحسب.

«أيها الأمين! صار لكل يوم سعرٌ جديد، في كل مرة أذهب فيها إلى أخي شي قن لوضع السعر، أجعله يُزيده قليلاً، وعلى الرغم من ارتفاع السعر هكذا، يصطف الناس ممن يريدون الخنازير هنا منذ الصباح الباكر، أتمنى لو أستطيع بيع تلك الخنازير كلها».

«تشونغ فو، إنني أصغي لكلام الأمين شوي، ولا بأس في ذلك، وأنتم لا بأس في أن تصغوا إليّ فيما بعد. ألا تريد أن تعترف بخسارتك الرهان بعد؟ هل ازداد دخلك هذا العام أكثر مما كان عليه حينما كنت تربي الأسماك أم لا؟».

ابتسم تشونغ فو خجلاً ولم يُجبه؛ إذ واجهه لي دونغ باو انتقادات كثيرة في منتصف العام خلال عمله على إصلاح نظام توزيع الدخل، وكان تشونغ فو قد قفز دخله بشكل كبير بسبب زيادة أسعار الخنازير، كما صُرفت مكافأة نهاية العام منذ وقت ليس ببعيد، فأخذ النقود شاعرًا بتأنيب الضمير، إذ تخطى دخله دخل لي دونغ باو نفسه، ولكنه لا يجيد التملق والمداهنة، فعزم على ألا يجاربه في الحديث، رُغم شعوره بأن ما قاله كان صحيحًا.

قال لي دونغ باو: «سأنشئ لك حظيرة خنازير جديدة مع مطلع الربيع، لكن لن يكون بمقدوري سوى إنشاء واحدة فقط، أما باقي النقود فسأذهب بها لتجديد وإصلاح قريتنا».

سأل تشونغ فو حذرًا: «بإمكان الجميع إنشاء بيوت جديدة بأنفسهم، فما الذي تحتاجه القرية عاجلاً؟».

«ما زلت لا تتمتع بروح الجماعة! يشبه الأمر حينما يشترك الجميع في وضع الشموع، يضعون إصبعًا هنا وإصبعًا هناك، يبدو الأمر كفوضى عارمة حينما يُنظر إليه من أعلى جبل، ولكنها تُكوّن شكلاً في النهاية».

«ومع ذلك ينبغي انتهاز وضع السوق الجيد وتخصيص الأموال للتطوير، فإذا ما استطعنا في مزرعة الخنازير إنشاء حظيرتين جديدتين سيزيد ذلك الربح كثيرًا».

«أحسبك أذكى من ذلك! ألا ترى؟ هل يتسع المكان هنا لإنشاء حظيرتين جديدتين؟ سيكون عليّ أن أفرغ تلك الحجرة

المجاورة لك وأنقلها إلى مكان آخر حتى تتمكن من التوسع هنا،
وإلا فما رأيك في أن تجعلني أنشئ حظيرة بدورين؟».

«هل أنتم مستعدون للنقل يا رفاق؟ لقد ورثنا تلك الأراضي
كلها عن أسلافنا، فماذا سنفعل في تلك القاعات التي ورثناها إذا
ما انتقلنا؟ هل سنبنيتها من جديد؟».

«ستنفق القرية أموالاً لجعلهم يسكنون في بيوت جديدة، فماذا
أنت فاعل لو كنت بدلاً منهم، هل ستنتقل؟».

«ولكن كم من المال سيتعين على القرية أن تنفق أيها الأمين؟
إننا نفتقر إلى المال حالياً. حسناً، على كل حال لن أبالغ في محاولة
إقناعك، وما دام الناس سينتقلون إلى بيوت جديدة، فسأنتقل أنا
أيضاً، علام أتعب نفسي في محاولة إقناعك؟!».

فهقه لي دونغ باي قائلاً: «عليك ألا تقنعني بشيء أصلاً، لقد
اغتنت القرية، ألن نكون جشعين إذا ما لم نسمح لأهالي القرية
بالاستفادة من ذلك؟ اطمئن يا تشونغ فو، أراك مفرطاً في القلق
أكثر من أخي شي قن نفسه، إنني أحسب الأمور جيداً قبل فعلها».

ذهب تشونغ فو بعد الانتهاء من العمل متشككاً إلى الجبل
الخلفي الذي تم نحت نصف قمته ليلقي نظرة، ففوجئ بلي دونغ
باو وشي قن هناك، وكان معهما شاب آخر غريب. تقدم ليري،
فإذا به يعرفه، أليس ذلك هو شقيق زوجته الصغير البارع؟ يبدو
أنه عاد إلى البيت مع اقتراب موعد عيد الربيع. سارع تشونغ فو
وألقى التحية، وكان سونغ يون هوي يعرفه أيضاً، فتصافحا وتبادلا

التحية، وقال لي دونغ باو وكان بجوارهما: «لا يطمئن تشونغ فو إلى شيء حتى يأتي ويراه بعينه».

فقال شي قن موضحًا: «لا يمكنني أن ألومك على قلقك يا تشونغ فو، فأنا أيضًا لم أكن مدركًا للموضوع في البداية، لقد تحدثنا في الأمر إلى أهالي القرية منذ فترة قصيرة، ولا أعلم كيف شاع حتى وصل إلى المحافظة، لم يمر يومان وإذا باتصال من المحافظة يعربون فيه عن دعمهم لنا، فسألتهم في المحافظة ماذا سنفعل لو أعطينا المال كله لأهالي القرية ليجددوا بيوتهم وافتقرنا إلى المال عند التطوير، فقال المحافظ بلسانه أنه يضمن الأمين، ولطالما سيتم بناء وإصلاح قرية شياولي جيا جيدًا حتى تعجب رؤساءهم، سيتولى هو أمر صرف أموال التطوير ويطلب لنا قرضًا من البنك».

قال تشونغ فو وكأنه يريد أن يفتعل أي مشكلة في هذا الأمر: «قرضٌ من البنك يعني سيكون هناك فوائد».

ضحك لي دونغ باو وقال: «أنت متأخر كثيرًا يا تشونغ فو، إلى متى تريدنا أن ننتظر إذا اعتمدنا على أنفسنا خطوة خطوة؟ ألا ترى كيف مكنتنا المال الذي أقرضته لنا المحافظة في العام الماضي من التوسع في مصنع الأسلاك الكهربائية ومزرعة الخنازير، ألا ترى كم جنينا من المال في عام واحد؟ يمكننا سداد قيمة القرض بالكامل مع الفائدة في العام المقبل، وسيكون لنا فيما بعد ما نكسبه من مئات الآلاف تلو الأخرى. عليك أن تفتح آفاق تفكيرك قليلًا، وتلك الحظيرتان اللتان تحدثت عنهما معي، ما أضيق نظرتك في

هذا الأمر! لو استطعت أن أحصل على القرض لسوف أضعف لك عدد الحظائر، وسيكون تحت يديك عشرة آلاف خنزير لتربيتهم».

قال شي قن ضاحكًا: «لو ازداد عدد الخنازير التي تحت يدي تشونغ فو وصار مثل عدد الأسماك التي كان يربيتها من قبل سيقهقه فرحًا حتى وهو نائم. علينا أن نحلل الأمر يا تشونغ فو، على أي أساس تقرضنا المحافظة المال في شياوليجيا ولا تقرض قرية أخرى؟! ولماذا نحتاج إلى تحسين معيشة أهالي القرية؟! أولاً وقبل كل شيء علينا أن نخبر المحافظة أن الأموال التي أخذناها كلها استخدمت في تنشيط الاقتصاد وإثراء الناس، ولم نُهدر المال، ومن ثمَّ نُخبر البنك بأن المال يزداد في أيدينا وأنا قادرون على التسديد، عليكم ألا تترددوا في إقراضنا المال، وفي النهاية فالقادة يريدون الإنجازات، وإذا ما أرضيناهم، فسوف يدعموننا بكل تأكيد لأجل أن تصير الإنجازات أكثر ظهورًا. وبطبيعة الحال أَلن نستفيد نحن أيضًا إذا ما تحسنت معيشة أهالي القرية؟ ما رأيك يا سونغ الصغير في ما أقول، هل هو صحيح أم لا؟ فأنا أتحدث بطريقة عشوائية على كل حال ولا أجد صياغة النظريات».

وهنا فهم تشونغ فو أخيرًا أن ثمة الكثير من الكلام المعقول فيما يقال ها هنا، واتضح له أن الأمين وقائد الفرقة ليسا بشخصين عاديين متوسطي الفهم، وكان سونغ يون هوي يومئ برأسه أيضًا وهو يستمع، يبدو أنهم أظهروا ثانية «استراتيجية إنقاذ الدولة بطرق مُلتفة»، فطرق الصين في إنقاذ البلاد كثيرة ومتشعبة. ومع ذلك نبههم سونغ يون هوي قائلاً: «ألن يكون سداد القرض حِملاً كبيرًا جدًّا؟».

«ما هذا الجبن يا هوي الصغير، ألا تقول إن الدفعة الواحدة من مصنعكم تكلف عشرات الملايين من الدولارات؟ وهي دولارات في الأخير، أما نحن فنتكلم هنا عن بعض الحيوانات، لا تخف». قال سونغ يون هوي موضحة الفرق: «يختلف مصنعنا عن مصنعكم، إن مصنعنا كبيرٌ مملوك للدولة، وهي التي تتحمل مسؤوليته، أما أنتم فتتحملون المسؤولية كاملة عن الأرباح والخسائر، فماذا ستفعل لو خسرتم؟».

ضحك لي دونغ باو بمكر وقال: «إذا ما خسرتنا فستكون خسارة للدولة أيضًا، هل سيذهب البنك إلى بيت بيت في قريتنا ويطلب منه المال؟ هل ستقضي الدولة على قرية شياوليجيا؟ ومربط الفرس هنا هل نحن سنخسر أصلاً؟ ينبغي علينا الآن أن نتوسع فيما نقوم به ونبيع كل ما لدينا، حينها فقط ستسري الأموال في أيدينا».

ابتسم سونغ يون هوي قائلاً: «لا تجادلني، فالحذر واجب بعد كل شيء، ولقد أخبرتك من قبل أنني لا أستطيع سوى أن أعطيك تخطيطات مرفقة لهذه الأرض من مياه وكهرباء وطرق وصرف صحي وما إلى ذلك، بالإضافة إلى تخطيط مواقع المنازل، ولا شأن لي بكيفية إنشاء المنازل، فلتفكر أنت في هذا الأمر، وإياك أن تنشئها على غرار بيتنا الذي لا ملامح له، إذ يبدو وكأنه قبو، فالمطبخ بالداخل واسع بما يكفي لاستيعاب طاولة كبيرة، والمرحاض عالق تحت الدرج فلا يمكن حتى الاستحمام فيه. فالأفضل أن تنشئه بسيطاً ونظيفاً قليلاً، وإذا سنحت الفرصة فاذهب إلى قوانغتشو

وشتتنش وتشوهاي وتلك المناطق لتستفيد من تجاربها في البناء. حينما ذهبنا إلى قوانغتشو هذه المرة رأينا فندق البجعة البيضاء، لا يقل كثيرًا عما هو في ألمانيا الغربية. إذا ما أردت أن تبني بيوتًا يا أخي الكبير، فعليك أن تذهب لترى كيف يمكن بناؤها».

«لا تتحدث هراءً، أعطني رسومات تخطيط المنازل من الداخل وسوف أعرف كيف أبنيتها». جلس سونغ يون هوي القرفصاء، ورسم بغصن شجرة على التراب مخططًا تقريبيًا لمنزل مهندس كان قد زاره من قبل في ألمانيا، وكان ثلاثي عائلة جيا ينظرون بالجوار ويتناقشون حولها. فمنهم من يقول إن باب غرفة المعيشة صغير جدًا وليس عصريًا بما فيه الكفاية، ومنهم من يقول إن المطبخ صغير، فأين ستجلس الأسرة لتناول الطعام؟! ومنهم من يقول ما الحاجة إلى مرحاض كبير مثل هذا؟! فكان سونغ يون هوي يشرح لكل منهم على حدة؛ فيقول إن المرحاض فيما بعد سيتسع لغسالة ملابس وحوض استحمام وغيرها من الأشياء، والمطبخ لطهي الطعام فقط، أما تناول الطعام فسيكون في مكانٍ آخر، ولا حاجة لأن يكون باب غرفة المعيشة كبيرًا لكيلا تهب منه الرياح كثيرًا في الشتاء، ويمنع دخول البعوض في الصيف. اقتنع ثلاثتهم بأمر المرحاض، ولكنهم قرروا أن يكون المطبخ وغرفة المعيشة على الطراز الصيني، وكان تفسير لي شي قن للأمر مقنعًا، فإذا ما صار باب غرفة المعيشة صغيرًا، كيف ستدخل منه سلال الخيزران الكبيرة، فهو في الأول والآخر بيتٌ قروي.

أظلمت السماء إلى أن لم تعد تتضح الرؤية، فقاد لي دونغ باو سونغ يون هوي إلى البيت. كفت الوالدة لي عن الدردشة مع تشنغ

كاي يان، وكانت تنتظر سونغ يون هوي بمنتهى الملل، فلم تتهلل أساريرها سوى بعدما عاد كلاهما. وبينما كان ينتظر إعداد الطعام، فردّ سونغ يون هوي ورق الخريطة التي زوده بها لي دونغ باو، وأمسك بالمسطرة وبدأ يرسم ويحسب، فحدد أولاً مواقع الغرف، فكانت على الأغلب من ثلاث إلى أربع أو من أربع إلى خمس غرف في المنزل مرسومة على صف واحد، وكانت المنازل تطل على ناحيتي الشمال والجنوب؛ إذ توجد طرق واسعة طويلة في الشمال والجنوب، وأرصفت أفقية في الشرق والغرب، كما ينبغي زراعة أشجار على جانبي الطريق الرئيسي، ولكل بيت حديقة، سيكون الصرف الصحي موحد، وسيتم توصيل المواسير كلها إلى مصدر المياه الآتي إلى القرية، أما الأسلاك الكهربائية فستكون على غرار التصميم الذي عرضه الأجنب في ورشة جيتشو الجديدة، أي ستكون مدفونة بالكامل في خنادق للكابلات تحت الأرصفة، شعر سونغ يون هوي أن وضع الأسلاك بهذه الطريقة سيكون متقناً للغاية، ولن ترتفع التكلفة كثيرًا عن وضع الأعمدة الرأسية، وبمجرد أن قال للي دونغ باو إنها تؤسس هكذا خارج البلاد حتى صدقه واقتنع على الفور.

وبمجرد أن أغمض عينيه، استطاع لي دونغ باو تخيل منظر البيوت الجديدة بعد إتمام بنائها، وكيف سيكون شكلها، إذ تخيلها تشبه مجمع مقر قيادة المنطقة العسكرية القديم، فلم يكن ليتخيل أن الفلاحين حفاة الأقدام يمكن أن يسكنوا بيوتًا على الطراز الغربي كالتى يسكنها القادة الكبار. طلب متحمسًا من سونغ يون هوي أن يضيف حوض أسماك وحديقة وقطعة أرض مخصصة للتمارين

الرياضية، ولكن سونغ يون هوي رفض رفضًا قاطعًا وأخبره أن هذا تخطيط للمرحلة الأولى من البناء لأكثر من ثلاثين أسرة، ولنفكر في المرحلة الثانية والثالثة من بناء حديقة وحوض أسماك حينما يحين وقتها.

لم تخمد همة لي دونغ باو، بل أخرج مبتسمًا في مكر ورق الخريطة الأخرى، وكانت خريطة مسح للقرية بأكملها، ثم أمسك قلمًا رصاصًا رفيفًا من نوع HB، ورسم دائرة على منطقة في الورقة برفق، وقال إن هذا هو المكان الذي سيتم فيه تسكين أكثر من ثلاثين أسرة في المرحلة الأولى، ثم أشار إلى منطقة أخرى أكبر ورسم حولها دائرة برفق قائلاً إن هذه هي الأرض التي يتم فيها توزيع تلك الأسر الثلاثين حاليًا. بعدما فرغ من الرسم، سأل أخت زوجته متحيرًا ما إذا كان يفهم مقصده بهذا الكلام أم لا.

فكر سونغ يون هوي في الأمر لحظة حتى اتضح له ما كان يعنيه لي دونغ باو الذي كان يجمع ويرتب المساكن المتناثرة في مكان واحد ويجعلها على منحدر طفيف، كما أخذ يفند مساحات كبيرة من الأراضي المسطحة لتطوير المصنع ومزرعة الخنازير؛ فقد أخذ على عاتقه جهدًا كبيرًا لإيجاد حل بديل بعدما لم يُوافق له على قطعة أرض زراعية، إذ أعطى للقادة انطباعًا عن القرية بالرخاء ليحصل على القرض، كما استفاد أهالي القرية استفادة حقيقية أيضًا، وأخيرًا أتاح مساحة للتنمية الجماعية فيها، فهو بذلك ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد، فأثنى سونغ يون هوي على لي دونغ باو وتناوله الشامل للموضوع من جميع الجهات في هذا الوقت.

كان لي دونغ باو فخورًا بما يسمع حتى إنه كان يؤكد على الكلام، ومن ثمَّ أجبر سونغ يون هوي على استئناف طهي الطعام الذي لم تكمله والدته، ولم يعامله على أنه ضيفٌ بالمرّة، فلم يبال سونغ يون هوي الذي شعر بأنه في بيته.

حينما رأت الوالدة لي ابنها يجلس في غرفة المعيشة ويضع إحدى ساقيه على المقعد الذي أمامه، علمت أن أمامه بعض الوقت كي يأتي إلى المطبخ، فقالت لسونغ يون هوي بلطف: «آه يا هوي الصغير، يحب دونغ باو أن يصغي إليك فحسب». أحسَّ سونغ يون هوي أن لديها ما تقوله، فأنصت لها قائلاً: «يمكننا التحدث معًا».

وبطبيعة الحال قالت والدة لي دونغ باو: «أنا في حيرة من أمري، لم أعد أعرف أي شيء، لا يحب دونغ باو تناول الطعام الذي أطهوه، ولا يحب ارتداء الملابس التي أحيكها له، فلا أجد أمامي سوى الذهاب للإثقال على زوجة شي قن والطلب منها. آه، فلتخبرني ماذا سأفعل لو أتى ذلك اليوم الذي لا أستطيع التحرك فيه».

استمع سونغ يون هوي إليها باهتمام وقال: «عليّ أن أبذل مجهودًا مع أخي الكبير مرة أخرى، لقد تكلمت معه بالفعل في هذا التوقيت من العام الماضي، ولكنه غضب مني، سأحاول هذا العام ثانية».

فسارعت قائلة: «هوي يا صغيري، أنتم جميعًا أشخاص متعلمون، وتجيدون الكلام بالمنطق، أنا لا أريد من دونغ باو أن

ينسى أختك، فقد كانت إنسانة جيدة». فقاطعتها سونغ يون هوي على عجل قائلاً: «هذا أمر وذاك أمر آخر». وسرعان ما انتهى من إعداد الطعام، وسأل لي دونغ باو بينما يتناولانه: «هل أدت طريقة إصلاح طرق التوزيع في الصيف إلى مشاكل بين كوادر القرية وأهاليها؟».

«نعم، جميعهم يسبونني من وراء ظهري ويقولون إنني فاسد، لكن لا يجروؤ أحدهم على مواجعتي».

لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك، فهذا هو أسلوب لي دونغ باو في الكلام، وقال له: «بصفتك من الكوادر عليك أن تأخذ رأي العامة على محمل الجد في بعض الأوقات».

«أنا لا أهتم بهذا الهراء، لقد تم صرف مكافأة نهاية العام الحالي قبل بضعة أيام، كان الجميع يتبعونني ويلتصقون بمؤخرتي قائلين «عاش الأمين». ماذا يفهمون هم؟ إنهم لا ينظرون سوى تحت أقدامهم على بضع منافع صغيرة. هو ليس مصنعكم في النهاية، وثمة الكثير من الطلاب الجامعيين الذين ستعتقد الرؤى بوجودهم».

ضحك سونغ يون هوي قائلاً: «ما هكذا يقال الكلام! على كل حال سأكتب لك غداً شيئاً مناسباً للسياسات، فلتحفظه، وحينما يأتي القادة إلى القرية فيما بعد رُد عليهم مستعينا به، علينا أن نبدو منظمين من الخارج وألا نبوح بكل ما لدينا، فحينما نتحدث إلى القادة لا يمكن أن تقول إنك تفعل أمراً ما لمنع الفساد مثلاً، ولكن عليك أن تقول إنك تقوم به لزيادة الحالة الإيجابية لدى

الجميع، والتحقيق الجدّي لنظام التوزيع الاشتراكي الذي تعمل فيه الكفاءات، وكلما عملت أكثر تحصل على المزيد».

وافق لي دونغ باو على كلامه قائلاً: «حسنًا»، هذا لأنه يعلم أنه حريص على مصلحته، لكنه استأنف كلامه متشككًا: «أخبرني، ما دام عقلك يعمل هكذا، لماذا لا تكف عن التفكير في هذه الأمور التافهة، ألا تستطيع القيام بأمر أهم؟».

فرد عليه سونغ يون هوي بصراحة: «كنت أفكر بهذه الطريقة في الماضي أيضًا، ولكنني فهمت الآن أن القيام بأي شيء يتطلب في البداية أن أكون إنسانًا مستقيمًا، أو قل لأفعل ما ينبغي فعله حينًا، وأتعلّم كيف أكون إنسانًا حينًا آخر. إنكم الآن تسرعون الخطى نحو الأمام، تمامًا مثلما كان يحدث حينما كنا نبي ورشتنا الجديدة، فالعاملون تحت أيدينا تراهم يتغيرون مع مرور الأيام، من السهل كثيرًا أن تحشد قلوب الناس، وأن تجعلهم على قلب رجل واحد، لكن حينما تصل التنمية إلى نطاق معين تتباطأ السرعة، ويتزعزع استقرار الأمور، حينها عليك أن تحقق التوازن وتُرضي الناس وتحكم زمام الأمور، والطرق في ذلك كثيرة ومتعددة، ففي ذلك التوقيت سيقف الجميع رهن كلمة واحدة منك».

قال لي دونغ باو معترضًا على كلامه: «نحن مختلفان يا هوي الصغير، تُريدني أن أتحدث بالإنجليزية ولا أستطيع، وأريدك أن تُسب الناس ولا أستطيع، سأكون إنسانًا صالحًا بما يتناسب مع شخصيتي، لو أصبحتُ مثلك سيظن الناس أنني ضربت رأسي في حافة السرير الليلة الماضية وجُننت، أنا لا أقول إنك مجنون».

أصدرت تشنغ كاي يان ضحكة عالية وقالت مواصلة:
«صحيح ما يقوله أخي الكبير، صحيح». فلم يتمالك سونغ يون
هوي هو الآخر نفسه من الضحك، ففي واقع الأمر لو تغير لي دونغ
باو وصار شخصًا شاعريًا لن يكون الأمر لائقًا عليه نهائيًا. لكنّه
لم يستطع أن يمنع نفسه من تحذير لي دونغ باو من خطورة كونه
شخصًا صريحًا للغاية.

بعدما فرغوا من تناول الطعام سار معهم لي دونغ باو قليلاً
حتى لمح الوشاح الموجود حول رقبة سونغ يون هوي، فشدّه
ووضعه أمام تشنغ كاي يان بينما توقف سونغ يون هوي عن السير،
وسألها: «هل أنتِ من حكّت هذا يا تشنغ الصغيرة؟».

توهج وجه تشنغ كاي يان المكفهر فخرًا وقالت: «طبعًا،
سأصنع لك هذا العام واحدًا يا أخي».

احمر وجه لي دونغ باو وألقى بالوشاح وأسرع قائلاً: «لديّ
واحد صنعته لي أخت يون هوي، وضعتّه في الخزانة، إنه أجمل
من الذي صنعتيه بكثير، كما صنعت لي زوجًا من القفازات».

ابتسم سونغ يون هوي قائلاً: «لا تُمانع، لقد فكّت الهرة
الصغيرة هذا الوشاح، سيحتاج إلى نصف عام آخر كي يُحاك، وقد
لا تملك الوقت لتحكيه. هل وجدت شخصًا مناسبًا لك هذا العام
يا أخي؟».

«أي شخص؟».

«امرأة».

«هراء!».

غير سونغ يون هوي استراتيجيته هذه المرة، فتحدث بجديّة:
«أنا أكثر من يفهم شخصية أختي، لو كانت تراك من فوق في
السماء وتعرف أنك لا تأكل ولا تلبس جيدًا ولست مستقرًا في
حياتك فلسوف تكون أكثر قلقًا منك. ألا تعرف هي نيتك الطيبة؟!
فلتحتفظ بذكرها في قلبك وكفى، الحياة يجب أن تستمر».

«مستحيل، أنا آسف لأختك وآسف لك، لم أصغ إليك، لا تأبه
لي، أنا أعرف ما أفعل، لا تتحدث معي في ذلك الأمر ثانية».

«لديك أمك هي الأخرى، إذا كنت حقًا آسفًا لأختي، فكيف
يطاوعك قلبك أن تجعل والدتك صاحبة الخمسين أو الستين عامًا
تخدمك؟ ألسنت آسفًا لأمك الآن بهذا؟ لا تحملها ما لا تطيق».

فكر لي دونغ باو هنا هنيهة، ثم قال: «إنني أملك المال، سأحضر
لأمي خادمة، لا تقلق أنت». وأدخل لي دونغ باو الكلام من أذن
وأخرجه من الأذن الأخرى، فما إن عاد إلى المنزل حتى نسي كل
شيء. وعلى النقيض فلم تنس تشنغ كاي يان أي شيء، إذ جلست
على المقعد الخلفي لدراجة سونغ يون هوي وقالت متطلعةً إليه:
«أخي الكبير وفي لأختك حقًا، وأنت فيما بعد ألن تكون».

«لا تهذ، لا أسمح لك بالتحدث هراء، سنبقى معًا حتى تسقط
أسناننا ونفقد أبصارنا، لا أسمح لك بذكر هذا الأمر ثانية».

وبخها سونغ يون هوي فشعرت على العكس بالسعادة،
وأصقت وجنتها بظهره وأخذت تقول له طوال الطريق كلامًا
معسولاً.

عاد الزوجان إلى البيت وهما يضحكان ويمزحان، فلم يعد سونغ يون هوي مُديرًا للورشة وصار رئيس قسم التصدير، مما جعله يقضي وقتًا أقل في المصنع وصار لديه مساحة أكبر لرعاية أسرته، وكانت تشنغ كاي يان سعيدة للغاية بذلك. عطلت تشنغ كاي يان مع روضة الأطفال العطلة الشتوية عشية عيد الربيع، وكانت تشاهد التلفزيون الأجنبي كل يوم، وتتدارس آداب السلوك الأجنبي، ثم تعلمها لسونغ يون هوي حينما يعود. فلم يتعلما منها أي شيء سوى تقبيل بعضهما قبل الخروج من المنزل وبعد العودة إليه.

2

في النهار الذي يسبق ليلة رأس السنة الصينية، اصطحب سونغ يون هوي تشنغ كاي يان إلى مدرسته الابتدائية والإعدادية التي كان يدرس فيها من قبل، وأصرت على أن تذهب إلى المكان الذي وُزِع للعمل فيه سابقًا حينما كان طالبًا، لكنه لم يفضل الذهاب إلى هناك، بل أراد أن يساعد والديه في التنظيف، لكنها توسلت إليه أن يذهب، فلم يجد بُدًا من الذهاب.

كان الجو يزداد حرًا شيئًا فشيئًا، وتساقطت الأمطار والثلوج مع دخول السنة الجديدة مرات قليلة واستقرت على الأرض. كانت تشنغ كاي يان في غاية السعادة، فلم يكن يصدر طوال الطريق صوت سوى صوتها، تارة تسأل عن نوع الطيور الملونة بالأبيض والأسود التي تطير أمامهما دائمًا، وتارة تسأل لماذا يتزايد عددها

أكثر فأكثر، وحينما وصلا إلى مكان تكليف سونغ يون هوي بتربية الخنازير سابقًا وجداه كما هو مع اختلاف الناس الذين فيه، فلم يتعرف أحدٌ على سونغ يون هوي الذي كُبر وصار أكثر طولاً وبدا أنيقًا جدًا وهو يرتدي النظارات.

ذهب سونغ يون هوي إلى مكان مفتوح، وأشار حوله محدثًا زوجته أن المكان هنا به الكثير من الناس والجبال، والقليل من الأراضي المسطحة، وأخبرها أن هذا المكان كان فقيرًا في الماضي لدرجة أنه لا يوجد في القرية بأكملها سوى دراجتين فحسب، بل وتابعتان للبلدية، كان فقيرًا حتى أكثر من شياوليجيا في ذلك الحين، وكان الطعام السائد وقتئذ كل يوم هو البطاطا الحلوة المجففة، فلم يكن مسموحًا بزراعة الكستناء في الجبل، وذلك لأن الكستناء يمكن اعتبارها من حصص الإعاشة، فإذا ما تمت زراعتها سينبغي خصم جزء من الحصص، وسيكون ذلك سخيًا للغاية. لم تكن تشنغ كاي يان تعرف أن ثمة الكثير من هذه الأمور الغربية في الريف، فسألت من باب الفضول وهل البطاطا الحلوة لذيدة؟ ثم سألت ماذا سيفعل الجميع إذا ما تضوروا جوعًا، فقال سونغ يون هوي مازحًا إنه حينما يجوع كان يحرق بعينه في آذان وذبول الخنازير ويتمنى لو يقطعها بسكين العلف الذي معه، فصدقه تشنغ كاي يان وشعرت بالشفقة الشديدة تجاه زوجها، أما هو فأشار إلى أعماق الجبال الشاهقة قائلاً إنه ثمة قرية تقع وسط تلك الجبال العالية بعد تسلقها، وقد سمع أن أراضيها قاحلة أكثر من هذه، كما سمع أنهم يأكلون الأعشاب ويحفرون في ألحية الأشجار، فأتسعت حدقة تشنغ كاي يان من الدهشة حينما سمعت بذلك.

وجدنا مطعمًا مفتوحًا على جانب الطريق عند الظهيرة فدخلناه، وما إن دخلناه حتى اكتشفنا أنه مفعم بالحياة كثيرًا، كانت هناك طاولتان كبيرتان ممتلئتان بهذا المطعم الصغير، فدخل الاثنان حتى رأى سونغ يون هوي وجهًا مألوفًا بالنسبة إليه، كان يانغ الصغير بائع فطائر المانتو، والذي لم يره منذ فترة طويلة، وجده يرتدي معطفًا مبطنًا بالريش لا يذكر أنه رآه من قبل، بدا راضيًا عن نفسه، فخمّن سونغ يون هوي أنه لربما كسب مالا كثيرًا، وتحدث إلى تشنغ كاي يان عن أمره، فنظرت تشنغ كاي يان إلى الورااء بفضول وسألت بصوت منخفض عن عمره.

حينما رأى يانغ شيون القادمين الجديدين يحملقان فيه باستمرار، مشى في اتجاههما بفضول حاملاً كأس النبيذ في يده، ثم سأل وعلى وجهه ابتسامة عريضة: «هل التقينا من قبل يا أخي؟ يبدو وجهك مألوفًا بالنسبة إليّ ولكنني لا أذكر اسمك».

نعته سونغ يون هوي في نفسه بالماكر وقال له: «لا يمكن أن أخطئ في معرفتك يا يانغ الصغير، أنا من قرية هونغ وي، سمعت أنك ذهبت إلى الشمال الشرقي، كيف الحال؟ أهو جيد؟ يبدو أن أمورك على ما يرام».

«يا إلهي، هل هو أنت يا أخي الكبير؟! أنت من علمتني إضافة لحم الخنزير المطهو ببطء إلى فطائر المانتو، كنت أكلها يوميًا في الشمال الشرقي، وكلما أضفت إليها شيئًا كنت أتذكر. هل تزوجت يا أخي؟ العروس جميلة للغاية. كنتُ أقرأ العدادات للناس، والآن أتاجر في الأسلاك الكهربائية بالجملة. إذا أردت

أسلاكًا فيما بعد يا أخي... آه، ولكنك لن تجدني، فأنا سأكون في الشمال الشرقي. وماذا تفعل أنت يا أخي؟ هل تعمل في جهة حكومية؟».

كان سونغ يون هوي يستمع إليه مبتسمًا، وقال له: «تبدو أمورك على ما يرام، مبارك لك، إن مصنع دنغ فنغ للأسلاك الكهربائية في قرية شياوليغيا لا بأس به».

«مهما فعلتُ من شيءٍ فلن أكون مثلك يا أخي الكبير، فما إن رأيتك حينما دخلت أنت وعروسك حتى شعرت بالهيبة تحيط بكما، ليس كمثلنا نحن التجار ما إن نتفوه بكلمة حتى نفقد من قدرنا. لن أكذب عليك يا أخي، لطالما فكرت في العمل مع مصنع دنغ فنغ للأسلاك الكهربائية، هل تعرف أحدًا هناك؟ ألا يمكن أن يخفض لي في السعر قليلًا؟ فبعدما يمر عيد الربيع أنوي أن أذهب لدنغ فنغ لأخذ عربتي أسلاك كهربائية، فما زال عملنا الصغير محدودًا حاليًا».

شعر سونغ يون هوي بينما يستمع إلى يانغ الصغير أن كلامه مثير للضحك، ولكنه أمسك بصلب الموضوع: «عربتا أسلاك كهربائية؟ يبدو أنك صرت لا بأس بك، هل تنفق هذا كله من مالك الخاص؟».

فضحك يانغ شيون وقال: «أعتمد على أصدقائي في هذا كله، أقترض من هذا حينًا ومن ذلك حينًا آخر، وفي النهاية استطعت أن أصنع لنفسني اسمًا صغيرًا. أخي، هل تشرب النبيذ؟ فلتجلس على الطاولة».

ردّ عليه سونغ يون هوي مبتسمًا: «شكرًا لك، لا أريد أن أضايقك. لكن قل لي لماذا لا تستورد الكابلات محليًا من تلك المصانع المملوكة للدولة في الشمال الشرقي ما دام التمويل صار كافيًا؟ فالآن ومع نظام السعر المزدوج يمكننا على الأغلب استيراد الكابلات مع رفع السعر قليلًا. بالمناسبة، هل تحسنت معيشة إخوتك بفضلك؟ ليس من السهل أن تكون أخًا كبيرًا في حقيقة الأمر». فجلس يانغ شيون وقال بإسهاب: «لقد جعلت أخي الصغير والأكبر منه يراجعان كتب المرحلة الإعدادية، وسوف يكملان دراستهما في العام المقبل، لم أجعلهما يعملان معي في التجارة، ألا تعتقد أن أبي إذا كان حيًا لم يكن ليجعلنا نترك التعليم بكل تأكيد؟ ما دمنا نجد قوت يومنا فلندرس قدر ما نستطيع، أليس كذلك؟ حتى أنت يا أخي تبدو إنسانًا متعلمًا».

ضحك سونغ يون هوي وقال له: «أنت بارعٌ حقًا».

«أي بارع هذا؟! ما أنا إلا تاجر بسيط. بالحديث عن الكابلات الكهربائية، من الممكن ألا تكون على علم بهذا يا أخي، فالمصانع التي تعمل على إنتاج الكابلات الكهربائية مصانع رسمية، ومعظمها مملوكة للدولة، فما منها قد يعيرني اهتمامًا أنا التاجر البسيط؟! أقوم الآن بإصدار الفواتير مع رفقائي من القرية، إذ نقدم عينة مع كل فاتورة، فإذا بدأنا مشروعًا كبيرًا للكابلات الكهربائية، ألن يسلبه مني رفقائي من القرية مع إصدار هذه الفواتير؟ الآن يتعين علينا التسجيل لفتح مصنعنا الخاص، لكن لا يسمح لنا بالتسجيل كأفراد، حتى وبمجرد التسجيل فلن يُسمح لنا بالركض عبر البلاد

حاملين الفواتير، فلا يمكننا سوى العودة إلى مكتب الضرائب لإصدار الفواتير، هل تعتقد أنني يمكنني أن أصمد؟».

«ألا يُقال إن العديد من العاملين لحسابهم الخاص يركضون عبر البلاد حاملين أختامهم الرسمية؟ فلتبحث عن مصنع متعثر، ولترتدي القبعة الحمراء وتُبرم العقود».

فقطب يانغ شيون جبينه قائلاً: «تأخرتُ كثيرًا يا أخي، لقد اختطفت جميع الأختام مني، عليّ أن أجد شخصًا أعتمد عليه الآن وإلا سأضطر إلى مواصلة الاعتماد على رفقائي من القرية. هل لديك حل آخر يا أخي؟».

هزّ سونغ يون هوي رأسه نافيًا وقال: «يبدو ما تقوله غامضًا بالنسبة إليّ، ألا تستطيع التحدث مع دنغ فنغ؟ بإمكانك أن تأخذ الكثير من منتجاتهم».

«لا يمكن، تمويل دنغ فنغ منضبط للغاية، خذ يا أخي، هذه بطاقة العمل الخاصة بي، بها رقم هاتفي وعنواني في الشمال الشرقي، ستجد بيتي بعد التل مباشرة، فلتأتِ لنجلس معًا إذا ما سنحت لك الفرصة. إن صديقي ينتظرنِي هناك، عليّ الذهاب».

ابتسم سونغ يون هوي ليانغ شيون وهو يغادر الطاولة قائلاً في نفسه إنه يتمتع حقًا بروح المبادرة والحماس. ظلّت تشنغ كاي يان تستمع إليهما بالجوار حتى سألت: «أليس بيته الذي يقع بعد التل مباشرة في ذلك المكان الذي تحدثت عنه؟ لا عجب أنه ليس طويل القامة، من المؤكد أنه لم يتغذ جيدًا حينما كان صغيرًا».

«إنه غالبًا من تلك القرية».

«ما هي الأختام والقبعة الحمراء؟».

شرح لها سونغ يون هوي برفق: «على سبيل المثال ففي مصنعنا لا نسمح بالتعامل مع التجار الصغار، ولا نقبل شيئًا منهم، إذ نخشى أن تكون طرقهم غير قانونية، ولكن إذا أتوا إلينا ومعهم خطاب تعريف بختم رسمي يختلف الأمر حينذاك. هناك بعض المحتالين الذين يقدمون رشوة أو يبرمون عقودًا مع مؤسسات مملوكة للدولة أو مؤسسات تعاونية صغيرة متعثرة، ويكتب عليها العديد منهم أسماء المصانع التي تديرها المدارس، فما أن يحضروا حزمة الأختام الرسمية والفواتير وخطابات التعريف، ويتظاهروا بأنهم المندوبون الرسميون لهذه المؤسسات الصغيرة في الخارج حتى نغيرهم اهتمامًا. يمكن ببساطة البحث عن وكالة حكومية وإنشاء شركة تجارية وصناعية، فندفع بعض المال كل عام، ونخرج إلى الناس كشركة تعاونية مملوكة للدولة، والتي ستتمتع بسمعة أفضل من مؤسسة شياولي جيا التي تديرها القرية. هل فهمت؟».

ضحكت تشنغ كاي يان قائلة: «وأنت كيف عرفت كل هذا؟ لا تتعامل معي على أنني حمقاء لا أفهم ما تقول». فابتسم سونغ يون هوي وقال لها: «يبدو أنك عملت في مكتب الشحن والنقل ولم تتعلمي شيئًا، ألم أسمع ذلك في قسم التموين. لحسن الحظ أنه تم نقلك إلى الروضة فلن يضحك عليك الأطفال».

تدللت تشنغ كاي يان وامتنعت عن مجاراته في الحديث، وكانت المشكلة حقًا أنها لا تعرف.

عاد يانغ شيون من عند صديقه ليوِصِّل سونغ يون هوي وزوجته، وكان يشعر بغيرة لا متناهية من بطاقة العمل التي تركها له سونغ يون هوي، فظل يكرر أنها «عصرية»، وعقد العزم على أن يطبع منها مئات أو آلاف النسخ، أخذها متفاخرًا بها فقد كانت أكثر أهمية بالنسبة إليه من خطابات التعريف. وبمجرد أن فكر في الأمر قرر تنفيذه على الفور، فبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء ذهب لتدبر أمر البطاقة التي وقع في حبها من النظرة الأولى، ولكن المفاوضات بين الجانبين فشلت، فالأول شعر أن الورق الذي كان يصدر من مصنع الطباعة ليس ناصع البياض بما فيه الكفاية، والثاني يقول إن دار الطباعة التي تديرها المدرسة لن تسمح له بطباعتها، إذ لا يوجد إثبات رسمي بمكان العمل، فلم يتفق الاثنان على شيء.

كان يانغ شيون ثملاً قليلاً، فلم يبذل قصارى جهده في التفكير بطرق ملتوية تجبرهم على الطباعة، فحينما لم يستطع التوصل إلى اتفاق معه غادر المكان مسرعاً، وركب وحيداً دراجته الهوائية القديمة مقاس ثمانية وعشرين عائدًا إلى البيت. كان عليه تجاوز حافة جبلية للوصول إلى البيت، فمنذ أن بدأ ركوب الدراجة لبيع فطائر المانتو، كان يُسرع القيادة دائماً من المكان المسطح الموجود عند سفح الجبل، ويطير بسرعة الريح مندفعاً مرةً واحدة حتى يصل إلى أعلى نقطة متحكماً في دراجته جيداً، فيصل دائماً إلى السرعة صفر عند أعلى نقطة، ثم يهبط محملاً بنسيم الجبل المنعش وكأنه سقوط حر، ويظل يندفع حتى يصل إلى باب البيت، أما اليوم فلأنه شرب قليلاً مع أصدقائه خلال العمل، كان من الطبيعي أن يكون أكثر شجاعة، حينما كان يزيد السرعة عند الأرض المستوية،

استنفد كامل قوته مثلما كان يفعل في حمل بعض حزم الأسلاك الكهربائية والسير بها في شوارع وأزقة الشمال الشرقي، وازدادت السترة المنتفخة التي كان يرتديها انتفاخًا كأنها كرة هواء، أو سمكة منتفخة تم انتشالها من على سطح الماء، وكما هو المتوقع، فهو لم يتدرب على الصعود لأعلى المنحدر دفعة واحدة أيامًا عديدة، ولم تكن لديه القوة الكافية لفعلها، فلم يتوقف أعلى المنحدر قليلًا، واضطر إلى استخدام الفرامل والتي لم تكن تعمل بشكل جيد.

حينما وصل إلى البيت وجد أخته الصغرى يانغ لي قادمة إليه ترحب به بصوت عال، كانت ترتدي سترة منتفخة حمراء زاهية وسروالًا منتفخًا أسود، وتضع على رأسها قبعة مخملية باللون الوردية، كان هو من اشتراها لها جميعًا من الشمال الشرقي، وكانت الأخت الصغيرة مولعة بهذه الثياب وتود لو ترتديها حتى وهي نائمة. ما إن خرجت لتستقبل أخاها حتى بدأت تقرأ عليه تقريرًا لليوم: «أخي الأكبر، لقد رفض أخي الأوسط استكمال دراسته، ويصر على الذهاب معك إلى الشمال الشرقي». «جاءت ابنة عمه أمي، هاها، سمعتُ أنها جاءت لتعرفك على إحداهن». شعر يانغ شيون بشيء من عزة النفس بمجرد عودته إلى البيت، فلم يمر ثلاثة أيام حتى جاءت الخاطبة إليهم، لم تكن أمه تشجع أولادها على الدخول في علاقات مبكرًا هكذا، ولكنها استحت أن ترفض، ولم تجد أمامها سوى أن تحذر ابنها بشكل غير مباشر، لقد طال زمن تسكعه في المدينة تلك الأيام، ولم تعد تعجبه تلك الفتيات الريفيات ذوات البشرة الخشنة، فلن يجد سوى أن يرضخ لتحذيرات أمه مطيعًا لها.

حينما دخل من باب البيت، رأى كالعادة فتاة ريفية ترتدي سترة متنفخة مبطنه بالقطن، فشعر يانغ شيون بالغثيان، وتحدث إلى ابنة عم والدته بوضع جُمَل ثم شدَّ يانغ سو إلى الفناء الخلفي وقال له في لهجة حادة: «هل قلتَ لأمي بأنك لن تستكمل دراستك؟».

أوجس يانغ سو خيفة من أخيه الأكبر قليلاً وقال له بصوت منخفض: «أخي، لقد تحملت فوق ما تطيق في عملك بالتجارة، لم يعد هناك مجال لأن أجلس لأدرس في فصل، اجعلني أذهب معك، هل ستأتمن غيري على إدارة مستودعنا الكبير؟».

«سأطمئن، كيف لي ألا أطمئن، ألا يدار مستودع لاو وانغ الآن بواسطة شخص آخر؟ بل أنا لن أنام مطمئناً إذا لم تستكمل دراستك. لا تجادلني، أنا لا أناقشك هنا، إلا إذا كنت قد أقنعت أمي». شعر يانغ شيون برغبة في التبول بعد شرب النبيذ، فبحث عن ركن في الجدار الخارجي، ونظر حوله فلم يجد أحداً، فأخذ يتبول في عجالة من أمره.

«وافقت أمي على ذهابي معك». أجابه يانغ سو مستنداً إلى الجدار القديم والمتهدم، «تقول أمي إنني لم أخلق للتعليم، وإنني لستُ مثل أخي الأكبر ولا مثل يانغ ليان، ولكنها طلبت مني أن أتحدث إليك بنفسني».

وازن يانغ شيون الكلام للحظة، ففهم مقصد والدته، ثم التف حول الجدار وقال بلا تردد: «لا ترهقني في الحديث، لقد تحدثت إلى أمي الليلة الماضية، حتى ولو كنت غيباً في التعليم ستكمل دراستك».

رد عليه يانغ سو جزعًا: «ما رأيك لو تعود أنت يا أخي لاستكمال دراستك؟ لقد كنت جيدًا دائمًا في تأدية واجباتك المدرسية، اجعلني أذهب أنا لكسب المال، فأنا لا أحب التعليم حقًا».

ضحك يانغ شيون فجأة قائلاً: «وهل ستستطيع أنت؟»، ثم قال بصوت جهوري: «يانغ لي، إنك تسترقين السمع ثانية، ألن تبدلين عباءة الحرباء التي تسترق السمع هذه!».

ركضت يانغ لي ضاحكة وقالت: «أخي الأكبر هو من اشتراها لي»، ثم أمسكت بذراع يانغ شيون في غنج تحركه وقالت: «أخي، لقد انكسر قلمي الرصاص، ولا أستطيع استخدام المبراة جيدًا، أنت أفضل من يستخدمها، ولكن ينبغي أن تستنها أولاً».

رمق يانغ شيون يانغ سو بنظرة وكأنه يحذره، ثم دلف إلى البيت مع أخته التي كانت تشده إلى الداخل، فسألته ابنة عمه والدته متمعدة: «يانغ شيون، هل وجدت عروسًا لك أم لا؟». فرد عليها وعلى وجهه ابتسامة عريضة: «أريد أن أجدها، مثل ضفدع الطين الذي يبحث عن بجعة ليأكلها». فأسرعت الوالدة يانغ قائلة: «هذا الولد لسانه بذيء، من لا يعرف أنك تجيد الكلام فحسب؟».

فهمت ابنة العمه وتلك الفتاة هي الأخرى ما يقصدانه، فلم يضغطا عليهما، ومن ثم غادرا بعدما جلسا قليلاً. حينما كانت توصلهما الوالدة يانغ ابتسمت لهما وغمغمت: «عدد الضيوف الذين جاءونا في تلك الأيام الثلاثة أكثر من عددهم في السنوات الثلاث الماضية، عذرًا فلم يكن لدي الوقت لأقدم لكما

الباوتسي⁽¹⁾، يانغ ليان، اذهب لترى هل تخمر العجين أم لا؟ لا تخلق لي أعضارًا وألق نظرة على السرير الحراري».

«حسنًا»، ألقى يانغ ليان بالواجبات المدرسية، ووثب ناحية السرير الحراري الدافئ، ثم استخرج من داخله قطعة عجين كبيرة مختمرة، فبدأ يتحسسها ويعجنها، إذ كانت عائلة يانغ بأفرادها الخمسة كلهم يجيدون هذا العمل اليدوي باستثناء يانغ لي. جاء يانغ سو وهو يتمم، ثم ذهب تلقائيًا لتقطيع اللحم والبصل الأخضر، كما ذهب يانغ شيون لإشعال النار في الفرن، وحينما صار فارغًا من وضع الحطب، أخذ يشد منفاخ الفرن بقدم واحدة، ثم تناول القلم الرصاص ييريه لأخته. وضعت الأم دجاجة سمينة في القدر الكبير، ووضعت فوقها مصفاة من الخيزران، ثم وضعت فوقها فطائر المانتو الحلوة لتنضج على البخار. فقط الأخت الصغرى كانت تركز هنا وهناك مثل الفراشة بشبابها الحمراء الزاهية، فكان البيت مفعمًا بالحيوية مع دخول العام الجديد، إذ امتلكت عائلة يانغ هذا العام السمك واللحم أخيرًا، وتبدو عليها أجواء الاحتفال بالعام الجديد.

وفي المساء، خرج الإخوة معًا إلى الخارج ليشعلوا المفرقات النارية باستثناء يانغ شيون الذي جلس مع والدته يتناقش معها في أمر استكمال يانغ سو لدراسته، كان يرى أنه جدير بشدة للحديث في هذا الأمر، فلم يكن ليجرؤ على الكلام بطرق ملتوية أمام والدته سيدة المنزل القروية. «أمي، اجعلي يانغ سو يمكث هنا لاستكمال

(1) معجنات تُطهى على البخار وتكون محشوة باللحم أو الخضار.

تعليمه، لا تقلقي عليّ فأنا لا أشعر بالظلم، عليّ أن أحسن معيشتك ومعيشة إخوتي بصفتي الأخ الأكبر، أنا راضٍ جدًّا، وسأبحث عن فرصة فيما بعد لاستكمال تعليمي بعدما ينتهون هم من التعليم ويأخذون رواتب، إن يانغ سو لا يريد أن يدرس في الأصل، ولو ترك المدرسة وأخذ يتسكع لبضع سنوات وسط الناس سيزداد رفضه للتعليم، وإذا لم يتعلم الآن فلن يجد فرصة فيما بعد».

«على الرغم من كلامك فمن الجيد على كل حال أن تهتما ببعضكما، إن المال الذي تجنيه ليس بقليل، ماذا لو تمكث أنت الآخر لتكمل تعليمك؟!» كانت الحياة قاسية مما جعل الأم تبدو أكبر من عمرها.

ابتسم يانغ شيون قائلاً: «ليس ممكناً، سيتوجب على ثلاثتهم أن يلتحقوا بالجامعة فيما بعد، كما ينبغي أن نعيد تجديد المنزل، فلنتظر لحين انتهاء أمطار الربيع ثم نبدأ في بناء دور ثالث بالأسمت، ولن نقلق بعد ذلك من تسرب مياه الأمطار إلى أسفل. أمي، لا تقلقي عليّ، لم يعد الأمر كما كنت أذهب إلى الشمال الشرقي في البداية، فأنا لدي الآن أصدقاء كثر هنا وهناك، لا تخافي».

نظرت الأم إلى ابنها، ثم أومأت برأسها ووافقت تلقائياً على كلامه. فعلى الرغم من إصرارها ولكنها حينما رأت ابنها الأكبر وقد صار قادراً على تحمل المسؤولية، لم تجد أمامها بصفتها أمًّا سوى أن تستجيب له. انتهى الإخوة الثلاثة أخيراً من إطلاق المفرقات النارية التي اشتراها لهم يانغ شيون، وتم الاستقرار على رأيهم في

أمر استكمال يانغ سو لتعليمه، فكان يانغ سو محببًا للغاية، ولكنه لم يكن ليستطيع سوى أن يرضخ لكلام والدته وأخيه الأكبر. لم يكن يانغ ليان ولا يانغ لي على علم بهذا، فقالا في حماس أن المفرقات المزدوجة أصدرت صدى صوت عال اليوم، إنه لشيء مبشر بالخير، مما جعل والدتهما توبخهما على تلك «التخاريف».

سهرت الأسرة بأفرادها الخمسة حتى الساعة الثانية عشر منتصف الليل، ثم ذهبوا ثانية لإطلاق المفرقات النارية، وجلسوا معًا يتناولون كرات الأرز الحلو في سعادة، نامت يانغ لي ووالدتها على السرير الحراري، أما الإخوة الثلاثة فتزاحموا جنبًا إلى جنب على سرير خشبي كبير.

خلال عيد الربيع هذا، ولأول مرة في حياتهم، سمحت الأم لأبنائها الأربعة بتناول الطعام بشكل منفصل، فأحضرت سمكة شبوط تزن كيلوغرامًا مطبوخة مع صلصة الصويا والسكر البني، وما إن أقحموا عيدان الطعام فيها حتى اختفى أثرها، وكان هناك دجاجة سمينة مقطعة إلى شرائح تكفي ليوم واحد، أما العشرون بيضة قرن المغموسة في صلصة الصويا فلم يحتاج الأمر سوى إلى أربع صباحات للقضاء عليها، واختفت النقانق التي أحضرها يانغ شيون من الشمال الشرقي في ذلك النهار الذي سبق عيد الربيع، فلم تنتظر حتى الاحتفال بالعام الجديد. وأمام شراهة الإخوة الثلاثة، لم يكن أمام والدتهم سوى تقسيم قطعة لحم الخنزير المطهوه ببطء في الصوص البني والتي تزن كيلوجرامين ونصف إلى قطعتين، ووضع كل منهما على حدة في يومين، وإلا لاخفت كلها في لمح

البصر. لم تكن يانغ لي أيضًا بالضعيفة أمامهم، وكان من الأفضل لإخوتها الكبار أن يتركوا لها الطعام بإرادتهم، كانت أمهم تقول إن أفواههم إذا فتحت ووضعت جنبًا إلى جنب ستوسع لجمل.

ورغم ذلك، كانت بطونهم ما تزال تتسع إلى المزيد، ففي اليوم الرابع من الشهر القمري الأول، أخذوا يختطفون من والدتهم الخضار المخلل بزيت السمسم الذي صنعته؛ وكان ثراء وتنوع أنواع الطعام كانت هي السبيل الوحيد للتعبير عن سنة صينية جديدة موفورة بالخير.

3

اعتاد لي دونغ باو على الذهاب إلى عائلة سونغ في اليوم الأول من الشهر الأول في السنة الصينية الجديدة، إذ مرَّ عليهم في الصباح الباكر، فرأى البيت من بعيد وكأنه قبو، وحُيِّل إليه وكأن سونغ يون هوي وزوجته يقفان فوق سطح البيت ويشعلان المفرقات النارية، وحينما رأياه أيضًا قادمًا إليهم أسرعوا ونزلا لاستقباله، جلسوا في حجرة المعيشة الفسيحة المشرقة يشربون الشاي ويأكلون لب البطيخ، وكان الشيء الوحيد الذي يُشعر لي دونغ باو بالحسرة في قلبه هو أنه لا يرى خيال سونغ يون بينغ كما كان في السابق.

حينما كانوا يتناولون طعام الغداء، سأل سونغ يون هوي لي دونغ باو ما إذا كان يعرف ولدًا يدعى يانغ شيون عادة ما يذهب إلى مصنع دنغ فنغ لشراء الأسلاك الكهربائية، فلم يحتج لي دونغ

باو إلى التفكير وقال فوراً: «أعرفه، لقد طلب مني هذا العام عربتي بضاعة، كانت البضاعة الموجودة في سيارتي النقل الخضراء كلها من نصيبه، يوحي إليك أنه يجني سنويًا مبلغًا ضئيلاً من المال، ولكنه يحصل على عشرات الآلاف من الحيوانات، ناهيك بعمره الصغير، ولكنه متيسر الحال مثلي تقريبًا».

اندهش سونغ يون هوي وتذكر لقاء أمس، لم يكن ليتخيل بأي حال من الأحوال أن هذا الفتى يملك عشرات الآلاف من الحيوانات، ثم وجه الحديث لوالدته: «إننا نتحدث عن يانغ الصغير بائع فطائر المانتو».

«ماذا؟ يانغ الصغير بائع فطائر المانتو؟» اتسعت حدقتا والدة سونغ يون هوي من الدهشة هي الأخرى، وحينما استعادت هدوءها قالت: «هذا الولد ماهر في التجارة، ومثله من يقال عنه صغير في السن ولكنه عبقرى، كان ما إن يأتي إلى هنا لبيع فطائر المانتو حتى تغلق جميع المتاجر أبوابها بسببه».

«نعم بالطبع هو كذلك، إنه على دراية بجميع حيل التجارة».

عرّفهم لي دونغ باو بشكل مبسط على مهارات يانغ شيون في قياس أطوال الأسلاك الكهربائية وتخفيض السعر، «وتحسباً لأن تريد سؤالى من أين عرفته، فأنا الذي ينبغي أن أقول الكلمة الأخيرة لتخليص أموره كلما أتى إلى هناك، إنه لأمر مزعج للغاية».

«ليس الأمر كذلك، ولكنني لا أعرف أتى لي أن أجني المال بتلك السرعة، إلا إذا كان بطرق ملتوية للغاية». لم يعرف سونغ يون هوي لماذا شعر فجأة بعدم اتزان حتى فكر في أمر الطرق

الملتوية فهدأ. «لا عجب إذن أنهم يقولون الآن إن من يصنعون القنابل الذرية لا يضاهون من يبيعون البيض المسلوق مع ورق الشاي».

كانت العائلة تجلس قبالة بعضها، فقال لي دونغ باو بلا تحفظ: «هذا كل شيء، إن المعلمين والعاملين في المكاتب الحكومية هم أقل الناس ربحًا في الوقت الحالي، ومؤسساتكم المملوكة للدولة أفضل حالاً، إذ يكون فيها حوافز ومميزات، لم يعد أحد يعتمد على القسائم الآن في شراء الأسماك واللحوم، والعمل في المكاتب الحكومية لا مميزات فيه على الإطلاق، لقد أعطيت قبل عيد الربيع لبضع أشخاص يتولون بعض المهام نيابةً عنا دجاجتين وبضع كيلوجرامات من اللحم البقري وسمكتين وبضع سلاسل من النقانق ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ولا يضاهون في ذلك قرينتا شياوليغيا، فجميع أهالي القرية لدينا يحصلون على الكثير، فهل تظن أنهم من الممكن أن يتمرّدوا عليّ؟».

فقلت له تشنغ كاي يان مباشرة وبصراحة: «إذن فهو أفضل من ورشتنا (جيتشو الجديدة)، كنا لا نزال قلقين بشأن مكافآت النصف الأول من العام، إلى أن باع هوي الصغير منتجاتنا خارج البلاد فاستطعنا تسديد المكافآت. وفي حقيقة الأمر فإن مكافأة هوي الصغير تُصَرَف بقرار من الأمين شوي شخصيًا، ولكنها بعيدة كل البعد عما يتقاضاه يانغ الصغير بائع الماتو هذا».

قال سونغ جي شان: «الأمر ليس سواء، أنتم مستقرون، ودونغ باو يستند على شياوليغيا، فلو تغيرت السياسات في يوم من الأيام،

سيكون يانغ الصغير بائع المانتو هذا وأمثاله أول الخاسرين، فهم ليس لديهم تأمين عمل ولا نفقات طبية، فما فائدة جني الكثير من المال؟! إنه ليس مثلكم أنتم العاملين في المؤسسات المملوكة للدولة وهي التي تتعامل معكم».

قال سونغ يون هوي: «ما زلت تقليديًا يا أبي، فكر قليلًا، إن يانغ الصغير بائع المانتو يجني في العام الواحد بضع عشرات الآلاف من اليوانات، وعادة ما تكون مصاريف المعيشة للشخص في العام الواحد ألف يوان فقط، إن ما يكسبه من مال في عام واحد يكفي ليعيش به إلى الأبد، فلن يحتاج بعد كل هذا ليعتمد عليه؟ على سبيل المثال قرية أخي الكبير شياوليجيا، إنها لا تملك ضمانًا من الدولة، ولكنهم يعتمدون في القرية على جني ما يكفي من المال، وتحقيق ضمان للفلاحين كلهم، وهكذا القرية هي التي تكتفي بنفسها. لن يخسر يانغ الصغير بائع المانتو شيئًا».

أكد لي دونغ باو على كلامه قائلاً: «نعم، لم يعد يعتمد أحد على غيره الآن، ولا يضاهي ذلك أن يعتمد المرء على نفسه، فنحن الآن في شياوليجيا نسمح لهم أن يذهبوا إلى المدينة ليعملوا فيها ولكنهم يرفضون ذلك، إلا إذا تم تحويل سجلات الأسرة إلى سجلات إقامة. وإذا كنت لا تصدق، فقط قل ليانغ الصغير بائع المانتو أن يذهب ليعمل في مكتب حكومي، هل سيذهب أم لا؟ لن يذهب، حتى أنا إذا عرض عليّ ذلك فلن أذهب. سأقوم بالكثير من المهام ولن أجنبي سوى القليل».

فقال سونغ يون هوي مُحَرَجًا: «للمؤسسات المملوكة للدولة والمكاتب الحكومية مزاياها الخاصة، فحينما تكون الساحة كبيرة،

تتعلم الأشياء بشكل شمولي، كما ترتقي أيضًا ارتقاءً كاملاً، لا ينبغي النظر إلى المال فحسب، وإلا سيكون المعلم خسراناً فعلاً».

ردّ لي دونغ باو بفظاظة: «مهما تعلمت من شيء، سيذهب كل ما تتعلمه هباءً إذا لم تكن تجني المال».

«لذا كان من الضروري عمل عيد للمعلم في العام الماضي أخيراً، انظروا إليّ كم أنا مثيرة للشفقة، أنا معلمة في روضة أطفال». لم يسع الجميع سوى أن يضحكوا حينما قالت تشنغ كاي يان أنها معلمة في روضة أطفال.

«هذا جيد جدًا بالنسبة إليك، فأنت فتاة. إذا ما قرر هوي الصغير المجيء إلى شياوليغيا فسوف أتوسع فوراً في مصنع الأسلاك الكهربائية، وسأسلمه له بالكامل، إن الطلبة الجامعيين الموجودين في مصنعكم المملوك للدولة متراخين في العمل، إننا لا نريد في قريننا من مصنعكم سوى المهندسين ليعملوا هنا بدوام جزئي، ولكن لن تسمح الدولة بذلك».

شعرت تشنغ كاي يان بالظلم الواقع على زوجها فقالت: «أي متراخ في عمله هذا، إن هوي الصغير يقضي حتى وقت فراغه في القراءة والتعلم».

ضحك سونغ يون هوي أخيراً وقال: «لكل إنسان طموحاته الخاصة، ولا يمكن التعامل مع كل شيء قياساً على الدخل، فعلى سبيل المثال أنا أحب شعور وجودي في الساحات الكبيرة، أحب أن أقوم بأشياء كثيرة لم أكن لأتخيل أنني سأقوم بها في الماضي،

فإذا لم أعمل في هذه المؤسسة المملوكة للدولة، لم أكن لأصير سوى فني في أحسن الأحوال. وناهيك من السفر خارج البلاد، لم أكن لأطال حتى الذهاب إلى قطاعات الوزارات الوطنية في بكين».

رد عليه لي دونغ باو معترضًا على كلامه: «أنت مختلف، ومستواك جيد في الأصل، فالمكاتب الحكومية بها بعض الطلبة الجامعيين الذين لا يرتقون إلى مستواك، وإذا لم تستطع السفر إلى الخارج هذا العام فبإمكانك السفر في العام الذي يليه أو الذي يليه، الأمر كله متوقف عليك، علاوة على ذلك فإننا نتحدث عن مصنع صغير، وأنتي للمصانع الصغيرة أن يكون لها خلفية كبرى! إنها لا تتطلع سوى إلى حكومة المحافظة. توجد الآن الكثير من مجمعات المصانع التي تتفق مع مديري المصانع على عمل لحسابهم الخاص، ولا يجد العمال مناصًا من ذلك، فإذا كان الاتفاق جيدًا كان بها، وإذا لم يكن جيدًا فلا يستطيعون حتى الإبلاغ عن النفقات الطيبة، ألا تعرف ذلك؟ وفوق ذلك فالمتفقون على هذا العمل الخاص لا يراعون الاهتمام بالآلات جيدًا، لقد زبنا الآلات مع بداية السنة الجديدة تجنبًا للصدأ، أما أولئك الذين يتعاقدون معهم فقد أهلكوا الآلات من فرط الاستخدام، وستحتاج إلى المال لإصلاحها بالطبع، مع استخدام أسوأ قطع غيار، وحينما يحين موعد تسليم العمل ويكون المتعاقدون قد جنوا ما يكفي من المال وهربوا، يتركون كومة من الحديد الخردة للعمال، فما فائدة أن يكون مملوكًا للدولة؟ لذلك فحينما طلبوا مني في المحافظة أن أتعاقد مع بضعة مصانع من الباطن رفضت، فسبوني ووصفوني

بأنني متعطش إلى السلطة، إنهم أغبياء لا يفهمون شيئًا، هل سأتفق على عمل من الباطن لأنهم يريدون ذلك؟ هل سأكل الخراء لأنهم يأكلونه؟ ألا تعرف بو شين شنغ هذا الذي يعمل في مصنع هاي يان المعروف؟ ألم يتفق على عمل لحسابه الخاص الآن؟ لقد صار المصنع على وشك الانهيار».

انتهز سونغ يون هوي الفرصة للحديث في هذا الموضوع: «أي عمل من الباطن هذا الذي ستفقون عليه؟ إن نظام التوزيع الخاص بكم أكثر تقدمًا، والتعاقد مجرد مسألة تنشيط للمرحلة الأولية من الاقتصاد، أين يمكن رؤية مثل هذا التعاقد الذي هو على نطاق كبير في الإدارات الأجنبية؟».

«نعم، لذا فإنني أقول إنهم أغبياء لا يجيدون التصرف في القرية، لقد عقدوا اجتماعًا آخر خلال احتفالات العام الجديد يثقون فيه كوادرنا ويعلمونهم أنه لا يمكن التركيز فقط على أنه بدون الصناعة لا يزدهر الاقتصاد الريفي، وعليهم أن يعرفوا أنه بدون الزراعة لن يستقر الاقتصاد الريفي أيضًا، فدعمتهم فيما يقولون، وقلت إن عشرة أفراد من الأسر المتخصصة في زراعة الأرز لدينا قد روى الأراضي كلها في القرية، وإننا نربي الخنازير بأعداد كبيرة، فهل تعتبر هذه صناعة أم زراعة؟ لقد زرعنا وصنعنا واغتنينا. ولطالما ظلوا يتحدثون بالهراء، فلن يفعلوا شيئًا ولن تيسر أحوالهم».

«القياسات، يجب وضع قياسات لكل شيء عند القيام به. أخي، عليك أن تجلب بعض المهندسين للعمل معك عند الضرورة».

«صحيح، جميعهم الآن من أولئك الذين يريدون التمسك بعمل مستقر دائم، وبغض النظر عن مدى دنو الراتب فهذا لا يهمهم، المهم هو التمسك بعمل حكومي في مصنع مملوك للدولة، ويوافقون فقط على المجيء إلي هنا في يوم الأحد والعمل لكسب بعض المال بشق الأنفس. انتظر فقط حتى ينتهي عقد العمل من الباطن ولا يجدون في حوزتهم سوى بعض الخردة، لن يجدوا مكاناً يذهبون إليه إلا هنا. وعلى الرغم من أنني أشد ما أريدك للعمل معي يا هوي الصغير، ولكنني أفضل ألا تأتي، إنكم تعملون على نطاق كبير هناك، ليس مثلي في شياوليغيا، سيكون من الظلم لك أن تأتي».

قال سونغ يون هوي ضاحكاً: «كيف يمكن أن يكون من الظلم لي أن أذهب إلى شياوليغيا؟ ألن تحميني بنفسك؟».

وهكذا أخذت العائلة تدرش وتضحك ويتبادلون الحديث، وحينما انتهوا من تناول الطعام غادر لي دونغ باو، فقد أصبح الآن شخصاً مشغولاً، وهناك الكثير من الناس الذين ينتظرونه ليدعونه، ويخشى أن تفوته دعوتهم. إن أقارب عائلة سونغ قليلون في الأصل، وحينما قامت الحركة أعرضوا عنهم أكثر، فلم يعد لديهم أقارب تقريباً وقد صارت العلاقات باردة منذ وقت طويل، فلم يعودوا يتزاورون فيما بينهم الآن، وأصبحوا يقضون الاحتفال بالسنة الصينية الجديدة ويأكلون ويشربون وحدهم.

كانت ظروف عائلة يانغ مشابهة لظروف عائلة سونغ تقريبًا، فبعدما تُوفي الوالد، افتقر أقارب عائلة يانغ كلها، ولم يستطيعوا تقديم المساعدة لهم فأعرضوا عنهم وبردت العلاقات، ومع ذلك فقد جاء يانغ شيون الذي ازدهرت أحواله مع بداية هذا العام حاملاً الهدايا للاحتفال، ولم يظهر أي شكل من أشكال التقصير في المعاملة، ولكن أمه كانت دقيقة جدًا في الحسابات، فكانت تنفق أقل تكلفة في القيام بأكثر من شيء، وكان يانغ شيون ما إن يرى أمه حتى يتعلم منها ويتشرب من الحكمة التي تتمتع بها. حينما حلَّ اليوم الثاني من الشهر الأول في السنة الجديدة، عادت الأم مع أولادها إلى بيت جدتهم، وهنا ارتدت العائلة بأكملها الثياب الجديدة الراقية، وانتعلوا أحذيتهم الجلدية اللامعة مغادرين المنزل.

سار الخمسة في الطريق وكان منظرهم مُبهرًا للغاية، فأكثر ما كان يُبهر القرويين هناك هو رؤية ملابس التزلج، فكيف سيكون الأمر حينما يرون سترة منتفخة تشبه البالون؟ حتى الياقات كانت تشبه البالون هي الأخرى، وكانت مغلقة بإحكام حول الرقبة فلا حاجة إلى وشاح. لم يكن الجميع قد رأى تلك الياقات الصوفية التي يرتديها الأخوان يانغ شيون ويانغ سو سوى في الأفلام الأجنبية، إذ كانت عصرية بشكل لا يوصف. حينما وصلوا إلى قرية عائلة أمهم صادفوا زفافًا في أحد البيوت، فرأوا موكبًا من الرجال والنساء يتقدمون العريس والعروس ويدقون على الصنوج والطبول

أمامهم، وكانوا في عُمرٍ يسمح لهم بحب المرح والضجيج، أما أهمهم فكانت تُسرّع الخطى وتسير على عجل، تحاول كل الطرق الممكنة لتجاوز موكب الزفاف. حينما نظر الإخوة إلى العريس والعروس رأهم الناس في موكب الزفاف ونظروا إلى ما يرتديه الخمسة من ملابس زاهية.

حينما قاربوا على توصيل العريس والعروس أخيرًا، قام رجلٌ كان في انتظار الموكب في المقدمة بحركات مفاجئة وأخذ يركل الحشد هنا وهناك، ففزعت الفتيات اللاتي كن في الموكب وتفرقن مثل الدجاج، صرخت فتاة منهن وتراجعت إلى الورااء فسقطت بين ذراعي يانغ شيون، وعلى الرغم من سفر يانغ شيون وتجوله في أماكن كثيرة، فقد كان غليظ الجلد عديم الإحساس، ولكنه كان في العشرين من عمره فقط بعد كل شيء، فبخلاف الجلوس على المقعد نفسه مع الفتيات قبل الصف الثاني الابتدائي، والتعامل البسيط القليل معهن، كان دائمًا ما يبعد عن الفتيات مسافة متر حينما يقابلهن، فحينما سقطت هذه الفتاة في أحضانه، قفز مبتعدًا عنها فجأة، ووجدها تركت رائحة عطر قوية على كفيه وثيابه، جعله هذا الشعور يتنفض.

لم يسع يانغ شيون إلا أن يرفع يده ويتشمم رائحة العطر المتبقية عليها ويتطلع بعينه في توتر إلى الخلف، فوجد فتاة تضع سترة تزلج باللون الأخضر الداكن، وتلف حول رقبتها وشاحًا أصفر مزلعًا، وترتدي سروالًا ضيقًا أسود اللون، ولها شعر أصفر مجعد نادر. كانت عينا الفتاة واسعتين، وأنفها أقنى، بشرتها بيضاء

بلون الثلج، تبدو وكأنها أجنبية. حينما نظر يانغ شيون إلى تلك الفتاة وجدها هي الأخرى تسترق النظر إليه، فالتقت أعينهما إلى أن أشاح كل منهما بوجهه بعيدًا وكأنه ارتكب إثماً، ثم صارت ملامح وجهيهما جادة، ويسعلان ليظهرا بعض الاستقامة.

شعر يانغ شيون لا إرادياً بيانغ ليان وهو يشُدُّه، وذهب به ناحية موكب استقبال العروس، فلم يتمالك نفسه وأعاد النظر إلى تلك الفتاة ذات الملابس الخضراء المليئة بالحيوية، وانتابته السعادة حينما وجدها تبادله النظرات هي الأخرى، فأثارت عيناها المشرقتان الذكيتان قلبه الفتيّ المتقد.

وللمصادفة، فلم يتعد منزل عائلة الأم كثيرًا عن المنزل المستضيف لمأدبة الزفاف، اختلق يانغ شيون عذرًا وهرب بحجة أنه يريد أن يقضي حاجته، واعتمد على لسانه الثرثار فاندسَّ بين من يعرفهم من عائلة أمه، ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى صار على علم بأحوال الفتاة ذات الرداء الأخضر. تُدعى الفتاة داي جياو فنغ، لم تلتحق بالمرحلة الثانوية بعدما أنهت المرحلة الإعدادية، تعمل بشكل مؤقت في مصنع للتطريز، في الثانية والعشرين تقريبًا من عمرها، يقال إن الكثير من الرجال يسعون وراءها، فيزدحمون جميعًا أمام منزلها في المساء الواحد تلو الآخر. قال يانغ شيون محدثًا نفسه أن فتاة بهذه المواصفات الراقية ليست في حاجة إلى الخاطبة لكي تجلب لها العرسان، ومن المؤكد أن ثمة الكثير ممن يلاحقونها.

يبدو أن الفتاة هي الأخرى قد لاحظت يانغ شيون، فهذا الفتى يرتدي ثيابًا مبهرجة أكثر من العريس نفسه. كان يفصل بينهما عشرات ومئات الأشخاص ولكنها ما زالا يتبادلان النظرات.

تحدى يانغ شيون نفسه واتخذ قرارًا سريعًا، إذ ذهب فورًا إلى بيت جده يبحث عن أمه ليتشاور معها، فأخبرها أن هناك فتاة تدعى داي جياو فنغ، وفي أي قرية تسكن، ومن يكون والداها، وطلب من أمه أن تبحث عن أحد يذهب ليعرض عليها الزواج. كانت أمه تسمع في حذر، ثم خرجت معه لتلقي نظرة على الفتاة، فوجدتها تجلس على طاولة واحدة مع العروس، فيبدو وكأنها وصيفتها، ولكن لم تعجبها الفتاة التي تعجب ابنها وفقًا لخبراتها في البشر لعشرات السنين، إذ شعرت أن نظرات هذه الفتاة لثيمة، وأن تصرفاتها وملابسها عصرية ولا تشبه فتيات ونساء عائلتها. وحينما رأت عيني ابنها وهما تلمعان كأنه رأى كنزًا، لم يسعها بصفتها أمًا سوى أن تستخدم استراتيجيات غير عادية، فقالت مال هذا الجيل الغريب، يقع الشباب في الحب أولاً ثم يخبرون أهاليهم عن رغبتهم في طلب الخاطبة لتحديد موعد الزفاف. كانت الأم تفكر في أمر ذهاب ابنها إلى الشمال الشرقي قريبًا، فسوف يتحرك بعد بضع أيام، وإذا ما أراد أن يدخل في علاقة فهي لن تطول لبضعة أيام على الأكثر، وحينما يعود ابنها للاحتفال بالسنة الجديدة العام القادم، فهل ستكون هذه الفتاة التي تدعى داي جياو فنغ وأمثالها ما تزال في انتظاره؟

لم يشك يانغ شيون للحظة في هذا الأمر، وكان كلام أمه على العكس بمثابة تشجيع له، فحينما عاد إلى البيت شعر ببعض الاحتناق ليومين، ولكنه انتظر إلى حين فتح المتجر متعدد الأقسام في المدينة أبوابه من جديد في اليوم الأول بعد انتهاء عيد الربيع، وخرج من البيت على الفور لشراء عُلبه من أغلى أنواع كريم

الوجه مزدوج اللون ماركة كه منغ، كما اشترى عُلبه حلوى حليب مُشكَّلة، وحزمة من زبدة البرقوق والزيتون، ووضعها جميعًا في جيبي معطفه الواسع، ثم ذهب مثقلًا بها باحثًا عن بيت داي جياو فنغ. كان على علم بضرورة حمل بعض الهدايا الصغيرة عند زيارة الناس، وعلى الرغم من أنه كان يجهل ما تحبه داي جياو فنغ، ولكنه أدرك حُب الفتيات للوجبات الخفيفة بعدما رأى أخته الصغرى وهي ترفض خلفه ليشتري لها الحلوى والساكر، فرأى أنها بالطبع ستحب هذه الأشياء مثلها مثل الفتيات كلها.

حينما تكتب الأقدار في عالم نجهله اللقاء لاثنين، فسيحدث ذلك ولو كانت نسبة حدوثه ضئيلة جدًا، فحينما سأل يانغ شيون عن بيتها إلى أن وصل إلى بيتٍ مكون من ثلاثة غرف مبنية على صفٍ واحد، كان يتساءل في نفسه متحمسًا هل هي في البيت أم لا، وكان مترددًا... كيف له أن يطرق الباب ومن ثمَّ يبدأ معها حديثًا ويعبر لها عن مشاعره، وبينما هو يفكر إذ خرجت داي جياو فنغ لتسكب دلوًا من الماء في الخندق الموجود بالخارج، وكأنها شعرت تجاهه هي الأخرى بما يمكنه لها من إعجاب، فأشارت إليه وقالت له بصوت منخفض أن ينتظرها عند جبل الشاي الموجود خلف القرية، فلم يتمالك نفسه من الفرحه وطار إلى هناك مسرعًا، وشعر أن الأمر كان أكثر إثارة من لعبة القبض على اللصوص في الجبل التي كان يلعبها مع أصدقائه حينما كان صغيرًا.

واتضح له بعد ذلك أنه لم يكن الوحيد الذي جمع معلوماتٍ عنها، فقد سألت عنه هي الأخرى دون أن يعرف، جلس الاثنان عند

منطقة جبل الشاي، وهبّت الرياح الشمالية الغربية وهما يتحدثان بحماسٍ متقد. أحبّت داي جياو فنع الأشياء التي أهداها إليها يانغ شيون، ولم تستطع الانتظار ففتحت عُلبة كريم الوجه وشمّت رائحة العطر المنبعثة منها، ثم قالت له إنه ماهر في الشراء وبحق، ومع ذلك لم يفعل شيئًا سوى أنه حينما دخل إلى المتجر ووجد عُلبة كريم مزدوجة اللون وكانت هي الأعلى فاشتراها، إذ كانت المرة الأولى التي يرى فيها مثل هذه الأشياء، فما إن ألقى عليها نظرة حتى وجد العُلبة تنقسم إلى نصفين، نصفٌ باللون الأبيض ونصفٌ باللون الوردي. أخذت داي جياو فنع مسحة من الكريم ووضعتها على يدها التي كانت متورمة بعض الشيء، فغمرت المكان برائحة العطر كما هو المتوقع، ثم فكّت بيديها العطرتين الورقة المغلفة، والتقطت منها حبة من البرقوق المحفوظ وناولتها له ليأكل معها، فلم يكن يانغ شيون يعلم أن البرقوق المحفوظ رائحته عطرة لهذه الدرجة.

تطورت علاقتهما بسرعة، وكان ذلك متماشيًا مع أسلوب يانغ شيون المعتاد تجاه الأمور، ففي اليوم العاشر من الشهر الأول في السنة الجديدة، اصطحب داي جياو فنع إلى بيته لتتحدث مع والدته، ثم ركض ليزور عائلتها أيضًا في ذلك اليوم. كانت نظرة الأهل في كلا البيتين للأمر على أنه تافه لا يعتد به، فأبي علاقة هذه التي تنشأ في ثلاثة أيام؟! لذا فإنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد، وكانوا يقولون إنه من السابق لأوانه الحديث عن الزواج، وليتعرفا على بعضهما أكثر في هدوء ولا يتخذا قرارهما في عجلة. لكن المختلف هاهنا أن والدته كانت تؤجل في الموضوع على

أمل أن يذهب ابنها إلى الشمال الشرقي وينسى أمر هذه الفتاة أو تنساه هي، أما أبواها فكانا مهتمين بيانغ شيون، ولكنهما لم يكونا مقتنعين بتلك العلاقة التي تنشأ في ثلاثة أيام، فكيف لهما أن يأخذا هذه المسألة على محمل الجد؟ وعلاوة على ذلك فقد كانت الفتاة تكبره بعامين، لذا فكانا قلقين من أن يكون اهتمامه بها كل هذا الاهتمام ما هو إلا محض اندفاع مؤقت.

لكن يانغ شيون لم يكن يرى الأمر بهذه الطريقة، فلطالما قابل كل منهما أهل الآخر، يعني ذلك أنهما تعارفا بشكل رسمي، ومن هنا كان مشغولاً من جهة بالذهاب إلى شياوليغيا وغيرها من الأماكن لتحميل البضائع، والتواصل مع السيارة في المدينة لترتيب نقل البضائع، ومن جهة أخرى يُكمل عددًا لا يحصى من التجارب الأولى في الحياة على تردد يميل إلى الموافقة من داي جياو فنج، كالمرة الأولى التي يمسك يدها فيها، والمرة الأولى التي يحتضنها فيها، والمرة الأولى التي يقبلها فيها...

وبحلول اليوم السادس عشر من الشهر نفسه، أي بعد مهرجان الفوانيس، ركب يانغ شيون وداي جياو فنج بوجهين متوردين من فرط السعادة والحماس شاحنة نقل مليئة بالأسلاك الكهربائية، وأسرعاً متجهين إلى أقصى الشمال الشرقي، خاصة وأن داي جياو فنج لم تجرؤ على إحضار أي شيء معها، فقد ذهبت معه على غير علم والديها، كانت عازمة على الهروب معه، وقد علمت والدة يانغ شيون في اللحظة الأخيرة من فم يانغ سو بأمر اصطحاب يانغ شيون لداي جياو فنج، فكان أول ما فكرت فيه هو أن ابنها قد كبر

ولم يعد التحكم فيه أمرًا سهلاً، ثم فكرت في أمر والدي الفتاة
وأنهما سيقتلانهن.

وبطبيعة الحال فلم يفكر يانغ شيون الذي كان غارقاً في سعادته
في خطر قتل عائلة داي لعائلته، فقد أعطاهما سترة متفخخة لترتيديها،
وارتدى هو ما وصلت إليه يديه سريعاً من سترة عسكرية، ثم
جلس معها في المقعد الخلفي، متجاهلين تمامًا السائق والسائق
الاحتياطي اللذين كانا يجلسان في المقدمة، إذ فتح يانغ شيون
السترة العسكرية وضَمَّ داي جياو فنغ إلى حضنه، يُمسك كل منهما
بإحدى الأركان داخل السترة العسكرية الواسعة المتينة، ولطالما كان هذا
الطريق وعراً ومملاً، ولكنه اليوم صار جميلاً رائعاً، كانت المرة
الأولى التي يشعر فيها بأن النساء رائعات إلى هذا الحد.

كان يانغ شيون ويانغ سو في الأصل يسكنان معاً في منزل
صغير مكون من طابق واحد يقع بجوار المستودع، وكان كل من
المستودع والمنزل تابعين لمصنع المنطقة السكنية، إذ يقعان داخل
أسواره. أما اليوم ولم يأت يانغ سو، وجاءت داي جياو فنغ، فقد
أشار يانغ شيون بالطبع عليها لتمكث معه في المنزل، ونقل السرير
إلى المستودع حيث اقتسما مكان النوم مع الأسلاك الكهربائية،
لكن الطقس كان شديد البرودة فلم يستطيعا النوم، وظلا طوال
الليل مستيقظين يتجمدان من البرودة. وفي اليوم الثالث، كان يانغ
شيون يتأوه من فرط البرودة والصداع، وداي جياو فنغ تثرثر حول
شعورها بالوحدة والخوف، فسكن الاثنان معاً وكان هذا منطقيًا.
لم ينسَ يانغ شيون أن يعطي تبريرًا لأصدقائه القرويين الذين كانوا

يعملون معه في التجارة، فاستضافهم للطعام والشراب واحتفل معهم معلنا أنهما منذ ذلك الحين زوجًا وزوجة.

يختلف البيت حينما تسكنه المرأة بعد كل شيء، فقد كانت داي جياو فنغ ماهرة في التطريز، وحينما لم يكن لديها ما تفعله خلال النهار، كانت تحيك ستائر صغيرة مطرزة من الحواف للنوافذ الصغيرة، كما نظفت الغرفة التي كان يوجد فيها الفحم جيدًا، وكثيرًا ما كانت تضع حساء اللحم على الموقد في انتظار عودة يانغ شيون، وحينما تفوح رائحة الحساء كانت تضع فيه بضع شرائح من الملفوف الصيني، فتصنع وجبة شهية مُرضية، وفي أوقات فراغهما كان يانغ شيون يصطحبها للمشي والتسوق، فقد كان يحب إنفاق المال، وعلى الرغم من أنها لم تحمل معها شيئًا وهي قادمة، فإن الأحذية والثياب الجديدة التي كانت ترتديها كانت أفضل بمائة مرّة من تلك التي كانت تمتلكها، فكانا يقضيان أيامًا حلوة دافئة.

لم تكن داي جياو فنغ تساعد يانغ شيون في البداية، ولكن ما إن رآته يتعب كل يوم حتى رغبت في تقديم يد المساعدة له، وبدأت تدريجيًا في جعله يُعرّفها على نوعية البضائع الموجودة في المستودع، كما بدأت تدريجيًا تشجع وترد على المكالمات الهاتفية الآتية له وتسجل الحسابات بكل سهولة. حينما رآها يانغ شيون وهي تساعدته كان سعيدًا بذلك، ولكنه لم يستطع جعلها تركب الدراجة لتوصيل البضائع مثل يانغ سو، إذ لم يكن يريد من زوجته سوى المكوث في المنزل للرد على المكالمات الهاتفية المحولة إليه من المنازل المجاورة وتسجيل الحسابات، إذ يكفي

لها إدارة منزلهم الصغير فحسب، أما بالنسبة لتوصيل البضائع، فبخلاف عمله هو فيها، كان قد استأجر عاملاً في نفس عمره عن طريق أصدقائه من القرية، وعلى الرغم من توسع التجارة كثيراً، فقد كان قادراً على تنظيم الواردات والصادرات جيداً، وازداد دخله بمرور الأيام، وبعدهما ذاع صيت تجارته، كان المشترون غالباً ما يأتون إلى باب بيته لتسلم البضائع بأنفسهم، وصارت داي جياو فنغ ماهرة في عدّ البضائع وتسليمها، ومن ثم تسلم النقود والاحتفاظ بها في البنك، فلم تكن لتخطئ قيد أنملة، كانت زوجته مساعدة جيدة للغاية.

حينما وجدت الوالدة يانغ الأمور لا يمكن أن تأخذ منعطفاً أسوأ، قررت أن توافق ضمناً على ما يحدث، فهرعت لتكتب جواباً إلى ابنها تطلب منه فيه أن يعامل زوجته جيداً، ولكنها لم تنس أن ترسل مع الجواب حبوب منع الحمل، وقالت له في الجواب إنهما إذا أنجبا بطريقة غير شرعية قبل استخراج قسيمة الزواج فلن يكون الابن معترفاً به من قبل الدولة، بل ستقع في حقهم عقوبة أيضاً، وسيكون الأمر متعباً للغاية، واقترحت عليه أن ينتظر لحين بلوغهما سن الزواج واستخراج القسيمة ومن ثم الحمل، فوافق الاثنان على هذا الكلام وقررا أن يستمتعا بحياتهما إلى ذلك الحين.

اختطف يانغ شيون ابنة الناس ولم يسعه في هذا الموقف الحساس سوى أن يجمع المال الذي كسبه من بيع الأسلاك الكهربائية ويرسل إليهم ألفي يوان، تأثرت داي جياو فنغ وشعرت

بالفخر بما فعل كثيرًا، وعلى الرغم من إرسال والدي الفتاة جوابًا إليه قائلين فيه إنه لا داعي لكل هذا، ولكنهم لم يُرجعوا المال إليه، فاعتبر هذا اعترافًا منهم بعلاقتهما.

كان يانغ شيون يفكر في موسم تفتح الأزهار في الربيع الدافئ في جيانغنان، ثم عاد يفكر في نقل شحنة بضائع جديدة، أرادت داي جياو فنع أن تذهب معه، ولكنها ما إن فكرت في أمر التجارة في الشمال الشرقي حتى لم تجد بُدًا من البقاء. هرع يانغ شيون عائداً إلى البيت من الباب الخلفي واشترى مواد بناء من شياولي جيا، وطلبت أمه بنفسها عمال بناء لترتب معهم أمر بناء المنزل، كانت صبورة وبحق. وبينما كان يانغ شيون عائداً إلى الشمال الشرقي بعربتي أسلاك كهربائية، كانت أساسات المنزل قد حُفرت بالفعل.

حينما عاد تحدث إلى داي جياو فنع وسرد لها وصفاً تخيلياً للبيت الجديد المكون من طابقين مع عِليَّة، فكانت شديدة الغبطة، ولم يستطع كلاهما أن يخمن أي منزل منهما ستعطيه لهما والدته، وكانت داي جياو فنع تفكر في بيتها القديم المتهالك المكون من ثلاث غرف، وتتمنى لو ينفق يانغ شيون المال أيضاً لتجديده، ولكنها فكرت في أن ذلك المال بعد كل شيء هو ماله، وأن والديها متزوجان منذ سنين طويلة وما زال كل منهما يحتفظ بأمواله الخاصة، فكيف ستجرؤ على الطلب من يانغ شيون أن ينفق ذلك المبلغ الضخم وهما متزوجان للتو، لذا لم تطرح الموضوع، واستكملت قضاء أيامها السعيدة معه.

لم تكن لتسرق من أموال الأسلاك الكهربائية التي كانت تبيعها، فهي زوجته، وكيف يمكن لزوجة أن تسرق زوجها؟

كان يانغ شيون يسحب من حسابه في البنك مبلغًا من المال كل شهر من أجل مصاريف المعيشة لكليهما، ومن ثمَّ يعطيها لداي جياو فنغ ليكون الإنفاق تحت تحكمها بالكامل، فبخلاف شراء المواد الغذائية والملابس، كانت دائمًا ما تدخر الكثير، كما كانت تحتفظ ببعض المال للاهتمام بمظهرها، إذ كانت دائمًا جميلة ورائحتها عطرة، مما أعجب يانغ شيون كثيرًا، أما ما يتبقى من المال فكانت تعطيه له، فيرد عليها يانغ شيون متعجبًا: لماذا تعطيه هذا المال، ويتساءل من سيكون مسؤولاً عن البيت إذا لم تكن هي المسؤولة عنه، وعلى الرغم من حب داي جياو فنغ لارتداء الملابس الفاخرة، ولكنها كانت تعلم أن المال لا يُجنى بسهولة، وأنهما لا يتمتعان بتأمين مثل العاملين في المؤسسات الحكومية المملوكة للدولة، ومن ثمَّ فيجب أن يكون إنفاق المال بحساب. كانت تكاليف المعيشة شهريًا تحتاج إلى كثير من المال، لذا فقد كانت تودع المال في الحساب الجاري لتزداد الفائدة، وبعد فترة من الزمن تنقله إلى حساب التوفير، ولما وجدها يانغ شيون تجيد إدارة المنزل جيدًا، سحب يده من الأمر مسرورًا بذلك.

كان أصحابه من القرية كثيرًا ما يسخرون منهما الاثنین، فيقولون إنهما وبهذا السن الصغير قد اجتمعا ليلعبا لعبة العريس والعروس، لم يكن يانغ شيون هو الآخر يعرف كيف يعيش الناس في البيوت الأخرى، ويشعر أنه يعيش حياة جيدة مع داي جياو فنغ، كان راضيًا ويرى أنها جيدة من جميع النواحي.

ظل سونغ يون هوي على اتصال بالضيوف الأجانب لفترة طويلة، وأدرك أخيراً أنه لمن الحماسة أن يرتدي حينما كان في شانغهاي البذلة الأولى له، وربطة العنق الحمراء المضحكة هذه، فقد كان ينقصه تلوين وجنتيه باللون الأحمر والصعود على خشبة المسرح لتأدية دور المهرج مرتدياً هذه البذلة. لم يرتديها سوى حينما ذهب مع الأمين شوي إلى معرض كانتون في الخريف الماضي، إذ اعتبرها بمثابة ملابس عمل رسمية، ولم يرتديها مرة أخرى إذ كان يشعر بالحرج منها، وعلى الرغم من انبهاره بالملابس المعلقة في نوافذ المعرض بمتاجر شانغهاي، فإنها كانت باهظة الثمن ولا يقدر على شرائها.

يولي سونغ يون هوي اهتماماً شديداً للبيئة المحيطة به، فقد نشأ في بيئة عومل فيها بشكل غير طبيعي مما شكل حساسيةً عنده تجاه البيئة بشكل تلقائي، وكون له عقلاً يسعى إلى التميز، كما جعله يسعى خلف القضايا التي يتابعها حتى يصل إلى جوهرها. لقد عرف بالفعل هذه المرة المقام الحقيقي لما كان يرتديه شيون جيان شيانغ ورفاقه من نظارات شمسية وسراويل واسعة ومثلها من الملابس، وفهم لماذا كانت تسخر ليانغ سي شن من ليو تشي مينغ، كما فهم أن أسلوب ارتداء الملابس في بيئة العمل يختلف عنه في الحياة العادية.

لكن الحالة المادية لسونغ يون هوي كانت ضيقة، وبالرغم من ذلك لم يكن ليقتبل أن يكون شديد الاختلاف عن باقي العاملين

في المصنع، فعلى العكس من ذلك كان يرأس ثلاثة أشخاص، وبخلاف البذلة المتينة التي يسلمها لهم المصنع، كانوا يذهبون جميعًا إلى شانغهاي بعد تسلّم مكافأة نهاية العام لإنفاق المال وشراء بذلات جديدة؛ إذ يُقال إن البضاعة القادمة من هونغ كونغ هي الأفضل، فحينما يدخلون من باب المصنع في موعد العمل مرتدين تلك البذلات، يبدون شديدي الفخر بأنفسهم. لم يفعل مثلهم سونغ يون هوي، واكتفى بشراء نظارة جديدة من متجر ماو تشانغ للنظارات في شانغهاي، فبدّل نظارة ذات إطار ذهبي رفيع بنظارته ذات الإطار الأسود السميك. كانت تشنغ كاي يان كثيرًا ما تريد أن يرتدي سونغ يون هوي الملابس وفقًا لذوقها، إذ أرادت أن يرتدي زوجها معطفًا بذيل طويل كالذي يرتديه الفرسان من الممثلين في التليفزيون، ولكنه لم يكن ليوافق على ذلك، وعلى النقيض فقد كان يشتري لها في كل مرة يذهب فيها إلى رحلة عمل في شانغهاي وبكين وقوانغتشو، وخاصة قوانغتشو، ثيابًا جميلة مختلفة عن المرة التي تسبقها.

انخفضت منظومة الأسعار أخيرًا في جيتشو بحلول موسم تفتح الأزهار في الربيع الدافئ، وتم التصديق على اختبار نظام السعر المزدوج، ومن ثمّ عُيّن يوي شان تشينغ في إدارة النقل والمبيعات، والذي كان كثيرًا ما يركض بداخل الوزارة من أجل تنفيذ نظام السعر المزدوج، وصار مكتبه مجاورًا لقسم التصدير الذي كان يعمل فيه سونغ يون هوي، مما جعله يقترب من سونغ يون هوي مرةً أخرى. وحينما ارتقى يوي شان تشينغ في الوظيفة ليصير نائبًا للقسم، كان رئيسه المباشر هو رئيس قسم النقل

والمبيعات، وكان هو في الحقيقة المسؤول الوحيد عن نظام السعر المزدوج، مما كان يختلف عن المسؤولية المحدودة التي كانت تقع على عاتق سونغ يون هوي، فحينما بدأ يوي شان تشينغ العمل في قسم النقل والمبيعات، لم يكن في الأصل قد ارتدى ملابس العمل مسبقًا.

كان من الواضح للجميع أن يوي شان تشينغ هو الرجل الوصولي المفضل لدى الأمين شوي، وعلى الرغم من أن رئيسه المباشر كان رئيس قسم النقل والمبيعات، فإن سلطة التسعير بالجملة كانت في يد الأمين شوي، مما كان يجعل يوي يقدم التقارير مباشرة إلى الأمين شوي نيابة عن رئيس القسم، كما كانت قائمة طلبات التصدير تحتاج أيضًا إلى تصديق من الأمين شوي، ومع ذلك فقد كان يشعر سونغ بالعلاقة الوطيدة بين يوي والأمين شوي والتي لا تضاهيها علاقته هو به، فكان يوي يدخل ويخرج مباشرة وكيفما أراد.

لربما لا يعرف الآخرون العملية التي تدور خلف نظام السعر المزدوج، لا يعرفون الحقائق الخفية وراء شعور يوي شان تشينغ بالرضا والفخر به، أما سونغ يون هوي فقد كان على علم بكل ما يحدث بالطبع، فقد لمس عن قرب نظام التسعير غير الخاضع لقيود الدولة في قرية شياولي جيا، ويعلم أن المجتمع يضم من الأشخاص أمثال يانغ شيون وغيره من المحتالين، يعرف أن من يشترون البضائع حاليًا من يوي هو يانغ شيون وأمثاله، وجميع الأفعال التي مارسها يانغ شيون تجاه لي دونغ باو، فسيقوم بها بالفعل مع يوي هو الآخر،

لأنه وبالمقارنة مع لي دونغ باو الذي هو من غير المرجح إطلاقاً أن يخفض السعر بجرة قلم، كانت الموافقة التي تصدر من يوي بمثابة منجم ذهب، إذ إنه ليس في حاجة إلى تحمل قدر كبير من المسؤولية تجاه تقلبات الأسعار من الناحية الاقتصادية، ومع ذلك فلم يكن يوي ليحدث فرقاً كبيراً بالاعتماد عليه بصفته نائباً صغيراً، فهو لا يملك سلطة وضع الأسعار، أفلا يمكن أن يكون هذا هو الهدف الذي استخدمه الأمين شوي من أجله؟!

تحدث سونغ يون هوي إلى حميه تشنغ المدير على انفراد ليستفسر منه عن التساؤلات التي كانت تدور في ذهنه، وما استدعى دهشته هو أنه قد صدم من استنتاجاته، وهنا فهم سونغ أن المدير وعلى الرغم من خبراته الثرية في الحياة، وأنه يتصرف دائماً بحذر وبعد نظر، ولكنه بعد كل شيء كان يتقلب في مجتمع جيتشو الصغير لعقود من الزمان، مما جعله على دراية بالتعامل مع القضايا النموذجية المعتادة، ولكنه غير ملم بالتغيرات التي تحدث في الخارج، وكانت نظرتة للأمور ضيقة وغير مكتملة.

فكر تشنغ المدير لهنيهة ثم قال: «تحدث عن هذا المرشح، إن يوي شان تشينغ مناسب أكثر من الجميع، وهو قادر على القيام بجميع المهام المطلوبة منه في هذه الهيئة، لو استبدلناك بيوي شان تشينغ لتمسك هذا المنصب فما حجم الصراع الفكري الذي سوف تمر به؟ وعلى كلٍ فإن الأمين شوي على وشك أن يتقاعد بعد بضع سنوات أخرى من الخدمة، لقد عمل بجد وتغلب على الكثير من الصعاب لكي يصل إلى هذا المنصب، ومن المؤكد أنه سيتم التفكير في أمره يوماً ما».

«هل هناك ضرورة لأن أحافظ على مسافة بيني وبين الأمين شوي؟».

«لا، فلتتعامل معه كما كنت تتعامل معه من قبل، وكأنك لا تعرف شيئاً».

«عندك حق، لذا فقد تحدثت على انفراد معك يا أبي لكي تسدي إليّ النصيحة، ولكنني أفكر أنه من الأفضل ألا تعرف أمي ولا أخي ولا كاي يان شيئاً».

أوما المدير برأسه موافقاً وقال: «صحيح ما تقوله، فحتى لو أذاع الجميع الشائعات من الأفضل أن نتعامل وكأننا لا نعرف شيئاً، يمكننا الحديث في الأمور الأخرى مع الأمين شوي، أما ذلك الأمر فكيف يمكننا أن نتحدث فيه معه، ليس أمامنا سوى أن نظاهر بالعمى والصمت، ولتكمل أنت أعمال تصديرك فهي لا بأس بها، وإياك أن تتعلم من يوي شان تشينغ شيئاً، فأنت ما زلت صغيراً والمستقبل أمامك طويل، لا يقتصر نظرك على ما تحت قدميك. وإذا ما كان يوي شان تشينغ يقوم بمثل هذه الأمور هو والأمين شوي، فلننتظر حتى يتقاعد الأمين ولنرى من سيجرؤ على استغلاله حينما يستلم المنصب بدلاً منه».

«نعم». أجابه سونغ يون هوي، ولكنه كان يفكر في يوي شان تشينغ الذي يمكن وبعدهما يحصل على ما يكفي مما يريد، ينتظر تقاعد الأمين شوي ومن ثم يخرج ليعمل «عاملاً بسيطاً» مثل شياو يانغ بائع المانتو الذي كان فقيراً متبلداً وبلا حيلة وصار ثرياً يجني الكثير من المال من عمله الخاص. لكنه حينما وجد حماه مُحبطاً

وغير مسرور لم يُرد أن يتفوه بذلك فيزيد من صدمته، وعضًا عن ذلك قال مؤازرًا إياه: «أبي، لا تفكر في هذا الأمر وإلا ستتضايق ولن تستطيع النوم هادئًا».

فقال له وهو مُتضايق: «لا عجب إذا، كنت أقول لماذا يقبض الأمين شوي بإحكام على سلطة وضع الأسعار ولا يُسمح لأي أحد آخر بالتدخل! واتضح لي الآن أنه لا يستطيع أحد أن يتدخل». وأردف متعجلًا: «إياك وأن تعتبر نفسك ذكيًا وتذهب لتُبلغ عنه أو تكشف الأمر، فمنصبه ليس ببعيد عني، بل ليس ببعيد عنك شخصيًا، فإذا ما فعلت ذلك سيطالنا جميعًا الضرر. وإياك أن يصيبك عدم الرضا كلما رأيت أموال يوي شان تشينغ، بل الناس هم من يغبطونك كلما رأوك تملك فرصًا للسفر خارج البلاد في أي وقت شئت».

لمس سونغ يون هوي بوضوح عدم الاتزان الذي كان يشعر به حموه، ولم يكن ليُشعر بالغيرة من يوي شان تشينغ، فقد كان شديد الاتزان، هذا لأنه ذاق من قبل معنى أن يكون الذراع الأيمن للأمين شوي، لكن ما أثار دهشته كان حموه، فمع أنه رئيسٌ لمصنع، ولكنه لا يزيد على كونه غير سعيد شيئًا من الغضب، وكأنه يرى عصابة الأمين شوي ويوي شان تشينغ أمرًا عاديًا مفروغًا منه. ظل سونغ يون هوي غاضبًا لبضعة أيام بعدما شكَّ في أمر الأمين شوي واكتشف ألامعيبه، وظن أن حماه كان سيعطي ردة الفعل نفسها وينفر من الأمين شوي، هذا أقل شيء، ولكنه اكتفى حينما كان يتحدث إليه على انفراد بتوبيخه ببضع جمل، حتى إنه لم يتخذ

ولو بعض الخيارات الحكيمة بناءً على وضعه الخاص، مما أحبط
سونغ يون هوي، فهل هكذا يكون المسؤولون؟

بعدما عاد إلى البيت، فكر بمفرده لبعض الوقت حتى أدرك
أن النظام البيروقراطي في مصنع جيتتسو الرئيسي عبارة عن شبكة
معقدة، وأن العديد من المسؤولين الذين يشغلون مناصب عليا في
الوقت الحالي ويتمركزون على قمة هذه الشبكة هم جميعًا من
المقربين للأمين شوي، مثل حميه المدير تشنغ، فلو ترك الأمين
شوي منصبه وصعد آخرون إلى هذا المنصب، فيمكن تخيل
الوضع النهائي بالنسبة إلى شخص مثل المدير لا يملك مهارات
تقنية ولا خلفية قوية، حتى ليو كبير المهندسين من الممكن أن
يصير في مأزق، فما بالك بباقي الأشخاص؛ لذلك فمن المستحيل
أن يدمر المدير هذه الشبكة من الداخل.

وهنا أخذ سونغ يون هوي يفكر باستطراد في العلاقات الكثيرة
المتورطة في هذه الشبكة، ووصل في النهاية بالطبع للتفكير في
وضعه شخصيًا، فكيف له أن يجلس مستقرًا في منصب رئيس قسم
التصدير في الوقت الحالي، لقد فكر في أنه يعتمد الآن على أمرين،
الأول هو مهاراته التقنية المتفردة، والسلطة المطلقة التي يتمتع
بها في الورشة الجديدة وعلاقاته الوثيقة الحالية برجال الأعمال
الأجانب، أما الأمر الثاني فهو علاقاته بالمدير تشنغ والأمين
شوي. ومع ذلك فحتى لو تم تجاهل السيد ليو كبير المهندسين
وغيره من الأشخاص، وصاروا علاوة على ذلك يفضلون تأجيل
التقدم في إعادة هيكلة المصنع الرئيسي لتحقيق هدف التخلي عن
كبير المهندسين، فهل ستكون سلطته المطلقة في الورشة الجديدة

لها ما يكفي من الثقل حينذاك؟ كما أن هناك كثيرًا من المتغيرات الكبيرة في علاقته برجال الأعمال الأجانب، وعلاقته بالأمين شوي، ومصدر هذه المتغيرات هو الأمين شوي نفسه. حينما وصل بتفكيره إلى هذه المرحلة فهم سونغ يون هوي أخيرًا موقف حميه العاجز مما يحدث، ومع ذلك فقد أحسن بوضوح بذلك النفور الذي كان في قلبه، فهو لم يكن يطمح لأن يصير مستقبلًا سلبيًا هكذا مثل حميه الذي هو على الرغم من قدرته على اصطيد أخطاء الأمين شوي، ولكنه آثر الصمت ولم يجرؤ على قول جملة واحدة شديدة، حتى إنه خشي أن يتحدث بذلك الكلام من خلف ظهره، فقد جعله ذلك الحوار الذي دار بينه وبين حميه يتبين أمرًا؛ ألا وهو أنه لا يمكن للإنسان أن يظل في موضع التابع إلى الأبد مثل حميه، وعليه أن يتخذ ترتيباته خارج إطار العمل، وأن يتسم بروح المبادرة، فهي أفضل وسيلة للدفاع.

6

سرعان ما انتقل يوي شان تشينغ إلى منزل أكبر بعدما تمت ترقيته إلى منصب نائب قسم، وبمجرد أن انتهى من التجديدات والإصلاحات، دعا عددًا قليلاً من رفاقه المعروفين لبعضهم من ذوي المناصب العليا إلى بيته لتناول الطعام، فسأل سونغ يون هوي تشنغ كاي يان هل ستذهب أم لا، وكانت تشنغ أشد ما تكره هو يوي شان تشينغ الذي كان يسعى خلفها فيما مضى، كما كانت تكره النفاق، مما جعلها تمتنع عن الذهاب، فذهب سونغ بمفرده.

كانوا جميعًا شبابًا مغرورين في الثلاثينيات من عمرهم، فحينما التقوا لم يكونوا متكلفين، ذهبت زوجة يوي شان تشينغ إلى المطبخ لتحضير الطعام، وجاء هو للترحيب بالضيوف. ما إن رأى سونغ يون هوي حتى مَدَّ يده معطيًا إياه لفافة تبغ، وعلى الرغم من أن سونغ لم يكن يدخن، ولكنه ما إن رأى العبوة حتى عرف أنها من ماركة الأصدقاء. كانت الأحاديث الدائرة حينها عن ارتفاع الأسعار والاكتمال الذي صار في كل مكان، ولم يُستثنَ هنا من ذلك، فأحدهم يقول إن مطبخهم به أكوام من المؤن حتى إنه لا يتسع لموضع قدم، والآخر يقول إنه اشترى من المناشف ما يكفيه لعشر سنوات قادمة. تطلع سونغ فوجد يوي ليس متحمسًا للحديث، فلم يتحمس هو الآخر، لقد سمع كثيرًا في الآونة الأخيرة شكاوى وتعليقات من الجميع حول ارتفاع الأسعار، ولكن لم تصل إليه شكاوى من عند لي دونغ باو، فهم يتوسعون في طرق كسب المال، فمن سيلقي بالأى إلى التحكم في الارتفاع الطفيف للأسعار؟ غالبًا ما كان يوي هكذا هو الآخر، ولكن سونغ لم يكن كذلك، فقد كان يشعر أن حساب المال بالقرش لا معنى له. اقترب من يوي شان تشينغ الذي لم يشترك في الحديث وقال له: «هل يمكنني رؤية مكتبك؟».

اصطحبه يوي شان تشينغ إلى حجرة المكتب قائلاً: «المثقفون يخسرون دائمًا، لقد جعلنا المصنع الرئيسي نحن دودتي الكتب مسؤولين عن المبيعات الداخلية والخارجية، إنه لقرار في غير محله». وما إن دخل حتى وجد صفيين طويلين من الكتب.

وقعت عينا سونغ في البداية على القيثارة المعلقة على الحائط، فتناولها وأخذ يحرك أوتارها بأصابعه، وتذكر تلك الأيام التي كان ما يزال يسكن فيها بالمهجع الجماعي، فضحك وسأله: «أما زلت تعزف؟».

أخذ يوي شان تشينغ القيثارة منه مرتبكا، ولم يحرك ساكنا، ثم نظر عن يمينه وعن يساره وقال: «لا تتوفر بيئة العزف، لا يوجد ذلك الحماس، لمن أعزف؟». فقال سونغ يون هوي متحيرا: «لليو تشي مينغ».

ابتسم يوي شان تشينغ قائلاً: «ليس من السهل العثور على أذان موسيقية، لو جئت بأي فتاة إلى هنا ستشاهدني وأنا أعزف بعيون مغرورة بالدموع، ولكنني لن أشعر سوى بأنني أعزف أمام بقرة لا تفهم شيئاً، أنا أفضل أن أعزف أمامك، حينما أراك ترتدي قميصاً بياقة مشدودة أسفل سترتك الصوفية، أكون على استعداد تام للعزف من أجل أن أسمعك».

تأثر سونغ يون هوي بكلامه وقال: «أنا لا أفهم في ذلك، حقاً لا أفهم».

«لا تكن متواضعاً، تقول زوجتك في روضة الأطفال إنك تستمع إلى الموسيقى الأجنبية التي تحضرها معك من متجر كتب شانغهاي للغات الأجنبية».

«لا يختلف الأمر كثيراً عنه حينما أقرأ كتباً تقنية، كلها أدوات، دعائم ينبغي عليّ استخدامها حينما أعمل».

«تخيل معي رجلاً شاباً يبدو بسيطاً وهو يرندي ملابس العمل،
يدندن موسيقى «ضوء القمر» لبيتهوفن، ويتغنى بأوبرا فاغنر، كم
سيكون صادمًا أمام الأجانب. يقول الأمين شوي إنك تفعل أي
شيء بضمير، وأنا أقول إنك تملك جلدًا كبيرًا عند القيام بأي شيء
يصعب على الأشخاص العاديين التحلي به».

ابتسم سونغ يون هوي قائلاً: «أي أن أسلوبى غريبٌ وقبيح».
ثم أشار إلى المكتبة المكونة من صفي كتب وقال: «الإقبال على
مثل هذه الكتب نادرٌ جدًّا، ولكنها تبين أي نوع من الأشخاص
تكون أنت».

«هذه أيضًا دعائم، دعائم خادعة، مع الأسف لا أستطيع
استخدامها في موقفى المتحفظ حاليًا، أنا الآن في حاجة إلى
موسوعة الأمثال الشائعة، في حاجة إلى أن يكون أسلوبى قبيحًا،
أي منحط وفقًا لكلمتك الشائعة، منحط، هاها». لاحظ سونغ
يون هوي أخيرًا أنه يحاول بناء علاقة معه، فقال مبتسمًا: «جملتي
الشهيرة تقول: لا يمكن أن يكون الإنسان منحطًا هكذا. قل لي يا
يوي الصغير ماذا تريدني أن أفعل».

لم يتخيل يوي شان تشينغ أن يطرح سونغ يون هوي ذلك
بنفسه، فشرع للحظة بالإحراج والانفعال، وقهقهه ثم قال: «إنه من
المُريح أن تتحدث إلى شخص ذكي. هذا صحيح، إنني أريد أن
أطلب منك مساعدة يا سونغ الصغير، وهذه المساعدة لا يستطيع
أي أحد غيرك تقديمها لي».

فهم سونغ يون هوي تقريبًا ما كان يريد منه، ولكنه تظاهر بعدم المعرفة: «هذا شرف كبير لي أن تطلب مني شيئًا ما بصفتك نائب قسم، فأنتي لي بكل تلك الأهمية! هل هناك منتج ما يحتاج إلى التصدير؟».

فرد عليه يوي شان تشينغ على عجل: «كيف لي أن أجرؤ على التدخل في شؤون التصدير، اسمع، يُريد مشتري كبير شراء جزء من منتجات الورشة الجديدة لاستخدامها كمواد خام لإنتاج منتجات التصدير الخاصة بهم. ولكنني عندما سألت سمعت أن جميع منتجات الورشة الجديدة لشهرين قادمين سيتم تسليمها لقائمة الطلبات الخارجية الخاصة بك، ومن المستحيل أن تعطيني ولا طناً صغيرًا. لذلك لم يكن أمامي سوى أن أطلب منك استثناءً لي، أريد منك ألف طن، وهذا المشتري في الحقيقة يعتبر عميلًا مهمًا جدًا بالنسبة للمصنع العام».

حدث سونغ يون هوي نفسه بأنه كان متوقعًا لهذا، وقال له: «يوي الصغير، عليك الإسراع في هذا الأمر، فلتتعجل وتحدث مع الأمين شوي، اجعله يسمح للمنسق العام بأن يرتب الإنتاج في الورشة الجديدة».

ضحك يوي شان تشينغ بمرارة قائلاً: «وهل كنت لأحتاج إليك لو كان الأمين شوي هو من يستطيع ترتيب هذا الأمر؟ لقد قال المنسق العام أن القدرة الإنتاجية لا تتحمل أكثر من ذلك، وذلك نظرًا لعدم تدخل الأمين شوي في ترتيب الأمر، كما أن طلبات التجارة الخارجية الخاصة بك وقتها ضيق ولا يمكن تأجيلها، وإذا

تأخرت سيُدفع تعويض بالدولار الأمريكي، إنه لمن المستحيل ترتيب الألف طن الخاص بي».

«ماذا ترى إذا؟» بسط سونغ يون هوي يديه وقال مبتسمًا: «إن منتجات الورشة الجديدة في الأصل مخصصة للتصدير، وقد وقعت على قائمة الطلبات في وقت محدد، وتم هذا التوقيع أيضًا وفقًا للقدرة الإنتاجية للمعدات، فلم يبق سوى القليل من الوقت تقريبًا، وإلا ستراكم منتجات الورشة في المستودع، وسيحدث عدم اكتفاء من عائدات النقد الأجنبي، وإذا أثر ذلك في المكافآت ستكرر حادثة الخسارة التي وقعت في الوزارة العام الماضي مرة أخرى، وسيواجه لي اللوم ثانية».

ردّ عليه يوي شان تشينغ: «سمعتُ أنه في مرة من المرات أراد عميل قديم زيادة الكمية مؤقتًا، وأنت وافقت على ذلك، وسلّمت البضاعة في الموعد المحدد بالجودة والكمية نفسها، فلا بد إذن من وجود طريقة ما، فلتعدني اليوم أن تفعل ذلك مرةً أخرى، وإلا بلغت الأمين شوي وطلبت منه أن يتحدث هو إليك». فقال سونغ يون هوي ضاحكًا: «لقد حدث هذا بالفعل، لكنها كانت طلبية من الخارج، لم يكن أمامنا سوى قبولها في الورشة الجديدة، لكن كلفني هذا ضررًا كبيرًا؛ إذ عملتُ لأسبوع كامل ليلاً ونهارًا في مراقبة الإنتاج. أما بالنسبة للطلبات التي من الداخل، فإنني أفضل أن تكون بموافقة الأمين شوي».

«يمكن للأمين شوي أن يوافق، لكن وبعدها يوافق ألن يستوجب على الورشة الجديدة أن تلجأ إليك لزيادة الشحنة؟

هل من أحد سيجرؤ على تحميلها لو لم تذهب لمراقبة الإنتاج؟ علاوة على ذلك فإنني لا أستطيع مُضايقة الأمين شوي بالتحدث إليه في كل صغيرة وكبيرة، وأجعل الآخرين يقولون إنني أستغل علاقتي القوية به. وفضلاً عن ذلك فعصفور في اليد خيرٌ من عشرة على الشجرة، وأنت المسؤول المباشر عن الأمر، وهذا أفضل من اللجوء لمسؤول أكبر، فمن لا يعرف أن كلمتك مسموعة ولها ثقلها في الورشة الجديدة، وإذا ما عزمت على الأمر فمن في الورشة لن يستمع إليك؟ ساعدني في المراقبة لثلاثة أيام فقط، أرجوك».

«إنك تتعجل في الأمر، لن أراوغك في الكلام، لأكن صريحاً معك، أمر كهذا لا يمكن فعله مرتين، أخشى أن يُساء فهمي إذا ما كسرت قوانين الورشة الجديدة لأكثر من مرة. عليك أن تحصل على الموافقة لهذا الأمر من المصنع الرئيسي وفرعه الأصغر بالترتيب، إن زيادة عدد ساعات عملي في الورشة الجديدة أمر لا يمكن أن تحدده وحدك».

كان يوي شان تشينغ شخصاً مرناً، ففهم المقصود فوراً وتكدر وجهه. صحيح، إن مدير الورشة الجديدة هو نفسه المدير السيد مين، ولقد كان على خلاف مع سونغ يون هوي فيما سبق، ومن ثمّ تم نقله بعدها إلى قسم النقل والمبيعات للعمل في التصدير، والجميع يعرف ذلك حتى المدير الرئيسي، وبالطبع فإنه لا يستطيع التدخل في أمر الورشة مرارًا وتكرارًا. قال متفهمًا: «يبدو أنه من الأفضل التحدث إلى الأمين شوي ليتدخل في الأمر». فإن المدير يكن احترامًا للأمين شوي فحسب.

ضحك سونغ يون هوي قائلاً: «هذا هو السبيل الوحيد. أما بالنسبة لما بيننا فلا داعي لكل ذلك التكلف على الإطلاق، يكفي أن تهاتفني فقط وسأفعل ما تريد».

ربت يوي شان تشينغ على ظهر سونغ يون هوي وقال مبتسماً: «نعم، ولكنّ التهذيب لن يكلفني شيئاً، أليس كذلك؟ فلتختر كتاباً وخذه لك أيّاً كان». فتبسم سونغ يون هوي قائلاً: «فلتخرج أنت لتقم بواجب الضيافة ودعني أختَر على مهل».

ربت يوي شان تشينغ على سونغ يون هوي بوذّ مرة أخرى ثم خرج. أعاد سونغ يون هوي الذي كان بالداخل التفكير ثانية، وشعر أنه لم يخطئ، فهكذا كان ينبغي أن يرد عليه. في الحقيقة لقد كانت كلمته مسموعة في الورشة الجديدة، ولكنه قال في نفسه كيف يمكن أن يفعل أمراً من أجل يوي شان تشينغ؟ ما يقوم به يوي شان تشينغ سينكشف يوماً ما، فلا يمكنه أن يوهم الناس بأنه متعاونٌ معه. علاوة على ذلك فإنه يعلم أن عيني المدير مين تراقبه في الورشة، ولقد وصل إلى هدفه حتى الآن، فعلامٌ يستمر في إثارة أعصابه؟!

كانت الأطباق متنوعة تحتوي على قريدس كبير نادر.

بعدها عاد إلى البيت ورأى بيته الخالي من الأثاث، ثم أعاد التفكير في بيت يوي شان تشينغ الجديد ذي الأثاث الفخم، لم يتمالك نفسه أن شعر ببعض الغيرة، فمنذ وقت ليس ببعيد كان يوي شان تشينغ دائماً ما يتعمد تجنبه ولا يتحدث إليه ولو بكلمة إذا ما قابلته، أما الآن فقد بادر إلى دعوته على الطعام، بل ووضع

عنه رداء الغرور وصرار يتوسل إليه طالبًا منه أمرًا ما وعلى وجهه ابتسامة تواضع، إن هذا كله لا ينم سوى عن مسألة واحدة: لقد قويت شوكة يوي شان تشينغ، لكن يرجع ذلك إلى ثقته بأن علاقته قوية بالأمين شوي. استمر في تساؤلاته بينه ونفسه للعثور على أسباب قوية، وفكّر أنه وبلا شك فإن يوي شان تشينغ يملك نفس المؤهلات التي يحملها هو، ولكن راتبه لا يضاهيه، بل واستطاع السكن في منزل فخم، يشتري سجاثر ونبيد من الماركات الغالية الراقية، هذا كله يتمتع به وحده. ماذا لو أراد يوي شان تشينغ، الذي يجيد اللغة الإنجليزية أيضًا، وفي ظل علاقته الجيدة بالأمين شوي أن يطلب منه الانتقال فجأة إلى قسم التصدير؟ لم يسع سونغ يون هوي سوى الشعور بأنه سيكون في ورطة.

وكما هو المتوقع، صعّد يوي شان تشينغ أمر زيادة الإنتاج للأمين شوي، الذي بدوره أعطى الأمر مباشرة للفرع الخاص بالمصنع والمنسق العام، فذهب سونغ يون هوي على تخوف لمساعدة يوي في هذا الأمر، لكن ما جعله حزينًا أن سعر البيع الذي سيبيع به يوي هذه الطلبية المحلية أقل بكثير من سعر التصدير، مما سيكبّد ورشة جينتشو خسائر كبيرة، ومع ذلك فماذا عسى سونغ يون هوي أن يفعل؟ لم يفهم من هذا الأمر سوى مدى توطد علاقة الأمين شوي بيوي.

إذا لم تتمتع بالبصيرة فدائمًا ما سيلاحقك الضرر، لم يجد سونغ يون هوي بُدًا من التفكير في طريقة يُثبّت بها أقدامه في قسم التصدير وفي الورشة الجديدة، ومن ثمّ أخذ يحتفظ ببعض الأمور

لنفسه عمداً حينما كان يعلم الآخرين كيفية إتقان تقنيات العمل، فمن الأفضل له أن يتعب قليلاً، ويتنقل راکضاً بين الورشة الجديدة وقسم النقل والمبيعات، لئلا يأتي اليوم الذي يركله فيه شخصٌ آخر بعيداً عن المكان فجأة. أما بالنسبة لقسم التصدير، فنجاحه من فشله فيه يتوقف على ما يفكر فيه الأمين شوي.

بعدما انتهوا من هذا الأمر ذهب سونغ يون هوي في رحلة عمل، إذ ترغب الشركة الإقليمية لاستيراد وتصدير المواد الكيميائية في العمل كوكيل لأعمال التصدير لمصنع جيتتسو الرئيسي، فمن خلال بعض الصداقات وتكليف أشخاص لأشخاص آخرين توصلوا إلى الأمين شوي، والذي قام بدوره بالبحث عن سونغ للتحدث معه. كان الأمين شوي بالطبع ليضع شروطه في البداية، ولكنه فقد هيئته أمام سونغ، أما عن كلام الأمين شوي فلم يعد بالنسبة لسونغ يون هوي كالمرسوم الإمبراطوري كما كان في السابق، بل صار يتعامل معه على أنه له خطٌ أحمر، وفيما قبل هذا الخط الأحمر ثمة تسع من المجال يمكنه التصرف فيه، كان الخط الأحمر الذي استشفه سونغ يون هوي من كلام الأمين شوي هذه المرة هو أن له كل التصرف في قبول العمل مع شركة الاستيراد والتصدير أو لا، ومن ثمّ تمكن سونغ من ترك المفاوضات مع هذه الشركة، لقد أراد أن يضع يده على قيمة رسوم الوكالة، وعلى الرغم من أن المال لن يدخل في جيبه، ولكنه أراد أن يحاول.

كان سونغ يون هوي يتحدث بثقة وحرية كبيرة، لكن بعدما تعرف على مزايا الرعاية الاجتماعية التي تقدمها الشركة خلال

المناقشة، وبخلاف تقرير رسوم الوكالة المتفق عليها، اقترح بعض النقاط الإضافية منها شرط تعيين موظفين في الشركة، فوجد مدير الشركة صعوبة بالغة في الموافقة، ولكنه صرَّ على أسنانه موافقاً في النهاية حتى بعدما علم برسوم الوكالة الضخمة المتوقعة في ورشة جينتشو.

عاد سونغ يون هوي بعد ثلاثة أيام إلى جينتشو، فأعطته زوجته علبة صغيرة، حينما فتحها وجد فيها قلادة جميلة من اللؤلؤ الأرجواني، وقالت له إن زوجة يوي شان تشينغ جاءت إلى بيتهم أول أمس للدراسة معهم، وأصررت بينما كانت مُغادرة على إعطائها هذه الهدية شكرًا لها. أخذ سونغ يُقلِّب في القلادة سائلاً تشنغ كان يان عن سعرها، فأخبرته أنها لا تعرف، وأنها لم ترَ مثلها في بازار المدينة، ولكنها تخمن أنها تساوي بضعة مئات من اليوانات.

نظر سونغ يون هوي إلى اللآلئ الجميلة، ثم أعاد النظر إلى تشنغ كاي يان، فوجد عينيها تلمعان من فرط الإعجاب بالآلئ، مما جعله يطلب منها أن تعيد القلادة إلى زوجة يوي شان تشينغ كما جاءت، وقد كان يخشى بالطبع من أن تخطئ تشنغ في الكلام ولا تستطيع إعادة القلادة، ففكَّر في تعلقة مناسبة وأخبر تشنغ بها، فهو لم يكن يريد أن يربطه شيء بيوي شان تشينغ يجعله يتواطأ معه في الفساد.

بعدما عاد سونغ يون هوي إلى العمل مرة أخرى أخبر الأمين شوي بنتائج المفاوضات مع الشركة الإقليمية لاستيراد وتصدير المواد الكيميائية، وخاصة تلك الشروط المضافة إلى الاتفاق،

فحينما رآه قال له مباشرة إنه يرى الشروط الملحقة تناسب السيد شوي للغاية، إذ أخبره بأنه تفاوض مع الشركة وفقاً للشروط التي وضعها السيد الصغير شوي، وأن الشركة قد قبلت ذهابه هو وزوجته معاً إلى هناك، بالإضافة إلى ذلك فبالنظر إلى المسافة المقطوعة بالقطار بين الشركة وورشة جيتتسو فهي ليست ببعيدة جداً عن البيت، كما وضع له باقي التفاصيل فيما يخص المسكن والدخل وغيرها من مزايا العمل، وقد فكر وبينما يتحدث أن أحد أبناء الأمين شوي بعيداً في شانغهاي، والآخر عالق في العمل بجيتتسو وليس جيداً بما يكفي لتولي منصب رفيع، ومن الأفضل له الذهاب إلى الشركة الإقليمية لإجراء تحسينات شاملة، وعلى كل حال فلن تجرؤ الشركة على التعامل مع السيد الصغير بشكل سيئ لطالما كان سونغ يون هوي داعماً له.

سعد الأمين شوي كثيراً بهذا، وقال له فوراً إنه من المناسب ذهاب ابنه وزوجة ابنه إلى هناك، كما شكر سونغ يون هوي على تفكيره في هذا الأمر بشكل شامل، ومن ثم بدأ يناقشه بالتفصيل عن الخطوة التالية وكيفية تجهيز ابنه لهذا العمل، بل وطلب من سونغ يون هوي أن يتولى المسؤولية الكاملة لمتابعة هذا الأمر، بما في ذلك متابعة العمل في ورشة جيتتسو والشركة الإقليمية.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أفاد فيها سونغ يون هوي من سلطته في تحقيق مكاسب شخصية، فحينما خرج من مكتب الأمين شوي شعر بالندم على انحطاطه، وقال مُحدثاً نفسه إن دوره صار واضحاً كلاعقٍ للأحذية، وإنه لم يعد مختلفاً في شيء عن

يوي شان تشينغ وصار متآمراً مثله تماماً. والسبب في ذلك بسيطٌ جداً: فإن رضي عنه السادة سيكون في أفضل حال. كان يبحث لنفسه عن تبرير، فقد قال الأمين شوي إنه لن يستمر في الميل نحو يوي شان تشينغ دائماً، وذلك من أجل ابنه الذي يعمل في التجارة الخارجية، وأنه سيجعل الورشة الجديدة غالباً ما تنتج منتجات محلية منخفضة السعر. لقد لجأ لهذه الحيل لآلا تتدهور الورشة الجديدة، كان يعزي ضميره بأنه لن يخرج بأي مصلحة من هذا الأمر، وأنه يفعل هذا كله لأجل حبيبته الورشة الجديدة، وحاول جاهداً أن يتجاهل أهدافه الأخرى بقدر الإمكان.

حينما عاد بتفكيره إلى الوراء، وجد أنه كان يستصعب كثيراً القيام بمثل هذه الأمور الفاسدة، لكن وبعدهما تورط فيها فقد علم أن ثمة الكثير من الأشياء التي يعتقد الجميع أنهم على دراية جيدة بها، ولا يقترحها سوى القليل منهم، لكن وما إن تصير الظروف مواتية تصبح مثل هذه الأمور موضع انتهاز للفرص وتحقيق للأهداف.

رفض سونغ يون هوي قبول هدية يوي شان تشينغ، مع ذلك فلم يستطع يوي شان تشينغ مراوغته، ومن ثمَّ فحينما كان يتوسل إليه لم يسعه سوى أن يحاول فهم تلميحات سونغ يون هوي ويستمع إلى شكواه، إذ تأفف من التدخل الدائم في عمل الورشة الجديدة، وكان ينظر إلى ردة فعل الجميع، فضخَّم يوي شان تشينغ هذا الكلام ونقله إلى الأمين شوي، مما جعل الأمين شوي يمارس الضغط عليه ويأمر بسرعة بإرسال شحنات البضائع في الورشة الجديدة. لم يكن سونغ يون هوي ليخبر الأمين شوي

بكل تلك الشكاوى، ولكن يوي شان تشينغ، ولحاجته الشخصية، هم بنقلها جميعها إليه، مما أدى إلى انزعاج الأمين شوي بشدة بعد تكرار هذا الفعل لعدة مرات، وعلم أن هذه العلاقة لا يمكن ألا تستقيم، وإلا تخلى سونغ يون هوي عن العمل، بالإضافة إلى أن سونغ يون هوي كان في ذلك التوقيت لا يستطيع ترك العمل في قسم التصدير، كما أن قسم التصدير في حاجة إليه، مما جعل الأمين شوي يتراجع ويختار الرجل المناسب لهذا الأمر، وسمح لسونغ يون هوي بتجاوز العمل في المكتب وتولي وظيفة إضافية في الورشة الجديدة، فحينما رقا له لمنصب نائب المدير، فهم يوي شان تشينغ حينئذ أنه تم استغلاله بواسطة سونغ يون هوي، ولكنه لم يتمالك سوى أن يتلع هذه الخسارة ويغلق فمه.

أما عن سونغ يون هوي فقد فهم ضمناً أن لهذه الوظيفة علاقة كبيرة بسرعة تولي ابن الأمين شوي لمنصبه في المقاطعة، وبالنسبة إليه فقد استطاع أخيراً العودة إلى الورشة الجديدة للعمل فيها بكل صدق وإخلاص.

في ذلك الحين جاءت الأخبار مع ليانغ سي شن التي لم يُسمع عنها شيء منذ فترة طويلة، وقبل أن تتمكن من كبح جماح غضبها والاستعداد لإبلاغ وسائل الإعلام بالأحداث، استسلم جدها وأخوالها، وتمت تسوية الأمر ودياً معهما خارج المحكمة، وأعطوها مبلغاً مرضياً لها، إذ كان ذلك المبلغ كافياً للدراسة والاستقرار في منزل، ولكنهم أيضاً وبخوها بوصفها شخصاً جاحداً وناكراً للجميل، وحذروها من الذهاب لبيت جدها ثانية، إنها على

وشك الالتحاق بالجامعة في الخريف، وقد استلمت إشعارًا بقبولها في جامعة مرموقة، واستعدت أن تعود إلى الوطن بعد التخرج من المرحلة الإعدادية لتناقش التفاصيل معهم وجهاً لوجه.

استطاع سونغ يون هوي أخيراً أن يتنفس الصعداء من أجل ليانغ سي شن، ولكنه حينما أخبر تشنغ كاي يان بموعد عودة ليانغ سي شن إلى الوطن صارت قلقة بعض الشيء، بل وظهر القلق عليها لعدة أيام. وانطلاقاً من قلق تشنغ كاي يان العميق، أخطأت في تناول وسائل منع الحمل، ولم يمر الكثير من الوقت حتى صارت حاملاً كما هو المتوقع، وجعلها الحمل تشعر وكأنما ثمة حملاً كبيراً قد أسقط عن كاهلها، وجعل زوجها يطير فرحاً. لكنها في الحقيقة لم تكن لتحمل حرص سونغ يون هوي الشديد عليها، ففي بداية الأمر انتهز فرصة ثقتها فيه وذهب للعثور على طبيب أمراض نساء وتوليد معروف، ومن ثم استفسر منه عن الاحتياطات المطلوبة، بعد ذلك أخذ يطالع يومياً الكتب التي لها علاقة بالأمر، ويملي عليها تعليمات لا تعد ولا تحصى كل يوم، حتى إنه تمنى لو استطاع أن يربطها بحبل في السرير إلى أن يتم حملها. شعرت تشنغ كاي يان بحلاوة اهتمامه الشديد بها، وعلى الرغم بشعورها أن سونغ يون هوي يبالي في الاهتمام بها على إثر وفاة أخته بسبب إجهاضها، ولكنها كانت مستمتعة بهذا الاهتمام، وصارت أكثر امرأة حامل سعيدة على وجه الأرض.

صار سونغ يون هوي مشغولاً كثيراً بعدما عمل بدوام جزئي في الورشة الجديدة، ولكنه كان يفضل أن يكون مشغولاً على أن

تكون زوجته مشغولة هي الأخرى، فقد كان يهتم بإنجاز الأعمال المنزلية بشكل جيد، كانت تشغ كاي يان دائماً ما تشفق على زوجها بسبب هذا الانشغال، ولكنه لم يكن متعباً أو مرهقاً، بل على العكس من ذلك صار يشعر بأن له هدفاً واضحاً يتطلع إليه في الحياة، وأصبحت حياته لها معنى أكثر من ذي قبل. كان سونغ يون هوي قلقاً فقط من أنه لن يتخلص من مخاوفه إلا حينما تلد تشغ كاي يان الطفل، وتكون الأم والابن كلاهما في أمان.

كانت جيتشو أشبه بعملاق بطيء الخطى، ولكنه سريع وحاسم في تشغيل المنظومة الهرمية. لم يمض وقت طويل على ترقية سونغ يون هوي إلى منصب نائب المدير، ولم يكن في حاجة إلى تقديم أي طلبات إلى الأقسام ذات الصلة، فقد أرسلت له الأقسام المعنية كل شيء بالفعل إلى باب مكتبه وعلى وجوههم ابتسامة عريضة، كما سلموه بضعة مفاتيح، وطلبوا منه أن يختار المنزل الذي يعجبه من بين مجمع منازل المديرين. كان مصنع جيتشو الرئيسي يعمل به عشرات الآلاف من العاملين، والآلاف من الكوادر على مستوى الأقسام، لكن لا يوجد سوى بضع مئات من الكوادر على مستوى الإدارة. تقدر قيمة الشيء بما يتناسب مع ندرته، فحينما يتم ترقيتك لمنصب إداري في جيتشو يتطلع إليه الكثيرون في الأصل، يمكن لهذا الفائز بالمنصب المرموق أن يحظى بطبيعة الحال بمزايا مفيدة بسهولة، حينها لن يكون في حاجة إلى فعل أي شيء، فسوف يأتي الناس بأنفسهم لتملقه والتودد إليه.

كان سونغ يون هوي، ذلك الرجل الذي نشأ في الريف وكان قريباً دائماً من الناس، قلقاً بشأن حمل زوجته وصعودها وهبوطها

على الدرج، لذا اختار منزلاً مكوناً من طابقٍ واحد، وكانت الواجهة الأمامية والخلفية للمنزل محاطة جميعها بمساحة واسعة مفتوحة، كما حدد الموقع الجغرافي المميز لمجمع منازل المديرين مساحة واسعة بين المباني وبعضها، مما جعله غير قلق بشأن وصول أشعة الشمس للطابق الأول من المبنى. وعلى الرغم من أن هذا المنزل لم يكن واسعاً جداً مثل منزل المدير تشنغ، ولكنه كان يحتوي بالفعل على أربع غرف وغرفة معيشة، وكانت غرفة المعيشة فسيحة واسعة يمكن التجول فيها بدراجة، بل ويمكن أن تكون هذه الدراجة كبيرة مقاس ثماني وعشرين بوصة. طُلِيَ المنزل بالفعل من الداخل، وغطيت جميع الأرضيات الأسمتية ببلاط أبيض مزخرف بزهور حمراء وأوراق أشجار تميل إلى الزرقة، أما أرضية المرحاض فتمت تغطيتها بالفسيفساء، كما جُهِّزَ بمرحاض نادر باللون الأبيض الثلجي وحوض غسيل عمودي من البورسلين أبيض بلون الثلج أيضاً، وتمت هذه التجهيزات كلها للتو مع بداية العام الجديد تزامناً مع تجهيز منزل المدير.

ومع ذلك فلم يكن منزل سونغ يون هوي الحالي المكون من غرفتين وغرفة معيشة يحتوي على ما يكفي من الأثاث، لدرجة أن به غرفة فارغة من الأثاث، فإذا ما انتقل إلى مجمع منازل المديرين الآن سيكون هذا الأثاث مثل نقطة في بحر. حينما طلب المساعدة من الأصدقاء في النقل، انتظرت تشنغ كاي يان حتى تفرق الجميع، ثم فتحت بابي غرفتين لم يوضع بهما أي شيء وهي مبتسمة، وأشعلت الإضاءة قائلة وهي تشير إلى الداخل: «صحيح، لم نكن نملك المال حينما تزوجنا لتجهيز البيت، الآن وقد عرفنا

أنا سنتقل إلى منزل جديد، فإن أخي الأكبر سيموت من فرط الغيرة يا هوي الصغير».

أخذ سونغ يون هوي يتجول في الغرفة الفسيحة مرتدياً حذاءه الجلدي، وبدا كما لو كان وقع خطواته المتعمدة يتردد صداه، مما جعله يستمع إلى وقع خطواته الواضح شاعراً بالفخر. «نحن الساكنون الأصغر سنًا في مجمع منازل المديرين، وبعد وقت ليس ببعيد سيكون ابننا هو الطفل الوحيد الذي وُلد فيه، لكن ومع الأسف فإن والديك أيضًا يمتلكان بيتًا كبيرًا، كما قامت عائلتي بإنشاء منزل جديد للتو، ولا يحب والداي الانتقال إلى بيت جديد، وإلا كنا لنعيش جميعًا في بيتٍ واحد. سأنتظر حتى يسعفني الوقت لأجهر هذه الغرفة من أجل ابننا، وسأجعل تلك الغرفة غرفة مكتب، سأضع فيها مكتبين لأجلس فيها فيما بعد مع ابني أقرأ الكتب ويقوم بأداء واجباته المدرسية، أما عن تلك الغرفة فسأجعلها لك لمشاهدة التلفزيون، أما عن غرفة المعيشة الفسيحة... ماذا سنفعل بتلك الغرفة الفسيحة... هاها».

لكن وعلى كل حال فلن يعيش معهم أحد آخر، لذا ردت عليه تشنغ كاي يان دون أن تخاف من شيء: «يكفي مكتب واحد في غرفة المكتب، فنحن لا نعرف ما إذا كنا سنتقل إلى بيت جديد مرة أخرى ونكون جيرانًا لأبي قبل أن يلتحق ابننا بالمرحلة الابتدائية أم لا، هذا الأمر ما زال مجهولاً. أريد زراعة الزهور في فناء المنزل، كما أريد تربية قطة ليلعب معها ابننا فيما بعد».

أخذ الاثنان يضحكان ويمزحان لبعض الوقت، ثم خفضت تشنغ كاي يان صوتها فجأة، وسألته بابتسامة مأكرة: «هل ستقوم

بعد توليك منصبك الجديد بفعل شيء يكسبك الهيبة؟ فلتخبرني، هل ستطرد أحدًا من وظيفته؟».

رفع سونغ يون هوي حاجبيه وقال ببعض الغطرسة: «هل هناك حاجة لطردهم؟ ليست هناك حاجة. هذا لأنني لم أترك الورشة الجديدة قط. الشيء الوحيد الذي سأقوم به هو أنني سأضمن مكانتي الخاصة في الورشة، وسأعمل فيما بعد على زيادة اعتماد الورشة عليّ».

قالت تشنغ كاي يان متشككة: «ولكن... ألا يقول الجميع إن الورشة الجديدة لا يمكنها الاستغناء عنك؟».

قال سونغ يون هوي بفم مرتعش: «هذه مجرد ظاهرة قصيرة المدى، فمع مجيء الكثير من الطلاب الجامعيين إلى الورشة الجديدة، سرعان ما سينافسني أحد في تمييزي هذا، وحينما تضيق الفجوة التي بيني وبين الآخرين إلى حد معين مقبول، لن يكون وضعي مستقرًا، إن كل ما أريد فعله الآن هو تحسين التجارة والإنتاج وتطوير المنتجات والتقنيات الجديدة، حتى بما في ذلك تحسين المعدات وما إلى ذلك، وأن أعمل على التحسين الشامل للريادة التكنولوجية في الورشة الجديدة، وأن أسعى جاهدًا لتحقيق القدرة التنافسية في السوق الدولية، ومن ثمّ تعزيز دوري القيادي بالتبعية».

كانت تشنغ كاي يان تنظر إلى سونغ يون هوي نظرة عشق، وقالت له: «إذن فلا بد وأنت ستكون مشغولاً حد الموت، أليس كذلك؟».

«سأكون مشغولاً، ولكن لن أموت، كلما كان الإنسان مشغولاً طال عمره، فالمياه الجارية لا تفسد، ومفاصل الأبواب لا يأكلها الدود أبداً. إنني لم أفهم السوق الدولي حقاً إلا عندما احتككت برجال الأعمال الأجانب كثيراً، فقد كانت المعلومات التي اطلعت عليها من قبل في الصحف والمجلات محدودة جداً، علاوة على ذلك فإن معظم الأشياء التي كتبها أشخاص يعملون خارج هذا المجال محدودة للغاية، إنني عازم على دراسة كيفية التقدم خطوة إلى الأمام في تحسين الجودة استناداً على المعدات المتقدمة الموجودة في الورشة الجديدة، وفي الوقت نفسه فعليّ حشد وتوجيه طلاب الجامعات المنضمين حديثاً إلى دراسة تقنيات إعادة التأهيل، والنظر في ما لم يتم الاستفادة من الإمكانيات لإعادة تأهيله وإمكانية توفير التكاليف. لقد استوردنا منذ وقت ليس ببعيد معدات جديدة، واستوعبنا التقنيات الحديثة، أما الآن فعلينا أن نتقدم خطوة في التحسين على أساس ما استوعبناه، إنني أريد من الورشة الجديدة أن تركز معي بدءاً من الاستيراد، مروراً بالاستيعاب، وحتى التحسين، فلا يمكن لأحد أن يأخذ قسطاً ليستريح، وإذا تمكناً يوماً ما من تصدير التقنيات، فسيكون هذا هو النجاح الحقيقي».

لم تفهم تشنغ كاي يان ما قاله بشكل كامل، بل لم تفهمه أصلاً، لكنها وعلى كل حال كانت تنظر بعينين لامعتين إلى زوجها المُتقدِّد حماسةً وطموحاً وهو يجلس أمامها، وبما أنها لا تفهم، فلن تتظاهر بالفهم، كانت تستمع إليه فحسب بوصفها شريكة حياته، وتدير أعمال منزلها الصغير جيداً. كان جُل ما يشغلها بالتخطيط

له حاليًا هو الفناء الأمامي والخلفي لمنزلها، وماذا يجب عليها أن تزرع فيهما؟ فكانت عيناها مليئة بالشوق.

لم يتوقع سونغ يون هوي في الحقيقة ردًا من تشنغ كاي يان، لذا لم يطل الحديث كثيرًا حينما وجدها لا تتجاوب مع شغفه، وسرعان ما بدأ يقرأ كتابه في هدوء يشبه هدوء الرهبان.

7

كان لي دونغ باو هو الآخر شغوفًا ذا حماس متقد عند الحديث عن تطوير شياوليجيا، لم يكن يجيد الكلام كثيرًا مثل سونغ يون هوي، ولكنه كان يجيد الحركة والعمل، فحينما يراه الآخرون وهو يعمل بيديه على قدم وساق، كانت عدوى النشاط والحيوية الصادرة منه تنتشر فيما بينهم.

حان موسم تفتح زهور البرتقال، وكانت رائحتها العطرة تهب في جميع أنحاء الجبل، فتغطي على رائحة الخنازير التتنة. تم نقل جميع منازل قرية شياوليجيا في المرحلة الأولى من إعادة التأهيل، فإذا ما نظرت إلى أسفل من أعلى الجبل، ترى منازل القرية الجميلة المنظمة المكونة من طابقين، جدرانها بيضاء بلون الثلج، وأسقفها حمراء برتقالية، كما يوجد طريق أسمتي فسيح ممهد، مزروعٌ للتو على كلا جانبيه أشجار صغيرة جذوعها في سُمك عيدان الطعام، كما زُرعت الأفنية الأمامية والخلفية للمنازل بأشجار الفواكه المنقولة من المنازل الأصلية للفلاحين، وعلى الرغم من قطع العديد من فروعها، ولكنها ما زالت تُعطي شعورًا

بالظل والانتعاش، بالإضافة إلى الأعلام الملونة التي ترفرف
مُبهِجَةً مع هبوب الرياح، والسعادة التي تغمر الفلاحين الذين
انتقلوا إلى منازلهم الجديدة.

دعا لي دونغ باو تشن بينغ يوان منذ وقت باكر، ولكنّه كان
مشغولاً بعض الشيء، ولم يستطع أن يستقطع وقتاً إلا بعدما استقر
الفلاحون في منازلهم بأسبوع، ومع ذلك فحينما جاء تشن بينغ
يوان أحضر معه اثنين من الكتبة وغيرهم من الموظفين الآخرين
المعنيين، واضطر لي دونغ باو إلى ترك هذه الأعلام المعلقة
أسبوعاً إضافياً تحت أمطار الربيع المستمرة.

تسلك تشن بينغ يوان ومن معه من القادة الجبل بمجرد
وصولهم، ثم دخلوا القرية مباشرة، وسرعان ما سأل مسؤول
البناء الحضري عن أعمدة الكهرباء والصرف الصحي، أما القادة
الموجودون فعلى العكس رأوا أن الطريق واسعٌ للغاية، وأنه لمن
الرفاهية الشديدة وضع رصيف للمشاة على كلا جانبي هذا الطريق.

كان تشن بينغ يوان متفهماً للي دونغ باو، فأشار إلى المنازل
الجميلة المحيطة سائلاً إياه: «هل جعلت أحدهم يقدم لك هذا
التصميم؟».

فقال له لي دونغ باو بفخر: «إنها من تصميمي، لم أطلب
مساعدة من معهد تصميم، فهل كانوا ليقدّموا لنا تصاميم جيدة
مثل هذه؟ إن تصاميمنا حديثة ومستمدة من وحي تصاميم ألمانيا
الغربية، لقد قدّم لنا صهري التخطيطات العامة، وقام فريق هندسة
البناء التابع لشيأولي جيا بتخطيط رسومات البناء بأنفسهم. فلتكمل

يا شي قن». حينما وجد لي دونغ باو نفسه سيدخل في ثرثرة وصف الموضوع طلب من شي قن الماهر أن يكمل الحديث.

ومن ثمَّ بدأ شي قن يُوضح بالتفصيل: «يوجد في قرينتا عدد ليس بالقليل من الناس الذين يستخدمون الجرارات اليدوية للنقل، ولقد قمنا بتصميم الطريق الرئيسي الذي يصل الشمال بالجنوب بغرض أن يتسع لجرارين متوسطي الحجم، ممل سيسهل على الناس الالتقاء فيه. وقد سمعنا أن طرق المجمعات السكنية في ألمانيا الغربية هكذا يتم تصميمها، فينبغي أن يكون الطريق واسعًا هكذا ليتسع إلى عربات الناس الكثيرة، فبخلاف الجرارات الموجودة في قرينتا، يوجد الآن أربع دراجات نارية، وعددًا لا يحصى من الدرجات الهوائية، وتماشياً مع تنمية حياة الفلاحين، فسوف يزيد عدد من يمتلكون دراجات نارية، لذا ينبغي أن يُخطط طريق للمشاة حفاظًا على أمن وسلامة الناس. وقد تم إنشاء كابلات الكهرباء والصرف الصحي وفقًا لما رآه صهر الأمين لي دونغ باو في ألمانيا الغربية، فقد وُصِّلت جميعًا تحت الأرض وفقًا لهذا التصميم الموجود في ألمانيا الغربية، انظروا».

التقط شي قن لوحًا من الأسمنت، وجعل القادة الزائرين يفحصونها من قرب: «هذا هو الخندق لوضع الكابلات، انظروا، توضع الكابلات كلها فوق الطوب الأحمر، أما الخندق المجاور لها فهو مخصص للصرف الصحي، شيء ما يسمونه الصرف الصحي المنزلي، إذ تتدفق مياه الأمطار في الأيام الممطرة جميعها إلى تلك البوابع، وتعد أكبر ابتكاراتنا هذه المرة هي خنادق الصرف

الصحي، ومن الآن فصاعدًا فلن تكون هناك خزانات للفضلات في قريتنا، فسوف يتم تصريفها جميعًا عبر مجاري الصرف الصحي، لذا فكما ترون قريتنا الجديدة تبدو نظيفة للغاية».

تلقى القادة الحاضرون من المحافظة تلك المحاضرة، ثم سأل أحدهم متظاهرًا بعدم المعرفة: «وأين تقع منازل كلِّ من الأمنيين وعمدة القرية في تلك القرية الجديدة؟».

فردّ عليه لي دونغ باو متظاهرًا أيضًا بالتوضيح: «لا تظن أننا من الفاسدين الذين يقضون مصالح ذوي المناصب العليا أولاً على حساب الأقل منهم، لقد كنا واضحين للغاية في قواعد توزيع المنازل، إذ يتم هدم المنازل بدءًا من الجهة الغربية من القرية، ومن هُدم منزله أولاً يُنقل أولاً، غالبًا ما سيكون الدور على بيت شي قن في الدفعة التالية، أما بيتي فما زال الوقت مبكرًا عليه».

سأل تشن بينغ يوان بأسلوب رفيع: «وما رأي أهالي القرية في عملية الانتقال؟ هل منهم من هو معترض على الأمر؟».

«ومن قد يعترض على مثل هذا الأمر؟ إنهم يتسابقون على النقل أولاً، فقد لاحقني كل من لم يرد ذكر اسمه في هذه الدفعة وطلبوا مني أن أسرع في إنشاء المرحلة الثانية، وكأنني لست متعجلًا بما فيه الكفاية. لسوف تعطيهم القرية بيتًا جديدًا يسكنونه بمجرد الانتقال إليه، فمن لن يعجبه أمرٌ هكذا؟».

واصل تشن بينغ يوان أسئلته: «هل تتبعون طريقة تفكير تركّز على تطوير الأراضي القاحلة عند سفح الجبل أولاً، ومن ثمَّ إنشاء

المنازل مجاناً فوق تلك الأراضي القاحلة، واستبدالها بالأراضي المسطحة الموجودة في أيدي الفلاحين، وفي المستقبل يتم تسوية المنازل المستبدلة وإزالتها، ثم بنائها وتطويرها في مناطق واسعة لحل مشكلة استخدام المؤسسات للأراضي في قرية شياوليغيا؟». فرد عليه لي دونغ باو مبتسمًا: «لا، فإن قرينتنا تملك المال، وهذا يعني أننا ينبغي علينا جعل الجميع يعيشون حياة جيدة». كان هذا هو الكلام الذي علمه إياه سونغ يون هوي، فلم يتذكره كاملاً، إن أحاديث الكتب التي يتفوه بها سونغ يون هوي هذه معقدة للغاية، فأراد لي دونغ باو أن يتكلم بأسلوبه الخاص، ومع ذلك كان المعنى ما يزال واضحًا.

ابتسم تشن بينغ يوان بعدما سمعه، ثم فكر هنيهة، والتف بجسده متحدثاً إلى الكاتب الذي كان خلفه: «إذا ما كتبت هذا الجزء فاكته كما يلي: تنتهز قرية شياوليغيا فرصة الإصلاح الريفي، وتتخذ طريق إعادة تأهيل الاقتصاد الريفي من خلال إنشاء مؤسسات تدار بواسطة القرية، فلا يقتصر الأمر على إثراء أهالي القرية، بل وإثراء الاقتصاد الجماعي، كما يمكن لتراكم إثراء الاقتصاد الجماعي أن يحسن من الحياة الثقافية والمادية للفلاحين، ويعزز من الجانب الروحي والثقافي لديهم، مما يلعب دورًا حاسمًا. هذا هو ملخص ما يقصده تقريبًا».

حينما سمع لي دونغ باو ما قاله تحدث إلى نفسه قائلاً: «ما بال هذا الكلام يشبه ما كتبه سونغ يون هوي له!». سأل تشن بينغ يوان ثانيةً بعدما انتهى من الكلام: «هل تأثر تطوير مؤسسات

القرية بسبب إنفاقكم المال الذي تملكونه كله على تجديد القرية والاهتمام بالرفاهيات؟».

«ليس كليًا، لقد أنفقنا نصف المال على تجديد القرية، والنصف الآخر على توسيع مزرعة الخنازير». حينما يتعلق الأمر بالعمل يسري الكلام على لسان لي دونغ باو، «لقد تحدثت في صُلب ما يشغلني سيدي المحافظ تشن، إذا ما لم أُجدد القرية، ولم أبه لحياة الناس من موتهم، فكم سيكون من الرائع وضع نصف تلك الأموال في مصنع الكابلات الكهربائية! ولكن أليست تلك الأموال قد جمعها أهالي القرية بعملهم معًا؟ فكيف لا أجعل أهالي القرية يستمتعون بها؟ بإمكانني أن أجنبي المزيد من المال بالطبع في السنوات القادمة، وحينما أجنبي ما يكفي أعمل على تحسين معيشة أهالي القرية، لكن حينها سيكون الجميع قد شيدوا منازلهم الجديدة، وسيكون من المثير للشفقة أن نهدمها، علاوة على ذلك فما هو الوقت الذي سنقول فيه إننا جئنا ما يكفي من المال؟ لذا فقد قررت أن أخصص نصف دخل القرية من المال سنويًا في تحسين معيشة أهاليها، وينبغي بالطبع أن أستقطع مبلغًا للتطوير، لكن وإذا ما دعمتنا المحافظة وأقرضتنا المال، وتابعت زخم تطوير قرية شياولي جيا، فلن نسدد القرض في الموعد المحدد فحسب، بل ويمكننا أن نظور المؤسسات التي تديرها القرية بشكل أفضل، سيدي المحافظ، ينبغي عليك أن تدعمننا».

ردّ عليه تشن بينغ يوان هذه المرة مباشرة: «سأرتب الموضوع في الأسبوع المقبل، فلتحضر دفاتر الحسابات إلى المحافظة

لحضور الاجتماع، وسوف أدعو الموظفين المعنيين في البنك الزراعي والاتحاد الائتماني للمحافظة إلى الحضور، وليجلس الجميع وتحدثوا معاً».

«حسنًا». ردّ عليه لي دونغ باو مصيحًا كأنه في الجيش، ثم اصطحبه إلى مكان بعيد وقال له بصوت منخفض: «سيدي المحافظ، لقد وعدتني من قبل أنك ستقرضني المال إذا ما وجدت عملنا به ظاهرًا وواضحًا».

فابتسم تشن بينغ يوان وقال له: «أنا بالطبع لم أنس، ألا ترى أنني أصطحب معي كتبة؟ إنني أعيد صياغة إنجازاتكم بدلاً منك. ثمة أمر آخر أريد أن أتحدث فيه معك، فلتأتِ إلى المحافظة بعد غد».

انقبض قلب لي دونغ باو، يا إلهي، هل سيسأله عن المال من جديد؟! ولكنه لا يستطيع أن يعده بذلك، إن شياولي جيا في حاجة إلى القرض.

ذهب قادة المحافظة إلى مصنع الكابلات الكهربائية ومزرعة الخنازير ليلقوا عليها نظرة، والتقطوا الكثير من الصور، ثم قرروا أخيرًا أن يعودوا أدراجهم. وعلى كل حال، فقد فاجأ تشن بينغ يوان لي دونغ باو ولم يطلب منه المال، ذلك على الرغم من أنه كان يحمل المال في حقييته، لكن لم تسنح الفرصة لإخراجها، إذ لم يُلمح لها تشن بينغ يوان من البداية وحتى النهاية.

حينما رأى تشن بينغ يوان لي دونغ باو قادمًا وحده، أعطاه صحيفة، وقال مسرورًا ومبتسمًا: «انظر إلى الوجه الأول، ألا ترى ذلك التعريف بقريتكُم شياولي جيا؟!».

ما إن نظر فيه لي دونغ باو حتى وجده فعلاً، فبدأ يقرأه بجدية شديدة، ثم قال ضاحكاً: «إنه لشيء يدعو إلى الفخر!» فضحك تشن بينغ يوان وقال له: «لقد صار حُلمك حقيقةً، عليك أن تكون ممتناً لي هذه المرة، لقد تم نشر هذا التقرير في الصفحة الأولى دون الحاجة للذهاب إلى مقر الصحيفة، لقد أرسلتُ نسخة إلى مجموعات الفرق الأربعة في المدينة⁽¹⁾، فلتكن في انتظار استقبال زيارات القادة إليك».

«أنتى لي باستقبال مثل تلك الزيارات، فقادة المدينة هؤلاء ليسوا مثلك، نحن نفهم عملنا بوضوح، لكن ماذا لو ضايقتُ قادة المدينة؟».

ضحك تشن بينغ يوان غير آخذ كلامه على محمل الجد وقال له: «إنه لو اوضح لي أنك لا تحب استقبال الزيارات، ولكنك ينبغي أن تتعامل مع الأمر هذه المرة على أنه مهمة يجب إنجازها، ينبغي عليك إنجازها من أجلي، وفيما عن موضوع القرض فقد تكلمت مع البنك الزراعي نيابة عنك، والبنك على علم بما تقومون به من عمل، يقولون إنه ليست هناك مشكلة في الأساس، فحينما تأخذ المال عليك أن تعدني بأن تبدأ المرحلة الثانية فوراً، وعليك توسيع نطاق المرحلة الثانية».

سأله لي دونغ باو دون أدنى حجل: «لماذا؟».

(1) مصطلح سياسي عادة ما يشير إلى: لجنة الحزب الشيوعي الصيني، والمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني، والحكومة، والمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني.

«لأكن صريحًا معك، جاءتني معلومات سرية بأن أمين الحزب في المحافظة سيتم نقله إلى المدينة، ولا بد أن أشغل هذا المنصب مكانه! هل فهمت؟».

فكر لي دونغ باو قليلاً ثم أوماً برأسه موافقاً على كلامه، وكان يفكر فيما قاله له شيوي الكبير من قبل بأن تشن بينغ يوان هذا قادر على إنجاز العمل، ولطالما وضع أمرًا في عقله فإن له قدرة جبارة على إتمامه. ويبدو من خلال التعامل معه حاليًا أنه وعلى الرغم من أنه ليس شريفًا مثل شيوي الكبير، ولكنه إذا ما وعد بإنجاز أمر ما، فإنه لا يؤجله أبدًا، وأن قدرته على إنجاز الأمور عالية للغاية، وهو أقوى كثيرًا من الكوادر البيروقراطية الموجودة في المحافظات الأخرى. لم يكن لي دونغ باو على العكس من ذلك يشعر بالنفور تجاه تشن بينغ يوان الآن، بل كان يعتقد أن شيوي الكبير جيد حقًا في الحكم على الناس، وفي بعض الأحيان كان يشعر بأن التعامل مع تشن بينغ يوان سهل للغاية، فقال له مباشرة: «حسنًا، إذا ما جاء أحد للزيارة فيما بعد فسوف أقول لهم أن تلك التجديدات التي قمنا بها في القرية كلها بفضل توجيهاتك وتعليمك لها إيانا من أجل خدمة الشعب، وأنت أنت من ساعدتنا على التوصل لأفكار التصميمات الجديدة للقرية، وأنت من تدعم جميع المؤسسات التي تُدار بواسطة القرية».

كان تشن بينغ يوان يملك في الأصل بعض مظاهر القيادة، ولكنه حينما سمع لي دونغ باو يقول هذا الكلام، انفجر في الضحك، ثم بصق، وقال ضاحكًا: «أتى لك التحدث بكل تلك اللباقة والوضوح؟».

«غير ممكن، أنا هكذا شخصٌ خَشِنٌ، فإذا ما أردتني أحفظ كلام الصحف، ناهيك من رأي الناس فيه حينما يسمعونني بأني متكلف، فإنني لن أقدر على حفظه، هل أنا مستغنٍ عن حياتي؟».

فكَّر تشن بينغ يوان في أن كلامه لا غبار عليه، ثم قال له ضاحكًا: «حسنًا، فلتتكلم بالطريقة التي تعتاد عليها إذا ما جاء القادة من المدينة وحتى لو جاءوا من المقاطعة، ولنعتبر كلامك ذات طابع ريفي، فإنك بذلك ستكون مقنعًا أكثر».

ردّ عليه لي دونغ باو مباشرةً: «لقد قدمت لنا مساعدة كبيرة، فما المانع لأن أسدي إليك مساعدةً صغيرة؟ وماذا عن موضوع القرض إذًا؟ إذا لم أحصل على المال فلن أستطيع البدء في المرحلة الثانية».

أجابه تشن بينغ يوان مبتسمًا: «علام العجلة؟ حينما يتم الأمر سأتواصل معك». ثم حدّث نفسه قائلاً بأن تلك اللغة الجافة التي يتحدث بها ذلك الشخص الخَشِنٌ مثيرة حقًا للاهتمام، وتجبرك على تصديقها بمجرد أن تسمعها، كما أنه ممتنٌ لفضله عليهم، فهو يتذكر كل تلك المساعدات التي قدمها لقرية شياولي جيا. طلب من سكرتيره الاتصال بمدير البنك الزراعي، وما إن وضع سماعة الهاتف حتى قال للي دونغ باو: «بخلاف استجابتهم لأمر الزيارة، عليك تحضير بعض التقارير، إذ سيُطلب منك حتمًا فيما بعد الذهاب لتقديمها، ولتجعل عُمدة قريتكم يصوغها بنفسه، فأسلوب الكلام الذي كتبناه نحن مختلفٌ عن أسلوب كتابتكم، لا مفر من أن ننجز هذا الأمر في أحسن صورة، وإلا سينهار كل شيء».

«أعلم، جميع الأمور مرتبطة ببعضها، فالسمك لا يعيش خارج الماء، والثمرة لا تنفصل عن ساقها».

ذهل تشن بينغ يوان هنيهة ثم ابتسم، كيف استطاع هذا الشخص الاقتباس من أغنية «الإبحار مهمة القبطان»؟ لكن وبوصف لي دونغ باو لعلاقتها على هذا النحو، فقد ارتاح قلبه كثيرًا بهذا، وعلى الرغم من أن علاقته بشياولي جيا لا تشبه علاقة السمكة التي لا تعيش سوى في الماء، لكن وبما أنه يفكر بهذه الطريقة، فلا بأس بذلك.

ما مرت لحظات حتى جلس لي دونغ باو مرتاحًا في ذلك المكتب الذي اعتاد على الجلوس فيه من قبل شيوي الكبير، يشاهد تشن بينغ يوان وهو يتحدث مع مدير البنك الزراعي على الهاتف، وانتهت المكالمة بسلاسة، وسرعان ما كان عليه أن يخرج منها بنتائج، كان عليه أن ينتظر حتى يمر يوم الأحد، ومن ثم يرسل شخصًا إلى البنك الزراعي للقيام بالإجراءات اللازمة الأسبوع التالي، بعدما انتهى من ذلك، سأل تشن بينغ يوان: «مليون وخمسمائة ألف، هل أنت راضٍ؟».

«نعم، سأقوم بتسوية أراضي المرحلة الثانية بمجرد أن أعود، وسأخصص نصف مليونٍ للمرحلة الثانية، فقد يتضاعف نطاق المرحلة الثانية عن المرحلة الأولى، وسوف أخصص مليونًا للمؤسسات التي تديرها القرية، أضف إلى ذلك أموالى الخاصة، ولتنتظر حتى نهاية العام لترى، فمزرعة الخنازير تسعى إلى توفير عشرة آلاف رأسًا لتربيتها، وإذا لم يتيسر ذلك فسيكون هناك ثمانية آلاف على أقل تقدير».

«ها؟ ماذا تقصد بعشرة آلاف رأس؟».

«ستكون الأكبر في المقاطعة بأكملها».

فوجئ تشن بينغ يوان وصمت قليلاً ثم قال له: «لأعطيك مائتي ألف إضافية، وستكون قادرًا على توفير عشرة آلاف رأس مع نهاية العام، إذا ما وصلت لهذا الرقم فسأطلب من قادة المقاطعة أن يكتبوا لك لوحة تقدير».

«هذا يسير، أعطني المال فحسب».

تصافح الاثنان وكانا سعيدين للغاية، ولمس تشن بينغ يوان الفوائد التي جلبها شيوي الكبير حينما كان هنا بجعل شياوليجيا نموذجًا يحتذى به، أما ما كان ينظر إليه لي دونغ باو فهو المليون وسبعمائة ألف التي كانت تلمع أمامه، فما الذي لا يمكنه القيام به بعد حصوله على هذا المال؟ حينما عاد إلى شياوليجيا نادى على هؤلاء الكسالى، ثم بدأوا بهدم المنازل القديمة التي تم إخلاؤها، ومن ثمّ استعدوا للتوسع في مزرعة الخنازير ومصنع الأسلاك الكهربائية. في الوقت نفسه، فقد بدأ في تسوية الأراضي المخصصة للمرحلة الثانية، مما جعل أهالي القرية جميعهم متحمسين ينتظرون بفارغ الصبر، كما لو كانت هذه الأموال قد مُنحت من المحافظة بالمجان وليست قرضًا من البنك الزراعي الموجود بها.

وكما هو المتوقع، توالى عليهم الوفود القادمة من أجل الزيارات والتعلم من تجربتهم، وكان لي دونغ باو يرى في البداية

أن يستقبلهم في حضور تشن بينغ يوان، ولكنه فيما بعد بدأ ينظر إلى مناصب القادمين إليه في الزيارة، فإذا كان وفدًا بيروقراطيًا غير مهم لم يكن يخرج لمقابلتهم. وقد أشاد الجميع بالبصيرة الفائقة التي شهدتها المرحلة الأولى من تجديد القرية وأثنوا عليها.

8

لم يكن ليتصور أحد بأن ليانغ سي شن لن تعود إلى وطنها في الإجازة الصيفية، تلقى سونغ يون هوي مكالمة هاتفية من والدها ظهر عليه فيها القلق الشديد، إذ قال له إذا لم تعد ليانغ سي شن قادرة على العيش في بيت جدها الآن ثانية، فقد اتخذ قرارهما بصفتها أباهما وأمها بأن يذهبا إليها بأنفسهم إلى أمريكا، ليريا بأعينهما المكان الذي تستقر فيه ابنتهما للدراسة في الجامعة، وإلا فلن يرتاح قلباهما أبدًا وهما بعيدان عنها وتفصل بينهما محيطات شاسعة.

لكن وبحلول شهر أغسطس، جاءت مكالمة هاتفية من والد ليانغ سي شن يقول فيها ضاحكًا مسرورًا إن التعليم الذي تتلقاه ابنته في أمريكا مفيدٌ للغاية، ولا فكرة لديه عن كم الأطفال الصغار الموجودين في أمريكا هذه الدولة الرأسمالية الشريرة، فهم كالسمك الكثير في الماء، لقد ذهبوا مع مجموعة من زملائها الأثرياء للبحث عن منزل بالقرب من المدينة التي تتواجد فيها الجامعة، فاشترى كل منهم منزلًا مناسبًا، كما اشترى سيارة صغيرة بباب خلفي لاستخدامها في الذهاب والعودة من المحاضرات،

ولم يكونوا جميعًا في حاجة إلى مساعدة والديهم. وعلى الرغم من وجوههم الطفولية، ولكنهم كانوا عمليين للغاية عند التعامل في شؤون شراء المنازل. وأضاف والد ليانغ سي شن أنهما اطمأنا كثيرًا بعدما رأوا كل ذلك بأعينهما، وقد علموا بعدما عادوا إلى الوطن أنها ستعمل أيضًا بما يتناسب مع الدراسة، وأنها ليس لديها أي نية من الآن فصاعدًا للتحويل إلى فتاة مستهترّة بعد الحصول على الميراث كاملاً، كما بحث زملاؤها الأثرياء أيضًا كل منهم على فرصة للعمل لتناسب مع الدراسة، إذ يبدو وكأنهم جميعًا أشخاص إيجابيون يتطلعون إلى الأمام، فإذا ما رأيتهم شعرت بالرضا تجاههم. فكّر سونغ يون هوي أنه لربما الحياة المستقلة والضغط الناتج عنها هو ما أدى إلى تعزيز روح الاستقلال والاعتماد على الذات لدى ليانغ سي شن.

جعلت عدم عودة ليانغ سي شن إلى البلاد تشنغ كاي يان تتنفس الصعداء، ولم تعد قلقة بهذا الشأن.

ومن ناحية أخرى واصل سونغ يون هوي انتهاز فرصة إحكام قبضته على المبيعات والإنتاج في الورشة الجديدة، وأخذ يثبّت مكانه خطوةً بخطوة. أما في وقت فراغه فقد كان يشرف على الغرفة الفنية في الورشة الجديدة لترجمة وكتابة إجراءات التشغيل، وقد كتب بنفسه العديد من المقالات المتعلقة باستيعاب واستخدام التقنيات والمعدات الجديدة، ومن ثمّ أرسلها إلى منشورات الأقسام. وبالطبع فقد كان عليه أن يأخذ موافقة المدير وتصديقه عليها أولاً قبل إرسالها.

كتب سونغ يون هوي سلسلة مكونة من ثلاثة مقالات هي الأولى والأوسط والأخير، وكان موضوعها: «الإدخال: هذه هي البداية فحسب». إذ وصف من منظوره الخاص التغيرات المتفاوتة على طلب المنتجات في السوق الدولية بعد إدخال معدات جينتشو، وعن المزايا التي تنعكس على أسعار المنتجات في السوق العالمية من حيث الزيادة أو النقصان، وحلّل الأسباب وراء قدرة المنتجات الأجنبية في الحفاظ على مزايا أسعارها في ظل زيادة تكلفة العمالة الأجنبية عن العمالة الصينية، كما حلّل الدور المهم الذي تلعبه المعدات آلية التشغيل التي انتشرت حالياً في تقليل تكاليف التشغيل واستقرار مراقبة الجودة، ومن هنا وضع الخلاصة: إن إدخال المعدات الأجنبية مجرد بداية جيدة، وسيتم الاستمرار في إعادة التأهيل المبتكر للتكنولوجيا في ظل الإطار الجيد لإدخال المعدات، ومواكبة التغيرات في مجالات التكنولوجيا الدولية ومتطلبات السوق، والحفاظ على التقدم الدائم للمعدات، وبهذا يتحقق الهدف النهائي من إدخال المعدات.

كان سونغ يون هوي قد كتب مقالاً واحداً في الأصل، هو المقال الأول، ولكنّ مقاله كان ذا رؤية واسعة، ويكتبه من زاوية مبتكرة، ووجهة نظر فريدة، وثرى بالحماسة، وحينما نُشر المقال لفت انتباه قادة الأقسام على الفور، واعتبروه حديثاً عن تجربة قيّمة لإدخال معدات النظام بالكامل. فجاءت مكالمة هاتفية من أحد الرؤساء يتساءل فيها عن كيفية خروج مصنع جينتشو الرئيسي بجراًة عن النظام الاقتصادي المخطط، وإعادة النظر إلى منتجاته من منظور السوق الدولية، وطلب القائد الأعلى من الأمين شوي

متابعة الموظف الذي كتب مقال «الإدخال: هذه هي البداية فحسب» ومواصلة التحليل العميق لجميع جوانب أعمال الإدخال، والتحليل المتعمق للاتصال والتصادم بين إدخال المعدات والنظام الحالي، وتحليل كيفية اعتبار مصنع جينتشو الرئيسي إدخال المعدات بمثابة فرصة له لبدء عملية شاقة في دخول السوق الدولية بخطوات واسعة.

لم يكن الأمين شوي أصلاً مهتمًا كثيرًا بذلك المقال الذي كتبه سونغ يون هوي، فقد كان يعتقد في البداية أنه مجرد مقال تقني يصف عملية استيعاب وإعادة تأهيل إدخال المعدات، ولم يكن يفهم في الناحية التقنية، لذا مرر نظره عليه سريعًا ثم صدّق عليه، وحينما جاءته المكالمة الهاتفية من رئيسه تنبه إليه، ومن ثمّ طلب من سكرتيره أن يسأل سونغ يون هوي عن المسوّدة ليعيد النظر فيها، فقرأه شيئًا فشيئًا حتى ظهرت على عينيه الفرحة وعلت الابتسامة وجهه، فربت على مسند ذراع الكرسي مبتسمًا، إذ لم يتصور أنه وقد حدثت خسائر في العام الماضي بسبب المعدات الجديدة، ونظرًا لقمع المدير فيّ لهم مما أحدث مضايقات تافهة في الوزارة، أن يكون مقال سونغ يون هوي هو المُتنفس الأخير لهم. هاتف الأمين شوي سونغ يون هوي فورًا ليحضر، ثم طلب منه أن يكتب مقالًا ثانيًا ومقالًا ثالثًا...

اعتقد سونغ يون هوي أن الأمين شوي يريد منه مواصلة التعمق في استيعاب وإدخال المعدات، ففكر قليلًا، ثم قال في ثبات: «عليك أن تمنحني عامًا آخر على الأقل، وبإمكاني البدء

من ناحية إعادة تأهيل المعدات، ولكن ما سأكتبه لن يكون ثريًا بالمحتوى مثل هذا المقال».

«لماذا؟».

«لقد تصادف توقيت كتابة هذه المقالة بفترة نمر فيها بنقطة تحول، وبالخروج من نقطة التحول صارت الوجهة فجأة واضحة، وكنا قادرين على رؤية الكثير من الأمور الجيدة، مما جعل المحتوى الذي سأكتبه ثريًا. ولكنني أظن أنه وفي خلال سنة واحدة من الآن، ستكون الورشة الجديدة سائرة أساسًا على طريق مستقيم، وسيكون التغيير الذي نراه في المشهد الجديد طفيفًا، ولن يسعنا سوى فهم تلك التغييرات الطفيفة، وستكون كتابتها ليست جيدة بما يكفي».

لم يتمالك الأمين شوي نفسه من الضحك، فلوح بيده قائلاً: «لماذا إذاً لا تفكر أنه لطالما رأيت الكثير من الأشياء الجديدة في نقطة التحول هذه، ومن ثمّ تعرضت للكثير من التغييرات الجديدة، لماذا لم تفكر في تحليل العوامل التي ألهمتنا للخروج من نقطة التحول هذه؟ وما الذي كنا نفكر فيه حينما قمنا بإدخال المعدات؟ وكم هي التصادمات بين الأفكار القديمة والحديثة التي واجهناها ونحن بصدد الإدخال والتصدير؟ كيف اتخذنا قراراتنا في ذلك الحين؟».

استمع إليه سونغ يون هوي، فذهل إلى حد كبير، إذ ظل ناظرًا إلى الأمين شوي لفترة طويلة، ثم قال: «هذه الموضوعات... كبيرة جدًا».

«صحيح، هذه موضوعات كبيرة، بالإضافة لأنها جادة، والناحية المنطقية تقول إنه يجب تسليمها إلى شخص متخصص يجري عليها دراسات عميقة قبل البدء في الكتابة عنها. لكن من غيرنا يمكن أن يشعر بنقطة التحول هذه بعمق مثلي ومثلك؟ من يستطيع أن يصف بدقة المشاعر المتضاربة التي شعرنا بها حينما واجهنا الصدمة؟ لا أحد غيري أنا وأنت. وبالطبع، فينبغي أن تؤول أعمال الكتابة إليك. ما عليك سوى الإقدام على الكتابة، كن جريئًا أكثر قليلًا، ولا تحاول أن تُغطي على الصدمات الفكرية والصراعات المفاهيمية، فالمطلب الأول هو أن تكون واقعيًا، والمطلب الثاني هو أن تكون واقعيًا أيضًا. ومع ذلك فلا حاجة للكتابة عن نظام المسار المزدوج، فهناك من يستطيع أن يفعل ذلك أيضًا بشكل جيد جدًا، ولن تكون لدينا ميزة في ذلك».

وعلى الرغم من تشجيع الأمين شوي الشديد، فإن سونغ يون هوي كان ما يزال مترددًا، ذلك لأنه حينما كتب المقال الأول كان قد فكر في هذه الموضوعات من قبل بالفعل، ولم يجرؤ عن الكتابة عنها، إذ خشي أن يمس السياسات، ومن يتكلم كثيرًا يخطئ كثيرًا. إن السياسات - هذا الشيء - خطٌ أحمر، فإذا لم تكن مضطرًا ابقَ بعيدًا عنها في جميع الأحوال، وافعل ما تفعله يوميًا، فالأشياء المنشورة في صحف ومجلات النظام هي الأكثر إقناعًا للناس. «كان أكثر ما أثر فيَّ بدايةً هو عمل الورشة الجديدة كثيرًا وخسارتها كثيرًا، كانوا يبيعون البيض على أنه بطاطس، لكن ذلك كان ينطوي على قيود الاقتصاد المخطط».

«أتفهم مخاوفك، في هذا الصدد تجنب الأمور الثقيلة وركز على الأمور الخفيفة، فكّر في الكتابة عن التناقضات التي واجهناها في ذلك الحين دون انتقاد النظام الاقتصادي المخطط. فلتعد الآن وتفكر ملياً، ولتكتب الخطة وتعطيها إليّ، عليّ أن أغادر الآن، لقد انتهى وقت العمل».

نهض سونغ يون هوي وظل طويلاً دون أن ينطق بكلمة، وحينما جاء السكرتير ليغلق المكتب، تبع الأمين شوي ونزل معه من المبنى، ثم امتطى دراجته وسار حتى وصل إلى منتصف الطريق، وهنا فهم أخيراً، فالتفت إلى الأمين شوي وقال له: «أيها الأمين، أعرف جيداً ماذا سأفعل، سأركز على الملخص وأتجنب الأمور الجوهرية، فباعتبارنا مؤسسة مملوكة للدولة، علينا النظر إلى الوضع العام، وتغيير طريقة تفكيرنا لتحسين الفوائد الاقتصادية للمؤسسة، وكيف يمكننا في مثل هذه التأثيرات المتناقضة أن نتحكم في درجتها جيداً، وكيف نعمل على إدخال وإخراج المنتجات».

فكّر الأمين شوي قليلاً في كلامه، وكان يعرف أن سونغ يون هوي هذا بعد كل شيء لن يجرؤ على الكتابة بشكل مباشر: «لقد تحدثت من زاوية لا بأس بها، فكر في الخطوط العريضة جيداً، وعليك أن تُسرّع، فسوف نحاول أن ننشر الجزء الثاني في عدد الشهر القادم». لكن الأمين شوي كان يشعر ببعض من خيبة الأمل، ونتيجة لهذا كان عليه أن يقلل من شدة تنفيسه عن غضبه.

عاد سونغ يون هوي إلى المنزل، وكانت تشنغ كاي يان قد غسلت الخضراوات جيداً وفي انتظاره، كانت تقضي الإجازة

الصيفية في هذه الأيام. وسرعان ما طهى سونغ يون هوي طبقين من الخضراوات ووعاء من الحساء.

لطالما وصل إلى طريقة التفكير التي سيسلكها، لم يكن هناك حاجة إلى تحديد الخطوط العريضة، فبعدها انتهى من تناول الطعام، أغلق على نفسه حجرة المكتب التي تحتوي على طاولة واحدة، وبدأ يكتب بسرعة ونشاط. ظل يكتب ويكتب إلى أن بدأ يشعر بالارتياح أكثر فأكثر، يتمنى لو يستطيع تنفيذ كلام الأمين شوي، المطلب الأول هو أن يكون واقعيًا، والمطلب الثاني هو أن يكون واقعيًا أيضًا، ويتخلص من كل الضيق الذي كان يشعر به في ذلك التوقيت من العام الماضي، فلا يبض يباع على أنه بطاطس ولا شيء، لقد كانت ببساطة صدمة سخيفة. فكّر فجأة -وباعتباره المدير التنفيذي للورشة الجديدة- أن قلبه وقد صار مطمئنًا هكذا، فما بال الأمين شوي وبوصفه رئيس مصنع جيتشو والأمين المكلف به، ما باله في العام الماضي وما حدث فيه من الضغط الأكبر عليه، ولماذا لم يبحث الأمين شوي عن منفذ ينفس فيه عن غضبه بعدما تعرض للتلاعب به من قبل المدير في العام الماضي؟ لا عجب إذا من كلام الأمين شوي قبل قليل حينما قال إنه ليس من أحد يشعر بما مروا به بعمق سوى هو وسونغ يون هوي، في حقيقة الأمر... من يمكنه فعلاً أن يمر بما مرَّ به الأمين شوي العام الماضي من ضغط هائل؟!

فُتحت أبواب الذكريات، ولم يسع سونغ يون هوي إلا أن يفكر في هذا التوقيت من العام الماضي، حينما كان يريد أن يترك

المنصب الفني ويتوجه إلى طريق الإدارة، مما جعله يدخل في صراع مع المدير مين، وجعله يرى حاليًا أنها كانت مخاطرة كبيرة؛ فإذا كان الأمين شوي شخصًا انفعاليًا، ورآه وهو يتصرف بكل تلك العبثية في العام الماضي، كان ليتخلص منه على الفور. وبغض النظر عن طبيعة شخصية الأمين شوي، فقد كان وبلا شك لطيفًا معه للغاية. حينما حان موعد الكتابة، لم يكن بوسع سونغ يون هوي إلا أن يبتعد عن النزعة المحافظة قليلًا، ويميل قليلًا إلى تنفيذ مطلب الأمين شوي بأن يكون المقال واقعيًا.

لم يكن هناك عائق أثناء الكتابة نظرًا لأنه مر بكل شيء بنفسه، فلم يكن يتطلب الأمر سوى مهمة صياغة ما مرّ به كتابيًا. لم تكن تشنغ كاي يان تريد أن تبقى وحيدة، فكانت تدخل عليه تارة تطلب منه أن يقبلها، وتارة تدخل لتعطيه مثلجات محلية الصنع، وتارة أخرى تلاعبه بمكعبات الثلج، لكن تلك الأفعال التافهة كلها لم تكن لتقطع حبل أفكار سونغ يون هوي، مما أشعر تشنغ كاي يان التي كانت تجلس في المنزل مغتمة طوال اليوم بالملل. كانت تعلم أن عمل زوجها مهم للغاية، فإنه لم يكن ليحصل على منصبه اليوم سوى بعدما ضاعف عدد ساعات عمله مقارنة بالآخرين، لذا لم تجرؤ على إجبار زوجها على التحدث معها، مما أصابها بالكآبة والغم.

يكون سونغ يون هوي متبهاً للغاية بمجرد أن يبدأ في العمل، وسرعان ما استطاع كتابة المقال الذي أخبره عنه الأمين شوي، كان يكتب بنشاط كبير، وحينما رأى ورقة فارغة بعدما قلب الصفحة ابتسم فجأة، وقرر أن يتتهز فرصة نشاطه في كتابة المقال الذي يليه، وواصل

تحليل نقطة تحول العام الماضي من زوايا أخرى. أخذ يصف بالتفصيل في هذه المقالة استراتيجية الأمين شوي الجريئة في التوظيف، ويقول إن الأمين شوي لا يتبع طريقة محددة في توظيف الأشخاص، ويقفز خارج الهيكل الإداري الأصلي لجيتشو للصناعات الكيماوية، ويضع ثقته ودعمه ويوفر التدريب والتوظيف لمجموعة من الكوادر الشابة المثقفة بشكل شامل، ويعطي تلك الكوادر الشابة مساحة واسعة للتطوير. ويوجد بالطبع من بينهم حالة خاصة مثله ومثل يوي شان تشينغ. كان يكتب بسرعة كبيرة لأنه كان متأثرًا بعمق بهذا، وحينما انتهى من الكتابة، لم يفكر في إعادة قراءة ما كتب ثانيةً، هذا مقال إطرائي، مقال إطرائي بامتياز. وعلى الرغم من حقيقة ما ذكره، ولكنه بالغ في وصف تلك الأشياء الحقيقية، مما جعلها أقرب إلى المداهنة. لم يكن سونغ يون هوي معتادًا على التملق بعد، لذا فقد شعر بالحرَج قليلاً من إعادة قراءة ما كتب، ففكر في نفسه وهو يحمل تلك الأوراق التي كتب فيها «استراتيجية التوظيف» وكيف سيسلمها للأمين شوي نفسه؟ مما جعله يريد أن يمزقها فحسب، ولكنه ظلَّ مترددًا، وفضَّل أن يضيف هذا المقال إلى سابقه، فوضعه في حقيبة الملفات، فإنه لم يعد مضطرًا أخيرًا لاستخدام حقيبة الكتب القديمة، واستبدل بها حقيبة ملفات جلدية سوداء.

أعاد النظر في الوقت وإذا به يفزع، لقد أوْشك على الاقتراب من موعد التسليم. ألقي نظرة على غرفة النوم فوجد تشنغ كاي يان نصف مستلقية تقرأ كتابًا، فقال ضاحكًا وهو يقف عند باب الغرفة: «روايات تشيونغ ياو أيضًا؟ ألا تخشين من التعب غدًا بسبب نومك متأخرة هكذا؟».

تنفست تشنغ كاي يان الصعداء وقالت: «وهل وجدت وقتًا لتعيرني اهتمامًا أخيرًا؟ هل سأجرؤ على النوم وأنت مشغولٌ عني كل هذا القدر؟».

لم يسع سونغ يون هوي سوى أن يرد عليها بلطف: «لا تغضبي مني، ألم أكن أعمل؟! توقفي عن القراءة واستلقي للنوم، سأستحم وأتي على الفور».

أرادت تشنغ كاي يان أن تقول شيئًا ولكنها وجدت سونغ يون هوي سرعان ما استدار ذاهبًا إلى دورة المياه، مما جعلها غاضبة جدًا لدرجة أنها ألفت الكتاب على الأرض وأطفأت المصباح ونامت. بعدما فرغ سونغ يون هوي من الاستحمام وعاد، وجد الغرفة سوداء كالفحم، وسرعان ما فهم ما حدث، فاستلقى وقال ضاحكًا: «هل كنتِ تشعرين بالملل في المنزل وحدك؟ لقد خصصت وقتًا في الصباح للعمل على إدارة المعدات، وفكرت في ذلك حتى أتمكن من العودة في موعد محدد من الليل لأكون مع قطتي، لكن الأمين شوي وبشكل غير متوقع دعاني بعدما انتهيت من العمل وأعطاني بعض التعليمات، لم يكن في مقدوري سوى هذا، سأكون معك حينما أعود من العمل غدًا».

«إنك دائمًا تعمل وتعمل وتعمل، أهم شيء في حياتك هو العمل، حينما تبدأ في العمل لا تراني أبدًا، هل تحبني حقًا؟».

«وكيف لا أحبك، أنتِ قطتي، فلننم، أنا متعب لدرجة أنني لا أستطيع فتح عيني، اسمعي الكلام». كان سونغ يون هوي متعبًا لدرجة أنه لا يملك طاقة للحديث.

«لن أسمع الكلام، سونغ يون هوي، إنني أريد أن أتشاجر، فلتتشاجر معي أنت الآخر جيدًا، وها قد أضأت المصباح، لا تنم، لا تتعامل مع غضبي دائمًا على أنه لا شيء». لكن حينما فرغت تشنغ كاي يان من الحديث ولم تجد ردة فعل ولا صوتًا صادرًا من سونغ يون هوي، دققت النظر فإذا هو نائم بالفعل، مما جعلها تغضب حقًا وترغب في لكمة ليستيقظ، وذلك من أجل إغضابه، لكنها حينما فكرت في أنه لم يكن يلعب ولكنه متعبٌ من كثرة العمل، لم تجرؤ على لكمة، فقط شعرت بالكآبة وبأن حياتها مملة بشكل لا يوصف.

لم يعلم الأمين شوي أن هناك مفاجأة في انتظاره، فحينما قرأ المقال الذي كتبه سونغ يون هوي عن شجاعته في التوظيف شعر بسعادة غامرة. وحتى لو كان هذا المقال يحتوي على بعض أجزاء من التملق، لكنه مقارنة بكل ما تعرض له من تملق مبالغ فيه وليس حقيقيًا من قبل، كان إطراء سونغ يون هوي حقيقيًا وليس مبتدعًا، مما جعل الأمين شوي يرسل أشخاصًا خصيصًا بنسخ من المجلة إلى كل قسم، وخطط لأن يُنشر هذين المقالين التاليين على مرتين تباعًا. ومن ثمّ، فبفضل سلسلة المقالات التي كتبها سونغ يون هوي والمكونة من المقال الأول والثاني والثالث بعنوان «الإدخال: هذه هي البداية فحسب»، كان لها نتائج وثمار، فقد أوضحت خطوة بخطوة أين يكمن السبب الأكبر في تحقيق إنجازات إدخال المنتجات، هذا السبب الواضح وضوح الشمس هو القيادة الحكيمة للأمين شوي.

وبمرور ثلاثة أشهر، استطاع الأمين شوي أن يهزم المدير في هزيمة ساحقة في الوزارة ويحصل على شعبية لا مثيل لها.

حينما رأى سونغ يون هوي الأمين شوي شغوفًا بكل هذا القدر، لم يسعه سوى التفكير في لي دونغ باو ويانغ شيون اللذين يكسبان المال بعشرات الآلاف. فعند مقارنته بلي دونغ باو ويانغ شيون اللذين حصلا على الشهرة والثروة بعدلٍ وإنصافٍ، لطالما شعر سونغ يون هوي أن شخصًا في مثل ذكاء وقدرة الأمين شوي العالية لا يمانع فعل أي شيء صحيحًا كان أو خاطئًا من أجل الحصول على شهرة كاذبة وبعض المنافع الصغيرة، فلا يستحق الأمر تدمير سمعته مدى الحياة. لكن وبإعادة التفكير في الأمر، ألم يحاول هو نفسه أن يتملقه ويلعق حذاءه من أجل أرباح صغيرة؟

وعلى الرغم من أن الأمين شوي أصبح ينظر إلى سونغ يون هوي نظرةً مختلفة، ولكنّ سونغ يون هوي صار ينكر نفسه شيئًا فشيئًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

9

على الرغم من أن القرار الأخير كان في يد المحافظ تشن بينغ يوان، وقد أعطاه مدير البنك الزراعي موافقة شفوية على الفور، فإن الأمر استغرق وقتًا طويلاً لإنهاء إجراءات لا حصر لها، مما جعل القرض يصل متأخرًا وقد ظهرت آثار الصيف في الحقول. ظنّ شي قن أنّ لي دونغ باو ظل ينتظر حتى نسي هذا الأمر، ولم يتصور بعدما أنهى الإجراءات وعاد إلى القرية أن يجد لي دونغ باو وقد

ذهب باكراً إلى مكتب القرية وجلس ينتظر بفارغ الصبر، فلم ينتظر حتى يقترب منه وصاح فيه: «أخي شي قن، هل أتممت الإجراءات اليوم أم لا؟».

«أف، فلتقل إنني أتممتها كلها تقريباً، حسناً، عليّ أن أحل أولاً مجموعة من المشاريع التي تؤرقني في انتظار المال، لا تغادر يا دونغ باو، فأنا ما زلت في حاجة إلى توقيعك».

كان لي دونغ باو سعيداً بما يسمع، فقال له: «لأوقع، ولتخرج أنت المال كله فوراً، وسأصطحب تشنغ مينغ غداً لنقل معدات الكابلات الكهربائية إلى هنا».

وبينما يسير لي شي قن نحو الباب، أخرج المفاتيح مستعداً لفتح باب الخزانة، وكأنه فكّر في كلامه مما جعله يعيد المفاتيح إلى جيبه ثانية، ثم عبس وقال بشكل جدّي: «دونغ باو، ما زلنا مدينين لهونغ وي بأموال الأسمت والطوب والألواح الجاهزة وغيرها من الأشياء الخاصة بالمرحلة الثانية، لقد تم سداد نصف مبلغ المرحلة الثانية من المشروع فقط، والجميع ينتظر الانتقال إلى المنازل الجديدة، كما أنك وعدت المحافظ تشن أن تتوسع في مزرعة الخنازير، عليّ أن أذهب إلى البنك لتحويل المال حينما يحين موعد تسديد القرض، الكل ينتظر منا المال على أحر من الجمر، ولكن معدّاتك ستحتاج إلى نصف هذا المال، فكيف أخرج لك الآن؟».

«إن هونغ وي ليس في حاجة إلى المال، فلنظل مدينين له قليلاً، سنسدد له المال في العام المقبل، يكفي أن تدفع أموال المشروع،

ليس المطلوب كثيرًا. أما عن الخنازير فهناك ما يذبح يوميًا منها، يمكن أن تحل مزرعة الخنازير بنفسها أمر أموال التوسعات، ولتوسع خطوة خطوة وفقًا لما لدينا من المال، ولتذهب غداً إلى البنك لتحويل أموال القرض. لا تكن تافهًا وتضخم لي الأمور، افتح الخزينة وافعل ما أقوله لك».

ظلّ شي قن مُصرًا على موقفه: «دونغ باو، لقد قمت بهذه الحسابات عدة مرات، إن المعدات التي طلبتها مستعملة، وعليك أن تجني المال أولاً، سيكلف فك ونقل المعدات أموالاً كثيرة، كما سيكلف تركيبها أموالاً أخرى، بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن تكون ورشة المعدات مثل مصنع الأسلاك الكهربائية تحتوي على سقيفة واحدة، سيكون علينا بناء غرفة توزيع طاقة جديدة، مما سيكلف أموالاً أكثر. ومن الآن فصاعدًا حينما يتم تشغيل الآلات، سنكون في حاجة إلى النحاس أكثر بأضعاف المرات مما هو في مصنع الأسلاك الكهربائية، سننفق من المال الكثير، فهل سيكون لدينا مال متبقٍ لتزويد مصنع الكابلات الكهربائية؟ سنحتاج إلى ثلاثة ملايين على الأقل لفتح مصنع الكابلات الكهربائية، ولن تكفي بكل حال من الأحوال تلك المليون وسبعمائة ألف التي معنا. يمكنك القول إنك ستطلب من البنك قرضًا آخر فيما بعد، ولكن عليك أن تفكر أيضًا في أنك لو لم تستجب لكلام المحافظ السيد تشن وتتوسع بذلك القرض الذي حصلت عليه في مزرعة الخنازير لتحتوي على عشرة آلاف رأس فستفقد ثقتك فيك، فكيف يمكن أن يساعدك الرئيس تشن مرة أخرى؟ علاوة على ذلك ألا يتطلب قرض من البنك وجود فوائد جديدة؟ أنى لنا بتحمل كل تلك الفوائد إذا ما

اقترضنا أموالاً كثيرة؟» لم يرد عليه لي دونغ باو هذه المرة ليشرح له، ولكنه عقد ذراعيه وجلس في هدوء، ثم نظر إلى شي قن وقال له: «ولكننا يجب أن نُشغّل مصنع الكابلات الكهربائية».

قال شي قن وقد نفذت كل الحلول أمامه: «دونغ باو، أتفهم شعورك جيدًا، وأعلم أنك متعجل لتشغيل مصنع الكابلات الكهربائية، ولكنك يجب ألا تنسى أنه في التآني السلامة وفي العجلة الندامة، ولقد قلت ذات مرة إن الأمين شوي سبق وأن نصحك قائلاً إن النبلاء حينما يسعون للانتقام عليهم التحلي بالصبر ولو لعشر سنوات، وأنت... ألا تستطيع أن تصبر سنة واحدة؟ سنة واحدة فقط. يمكننا أن نتوسع في مزرعة الخنازير هذا العام، ثم نشترى معدات مصنع الكابلات، وحينما تستقر الأمور في تلك الخطوتين، نبدأ في تشغيل المصنع الرئيسي المقبل، ويكون هذا منطقيًا».

«هل سنحصل على المال في العام المقبل؟ أألن تجد أي سبب للاعتراض العام المقبل؟ بشخصيتك هذه فإنك ستعرض على أي مشروع أقوم به. اترك مفاتيح الخزينة، إذا لم تفتحها فسوف أطلب من أمين الصندوق أن يفتحها».

«دونغ باو، أنا لا أقصد أن أقف ضدك، لا تفكر هكذا. ماذا لو تدعني أفكر ليوم آخر، وسوف آتيك في هذا التوقيت غدًا بالجواب؟».

نهض لي دونغ باو قائلاً: «إذا لم تحرر شيكًا غدًا في مثل هذا الوقت سأطردك من وظيفتك، ثمة الكثير من الناس يتنافسون على

الفوز بمنصبك هذا وسوف يحررون لي هذا الشيك. أما عن مصنع الكابلات الكهربائية فلا مفر من تشغيله، فكر جيدًا في الأمر».

صدم شي قن حينما سمع كلام لي دونغ باو، فنظر إليه من الخلف وقال في ذهول: «أيها الأمين دونغ باو، هل ستتخلص مني بهذه الطريقة؟».

وقف لي دونغ باو، ولكنه لم يستدر: «إذا كان لديك كلام جيد لتقوله فقل، لا تتحدث بالهراء، ومع ذلك فإنك غير قادر على منعي من تشغيل مصنع الكابلات الكهربائية. إذا كنت تعاملني كأخ فلا يمكنك منعي، ففي ذلك الأمر خصيصًا سأعتبر أنني بلا أقارب على الإطلاق. هل تظن أنني لا أعرف لماذا تريد أن تؤجل الجواب ليوم آخر؟ فأنت تريد أن تذهب إلى هوي الصغير، وعليّ أن أخبرك، حتى ولو جاء هوي الصغير فلا فائدة من مجيئه».

رفع شي قن صوته أخيرًا وقال له مباشرةً: «أيها الأمين دونغ باو، هل تظن أننا يمكننا الإطاحة بمصانع الكابلات والأسلاك الكهربائية في المدينة بمجرد تشغيل مصنع الكابلات الكهربائية؟ مستحيل. إن لديهم خططًا لقنوات البيع وخططًا للاستحواذ على السوق، ليس من السهل كسرهم. أضف إلى ذلك فإن الصين واسعة، إذا لم ينجح الأمر هنا فلا بد وسينجح في مكان آخر، هل تركز إلى تلك المعدات في التخلص منهم؟ لا تفكر بتلك الطريقة الحالية، فأنت ستقوم بالتخلص منا نحن في قرية شياوليغيا، إن قريننا تعتمد على نفسها بشكل كامل، ولا يمكنها الصمود طويلاً في وجه المتاعب. عليك أن تكون أكثر شعورًا بالمسؤولية باعتبارك أحد كوادر هذه القرية».

رفع لي دونغ باو نظره إلى السماء وقال مبتسمًا: «ها؟ ألسْتُ متحملاً للمسؤولية؟».

أخذ شي قن ينظر إلى لي دونغ باو وقد جنّ جنونه، فلم ينبس ببنت شفة ولكنه كان يحدث نفسه قائلاً: نعم، ففي كل مرة يتخذ لي دونغ باو خطوة كبيرة يقف له بالمرصاد، وقد فعل ذلك بدءًا من مصنع الطوب وصولاً إلى مزرعة الخنازير، ولكنّ النهاية دائماً ما كانت تثبت أن لي دونغ باو سبّاقٌ بخطوة، ويستطيع اقتناص الفرص. ومع ذلك فمن الواضح وضوحًا شديدًا عدم كفاية المال لمصنع الكابلات الكهربائية، والموضوع يختلف عن المرات السابقة؛ إذ كانوا يكافحون ويكافحون إلى أن تيسر الأمور، فقد تخلف في سداد جميع المستحقات وليس هناك إلى مكافحة ذلك من سبيل. ومن الجلي أن تشغيل مصنع الكابلات الكهربائية لهو قرار خاطئ. ولكنه قد أخبر لي دونغ باو بالفعل بكل مخاوفه، وقد أعطاه لي دونغ باو هذا الجواب. إنه على إيمان بأن لي دونغ باو يستطيع أن يتدخل ليطرده اليوم، ويستبدل به شخصًا آخر ليجلس مكانه على هذا الكرسي. لقد صار لي دونغ باو على استعداد لفعل أي شيء من أجل زوجته حبيبته التي ماتت.

كان شي قن غاضبًا، فبعد كل هذه السنوات من الصداقة التي تربطه بلي دونغ باو، لم يتوقع أن يتفوه لي دونغ باو بأن يطرده بسبب شيء واحد حدث، فما أسوأه من طبع! أراد لي شي قن التخلي حقًا عن وظيفته، وترك لي دونغ باو ليفعل ما يريد، ولطالما لن يتدخل في تلك الأمور فسيكون مرتاحًا، ولينفق على نفسه من

دخل هاتين السنتين الماضيتين. ولكنه ما إن فكر في أن شياولي جيا لم تكن لتصير على ما هي عليه اليوم سوى بصمود لي دونغ باو يوميًا من الصباح وحتى المساء وصبره على التعب، وفكر في ذهاب لي دونغ باو ذات مرة بنفسه لينقذه من يد عائلة الأمين الكبير مواجهًا الخطر بمفرده، وفكر في وضع لي دونغ باو ثقته الكاملة فيه طوال السنوات القليلة الماضية وتكليفه بسلطات كبيرة، فعلى الرغم من غضبه ولكّنه كان يشعر من داخله بالامتنان، فلا يمكن أن يخلع يده ولا يهتم.

تنفس شي قن الصعداء، وعلى الرغم من كشف لي دونغ باو لتكتيكات المماطلة التي كان سيتخذها، ولكن ماذا عليه أن يفعل الآن؟ فعلى من عقد العقدة أن يحلها، ففي آخر مرة سقط فيها لي دونغ باو في حالة من الانهيار بسبب وفاة زوجته، كان هو من طلب من عائلة سونغ أن ينصحوه. أما الآن وبخصوص مصنع الكابلات الكهربائية، فإنه لمن الجلي أن الوحيد القادر على حل المشكلة هو صغير عائلة سونغ. كان على علم بتركيب سونغ يون هوي لهاتف في منزله، فسيستظر حتى يتناول طعام العشاء ثم يذهب إلى مكتب القرية، نعم، عليه أن يتصرف هكذا، وألا يخشى من رؤية لي دونغ باو له وهو عائد إلى مكتب القرية للاتصال بسونغ يون هوي.

كان سونغ يون هوي يدون بينما يستمع إلى شي قن، وحينما انتهى من حديثه لم يكن جاهزًا لإعطائه حلاً نهائيًا في لحظتها، فنظر إلى تلك البيانات التي معه، ثم قال معتذرًا لشي قن: «أخي شي قن، امنحني قليلًا من الوقت لأحلل الموضوع، فأخي الكبير

دائمًا ما يفعل الأشياء بتهور ولكنها ما تلبث أن تحتوي على بعض الدقة، إن حدسه، أو لتقل بصيرته، دائمًا ما تجعله على صواب، اتصل بي بعد نصف ساعة».

أغلق سونغ يون هوي الهاتف، وأمسك بقلم رصاص من نوع HB وبدأ في الحساب، كانت هذه هي عادته بوصفه شخصًا تقنيًا، فقد كان أشد ما يسعده هو حمله لـ قلم رصاص في يده. وعلى الرغم من تفكير شي قن في أن سونغ يون هوي لن يستمع إلى الكلام من جهته فقط، فإنه يعرف أنه يتوجب عليه بالطبع أن يمنحه وقتًا للتفكير، لأن هذا بعد كل شيء سيكون قرارًا يؤثر على قرية شياولي جيا. ومع ذلك فقد كاد يصاب بالجنون خلال انتظاره نصف ساعة ليحصل على جواب سونغ يون هوي، كان يجلس في مكتب القرية بمفرده، وأخذ يُقلّب في الجريدة من أولها إلى آخرها.

أدرك شي قن فجأة أنه ارتكب خطأً، فلمن سينتقم دونغ باو؟ لسقيقة سونغ يون هوي الكبرى. فبرؤية الاثنين وقد كانا على وشك الشجار خلال الجنازة في ذلك العام، يتضح كم أن سونغ يون هوي على استعداد للتضحية بروحه في سبيل الحق. فكّر شي قن... إن الأمين دونغ باو بمفرده وقوي بما فيه الكفاية، فهل سيكون على استعداد للاستسلام إذا ما دعمه شخص آخر؟ ألا يمكن أن تأتي تلك المكالمة التي قام بها منذ قليل نتائج عكسية؟

تنفس شي قن الصعداء وقد نفذت كل الحلول أمامه، ونهض مقررًا أن يذهب إلى لي دونغ باو. حينما رآه لي دونغ باو وقد شحب وجهه شعر بقليل من الاختناق، ولم يسأله كثيرًا، فقد خمن

أن محاولاته في الشكوى منه لم تنجح، فسعد بعض الشيء، وقد وعده بالطبع أن يكون هو من يقوم بالمكالمة الهاتفية بعد مرور النصف ساعة. فكّر شي قن في المغادرة من فرط الغضب، فقد صارت المسائل عائلية وتخص عائلة لي دونغ باو على كل حال، فما الذي يستدعي وقوفه كمتفرج هنا؟ ولكن لي دونغ باو أجبره على الذهاب معه إلى مكتب القرية.

لم يستطع لي دونغ باو الانتظار كثيرًا واتصل على سونغ يون هوي في الموعد المحدد، ولكن سونغ يون هوي لم يتوقع أن يكون المتصل هو لي دونغ باو، فسأله مندهشًا: «أخي... كيف».

عاجله لي دونغ باو بالرد: «لا تسألني لماذا، أنا من أسألك هل يمكن أم لن يمكن التشغيل؟».

لم يؤكد سونغ يون هوي كلامه ولم ينفه، فقط قال: «لست متأكدًا كيف تبدو معدتكم الكهربائية».

«لا تختلف كثيرًا عن معدات الأسلاك الكهربائية».

«كيف يمكن مقارنتها هكذا، ليس من الضروري أن يكون هنا أساس لمعدات الأسلاك الكهربائية، أما معدات الكابلات الكهربائية الخاصة بك فتحتاج إلى أساس لسحب النحاس والأسلاك الملتوية. ما هو نوع المعدات المستعملة التي اشتريتها؟ أرسل لي فاكسًا غدًا. وسأطلب من زملائنا في قسم التوريد واللوازم أن يملوا على مصنع الكابلات الكهربائية غدًا أو بعد غد لإلقاء نظرة، وسأعطيك خطة زمنية دقيقة للإنفاق، فإذا كنت تستطيع

تحملها، قم بتشغيله، وإذا لم تستطع، فهتئ الظروف المناسبة، وإذا لم ينجح الأمر حقًا فدعك منه. سأعود إلى البيت بعد الانتهاء من العمل يوم السبت مساءً، فلنتحدث حينما نتقابل».

«بل قل لي هل سيمكن تشغيله أم لا».

«لا أعرف الآن».

«ألا تفكر في الانتقام يا هوي الصغير؟».

حدّث سونغ يون هوي نفسه قائلاً: بلى، بالطبع بلى، وإن أكثر من يريد سحقه هو لي دونغ باو، والسبب الجذري في ذلك هو شخصية لي دونغ باو، وليس شيئًا آخر. ولكنه لم يتفوه سوى بـ: «فلتتظر حتى أفرغ من الفحص وسأتحدث إليك».

شعر لي دونغ باو بقليل من الضجر، فوضع سماعة الهاتف، وعاد إلى شي قن، ثم حاول عمدًا أن يرفع من معنويات نفسه: «فلتري، لم يعارض هوي الصغير». فردّ شي قن الضربة له: «ولكنه لم يدعم أيضًا». فقال له لي دونغ باو بأريحية ورحابة صدر: «أخي شن قي، عليك التعلّم في هذا الصدد من هوي الصغير، فسواء عارض أم دعم شيئًا ما، يعود ذلك كله لأسباب كافية. إنك تقلق من هذا وذاك، ولكنك لم تقنعني في أي مرة بمعظم الأسباب التي تقولها، أخبرني إذن، لماذا عليّ أن أستمع إليك؟».

حدّق شي قن في لي دونغ باو وهو يخرج من المكتب، وشعر في داخله بأنه كان نذلاً منذ قليل تجاه لي دونغ باو. فلم يرفض لي دونغ باو ما قاله لمجرد أنه يريد الانتقام منه، ولكن لأنه لم يقل أسبابًا كافية مقنعة له.

ومن ثمّ، فقد هبط سونغ يون هوي من القطار المسائي في صباح يوم الأحد، واصطحبه تشنغ مينغ بدراجته النارية التي اشتراها حديثاً إلى بيت عائلة لي الصغير، وكان شي قن يولي الاهتمام الكامل ليري كيف سيتعامل سونغ يون هوي مع موضوع معدات الكابلات الكهربائية. مرّ هونغ وي أيضاً بهم ليري ماذا يحدث، وحينما رآه لي دونغ باو عمد إلى دعوة تشونغ فو ليأتي هو الآخر من مزرعة الخنازير.

كان سونغ يون هوي قد ترأس بالفعل مشروعاً كبيراً لإدخال المعدات، وكان أمر عائلة لي الصغير هيئاً جدّاً بالنسبة إليه. وصل إلى هنا مرهقاً من السفر، فذهب إلى منزل لي دونغ باو ليغتسل ومن ثمّ يستطيع التركيز في العمل، ربت لي دونغ باو على كتفه تقديراً له، ومدحه بشدة بوصفه رجلاً خارقاً لا يعوقه الإرهاق عن العمل، وكان شي قن يراقبهما جانباً ويقول في نفسه أليس لي دونغ باو هو الآخر لا يعوقه الإرهاق عن العمل؟ لكن يبدو أن لي دونغ باو مولع بسونغ ويمدحه في كل شيء. حينما حضر سونغ يون هوي أعطى الجميع جدولاً، وكان هذا هو أسلوبه المعتاد في العمل، إذ كان يفضل التنظيم الواضح لكل شيء. بيد أنه ترك معظم الفراغات في الأعلى شاغرة، إذ كان جدولاً فارغاً في الأساس. كان شي قن ينظر إلى سونغ في تحير وارتياب، لا يعرف ما الذي يدور في عقله بالضبط، فإنه لم يكن يصدق بأن سونغ يون هوي يمكنه أن يتوصل إلى جدول حسابات مفصل أكثر منه.

بيد أن المشكلة الأولى التي تناولها سونغ يون هوي لم تكن في حيّز تفكير شي قن: «هل هناك رسومات لمعداتكم المستعملة

أم لا؟ وفقاً لخبرتي، غالبًا ما تكون رسومات مثل طراز معداتكم التي ذكرتموها مفقودة».

كان تشنغ مينغ هو المسؤول عن هذا الأمر، فقال: «إن الرسومات ليست كاملة حقًا، لقد نظرت فيها ووجدت معظم الرسومات ليست موجودة».

فقال سونغ: «إذا كانت هذه معدات الأسلاك الكهربائية فلا حاجة إلى وجود الرسومات، إذ ستجري بعض التعديلات عليها أثناء تركيبها في الموقع. أما معدات الكابلات الخاصة بكم الآن فهي بحاجة إلى أساسات للمعدات، فحينما نهم بصب الأسمنت، ينبغي أن نعرث على معهد تصميم ليقدم لنا التصميمات أولاً، ويتوقف حجز خطوط المياه والكهرباء وفتحات تركيب المسامير وفقاً لظروف المعدات. لذلك فإن أولويتكم القصوى الآن ليست أخذ المال والذهاب لنقل المعدات، بل إيجاد شخص يذهب الآن إلى الموقع بهدف عمل مسح للمعدات. لقد وضعت هذه المهمة في العمود الأول، وربما لا يكون هنا من الأشخاص من لديه الخبرة الكافية ليقوم بهذا العمل، فنحن بحاجة إلى العثور على مهندسين محترفين للذهاب إلى هناك. أما عن عمود التكاليف، فلتنظروا كم سيحتاج هذا، وإذا كان الوقت لديكم ضيقًا قليلًا، فلتضيفوا عليها مصاريف رحلتي الذهاب والعودة، غالبًا ما ستحتاج إلى أسبوعين».

وببساطة شديدة التقط لي دونغ باو القلم وكتب رقمًا في خانة التكلفة أسفل العمود الأول.

قال سونغ يون هوي: «الخطوة الثانية، وما زالت هي ليس دفع المال. إن الأسلاك الكهربائية تختلف عن الكابلات الكهربائية، فوفقًا لطراز المعدات المستعملة التي اشتريتها، إن الكابلات التي ستتجونها تحتاج إلى رفع، وليس من الممكن الاعتماد في ذلك على القوة البشرية. فلتقرروا الآن، هل ستستخدمون العربة الرافعة، أم الرافعة الجسرية؟ فإذا ما كنتم ستستخدمون العربة الرافعة، فستكونون في حاجة إلى معهد تصميم محترف لتصميم ورشة العمل، فلا تحتاج دعائم تلك العربات إلى صبّ الأسمنت فحسب، إذ يعتمد ذلك على قوة تصميم العربة الرافعة. وينبغي وضع أساس لها في الأسفل أيضًا، أما الرافعة الجسرية فهي أبسط قليلًا، ولكن ينبغي زيادة ارتفاع الورشة، وأنا أقترح عليكم الخيار الثاني.»

فردّ عليه لي دونغ باو وهو ما يزال يتعامل مع الأمور ببساطة: «سنعمل وفق ما تقول.»

وهنا ملأ سونغ يون هوي العنصر الثاني، وكان ما يزال يتحدث: «والآن عليكم أن تبحثوا عن رافعة جسرية مستعملة أو تشتروا واحدة جديدة. وانتظروا لحين تقرير موعد تركيب الرافعة الجسرية ومن ثمّ قرروا الدفع مقابل تفكيك المعدات. وإنني على علم تقريبًا بتكلفة الرافعة الجسرية هنا، وسأضع علامة أيضًا على سعة الحمولة، نكاد نكون انتهينا هكذا.»

وهنا فهم شي قن أخيرًا ما الفرق بينه وسونغ يون هوي، إذ يكمن الفرق في أن سونغ يون هوي واسع الاطلاع، وبالرغم من أنه لا يفهم كيف يسير عمل الأسلاك الكهربائية، ولكنه يفهم

الإطار العام لتكوين المعدات الميكانيكية. إذ قسم سونغ يون هوي المشروع خطوةً خطوة، وحلله بطريقة عقلانية ومفصلة، مما جعل لي دونغ باو يستجيب له بطبيعة الحال ويومئ رأسه موافقاً على ما يقول دون أي إنكار له على الإطلاق. فكّر شي قن في نفسه... إن هذه مسألة الأسلوب في العمل، ولقد اقتنع بها. ومن ثمّ فلم يكن عليه أن يصر على اتخاذ موقف معارض، وتعاون مع سونغ يون هوي في شرح ما يقوله خطوة بخطوة، وأخذ يملأ خزانة المدفوعات من وقت إلى الآخر وفقاً للدخل المتوقع للكيانات الأربعة في قرية شياولييجيا. لكنه كان من الجلي لجميع الحاضرين أن فجوة التمويل ستزداد شيئاً فشيئاً تماشيًا مع التقدم في عملية التكوين خطوة بخطوة. فنظر شي قن إلى لي دونغ باو الذي ازداد صمته وأصبح وجهه شديد الحمرة.

لم يعبر سونغ يون هوي عن رأيه بالتأييد أو الرفض، ولكنه قدّم حسابات غير متحيزة بشيء من الحيادية، آخذًا في الاعتبار كل ما يمكن توفيره مما قد فكر فيه، ذلك لأنه لم يكن على علم قبل مجيئه ما إذا كانت تلك المعدات يمكن العمل بها في النهاية أم لا، فقد كان في حاجة إلى أن يشاركه جميع أهالي شياولييجيا الحديث وفقاً للأرقام، لكنه في نهاية الأمر هزّ رأسه معترضاً وقال: «يبدو أنه... لم تعد هناك حاجة للمزيد من الجدل، فحتى لو جئتم بممتلكات جميع عوائلكم لن يكون ذلك كافياً».

لطالما عارض شي قن في الأصل تشغيل خط الكابلات الكهربائية، لكن اليوم وقد دفع سونغ يون هوي بجميع الاحتمالات

وبذلك الأسلوب الاستقصائي الشاق إلى طريق مسدود، ووصل إلى نتائج مستحيلة، فقد شعر في تلك اللحظة بالاختناق، وبأن الحياة لا طعم لها، بدا الأمر وكأنه أصابته الكآبة للتو بعدما انتهى به المطاف إلى خسارة فادحة في معركة مالية كبيرة، ولكنه لم يُجِب، ونظر فجأة إلى لي دونغ باو الذي بدا وكأنه ممسوسٌ بروح شريرة، فسحب سونغ يون هوي من صدره وأنهضه، وفي ذلك المشهد أصيب الأربعة الآخرون بالذعر، ووقفوا جميعًا في محاولة لتهدئته، ولكن لي دونغ باو كانت عيناه متسعيتين ويتطاير منهما الشرر، يلهث مثل الثور، وكان على وشك أن يمد كفيه الكبيرتين ويهوي بهما عليه.

كانت طريقة تفكير لي دونغ باو في الأصل منقادة بواسطة سونغ يون هوي إلى آفاق محددة، وكان قلبه ممتلئًا بموجات عاصفة من الفخر والحماس، لكن وبتعمق التحليل أكثر فأكثر، بدأ يشعر شيئًا فشيئًا بصعوبة في التنفس، حتى إنه لم يعد يمتلك الطاقة ليعارض ما يقوله، وذلك لأن الرفض الذي قدمه سونغ يون هوي كان صارمًا ودقيقًا، فلم يترك له ثغرة ليحدثه فيها. وحينما نطق سونغ يون هوي بأنه لا داعي لمزيد من النقاش، كما لو دوى فجأة بجانب أذنيه صدى أجراس وطبول، وصعد الدم إلى رأسه، فاحمرّت عيناه من فرط الغضب قائلاً: «سونغ يون هوي، هل ما زلت تلقب بسونغ؟ هل نسيت أختك؟ أما زال الذي يجري في عروقتك دمًا؟».

هرع الأربعة المحيطون به في شدّه بكل قوتهم، فسمعوا فجأة صوت تمزيق، إذ تمزق قميص سونغ يون هوي ذو الأكمام

القصيرة، ولكنه تمكن أخيرًا من الفرار منه، وحينما استفاق بالكاد من الصدمة، وجد شي قن ومن معه يمسكون بلي دونغ باو، ورأى لي دونغ باو ما زال يصرخ فيه مندفعًا بأعلى صوته، لا يفهم لماذا تصرف لي دونغ باو هكذا فجأة، فهل يمكن ألا يكون قد فهم مقصده جيدًا؟ لم يستطع أن يجيب نفسه في هذه اللحظات.

كان لي دونغ باو محبطًا إيجابًا شديدًا، ويبحث عن منفذ واحد للتنفيس عن غضبه، فتخلص من الجميع فجأة، والتقط تختًا وألقاه بعنف على الطاولة فارتطم بها، وحينما رأى شي قن ما حدث ارتبك وسرعان ما قال صائحًا: «أخرج من هنا بسرعة يا سونغ الصغير، أسرع».

وهناك، صرخ لي دونغ باو قائلاً: «لماذا يخرج، وهل أنا أكل الناس؟».

حينما نظر الجميع ورأوا التخت الذي ألقاه، ووجدوا وجهه ما زال مكفهرًا، وهنا قال سونغ يون هوي: «ماذا تفعل، هل جنتت!». كان لي دونغ باو ما يزال غاضبًا، فالتقط مقعدًا متهالكًا، وقال بوجه مكفهر: «سنجتمع الآن، لنناقش ماذا سنفعل بالمليون وسبعمائة ألف».

قال سونغ يون هوي بطريقة خالية من التهذيب تمامًا: «ماذا سنناقش، إن كل شيء ببساطة يسير وفق كلمة منك، كيف يمكن أن تبدأ في الشجار لمجرد أننا اختلفنا».

وهنا رفع لي دونغ باو بصره ونظر إلى سونغ يون هوي، فوجده يرتدي قميصًا داخليًا بدون أكمام، وقال له: «أعذر منك،

لقد شعرت بالضيق الشديد. وأنت كيف تقول لي لا يمكن بمجرد البدء في الحديث؟ لقد أخذت تتحدث طويلاً إلى أن أفقدتني شهيتي ثم قلت في النهاية إنه لا يمكن، هل كان هذا مقلباً؟».

هدأ سونغ يون هوي، وأراد أن يقول «أنت من آذيت أختي بطبعك السيئ هذا إلى أن ماتت»، لكنه حينما رأى الجالسين من حوله تمالك نفسه، على أنه قال: «سبق وقلت لك لأكثر من مرة، ألا تستطيع أن تحسن من طبعك قليلاً؟ إننا جميعاً زملاء، كيف يمكنك أن تكون متسلطاً إلى هذا الحد؟».

«كفى، هذا خطئي».

حينما رأى الأربعة الباقون سونغ يون هوي وهو يوبخ لي دونغ باو ذا الوجه المكفهر، لم يتمالكوا أنفسهم، وسرعان ما قال هونغ وي: «لا يكون الأمين دونغ باو هكذا عادة».

بقي سونغ يون هوي صامتاً، وأخذ يستمع إلى المناقشة التي تدور بين أفراد شياولي جيا الخمسة، فسمع أنهم قرروا إعطاء الأولوية إلى التوسع في مزرعة الخنازير، ومن ثمّ تشغيل مجموعتين من معدات الأسلاك الكهربائية، أما باقي المال فسوف يستخدمونه في تحسين بيئة معيشة أهالي القرية، وكأن شيئاً لم يحدث. فأخذ يغمغم سراً: «إن الجميع يعارضون تسلط لي دونغ باو، ولكنهم يبررون له هذا الأسلوب الاستبدادي، يشبه هذا حينما يعارض هو بيروقراطية الأمين شوي، ولكنه يبدع طرباً في تملقه، هذا هو التناقض نفسه، ولكنه يجمع بينه أيضاً بنفس الطريقة. حينما وصل بتفكيره إلى حساباته الأنانية حينما كان يتملقه، لم

يسعه سوى النظر إلى الجميع ها هنا والتفكير فيما يفكر فيه شي قن
والآخرون بعد كل شيء، ومع ذلك فإن الأمين شوي شخصٌ ذكي
مرّ بالعديد من التجارب ويعرف جيدًا ما يفعل، لكن ماذا عن لي
دونغ باو؟ لقد بدأ يشعر أنه يتصرف الآن بتهور قليلًا، ولا يعرف ما
إذا كان سيستطيع تحمل مديح الآخرين له أم لا.

وعلى الرغم من أنه لم يكن راضيًا، فقد قرر أخيرًا أن يمد يد
المساعدة إلى لي دونغ باو، وينقذه من تهوره؛ فأخبرهم أن الكابلات
الكهربائية ليست مجرد كابلات للطاقة، وأنه ينبغي على لي دونغ
باو ألا يراقب مصانع الأسلاك والكابلات الكهربائية في المدينة
فحسب، فلكي يتمكن من منافسة وهزيمة الآخر، عليه أن يسلمح
نفسه ويثري ويحسن من بنية منتجاته، هكذا سينهار الطرف الآخر
وحده دون تدخل منه. فعلى سبيل المثال يمكن استخدام الكابلات
الفرعية ذات الجهد الكهربائي المنخفض والخصائص الانتقالية
أولاً، مما سيجعله في البداية يستولي على جزء من سوق الكابلات
لمصانع الكابلات والأسلاك الكهربائية في المدينة. فتناقش الجميع
وصوتوا موافقين على كلامه وأبدوا سعادتهم بما يقول.

اعتقد سونغ يون هوي في بادئ الأمر أن لي دونغ باو سيبدو
محرّجًا على الأقل بعدما هدأ، ولكنّ لي دونغ باو لم يتغير قيد
أنملة، إذ أمر تشنغ مينغ بالبداية في الذهاب إلى السوق للتعرف على
المعدات، كما جعل شي قن يجهز المال، ودارت مناقشة ساخنة
حول كيفية الاستيلاء على الأراضي الزراعية بشكل غير قانوني،
وكيفية ترتيب مخرج للمزارعين الذين سيتم الاستيلاء على

أراضيهم، مما جعل سونغ يون هوي يعود لمراقبتهم من كذب، لقد لاحظ أنهم عبارة عن مجموعة من الأشخاص الذين يتصرفون بشكل واع عفوي، أما عنه، فقد كان يزداد إحباطًا كلما عمل أكثر، وما زال يتعين عليه أن يبقى مبتهجًا ويشجع الآخرين، مما أشعره بالغبطة تجاه بيئة عمل شياوليغيا البسيطة، والبنية الحية على نطاق صغير فيها، ونظام التوزيع المعقول، بالإضافة إلى التقدم الذي يسير فيها على قدم وساق.

كان واثقًا من أنه لا داعٍ للانتظار إلى الغد، فبحلول بعد الظهر سيبدأ تشنغ مينغ فورًا في التخطيط لأعمال معدات الكابلات الكهربائية، ولن يستغرق الأمر بضعة أيام لطلب المعدات وتسوية الأرض وبناء المصنع وتركيب المعدات، وسيتم تنفيذ الأعمال في مصنع دنغ فانغ الجديد للأسلاك والكابلات الكهربائية بنشاط بالغ، مما سيجعلهم على وشك الانتهاء من تلك الأعمال، وقد لا تكون سرعة شنتشن التي تم الترويج لها في الصحف أكثر من ذلك.

كان يشعر بالغيرة، خصوصًا حينما رأى تشنغ مينغ الذي كان صبيًا يصغره قليلًا ينضج بسرعة، وعلى الرغم من أنه قد تخرج في المدرسة الثانوية فحسب، فإن قدراته تتخطى قدرات الطلاب الجامعيين الذين هم في نفس عمره ويعملون في مصنع جيتتسو الرئيسي، كان أفضل وصف يمكن أن يقال إذا ما قورن لي تشنغ مينغ بهؤلاء الطلاب الجامعيين في جيتتسو: أن زيادة الخبرة تأتي بالعمل المستمر، ونقصانها يحدث بالتبذل والقفود.

أوشك كبير المهندسين ليو على التقاعد مع اقتراب نهاية العام، حينما اقترب موعد تقاعده، وعلى الرغم من أنه ما زال يشغل منصب كبير المهندسين، ولكن ذلك المنصب صار بمثابة اسم بلا فائدة حقيقية. كان أيضًا ما يزال يشغل وظيفة في معهد الدراسات، وقد سُيّد مبنَى مكون من ثلاثة طوابق جميلة لمعهد الدراسات تحت إدارته، ولكن لم يكن ثمة باحثون آخرون ولا مشاريع بحثية، ناهيك عن تمويل تلك الدراسات. كان تقاعد كبير المهندسين ليو بمثابة ورقة ذابلة على غصن شجرة بالكاد تمكنت من الصمود حتى ذلك الموسم، ثم حلقت وسقطت في الهواء بصمت دون إحداث ضجيج، هذا على الرغم من رؤية الجميع لها.

كان سونغ يون هوي قد رآه هو الآخر، وفي نفس المستوى الوظيفي كان قد لحقه نائب آخر لمدير المصنع الرئيسي في التقاعد بفارق زمني قصير، لكن كانت هناك ندوات وحفلات شاي ومؤتمرات للوداع وتجمعات صغيرة وكبيرة، مما جعل حدث تقاعده مفعماً بالحيوية، وجعل سونغ يون هوي يحاول أن يتخيل كيف سيكون أثر ذلك التناقض في نفس كبير المهندسين ليو.

حينما حلَّ عيد الميلاد، دعا يوي شان تشينغ عددًا من الشباب لإقامة حفل عيد الميلاد في المنزل، ولما عاد يوي شان تشينغ كان البيت مزينًا بزهور مصنوعة من ورق الشمع، مما جعل المنظر مبهجًا، وكانت على الطاولة كوكاكولا، وبيرة معلبة من ماركة تشينغ داو، ونبيد أحمر من ماركة تشانغ يوي، وعُلب لفافات تبغ

من ماركة مارلبورو الملونة باللونين الأحمر والأبيض، بالإضافة إلى بطيخ الصوبات الذي أحضره من شانغهاي، إذ يُقال إنه يكلف تسعين ماوًا للجين الواحد، ناهيك من الحلوى والبسكويت واللب، كما كان من نصيب الحاضرين كل على حدة قطعة من شوكولاتة دوف.

ذهبت تشنغ كاي يان ببطنها الكبير إلى هناك هذه المرة، وحينما رأت تلك المناظر اقتحمت الحضور، كما أعطها سونغ يون هوي قطعة الشوكولاتة التي كانت في يده، وجعلها تجلس لتدردش مع زوجة يوي شان تشينغ التي كانت بطنها كبير هي الأخرى، كان الجميع يمرحون بجنون في حجرة المعيشة، فتعرفوا في بداية الأمر على لعبة الزهر والطبول، إذ يمسون بالأشخاص ذوي الحظ السيئ ويخرجونهم ليشربوا الخمر ويؤدوا العروض، ثم صاروا جميعًا فيما بعد في حالة ثمل ويحدثون ضجة صاخبة، وقد أفتنوا سونغ يون هوي بغناء أغنية «ليلة مليئة بالنجوم»، فغناها بصوت صادح لا ملامح له. ظلّت الأجواء حيوية إلى وقت متأخر من الليل، وخشي سونغ يون هوي ألا تستطيع تشنغ كاي يان الصمود أكثر من ذلك، ولكنه لم يتخيل أن يجدها مستمتعة ومسرورة سرورًا شديدًا، حتى إنها لم تكن تريد المغادرة، فلم يتفرق الجمع حتى تجاوزوا منتصف الليل.

بعد الخروج من منزل يوي شان تشينغ الدافئ النابض بالحياة، ومرورًا بشوارع الليل الباردة، والعودة إلى منزلهم الأكثر دفئًا والمزود بجهاز تدفئة ليس مُركبًا في مبنى رؤساء الأقسام، نظر

الاثنان في لحظة صمت إلى حجرة المعيشة الفارغة، فقد كان منزلهم ومقارنة بمنزل يوي شان تشينغ كبير، ولكنه بسيط، بسيط حد البؤس. أخذت تشنغ كاي يان تمضغ شوكولاتة دوغ التي كانت تقدرها أسنانها بشدة، فأصدرت تنهيدة شاعرةً بأنها أجمل كثيرًا من شوكولاتة مالتيزرز.

تنهدت تشنغ كاي يان مرةً واحدة، أما سونغ يون هوي فقد تنهد آلاف المرات، وعلى الرغم من سفره الكثير بسبب العمل، ورؤيته لأماكن فارهة أكثر بكثير من بيت يوي شان تشينغ، فإن ذلك كله كان بعيدًا، فحتى لو كانت أماكن فاخرة كالقصور، لم يكن ليعيرها الكثير من الاهتمام، ولكن يوي شان تشينغ كان قريبًا منه كثيرًا، وقد جعل بيته الفاخر سونغ يون هوي يشعر بالخزي والعار، وبخاصة حينما رأى تشنغ كاي يان معترزة كثيرًا بقطعة الشوكولاتة هذه، فكانت تستمتع بطعمها كما لو كانت طفلة صغيرة، ما زاد شعوره بالذنب، وبأنه لا يستطيع أن يوفر لزوجته حياة أفضل. اختلطت المشاعر بداخله، وقضى ليلته قلقًا لا يستطيع النوم.

استيقظ كلاهما في وقت متأخر من صباح يوم الأحد، وبعدما انتهيا من تناول طعام الفطور، بحث سونغ يون هوي عن مقص ومجرفة، وخرج لتوضيب الفناء بالخارج، أمسكت تشنغ كاي يان ببطنها وجلست تشاهده من خلف النافذة، كان الخضراوات التي زرعوها في فناء المنزل الأمامي قد نمت وصارت ناضجة غضة، قطف سونغ يون هوي بعض نباتات السبانخ منها، ثم طرق على النافذة وأعطاهم لتشنغ كاي يان، وحينما رأى وجهها ناضجًا

ومتوردًا كثمرة الفاكهة، لم يسعه سوى أن يلقي مزحة: «لنذهب إلى أخي الكبير في عيد الربيع لنأخذ كيسًا من روث الخنازير، سوف يضمن ذلك نمو الخضراوات بشكل أفضل».

«لا، لا أريد ذلك، أنا لا أكل الخضراوات التي زُرعت بروث الخنازير، ما إن أفكر في الأمر حتى أشعر بالغثيان».

«ماذا عن دفنها أسفل زهور العبقة الأريجية والغردينية الياسمينية؟ من المؤكد أنها ستفتح في العام المقبل كبيرة وجميلة».

«بل أنت الكبير والقبیح، إن هذا مقرف للغاية، لا، إياك أن تفعل هذا».

فكر سونغ يون هوي قليلاً ثم قال: «ماذا لو أجعل أبي وأمي يأتيان هذا العام ليساعدانا، قطتي، أغلقي النافذة لألا تبردي».

ضحكت تشنغ كاي يان ضحكةً حُلوة، ثم أغلقت النافذة، وأخذت السبانخ إلى الداخل. أخذ سونغ يون هوي يقلم أزهار الأقحوان بالخارج، فقد كان مشغولاً في الفترة الماضية ولم يجد الوقت لتوضيبيها، وحينما تفتحت زهور الأقحوان، صارت الفروع صفراء ذابلة على الفور، لكن كانت هناك شتلات طرية غضة تنمو في الأسفل. قطع سونغ يون هوي الفروع الميتة واحداً تلو الآخر، وترك الشتلات الصغيرة فحسب. وحينما فعل هذه الأشياء شعر كما لو كان هادئاً، فقد كان قلقاً متضايقاً في الفترة الأخيرة.

لم يتصور صدور صوت قادم من الفناء الخلفي، كان صوت رجل وامرأة يتناقشان حول جمال رائحة الفلفل الياباني المزروع

في الفناء الخلفي، يتحدثان بطريقة شعرية راقية للغاية. شعر سونغ يون هوي بأن هذا الصوت مألوف له جدًا، خاصة صوت المرأة، مألوف كثيرًا لدرجة أنه يدخل القلب. لم يسعه سوى أن يترك العمل الذي بيديه، و ينتظر بصبر حتى اقتراب صوتي الرجل والمرأة منه شيئًا فشيئًا. شعرت تشنغ كاي يان بحدوث شيء غير عادي، فذهبت لتشاهد معه ما يحدث. ما مرت لحظات حتى وجداليو كبير المهندسين وابنته ليو تشي مينغ قادمين من جانب زاوية الجدار، وحينما رأى كل من الأب وابنته سونغ يون هوي فزعًا، وهنا فهم سونغ يون هوي لماذا كان صوت المرأة مألوفًا كثيرًا بالنسبة إليه، إذ كان صوت ليو تشي مينغ قريبًا دائمًا من صوت أخته.

قال كبير المهندسين ليو: «أهو فناء منزلك؟ لقد نضجت الكثير من ثمار الفلفل الياباني في الخلف، إن الفلفل الياباني الذي رأيناه عندما مررنا بالمتنزه لم ينضج بعد، وهذه الخضراوات أيضًا، تعتبر ساحتك هي الأفضل عنايةً من بين باقي الساحات في هذه المنطقة، فأنت دائمًا ما تكون صبورًا».

رد عليه سونغ يون هوي ضاحكًا: «هل خرج السيد ليو في مثل هذا اليوم البارد؟ يبدو أنها ستمطر ثلجًا. لا مفر، لدينا في البيت الآن أفواه مُتعبَة، فحتى لو أرادت أن تأكل بجعة، سيكون عليّ أن أخاطر وأحترق جدار حديقة الحيوان في الليل لأتي لها بها. ألا يريد السيد ليو أن نجلس في الداخل؟».

كان سونغ يون هوي يعرض عليه من باب الذوق فحسب، ولكنه لم يتخيل أن يوافق، فدلف معه إلى الداخل. وحينما رأت

تشنغ كاي يان ليو تشي مينغ شعرت وكأنما رأَت منافستها في الحُب، فلم ترغب في الترحيب بها، لكن وبما أن زوجها قد رحب بهما في الداخل، فما كان عليها إلا أن تُصَبَّ لهما الشاي والماء وترحب بهما.

جلس كلٌّ من كبير المهندسين ليو وليو تشي مينغ على مقعدين خشبيين، ثم أخذَا ينظران إلى حجرة المعيشة شديدة البساطة هذه، والتي من فرط بساطتها لم تكن لتحتوي على أريكة حتى.

حينما رآهما سونغ يون هوي، ابتسم وقال: «بيتنا بسيط، من فضلك اشرب الشاي يا سيد ليو، لقد أتينا بهذا الشاي من الجبل المجاور للبيت القديم، لا بأس به». كان يتحدث بينما يلتقط مقعدًا من الخيزران ليجلس عليه، والتقط مقعدًا آخر خشبيًا ووضعهُ لتشنغ كاي يان كي تجلس عليه.

لم يخجل كبير المهندسين ليو على الإطلاق، إذ أشار إلى المنزل الفارغ سائلًا إياه: «إن جميع العاملين في المصنع الرئيسي من أكبرهم إلى أصغرهم منصبًا من الشباب يصنعون خزانات بأنفسهم في المنزل في أوقات فراغهم، وأنت، لقد مررت بهذا المستوى الأساسي أنت أيضًا على كل حال، ألا تملك هذه القدرة أيضًا؟».

قالت تشنغ كاي يان: «إنه إما يخرج باكراً ويعود متأخرًا، وإما يكون منكبًا على قراءة الكتب، أنى له بوقت فراغ».

فضحك كبير المهندسين ليو وقال: «يقول الجميع إنك شاب واعد، يبدو أن الأمر يلزم كثيرًا من التعب لتكون شابًا واعدًا، فإنك

تنتهز الأوقات التي يقضيها الناس في الاستمتاع والطعام والشراب وتقوم بأشياء مهمة».

قال سونغ يون هوي مبتسمًا: «من يجرؤ على امتداح نفسه بالعمل الشاق أمام السيد ليو، خاصة وأن السيد ليو قد حقق الكثير من الأمور في مثل ذلك العصر الفوضوي».

تنهد كبير المهندسين ليو وقال: «وما الفائدة من ذلك، إن العمل التقني هو الأشق، فالقضاء عليه من أسهل ما يكون، كما أنهم أكثر من يعملون في الظل. علاوة على ذلك فإن شباب اليوم أذكاء، إنكم جميعًا قد تخرجتم في الجامعات، وتعتمدون جميعكم على المهارات التقنية في البداية، وهذا هو الصحيح. بالمناسبة، هل سمعت عن حركة نقل الموظفين في الفرع الأول أم لا؟ لقد سمعت أن المدير مين سيذهب إلى المصنع الرئيسي ليشغل منصب نائب المدير».

سبق وقد علم سونغ يون هوي بهذا الأمر قبل كبير المهندسين ليو بكثير، فقد علم هذا من حميه، ولكنه اكتفى بالابتسام في هذه اللحظة وقال: «سمعتُ ذلك، ولكنني لا أعرف من سيكون مدير الورشة الجديدة فيما بعد».

«يقول الجميع أنه سيكون أنت». كان يتحدث بينما يتفحصه بعينه. فضحك سونغ يون هوي ثانية وقال: «ومن أين سمع السيد ليو هذا الكلام؟».

فابتسم كبير المهندسين ليو، ولم يذكر الأمر ثانية، ولم يتفوه ببضع جمل أخرى حتى أخذ ابنته واستأذن للمغادرة، فلم يستغرق

ما حدث عشر دقائق. أوصل سونغ يون هوي كليهما إلى الخارج،
وحينما عاد تحدث إلى تشنغ كاي يان: «ألم تلاحظي أن السيد ليو
متحفز تجاهي؟».

«إنه غاضبٌ من الجميع الآن، وعلاوة على ذلك فإن ابنته
حبيبته لم تتزوج بعد، فيوي شان تشينغ يُزيده غضبًا بتسكعه أمامه.
ماذا تنتظر من شخص مثله قد تجاوز غضبه الحد، لا تعره انتباهًا،
لقد كان يتحدث بطريقة غير لائقة ويتفحصك بعينه». وعلى الرغم
من أن تشنغ كاي يان قد بالغت في الإساءة إلى كبير المهندسين ليو
بسبب ابنته، فإنه كان وقحًا حقًا، وكان يبتسم ابتسامة باردة وكأنه
يرغم نفسه على الابتسام.

«صحيح، كانت عيناه مثبتتين تجاهي، وابتسم ابتسامة باردة،
لقد لاحظت أنتِ الأخرى هذا أيضًا. شعرت بأنه تعمد الدخول
فقط لرؤية منزلي الجديد الفخم هذا، لقد بالغ في الحساسية». ولم
يتمالك نفسه، فأضاف: «إن صوت ليو تشي مينغ يشبه صوت
أختي، فحينما سمعتهما وقبل أن أراهما، وكانا يتحدثان من خلف
الجدار، فزعت بشكل لا يوصف».

ردت عليه تشنغ كاي يان في حالة تأهب: «أتفكر فيها أيضًا؟
لقد سمعت صوتها منذ وقت طويل، هل ما زلت تكن لها مشاعر
الإعجاب؟». وسُرعان ما أنكر سونغ يون هوي: «ما هذا الهراء، لا
تنسي أن أخي شيون جيان شيانغ قد دخل السجن بسببها هي ويوي
شان تشينغ».

«ولكن ألم تصير علاقتك الآن على ما يرام بيوي شان تشينغ؟».

«لست في حاجة إلى الكلام الكثير. هيا، اذهبي إلى بيت والدتك». فكرت تشنغ كاي يان في كلامه ووجدته منطقيًا، وكانت تعرف في قرارة نفسها أن سونغ يون هوي ينفر دائمًا من يوي شان تشينغ. ولكنها كانت لا تزال قلقة من ليو تشي مينغ.

حينما حان موعد تناول طعام العشاء أمطرت السماء ثلوجًا، فجلسا يراقبان هطول الثلوج من داخل منزلهما الدافئ ويشعران بشيء من الترف، وكان سونغ يون هوي يحن لهذا الترف، إذ جلس من خلف النافذة ينظر طويلًا ويفكر طويلًا أيضًا. لقد تحدث للـتو مع حميه عن أمر ترقية المدير مين، كما قال المدير تشنغ أن المدير مين شابٌ واعد، وبعدها تتم ترقيته في المصنع الرئيسي، سيكون من الجلي أنه سيصبح المدير الرئيسي مستقبلاً. من المتوقع أن يكون المدير مين مسؤولاً الآن عن الإنتاج والتكنولوجيا، ومن المحتمل جدًا أن يصير نائب المدير. حينما فكر سونغ يون هوي في الصراع الذي كان بينه والمدير مين في الماضي شعر بغصة في قلبه، وقد ازداد شعوره بالثقل الداخلي عند رؤية الثلوج المتساقطة من خلف النافذة. لكن لم يعد هناك مفر من مواجهة المدير مين الآن، ولا يعرف ما هي الحلول المتاحة لإنقاذه من هذا حالًا.

تجاوزت الساعة التاسعة، وانتهت تشنغ كاي يان من مشاهدة مسلسل «العالم الباحث عن الرجوع» الذي يمثل فيه ممثلون وسيمون للغاية، ثم استعدت لتنام، فرت الهاتف، وعلى الرغم من وجود الهاتف بجانبها، فإنها لم تكن لترد على الهاتف ما دام سونغ

يون هوي في المنزل، إذ كانت تخشى من سماع كلمة «هالو» بمجرد الرد على الهاتف، خاصة ذلك الهاتف الذي يرن في وقت متأخر من الليل. رفع سونغ يون هوي سماعة الهاتف، وإذا به يقول «هالو» تلقائياً، وكان يخشى أن تكون مكالمة قادمة من بلاد بعيدة، التصقت تشنغ كاي يان بزوجها، فسمعت كلمة «هالو» بصوت أثري غير واضح، فتراجعت شاعرةً بالإحباط، إذ لم تكن المكالمة قادمة من أبيها وأمها.

أما سونغ يون هوي فقد تهللت أساريره بعدما سمع الجملة التالية «مستر سونغ» التي استطاع أن يميزها بوضوح، فقال بدون تفكير: «ليانغ سي شن؟ هل أنت بخير؟».

اندهشت تشنغ كاي يان بمجرد أن سمعته، ولكنها لم تهلل، فتوقفت بجانبه شاعرةً بالارتباك، لا تعرف ما إذا كان عليها أن تستمع أم لا؟

كانت ليانغ سي شن تتحدث ببطءٍ قليلاً، كما لو كانت تتهجى الكلمات، فتعجبت حينما سمعتها، إذ كانت فصاحتها واضحة ونغماتها كاملة: «أنا بخير يا أستاذ سونغ، عيد ميلاد مجيد، سنة جديدة سعيدة. ولكنني لا أستطيع أن أتخيل، لقد تغير صوت الأستاذ سونغ كثيراً».

«وأنا أيضاً لم أتصور أن تأتي مكالمة منك، سنة جديدة سعيدة، ألم تخرجي لتمرحي؟ فإنكم غالباً تقضون العطلة الآن؟».

«الوقت الآن صباحاً، عليّ أن ألحق عمل واجباتي المنزلية، لقد اتصلت بكم مرتين من قبل ولكن لم يرد عليّ أحد، ولقد قال

لي أبي إن هذا هو رقم هاتفك، ففكرت في تجربة حظي اليوم مرة أخرى، وكان حظي سعيدًا كما توقعت. ومع ذلك، فإنني لا أعرف لماذا لا أجد ما أقوله حينما أتصل بك؟ بالمناسبة يا أستاذ سونغ، ماذا تعمل الآن؟».

ما إن سمعها سونغ يون هوي حتى شعر بأن كلامها مثير للاهتمام، فقد ظنَّ في بداية الأمر أن كلام ليانغ سي شن سيكون حادًا تمامًا مثلما تكتب له. وحينما تذكر سونغ يون هوي أن المكالمات الدولية تكون باهظة، رد عليها مباشرة: «أعمل في تصدير المنتجات، أدير قسمًا للتصدير، كما أعمل مديرًا لورشة، يعمل تحت يدي أكثر من أربعمئة شخص».

«ليس العاملون تحت يدك كثيرون مثل أبي، ولكنَّ أبي يكبرك في العمر. أنا أيضًا أعمل بشكل مؤقت في شركة استيراد وتصدير، ولكننا نعمل في الملابس، ففي كل مرة أذهب فيها إلى العمل أنفذ أوامر لا تعد ولا تحصى، الأمر شديد التعقيد، لو أخطأت فسأجلب لنفسي المتاعب، ولكنني لم أخطئ من قبل. ما الشركات التي تتواصل معها في أمريكا؟ إن مستواي جيد جدًا الآن، يمكنني أن أساعدك في التحقق من مؤهلات الشركات». وحينما انتهت لم تمالك نفسها من الضحك.

فقال لها سونغ يون هوي ضاحكًا: «حسنًا، فلتعطيني رقم التلكس الخاص بك، وسأرسل لك غدًا حينما أذهب إلى العمل. سأعطيك فرصة للتدريب. إننا نقوم عادة بشحن البضائع عن طريق خطابات الاعتماد بعد إبرام العقد، ولا يهم حتى إذا كانت الشركة الأخرى من

شركات الحقائق الجلدية. هل تفهمين ما أقول؟»، فسألته ليانغ سي شن في بلادة: «وما هي شركات الحقائق الجلدية؟».

«أقصد أنها لا مكتب لها ولا عمال كثيرون، فقط شخص أو اثنين يركضون حاملين حقائق جلدية، يوجد بداخل الحقائق أموال، وأختام، وفواتير، وخطابات تعريف وغيرها من كافة أصول الشركة».

تعجبت ليانغ سي شن قائلة: «وماذا في ذلك؟ في أمريكا الكثير من الشركات الصغيرة على هذا المنوال، فبعضهم يقومون بالبيع والشراء في منازلهم، ولطالما لديهم قوة مالية جيدة وسمعة طيبة، فليس هناك من أحد يمكنه احتقار شركات الحقائق الجلدية، وسيستمر البنك في إصدار خطابات الاعتماد لهم. لقد ارتكبت خطأ يا أستاذ سونغ، ما كان ينبغي لك أن تحتقر شركات الحقائق الجلدية».

«إن معنى شركات الحقائق الجلدية هنا مختلف قليلاً، إن الكلام في ذلك يطول، دعيني لا أكلفك كثيرًا في تلك المكالمات الدولية. لا تتمتع شركات الحقائق الجلدية هنا بسمعة طيبة؛ إذ لا تبقى في أماكنها طويلاً».

«نعم، فهمت، أتمنى حقًا لو كانت جميع الشركات التي يتعامل معها الأستاذ سونغ في أمريكا هي من شركات الحقائق الجلدية، سيكون الأمر مرحًا للغاية. من فضلك سجّل رقم هاتفي ورقم التليكس الخاص بي يا أستاذ سونغ، وسوف أبحث بالطبع عن شركة حقائق جلدية لتكون هدية الأستاذ سونغ في العام الجديد».

التقط سونغ يون هوي دفترًا بجانبه ليسجل الرقم، وحينما انتهى لم يتمالك نفسه فسألها: «كنتِ تتحدثين بسرعة في السابق، ما بالك أصبحتِ تتحدثين ببطء كما لو كان أحد تحكم في سرعة صوتك بمُسجِّل؟».

«ليس من أحد يمارس معي الصينية، ولكنني أتحدث الإنجليزية بسرعة بالغة. أنا حزينه للغاية، سمعت أن هذا يسمى نسيان الأصل، نسيان الأسلاف». وبينما تتحدث ليانغ سي شن إذ أخذت تكرر ما قالته بالإنجليزية، فتغير صوتها كما لو كان أحدهم زوّد من سرعته في مُسجِّل، كما كانت ثروتها اللغوية كبيرة للغاية، فلم تلحق بها آذان سونغ يون هوي. «لقد تعافيتُ ثانيةً أيضًا حينما تحدثتُ مع أبي وأمي لبضعة أيام في المرة الأخيرة، تقول أمي إنه لم يعد يناسبني سوى الاستماع إلى أغاني الأطفال».

لم يعرف سونغ يون هوي أيضًا أم يبكي بعدما سمع كلامها، فتبادلا بضع كلمات، وكان حديث ليانغ سي شن مكلفًا للغاية، لذا كان عليه أن يغلق الخط فورًا إذا ما اتصلت مرة أخرى. كان سونغ يون هوي سعيدًا للغاية، وحينما استدار إلى الخلف وجد تشنغ كاي يان تحملق فيه على الجانب بوجه عابس، ففهم ما بها على الفور، ولم يسعه سوى أن يتمالك نفسه من الضحك، ثم مرّ بجانبها وكأن شيئًا لم يحدث فقال: «لم ألتقِ بها طوال هذه السنوات، وما إن اتصلت بي حتى لم تجد ما تقوله لي»، وهكذا مرّ الأمر. ومع ذلك فإنه لم يكن يحب شك تشنغ كاي يان الشديد فيه، فحينما جاءت ليو تشي مينغ في الصباح، ظلّت تشك فيه حتى الآن.

ولكنّ ما الذي يزعج تشنغ كاي يان؟ فليانغ سي شن صغيرة جدًّا. شعر سونغ يون هوي بأنه لا يصدق ما يحدث. ظلت تشنغ كاي يان تستجوبه وتسأله عن الحديث الذي دار بينهما، فلم يتمالك سونغ يون هوي نفسه إلا أن قال لها: «كيف تكونين مبتدلة لهذه الدرجة؟». شعرت تشنغ كاي يان بالظلم وأخذت تبكي، فأحسَّ سونغ يون هوي بالضجر من محاولة نصحتها، إذ كانت ليلتهما جيدة ولكنها دُمّرت.

توقف هطول الثلوج بالخارج، ولم يكن ثمة ثلوج على الأرض.

إنها نهاية العام مرةً أخرى.

بعدها مرت رأس السنة الميلادية، ذهب سونغ يون هوي إلى قوانغتشو للقاء رجل أعمال من هونغ كونغ، كان رجل الأعمال يقيم في فندق البجعة البيضاء، وتم التنسيق لسونغ يون هوي أن يقيم في بيت ضيافة بقوانغتشو.

كان يذهب في وقت فراغه إلى التسوق، فقد كانت شوارع قوانغتشو ثرية بالمنتجات أكثر مما في جينتشو. وكان قد استعد لدعوة أبويه لقضاء عيد الربيع معهما، فصحة تشنغ كاي يان لم تكن على ما يرام هذا العام، وبالطبع فإن قضاء عيد الربيع في جينتشو سيكون مختلفًا عنه في منزلهم الريفي، فمن المحتمل أن يكون هناك العديد من الناس الذين يأتون لزيارتهم، وكان عليه أيضًا أن يذهب إلى بعض الأصدقاء والقادة ليهنئهم بالعام الجديد، ولا يمكن ألا يذهب وليس في يده هدية.

ولكن الأشياء باهظة الثمن حقًا! وليس هذا بسبب تطلعات سونغ يون هوي العالية مع تواضع إمكانياته المادية، ولكن ثمة ارتفاع ملحوظ في أسعار البضائع مقارنة بالعام الماضي، بالإضافة لعدم وجود ارتفاع يُذكر في الرواتب. وعلى الرغم من تطبيق

جيتشو للروح الوطنية المتمثلة في ربط الأجور بالمناصب الوظيفية، وتنفيذ إصلاحات في الرواتب، إذ ارتفع راتب سونغ يون هوي إلى مستوى نائب قسم، فلم يعد هناك فارق يُذكر في الراتب بالأقدمية بينه ونواب الأقسام، ومع ذلك فلم يكن يظهر النقص في المال إلا عندما يحين موعد إنفاقه، إذ لا يحتوي منزله سوى على بعض الأثاث الذي كان مهرًا لتشنغ كاي يان عند زواجهما، وهو في حاجة إلى إنفاق المال لملء منزلهما الفارغ، كان يركز إلى أساس هش، ومن حسن حظه أن تشنغ كاي يان لم تكن لتشكو قط، فقد كانت الدنيا بالنسبة لها بمثابة جنة ما دام زوجها فيها. وبينما يشاهد سونغ يون هوي أشكال وألوان المنتجات المُبهرة في شوارع قوانغتشو، شعر بالإحراج الشديد حينما أخذ يلامس بضع عشرات مجمعة من اليوانات كانت في يده. لم يكن يشعر بحاجة إلى المال طوال وجوده في جيتشو، لكن حينما يغادر البلاد يعلم أن المال الذي معه قليل، مما جعله يستعد نفسيًا للصدمة الحقيقية التي تتعرض لها روحه، خاصة حينما يذهب إلى قوانغتشو أو شانغهاي ومثل هذه الأماكن.

لم تكن الحقيبة التي أتى بها سونغ يون هوي إلى قوانغتشو ممتلئة، وقد عاد إلى منزله بحقيبة ومحفظة نقود فارغتين. ارتاد القطار عائدًا إلى جيتشو، وركب في شيء من الحرج بعربة النوم التي لا يرتادها سوى الكوادر من الدرجة الرابعة عشر فيما فوق. حينما مرّ بشانغهاي، قفز من فوق يوي شان تشينغ الذي كانت تفوح رائحة الخمر من فمه، وبالمقارنة، فلم تكن حقيبة سفر يوي شان تشينغ جميلة وعصرية فحسب، بل كانت ممتلئة أيضًا. تقاسم يوي

شان تشينغ مع سونغ يون هوي خبزًا مدهونًا بالكرامة وشرائح جوز الهند، كما فتح حقيبة يد وأعطى منها لسونغ يون هوي بضعة أشرطة كاسيت موسيقية، وقال له إنه أحضرها له خصيصًا، بالإضافة إلى وشاح حريري ثقيل وجميل وكيس به حلوى متنوعة من شانغهاي. أما هو فلم يهده سوى زجاجة صنسليك مثيرة للشفقة. ومن حسن الحظ أن هذا الشيء لم يكن قد وصل شمالاً إلى شانغهاي بعد، فلم يره يوي شان تشينغ من قبل، وحينما نظر إلى العبوة المليئة بالإنجليزية لم يكن يعرف ما إذا كان سعيدًا حقًا أم أنه ينبغي عليه أن يعبر عن سعادته من باب الأدب، ولكنه شعر بأنها ستكون مفيدة على كل حال.

تحدثا في كل شيء، حتى إنهما تناقشا في من هو أفضل طبيب نساء وتوليد في المركز الصحي للمصنع، ومن ثمَّ فكان من الضروري التحدث في شؤون الموظفين التي كانت تهم الجميع في الآونة الأخيرة بالمصنع الرئيسي.

«ألا ترى يا سونغ الصغير أن قرار نقل مين المستميت في العمل هذا إلى المصنع الرئيسي من الممكن أن يتغير؟».

«أعتقد أنه لن يتغير غالبًا، أنا فقط قلق بشأن من سيكون المدير القادم للورشة الجديدة».

«ها؟ ما الذي يقلقك؟! إذا كنت تقلق من هذا فإنك بذلك تسخر مني. إن وجودك في الورشة الجديدة ليوم واحد يجعل من أي مدير يأتي مديرًا صوريًا، أنا مندهش كثيرًا، إن لك الشخصية ذاتها التي هي لمين، فكيف لا تنسجمان معًا؟ أم أنه تنافر المتماثلين؟».

«ما الذي يقلقك في هذا؟! من المؤكد أن مين لن يكون مسؤولاً عن الإدارة. بل أنا من يقلق، إن جميع الناس في المصنع يعرفون أنني لستُ على وفاق معه، أنت الوحيد الذي تقول إننا لنا الشخصية نفسها».

«بل إن مين أكثر من يشبهك، كلاكما مجانيين تبحثن عن المنفعة. سوف تقع جميع التفاصيل التي تخرج من بين يدي أنا وأنت في يده فيما بعد، انتظر وسرى ما إذا كان بإمكانه ألا يرفض الكثير منها أم لا».

ذهل سونغ يون هوي، فهو لم يكن يتوقع أن يلاحظ يوي شان تشينغ هذه التفصييلة، إذ صمت قليلاً ثم قال: «من الأفضل لك ألا تقلق، أياً من يكن مين، فإنه لن يخيب ظن الأمين شوي. ألم تقل إن الأمين شوي هو الذي رَقَّاه؟».

«أتمنى كذلك، لكن جُل ما أخشى... أن تقوى شوكته».

ازداد ذهول سونغ يون هوي، وأخذ ينظر إلى يوي شان تشينغ، فلم يتحاشاه وبادلته النظرات هو الآخر: «من المحتمل جدًّا، فكلانا مرهونان بمصير واحد، ألسنت مدركًا لذلك؟».

ظلَّ سونغ يون هوي يفكر طويلاً، ثم فاجأه قائلاً: «هل تقصد أن تكليف مين بهذا المنصب جاء بأمر مباشر من الوزارة، ولا حيلة للأمين شوي في ذلك؟».

«أنا لم أقل ذلك، كما أنني لا أرى أي تكليف، ألم يخبرك حموك؟».

«لقد كنت مُسافرًا في عمل طوال فترة ما بعد رأس السنة الميلادية، هل نسيت؟ ومع ذلك... فبغض النظر عمَّن يكون الأمين شوي، أي شيء هذا الذي يعجزه في جينتشو! على الأقل لا داعي للقلق خلال الستين اللتين تسبقان تقاعده. أما أنا فقلق على كل حال من أن تُدار الورشة الجديدة بواسطة مين فيما بعد».

«أعتقد أن الدور سيكون على مين بعد عامين. عمومًا هذا ما سيحدث، لا، بالتأكيد هذا ما سيحدث. ما زال لدينا عامان آخران نلتقط فيهما أنفاسنا».

ابتسم سونغ يون هوي بينما ينظر إلى يوي شان تشينغ وقال له: «لا تربطني بك، فهذان العامان يتعلقان بي، وليس لي فيهما أي علاقة بك. لقد شربت حد الثمل، تعال، خذ شربة ماء». وكان يقول في نفسه إن يوي شان تشينغ يتحدث بصراحة حينما يشرب كثيرًا، وأخيرًا استطاع أن يتتهز الفرصة اليوم ليتغلب عليه. وليس في وسعه سوى أن يتجاهله.

«نصف زجاجة خمر ماوتاي فقط لثلاثة أشخاص، كيف ستكون كثيرة عليهم؟».

«ماوتاي؟ هل تمازحني أم تقول الحقيقة؟».

ابتسم يوي شان تشينغ ونهض واقفًا، ثم قلب اللحاف من فوق سريره والتقط زجاجة وألقاها إلى سونغ يون هوي: «ما زال هناك نصف زجاجة، خذها، غالبًا فإنها حقيقة. إنك تشرب الكثير من النبيذ الأجنبي ولكنك لا تعرف النبيذ الصيني على العكس من ذلك».

نزع سونغ يون هوي غطاء الزجاجاة وتشممها، فهبت رائحتها القوية إلى أنفه، مما جعله يضحك قائلاً: «نبيذ جيد، إذا ما شربت منها مائة مليلتر فسوف تحملي فيما بعد عند النزول من القطار». وبينما انتهى من حديثه أعاد الزجاجاة ووضعها أمام يوي شان تشينغ.

ضحك يوي شان تشينغ ضحكة باردة، ثم أعاد نبيذ ماوتاي ثانية: «أتظن أنني لا أعرف أنك تحتقري يا سونغ الصغير؟ حتى إنني إذا ما أردتك أن تقبل هديةً مني ما يزال عليّ أن أتوسل إليك. ومين أيضاً. ولكنكما لا تستطيعان أن تفعلنا أي شيء لإيقافي الآن. انتظر حتى يترقى في منصبه بعد عامين، وسيكون أول شيء يفعله هو القضاء عليّ أنا ذلك المتملق، ثم ستدور الدائرة عليك، ولكنه لا يفكر لوهلة في أنه أيضاً يعتمد على المنفعة من حميه، فأى قائد في جيتشو خلفيته نظيفة؟».

حينها فقط فهم سونغ يون هوي مخاوف يوي شان تشينغ، فعلى الرغم من موافقة الأمين شوي على كل ما يقوله يوي شان تشينغ، ولكن ينبغي أن تمر معظم ترتيبات الإنتاج من يد أحد مديري المصنع، إذ يركز مين على المصالح، وهو ذو طبع لا يرحم، وسبق له كثيراً أن وبّخ يوي شان تشينغ. لقد تولى مين منصب نائب المدير الرئيسي، ولكن الأمين شوي ما زال يرأسه، مما جعل يوي شان تشينغ على العكس أفضل حالاً، فإنه لن يضطر إلى التعامل معه مباشرة. ولكن الأمين شوي سيتقاعد بعد عامين، حينها سيكون من الصعب قول ماذا سيحدث. قال سونغ يون هوي

ليوي شان تشينغ الذي تفوح رائحة الخمر من فمه، أما وجهه فلم يكن شديد الحمرة: «ولكنّ مين ما زال يتمتع بقدرات عالية، وإن حالته اليوم مؤقتة، ولكن غالبًا لن يكون ثمة مفر منه».

ضحك يوي شان تشينغ ضحكة باردة: «دعك من هذا، أدافع عن نفسي من أجلك. لا بد وأنك تقول هكذا الآن، ولكن هل فكرت من قبل في هذا أم لا، ما الذي يؤهلك للحصول على الوظيفة نفسها أسهل من أي شخص آخر؟ فبغض النظر عن أي عمل يوكل إليّ، عليّ ان أشكر مديري شكرًا كثيرًا على منحي الفرصة لأدائه، وحتى لو كنت لا أريد أن أقبله، فينبغي عليّ القيام به على أكمل وجه، أما أنت فهل تحتاج إلى قبوله؟ إنك تستطيع انتقاء ما تريد أن تفعل، ولكن هل يمكنني أنا الاختيار؟ حتى ولو كنتُ أعلم أنني أعطيت حفرة نار، فعلى أن أتجاوزها بوجه باسم، بل وما يزال يتعين عليّ تأجيج النار بقوة من أجل القائد، ماذا كنت لتفعل لو كنت مكاني؟ لطالما كان حظك سعيدًا أكثر منّا منذ دخولك اليوم الأول من باب المصنع، فقد كان هناك من يرشحك، فمنذ قدمت وطئت الدرج من أعلاه، لم تكن تحتاج إلى الكد في العمل ليوم كامل، فقد تولاك الأمين شوي ورعاك، فماذا عني أنا؟ لقد كنت أشبه بمرافق لك، أتبعك مثل ظلك في كل مكان لأقتبس من نورك. فأمام شخصٍ لامعٍ مثلك دخل معي المصنع في الوقت ذاته، وكى لا أصاب بالإحباط الشديد، كان عليّ أن أقبل أي فرصة تُلقى إليّ، فبغض النظر عن نوع هذه الفرصة سواءً كانت نارًا أم جليدًا. فأبي عدل هذا الذي تتحدث عنه؟ لقد احتقرني مين حينما رأني أخدم

الأمين شوي، لكن لماذا لا يرى نفسه ذليلاً وضيعاً حينما يعود إلى البيت ليخدم زوجته..».

شعر سونغ يون هوي بالإهانة ولم يتمالك نفسه إلا أن يقاطعه: «ما زلنا لا نعرف ما إذا كان مين سيكون رئيسك أم لا، لم أنت في عجلة من أمرك؟ حتى ولو أصبح رئيسك، فما زالت أمامك أيام جيدة في العامين القادمين. علاوة على ذلك فإن لم يعجبك الأمر بإمكانك الذهاب إلى شنتشن في هاينان. حتى ولو كنت مسافراً إلى قوانغتشو الآن فليس عليك القلق كثيراً بشأن قسائم الطعام».

«نعم، لا تكن قصير النظر وتظن أن الجميع عليهم أن يستمعوا إليك إذا ما صرتَ إمبراطوراً في جينتشو، إن الأرض واسعة، وأنت لا تريد أن تخرج من دائرتك الضيقة لترى العالم».

تعجب سونغ يون هوي وقال: «لماذا أنت غاضب كل هذا الحد، أليس مين لم يترق الآن بعد، من يعلم كيف سيكون توجهه بعد عامين؟! من الممكن أن يدرك نفسه ويتغير».

ضحك يوي شان تشينغ ضحكة باردة ثانية: «هل أنت غبي حقاً أم أنك تتظاهر بالغباء؟ إن كل العلامات تشير إلى هذا الملقب بمين بعد عامين، سوف يكلف نائب المصنع الرئيسي بهذا المنصب بكل تأكيد، ألا تعرف كم عدد هؤلاء الذين التفوا حول المدير مين منذ وقت باكر ليتملقوه؟ من الممكن بالطبع أن تكون بمعزل قليلاً عما يحدث، فأنت المتحكم في إنتاجك ومبيعاتك، أما أنا... فثمة الكثيرون ممن يريدون أن يسحقوني ليخرجوا بمنفعة من مين، وليس عليه أن يتخذ أي إجراء ضدهم. إنه لموقف جلل،

وحتى لو استمر الأمين شوي في منصبه، فلا يمكنه سوى التظاهر بالعمى. ولكن أيامك الجميلة لن تطول، فمن المستحيل أن تتراح لأكثر من عامين».

فطن سونغ يون هوي إلى ما يقول ثانية، ونظر للحظة إلى يوي شان تشينغ عاجزاً عن الكلام. يبدو أن يوي شان تشينغ يعاني كثيراً بسبب البطانة الجديدة التي تحيط بيمين، فقد استطاع سونغ يون هوي أن يفهم إيجابيات وسلبيات الأمر بعدما انتقده يوي شان تشينغ، وبدا له كلامه معقولاً. وهكذا فبما أن الأمين شوي لم يسعه بالفعل سوى أن يتظاهر بالعمى، فإن حماه المدير تشنغ سيكون عاجزاً بطبيعة الحال عن فعل أي شيء. ويخشى لو أن أيامه الجميلة لن تطول أكثر من عامين. ومع ذلك فلطالما يستطيع يوي شان تشينغ أن يعتمد على الأمين شوي، ألا يستطيع الاعتماد على مين؟ أليس الأمر واحداً سواءً اعتمدت على أي شخص؟

نظر سونغ يون هوي إلى مظهر يوي شان تشينغ الأنيق، وقال محدثاً نفسه: الاحتمالية الأولى أنه لا يستطيع أن يتدخل بالفعل، فلقد أحاط بيمين في الأصل مجموعة من المقربين الموثوق فيهم بالنسبة إليه، أما الأخرى فهي أنه ربما يحتقره يوي شان تشينغ أيضاً. إن العالم لا يقتصر على قمة جينتشو تلك الرقعة الصغيرة للغاية، ويوي شان تشينغ لديه بالفعل ما يكفي من رأس المال على مدار هذا العام. ولكن ماذا عنه هو؟ فلو تقلد مين المنصب وبدأ في اتخاذ الإجراءات معه بعدها، لا، من المحتمل أن ينال من حميه أيضاً، ماذا عليه أن يفعل حينها؟

يبدو أنه لم يفكر مليًا قبل الإقدام على فعل شيء من أجل منصبه في قسم التصدير.

لم يكن يعرف ما الذي فعله حقًا في تلك السنوات التي أتى فيها إلى جيتتشو، فبخلاف قبعة كادر القسم التي زينت رأسه، كان بيته خاليًا من الأثاث، اللهم الا أربعة جدران عارية، وصار منصبه مهددًا بالخطر، لم يكن يضاهي يوي شان تشينغ حتى، على الأقل فإن يوي شان تشينغ واقعي، أما هو فيتملق ويدهن ولكن بحذر شديد، وفي النهاية لم يحصل سوى على اسم مزيف. هل ارتكب خطأ فوق الآخر طوال هذه السنوات؟

لم يحرك يوي شان تشينغ ساكنًا وأخذ ينظر إلى سونغ يون هوي الذي كان غارقًا في التفكير، وقال في قرارة نفسه: على الرغم من ذكائه ولكنه بعد كل شيء ضعيف بعض الشيء، وتجاربه غير كافية، فهو لم يفكر حتى فيما قاله له. ومع ذلك فإنه لن يقول له اليوم هذا الكلام، لكن بمجرد عودة سونغ يون هوي إلى البيت سيجد المدير تشنغ قد فكّر في هذا بالفعل، إن هذا الصهر المدلل في المصنع يحصل بهذه الطريقة على مزايا إضافية بطرق غير عادلة، ولكن هكذا هم ذوو الحظ السعيد.

ترك يوي شان تشينغ سونغ يون هوي يفكر لفترة من الوقت، ثم طرق على الطاولة قائلاً: «يوجد صفقة، نطاقها أعلى قليلاً من الورشة الأولى، وأقل قليلاً من الورشة الجديدة، لطالما كنت مترددًا بشأن خفض مستوى عمل الورشة الجديدة. ولكن هذا السعر لا بأس به، والكمية كبيرة، سيكون من المؤسف عدم قبولها. انظر،

هل بإمكانك العمل بنفسك على تعديل النطاق قبل قدوم عيد الربيع لتساعدني على التخلص من هذه الدفعة؟ ولسوف أقترح على المشتري دفع ثمن عمالك الشاق فيها. إن هذا العدد...».

نظر سونغ يون هوي إلى العدد الذي كتبه يوي شان تشينغ بإصبعه على الطاولة، فتحير قلبه، إن هذا الرقم يعادل راتبه لعامين كاملين، يا له من إغراء كبير. كان ليرفض ذلك العرض بلا أدنى تردد لو أتاه قبل يوم واحد، ولكن اليوم وبعدما رأى ثياب يوي شان تشينغ الفاخرة ورقبته المرفوعة، لم يعد بإمكانه النطق لهنيهة من الوقت.

لاحظ يوي شان تشينغ الصراع الشرس الذي كان يدور في رأس سونغ يون هوي، فلم يضغط عليه ثانية، ولكن قال له متظاهراً بأنه لا يقصد: «اقتربت السنة الصينية الجديدة، ما العمل في هذا، يتعين علينا حضور الكثير من حفلات الزفاف كل عام، ما رأيك في كم مناسبات الزواج التي تقام في جينتشو هذه؟ كما أنه لا مفر لك من الرفض، إن جميع عمال الورشة الجديدة يدعونك فرداً فرداً حينما يتزوجون، إن هذا لكافٍ للقضاء عليك. هل أعددت النقوط؟».

هزّ سونغ يون هوي رأسه نافيًا، ثم شعر بأنه لا يستطيع تحمل تلك الكابينة الضيقة الخانقة، فنهض في عجلة قائلاً: عذراً، سأذهب إلى المرحاض.

أوماً يوي شان تشينغ برأسه وعلى شفثيه ابتسامة هادئة، ثم أخرج قداحة سجائر جميلة، وأشعل بها لفافة تبغ بيضاء بلون الثلج

من ماركة كِنْت، ونظر من الجانب إلى سونغ يون هوي وهو يندفع إلى الخارج وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة.

ومن ثمَّ عاد سونغ يون هوي بعد أن التقط أنفاسه في الممر لعشر دقائق، وكانت الإجابة التي أعطاها ليوي شان تشينغ هي الرفض، كانت هذه الإجابة متوقعة إلى حد ما بالنسبة ليوي شان تشينغ، فقد كان لإغراء واحد أن يجعل مثل هذا الشاب الواعد يتنازل ويحني رأسه، ولكنَّ سونغ يون هوي لم يكن مؤهلاً لذلك. ومع ذلك، فخلال عامين، وبتولي مِين منصبه الجديد، ومع بدء سونغ يون هوي في المعاناة بسببه، فما زالت لديه الفرصة. مدَّ يده مُعطيًا سونغ يون هوي إياه عُلبة السجائر البيضاء التي كانت معه، ولكنَّ سونغ يون هوي دفعها نحوه. فلم يتمالك يوي شان تشينغ نفسه من الضحك وقال: «أنت شخص لا تدخن ولا تشرب الخمر، فكيف تستمتع بحياتك كإنسان، وكيف يستمتع الآخرون بالتعامل معك».

ضحك سونغ يون هوي: «من حسن حظي أنني أعمل في التجارة الخارجية، يبدو أنني لا أجيد العمل سوى فيها». فضحك يوي شان تشينغ هو الآخر، ثم ربت على رأسه فجأة قائلاً: «يا إلهي، ما أسوأ ذاكرتي، لقد رأيت جِرامًا صغيرًا من ماركة العنقاء معروضًا للبيع في شانغهاي، مناسبٌ للأطفال حديثي الولادة، ولقد أحضرت لك واحدًا ولكنني كدت أنسى أن أعطيك إياه».

وجد سونغ يون هوي يوي شان تشينغ قد أخرج فعلاً من الحقيبة جِرامين جميلين، وأعطاه واحدًا، فضحك وقال له: «إنك تضعني في موقف حرج». فدرس يوي شان تشينغ الجِرام بين ذراعي سونغ

يون هوي قائلاً: «علامَ الحرج، لقد كتب القدر لكلينا المجيء إلى المصنع معاً، كما كان مقدرٌ لنا أن نكون خصمين متعادلين، ولسوف يتعين علينا أن نواجه مِين معاً في المستقبل، وهذا أيضاً قدرنا. وسيولد أطفالنا في التوقيت نفسه تقريباً، إنه القدر أيضاً. لقد كنا نتقاتل في الماضي بشتى الطرق الظاهرة والباطنة من أجل الحصول على الفرص، ولكن هذا كله كان أسلوبنا في الماضي. فمن أجل كل تلك الأقدار التي كتبت لنا، كيف لي ألا أفكر بطفلك حينما أشتري منتجاتٍ لطفلي؟ خذ، لا تخجل، ألسْتُ أفعل هذا من أجل المستقبل؟!».

حينما سمعه سونغ يون هوي وهو يتحدث بهذا الكلام، وجد أنه بالطبع من غير المناسب أن يرفض. دخل شخصٌ آخر في المحطة التالية، فخرجنا من التحدث عن جينتشو غير عابئين به، وتحدثنا قليلاً عن الأجنب والأثرياء، وهكذا مر الوقت سريعاً.

سرعان ما اقترب عيد الربيع، وأوصل لي دونغ باو سونغ جي شان وزوجته بنفسه إلى جينتشو، كما جلب أيضاً مشتريات كثيرة لعيد الربيع. لم تكن تلك المشتريات التي جلبها لي دونغ باو تشبه ما كان يحضره من قبل، فقد أحضر أنواعاً نادرة من خيار البحر، والإسكالوب المجفف، وبطارخ السلطعون، وأعشاب الواكامي، ولم يكن أيٌّ منهم بما فيهم لي دونغ باو يعرفون كيف يأكلونها. قال لي دونغ باو إن يانغ شيون هو من أهداها له. إذ شعر يانغ شيون بمدى قربه منه حينما رآه؛ نظرًا لأن مصنعي الأسلاك الكهربائية والكابلات الكهربائية صار فيهما تشكيلة كاملة من المنتجات المختلفة.

كانت هذه هي المرة الثانية التي يأتي فيها لي دونغ باو إلى جينتشو، إذ طلب جاهدًا من سونغ يون هوي أن يصحبه في جولة داخلها، فنزل سونغ يون هوي على رغبة لي دونغ باو واصطحبه في جولة حول منطقة المصانع. حلت الليلة الشتوية في وقت مبكر للغاية، وقد أضيئت منطقة المصانع بالفعل بعدما سار كلاهما في جولة لأكثر من ساعتين. وقف لي دونغ باو أمام بوابة الفرع الثاني للمصنع، وأخذ ينظر إلى الأنوار المضاءة في الورشة الجديدة بجانب الفرع الأول للمصنع، فبدت كما لو كانت قصرًا كريستاليًا في غابة كثيفة، مما جعله يقول لسونغ يون هوي في شيء من الفخر إنه يريد أن يبني شياولي جيا هو الآخر فيما بعد جميلة المنظر على هذا النحو.

كانت هواية سونغ يون هوي المفضلة بعدما بُنيت الورشة الجديدة هي اصطحاب تشنغ كاي يان معه على الدراجة، والوقوف أمام بوابة الفرع الثاني للمصنع لمشاهدة الأنوار المضاءة في الورشة الجديدة. لكن كلام لي دونغ باو المليء بالفخر الآن لم يُحدث في نفسه صدًى ولم يشعره هو الآخر بالفخر.

بعدما ذهب وعاد من رحلة العمل، كان المدير مين قد تمت ترقيته إلى المنصب الجديد، وقد كان المدير الجديد للفرع الأول للمصنع مقربًا في الماضي من مين، وكانت تحليلات المدير تشنغ للأمر قريبة من تحليلات يوي شان تشينغ، فقد صار الكبير والصغير في جينتشو رهن إشارة واحدة لذلك الذي يُدعى «مين»، مما أشعر سونغ يون هوي بقدم غمامة سوداء تلوح في الأفق. فكيف له أن يكون سعيدًا هنا والآن؟!

انتهى يانغ شيون باكراً من عمله هذا العام، فاصطحب داي جياو فنغ فوق الثلج فخوراً بالنجاح الذي حققه ليعودا معاً إلى المنزل. حينما نزلا من القطار، استدعى لها عربة رثة كانت تقف في انتظار الزبائن متفاخرًا بما لديه من المال، فأخذتهما إلى بيت عائلة يانغ. ولكن يانغ شيون كان يخشى من أمه الحازمة تلك، كان يخشى أن ترى والدته البذخ الذي سار يعيش فيه، فحينما وصلت العربة إلى سفح الجبل، ترجل منها ودفع الأجرة، وفضل أن يحمل الأمتعة الكثيرة، الكبيرة منها والصغيرة، ويسير بها في ذلك الطريق الطويل الشاق عائداً إلى المنزل، مما جعله على وشك الموت من فرط سُخرية داي جياو فنغ منه.

أخذ داي جياو فنغ الجميلة الساحرة إلى المنزل لتراها والدته، وجلسوا معاً لتناول طعام الغداء مع إخوته الذين كانوا في عطلة الشتاء، كان الجميع مهذبين حينما اجتمعوا معاً، واطمأن قلب يانغ شيون أخيراً بعدما ظل قلقاً لمدة عام كامل. حينما فرغوا من تناول الطعام، ذكرت أمه أمر ابتعاد داي جيان فنغ عن البيت لمدة عام، وأن عائلتها ليست أنانية لتبقي عليها معهم، فعائلة يانغ لا يمكن أن تسلك الطرق الإقطاعية الملتوية التي تهتم بالرجال على حساب النساء، ورتبت أمر ذهاب يانغ سو بالأمتعة على دراجة، وركوب داي جياو فنغ بالطبع على دراجة يانغ شيون لتوصيلها إلى البيت بمنتهى الأدب.

لطالما اعتقدت داي جياو فنغ أن والدة يانغ شيون حازمة للغاية، مما جعلها تلتقط أنفاسها اليوم هي ويانغ شيون بعدما

وجداهما تتعامل معهما بهذه الطريقة، فقد شعرا أنها وعلى الرغم من حديثها معهما بتسلط، لكن كان هناك ثمة شبح ابتسامة على وجهها، كانت من العاقلين الأكبر سنًا. أما الأمر الوحيد الذي نغصّ عليهما سعادتهما إن الشقة الجديدة الموجودة في الطابق الثاني والتي تم الانتهاء من تجديدها حديثًا تحتوي على ثلاث غرف، غرفة للأم، وغرفة ليانغ لي، وغرفة مشتركة للإخوة الثلاث، فلم تجد مكانًا يمكنها المكوث فيه. فكانت لا تعرف ما إذا كان عليها أن تأتي لقضاء عيد الربيع معهم أم لا؟ لم تعرف داي جياو فنج كيف تتصرف، فسألت يانغ شيون، فردّ عليها ردًا غامضًا. لم يكن يانغ شيون يعرف ما الذي تخطط إليه والدته بعد قضاء وقت طويل، فلم يكن يفهم ما الذي تعنيه أمه من تعمد حشرهم الثلاثة في غرفة نوم كبيرة واحدة، فالبيت كبير بما يكفي ليسعهم. ولكنه تصرف كما لو كان الأمر طبيعيًا أمام داي جياو فنج، فقد خشي أن يؤثر بالسلب في علاقة زوجته بحماتها في المستقبل.

بعدما أوصل داي جياو فنج، عاد يانغ شيون إلى المنزل وتناقش مع والدته بدون علم إخوته، وكان الأمر متوقعًا بالنسبة إليه، لقد رفضت أمه مجيء داي جياو فنج لقضاء عيد الربيع معهم قبل أن يكون الزواج رسميًا، جادلها يانغ شيون بشدة قائلاً إن هذه القواعد بلا معنى، ولكن كلمة أمه كانت لها ثقلها في المنزل، فلم تسمح له بذلك برغم إصراره، مما جعل يانغ شيون يشعر بالاختناق الشديد، ولكنه كان عاجزًا عن فعل شيء. لقد كانت علاقته بداي جياو فنج حميمية للغاية، مما جعله يشاق إليها اشتياقًا شديدًا لعدم رؤيتها ليومين، ولكنه عاد إلى المنزل بقدوم عيد الربيع، وكان بحاجة

لزيارة الأصدقاء في كل مكان، ليشكرهم على اهتمامهم العام الماضي، ويتطلعون معًا إلى عام جديد قادم، كان من المعتاد أن يشرب الجميع قليلاً من النبيذ عند لقاءهم، فبعدهما بدأوا في تبادل أطراف الحديث، صار مشغولاً لدرجة أنه لم يستطع الفرار منهم.

وبطبيعة الحال فقد كان أكثر من يحتاج إلى زيارته هو العميل الأهم؛ مصنع دنغ فنغ للأسلاك والكابلات الكهربائية، إذ تغير من مصنع دنغ فنغ للأسلاك الكهربائية إلى مصنع دنغ فنغ للأسلاك والكابلات الكهربائية، فعلى الرغم من زيادة كلمة واحدة على اسم المصنع، فإن الأثر كان كبيراً وبحق. لكن وعلى كل حال فإنه لم يكن لينتج خطوط الجهد العالي مؤقتاً، وكان شغله الشاغل هو اكتفاء مصنع دنغ فنغ، كانت هذه سلسلة مكتملة، فعلى الرغم من عدم حديثه مع الناس في مصنع دنغ فنغ، ولكنه كان يرفع في الخارج العلامة التجارية التي يروج لها قسم المبيعات في المصنع. فحمل هذه العلامة التجارية وسلسلة المنتجات الكاملة لدنغ فنغ، بالإضافة إلى بطاقات العمل التي بذل قصارى جهده لطباعتها، جعلته فحينما يدخل إلى تلك المصانع الكبيرة المملوكة للدولة، يشعر بالثقة وأنه مسنودٌ بقوة. لكن من المؤسف فلم تتحول منتجات دنغ فنغ إلى سلسلة حقيقية سوى مع نهاية العام، فما لبث أن شعر بالقوة لمدة شهر واحد حتى عاد بعدها إلى المنزل.

ومن ثمَّ فقد أرسل أكثر الهدايا قيمةً وثراءً إلى الأشخاص المعنيين في شياوليغيا، وقد أحضر العديد من منتجات بوه هاي خصيصاً من الشمال، فقد كانت في الحقيقة متنوعة وباهظة الثمن.

ومع ذلك فقد طلب من شياولي جيا منحه تصريحًا، لكن تم رفض طلبه للاعتراف به كتاجر في قسم المبيعات أو قسم الجملة. ونظرًا لأن لي دونغ باو لطالما شعر بأن يانغ شيون، هذا الشاب، مكرّم ولثيم، فإنه لم يكن ليثق به، ولم يكن ليطمئن بإعطاء مستندات مختومة بالختم الأحمر الكبير إلى يانغ شيون وأمثاله من الأشخاص.

كان يانغ شيون عاجزًا عن فعل أي شيء، كما لم يجرؤ على الإلحاح في الطلب، ذلك لأنه سيتعين عليه الاعتماد على مصنع دنغ فنج مستقبلاً في توريد البضائع في وقت محدد وبطريقة آمنة مع الحفاظ على الكمية والجودة. كان ثاني أهم شخص يحتاج يانغ شيون إلى زيارته لتنهتته هو لاو وانغ.

كان لاو وانغ تقريبًا من أوائل الأشخاص الذين غادروا الريف من حوله، وهو أحد أولئك الذين ركضوا شمالاً وجنوبًا باحثين عن سُبُل للعيش، كان نقل البضائع عبر السكك الحديدية في تلك السنوات مجانيًا تقريبًا، مما جعله يستطيع جني المال ببعض من المكر والدهاء، فاشتهر كتاجر صغير. ثم اعتمد فيما بعد على رأس المال الذي صار في يده، وسرعان ما استطاع الوقوف على قدميه، وأصبح زعيمًا بين أصدقائه القرويين، فامتلك أكبر مستودع، كما تمتع بطبيعة الحال بأكبر حجم من التجارة. كان لاو وانغ يضع نصب عينيه في البداية يانغ شيون الصغير، فقد كان يانغ شيون أول من ابتدع عدم العودة إلى البيت لقضاء عيد الربيع في عامه الأول من العمل في التجارة، فتاب عن الجميع في الاعتناء بالمستودع، وانتظار الجميع لحين عودتهم في مطلع الربيع، ومن ثم إعطاء

الجميع بضاعته كل على حدة بطريقة منظمة ومرتبّة، مما ترك انطباعًا عميقًا لدى لاو وانغ عن ذلك الشاب المجهّد الجدير بالاعتماد عليه. ومنذ ذلك الحين أخذ لاو وانغ تقريبًا يراقب يانغ شيون وهو يكبر خطوة بخطوة، حتى صار شخصية مشهورة محليًا في مجال بيع الأسلاك والكابلات الكهربائية بالجملة والتجزئة، حتى إن لاو وانغ نفسه كان في بعض الأحيان ما يطلب من يانغ شيون الأسلاك الكهربائية. فلأنهما كانا أبناء قرية واحدة، ولأن كليهما كان ذا شخصية قيادية، ولأنهما أيضًا كانا يقومان بالتجارة في المدينة نفسها، كان عليهما أن يشدًا من أزر بعضهما، فقد كان الجميع يجلسون معًا لتناول الطعام والدرّشة، مما جعل علاقة لاو وانغ ويانغ شيون تتحسن كثيرًا الآن.

عمل لاو وانغ في التجارة لفترة طويلة، فبدأ في دمج العرض والتسويق في كيان واحد، إذ أراد الحصول على جميع الأرباح دفعةً واحدة. لذا فقد بحث عن مدرسة ابتدائية في مسقط رأسه، وأنشأ مصنعًا مُدارًا بواسطة المدرسة، فقد كان الأمر لا يتطلب الكثير من المال للاستثمار فيه، إذ كان عليه وضع بضع من آلات تشكيل البلاستيك، ووضع من مكابس الأقدام، وبدأ عمله بما يشبه ورشة صغيرة، فقد بدأ المصنع الذي تديره المدرسة بصناعة قطع غيار، ووزعها على المقربين منه في القرى المجاورة ليجمعوها في بيوتهم، ثم يعطي لكلّ منهم أجر تجميعها، فازدهرت تجارته كثيرًا. ومنذ ذلك الحين أصبحت جميع المفاتيح الكهربائية التي يبيعها لاو وانغ مصنوعة في مصنعه الخاص، مما جعلها أرخص كثيرًا من تلك التي كان يشتريها من المصانع الصغيرة الموجودة في الشوارع. كما

صار مصنع المدرسة ينتج المنتجات التي يحتاج إليها السوق، مما جعل حركة البيع مرنة للغاية، ومن ثمَّ ازدادت الأرباح أكثر فأكثر، وتوسع النطاق شيئًا فشيئًا، كما ازدادت المعدات الموجودة بالورشة أكثر فأكثر، وتغيرت مكابس الأقدام إلى آلات ميكانيكية، وازدادت أعداد العمال في مصنع لاو وانغ شيئًا فشيئًا، وتوسع من قرية إلى قرية أخرى، وصار لاو وانغ معروفًا محليًا بأنه الرجل القادر على إثراء الجميع، فلم يعد هناك من يدعوهُ بالتاجر الصغير بلا احترام.

ذهب يانغ شيون إلى مصنع لاو وانغ المُدار بواسطة المدرسة، فوجد أنه وعلى الرغم من اقتراب عيد الربيع، فإن مبنى مصنع المدرسة المنخفض المعتم كان ما زال يعج بالنشاط، وكان ينبعث من المصابيح الكهربائية الموجودة على كل آلة وهجٌ أصفر خافت، مما انعكس على لمعة وجوه الرجال التي تتصبب عرقًا في الشتاء. ما إن رأى يانغ شيون ذلك حتى شعر بالغيرة، فقد كان يعلم أن هؤلاء العمال يقومون بصنع البضائع التي سيحضرها معه لاو وانغ حينما يذهب إلى الشمال في العام المقبل. أما هو فسيتمتع عليه شراء البضائع من أماكن مختلفة بعد انتهاء عيد الربيع، خاصة وأن بعض المصانع المملوكة للدولة بطيئة وعديمة الفاعلية، فلو طلبت منهم بضاعة سيكون الأمر كما لو أردت قتلهم، إذ يؤجلون ويسوّفون، وتكون عملية طلب البضاعة في كل مرة بطيئة ومليئة بالتعقيدات. أما مصنع دنغ فنغ فهو الوحيد الذي تتم فيه عملية مقايضة المال بالبضائع بسهولة وسرعة، ففي بعض الأحيان يلقي عليهم السلام، ويخبرهم أن السيارة في الانتظار، فينتهي من الأمر بين عشية وضحاها. يميل جميع الناس عن البحث عن المزايا

وتجنب العيوب، فبعد عدة مرات صار يانغ شيون يقبل شراء البضائع على الفور لطالما كانت من إنتاج مصنع دنغ فنغ، فمن ستركه ويذهب إلى هؤلاء الكسالى المتغترسين الموجودين في المصانع المملوكة للدولة؟!!

كانت أرضية مكتب لاو وانغ مليئة بالأشياء، فلم يكن بها ببساطة موضع لقدم. كُبر ابن لاو وانغ، فقد أناب عن لاو وانغ في إدارة تجارة مصنع المدرسة بعد سنة من تخرجه من المرحلة الإعدادية، أما زوجة لاو وانغ، بانغ هواي تشو، فقد هربت إلى منزل أحد أقاربها للابتعاد عن الأنظار، ومع ذلك فلم يخطط لاو وانغ على كل حال لقضاء عيد ربيع مفعم بالحيوية، بل كان يفكر فقط في قضاء أكثر عيد ربيع يفخر فيه بالعمل، فقد كان وجود زوجته من عدم وجودها بالنسبة إليه على سواء؛ إذ كان يقضي اليوم بأكمله مع ابنه في مصنع المدرسة.

كان يانغ شيون على دراية جيدة بلاو وانغ، فحينما دخل من الباب قال له مباشرة: «أيها العم وانغ، هل ستأخذ هذا كله بعد عيد الربيع؟ ألا تريد تقاسم السيارة؟ أظن أن هناك نصف صندوق سيارة فارغ».

«جيد جدًا، أعطني إياها، لقد كنت قلقًا ألا يتم تحميل إحدى السيارات. ماذا تريد؟ هل اخترت ما تريد من هنا؟ كل ما تريده موجود». فضحك يانغ شيون وقال له: «من الملائم أكثر أن نذهب إلى هناك لأسألك عما أريد وأخذه مباشرة. أيها العم وانغ، إن مصنعك هذا يثير الغبطة في كل من يراه، لم يكمل عامين، صحيح؟ وقد صار مزدهرًا بكل هذا الحد».

كان لاو وانغ يشعر بالفخر في قرارة نفسه، وقد ظهر ذلك على وجهه أيضًا: «عندما يتعلق الأمر بفتح مصنعك الخاص، فلا يتوجب أن تكون لديك فكرة واضحة عن نقل البضائع فحسب، بل أن تكون المنتجات التي أصنعها هي الأفضل والأكثر ملاءمة لذوقي الخاص».

«وناهيك أيضًا من كسب المال». قال يانغ شيون بابتسامة: «يا إلهي، أيها العم وانغ، يبدو أن بضاعتك تلك ستستخدم في مناجم الفحم». عمل يانغ شيون في هذا المجال لأكثر من عامين، مما جعله ماهرًا بالممارسة.

ابتسم لاو وانغ ابتسامة غامضة: «أنت الوحيد القادر على معرفة ذلك. ما رأيك، هل تجرؤ على التجارة مع مناجم الفحم أم لا؟».

ما إن سمع يانغ شيون هذا الكلام حتى لمعت عيناه: «من حسن الحظ أن لدي العديد من أنواع الكابلات التي تتناسب مواصفاتها مع مناجم الفحم، لقد سمعت أنه يمكن شد كابلات مناجم الفحم إلى عدة كيلوجرامات، ستكون صفقة بيع وشراء ضخمة إذا ما استطعنا أن نتواصل مع مناجم الفحم. أيها العم وانغ، هل لديك سبيل إلى ذلك؟».

كشف لاو وانغ عن أسنانه وابتسم مرة أخرى: «لقد تواصلت معهم للتو، وبنيت معهم علاقة طيبة، انتظر حتى تقوى علاقتي بهم، ولسوف أعرّفكم على بعضكم».

مدّ يانغ شيون رقبته في فضول وسأله: «سمعتُ أن الإدارة تكون صارمة بشكل خاص في مناجم الفحم، هل هذا حقيقي؟»

وبينما يتحدث يانغ شيون لم يتمالك نفسه ونقل آلة تخفيف الضغط، وبعد إلقاء بضعة نظرات عليها استطاع أن يكتشف أن القلب الداخلي لها ليس مصنوعاً من النحاس ولا الألومنيوم، ولكنه أنبوب أسمتي ملفوفٌ جيداً. كلها مصنوعة على هذا النحو، وجميع البائعين على علم بهذه الحيلة. وعلى الرغم من أنه ألقى سؤاله بالفعل، ولكنه حصل على الإجابة منذ وقت طويل بمجرد رؤيته لآلة تخفيف الضغط تلك. فإذا كانت تلك الآلة عاجزة عن تخفيف الضغط، ولا يمكنها سوى أن تستخدم كمقصلة لمناجم الفحم، فهل تدار الأمور في مناجم الفحم بشكل صارم أم لا؟!

حينما نظر لاو وانغ إلى يانغ شيون ووجده يُقلّب في آلة تخفيف الضغط، ومن ثمّ رآه يبتسم، عرف أنه تبين الإجابة بالفعل، فلم يعطه إجابة، وقال له مبتسماً فحسب: «هيا، فلنذهب لنشرب كأسين، ولأترك المصنع لابني. قل لي يا يانغ الصغير، هل تراني شخصاً مرتاحاً أم لا؟ لقد تزوجت باكراً، وأنجبتُ باكراً، ولم أتجاوز الأربعين بعد، كما يستطيع ابني أن يدير المنزل بدلاً مني، وصارت ابنتي جميلة مثل لين الصغيرة⁽¹⁾ تماماً. وما زالت زوجتي قادرة على الإنجاب مرة أخرى. إذا ما أردت أن تعيش بوصفك إنساناً...».

ترك يانغ شيون آلة تخفيف الضغط من يده، وقد قرر في قرارة نفسه أن يقوم بالتجارة مع مناجم الفحم، ومع ذلك فحينما وجد

(1) شخصية أدبية محبوبة في الأدب الصيني، وهي من شخصيات رواية «حلم المقصورة الحمراء».

لاو وانغ غير راغب في قول الكثير عن الأمر، لم يتحدث كثيرًا هو الآخر عنه، فقد كان بالفعل أكثر الناس قدرة على قراءة ما تقوله أعين الناس.

حينما وصلا إلى الحانة، لم يتحدث كلاهما في التو واللحظة، وكانا يعلمان أن قانون تنظيم الأسرة يتم تنفيذه بإحكام، فماذا لو استرق أحدهم السمع وسرّب كلامهما، ستظهر الشرطة فورًا لتقبض على الزوجة ذات البطن الكبير. أخذا يتحدثان عن وضع السوق حتى حان موعد تناول الطعام دون أن يشعر بالوقت.

احتسى يانغ شيون بضعة كؤوس من الخمر، ف شعر كما لو ملأت صدره حيوية الربيع، ثم أسرع ممتطيًا دراجته وسار على طول الطريق متجهًا إلى بيت داي جياو فنغ ليراها. كانت داي جياو فنغ قد اشتاقت إليه هي الأخرى، وأخذت تغمغم طويلًا بأنها تريد أن تذهب مع يانغ شيون، مما وضع يانغ شيون في موقف صعب للغاية، فلم يسعه سوى أن يقول لها: «ألم تري داي جياو فنغ أننا الإخوة الثلاثة نقيم في غرفة واحدة، وأنه ليس ثمة مكان لتقيمي فيه؟»، وقال لها أن تنتظر لبضعة أيام حتى يفكر في حل ثم يأتي ليأخذها. ولكن داي جياو فنغ حينما عادت إلى البيت تلقت تأديبًا من والديها وإخوتها، ولم يعد بإمكان يانغ شيون أن يخدع الجميع ويخفي الحقيقة عنهم، فقد سأله بشكل حسّاس للغاية ما إذا كانت والدته هي التي رفضت وجودها، فكيف لا يوجد سرير واحد لها وقد تم تجديد المنزل وإنشاء كل تلك الغرف الكثيرة فيه؟ فأنكر يانغ شيون بالطبع، وظل مصرًا على نفي ذلك بشدة،

وكانت تعبيرات وجه داي جياو فنع ما تزال غير سعيدة، وتتجنب الاقتراب من يانغ شيون.

ولدت حساسية عائلة زوجته تجاه هذا الموضوع غضبًا من عدم اعتراف عائلته بابتهم، وكان هذا اضطهادًا واضحًا لها. فتعمدت عائلة داي أن تنجز وجبة العشاء سريعًا، وطلبوا من يانغ شيون أن ينتهي من تناول الطعام ويعود إلى البيت باكراً، وقالت له عائلة داي بشجاعة بالغة إنه ليس من المناسب أن يقضي ليلته في بيت عائلة ابتهم ما لم يكن زواجهما رسميًا، كما سيجعل مغادرته المنزل في وقت متأخر الناس يتكلمون بكلام فارغ. شعر يانغ شيون بأنه يعاني من جميع الأطراف.

وعلى الرغم من أنه طرد باكراً من بيت عائلة داي، ولكن الطريق كان مظلمًا وعاصفًا، وكان من الصعب السير فيه، وقد تعرق كثيرًا بينما يقود دراجته في هذا الطقس البارد، ولكنه لم يتمكن من زيادة سرعته. في الحقيقة لقد كان يفكر في قضاء ليلته في بيت عائلة داي متحجبًا بهذا الظلام، لكنه لم يتوقع أن يرفضوا، مما جعله يغادر شاعرًا بالحرع الشديد. ولم يكذب يركب دراجته حتى أظلمت السماء لدرجة أنه لم يعد يستطيع أن يرى يديه، حتى وصل أخيرًا إلى مدخل القرية الموجود عند سفح الجبل. كان يانغ شيون يشعر اليوم بالإحباط الشديد، ولم يكن لديه طاقة للاندفاع إلى أعلى المنحدر، فاندفع إلى منتصفه وقفز حتى وصل إلى القمة، ثم ضغط على المكبح وعاد ببطء إلى المنزل.

في صباح اليوم التالي، ظنّ يانغ شيون أنه استيقظ متأخرًا، ولم يتصور أن يجد إخوته نائمين بعد كالخنازير النائمة. فنزل بهدوء، فوجد أمه تحمل دلوًا مملوءًا بالملابس التي تم غسلها وتعود بها إلى الداخل، أسرع يانغ شيون ليلتقط الدلو، ثم ساعدها في حمل أغصان الخيزران التي ستضع عليها الملابس لتشمسها، ثم وضعها على مقعد حجري موجود بالخارج بينما يسألها برقة شديدة: «ألم أشتري لك غسالة ملابس؟ لماذا لا تستخدمينها؟ لقد تجمدت يداك من البرد».

فردت عليه أمه شاكية: «ألم أقل إنك تتحدث بالهراء؟! إن هذه الغسالة مخصصة لأولئك الذين تصل إليهم المياه باستمرار، إننا هنا في الجبل ما زلنا نذهب للغسل في جداول المياه. لا تنفق المال بعشوائية هكذا حتى ولو كثر. وماذا عن ذلك التلفزيون؟ إنه لا توجد إشارة هنا بالقرب من الجبل، فما الفائدة من هذا التلفزيون الذي اشتريته؟ بل اشتريته ملونًا، أليس هذا تبذيرًا؟ إذا أردت أن تشتري شيئًا في المستقبل فراسلني أولاً لتخبرني حتى لا تشتري شيئًا لا يمكن استخدامه، تبذير. سأرسل أحدًا ليسأل ما إذا كان أحد يريد تلفزيونًا أو غسالة ملابس، وسأبيعها له، سمعتُ أنه يمكن شراؤه بالتحايل».

«ألن تطلبي من أخي الأصغر وإخوتي حمل الماء؟ إنهم جميعًا ما زالوا صغارًا».

«هذا كلامٌ غبي، إن أخويك الصغيرين دائمًا ما يسكنان في المهجع الطلابي باستثناء أيام الراحة في الإجازة الشتوية والإجازة

الصيفية، حتى أحتك الصغرى أيضًا تسكن في مهجع المدرسة، فمن سيساعدني؟ من الأفضل أن أذهب لأجلس القرفصاء في جدول الماء لأغسل على أن أحمل الماء».

«إذن فلتطلبي منهم أن يأتوا إليك في يوم الأحد لحمل الماء، واملئي خزان المياه، فإنك سوف تحتاجينه في البيت على كل حال. ألا يعودون يوم الأحد إلى البيت بالملابس المتسخة لغسلها؟ فكيف ستغسلين وحدك كل هذه الملابس؟».

«أيها الابن الأكبر، لا تجبرني على استخدام غسالة الملابس، أعلم أنك تريد أن تبرني، ولكنني أفضل الغسيل بيدي، لا تتحدث ثانية في هذا الأمر. اذهب لتغسل وجهك، فإنه يبدو لامعًا وتغطيه الدهون كما لو لعقه قط».

كان يانغ شيون في الأصل يريد أن ينتهز فرصة نوم إخوته ويتحدث إلى والدته عن موضوع داي جياو فنغ، وأن يقص عليها معاناته، لكنه حينما رآها عنيذة بهذا القدر، حتى إنها عنيذة بشأن شيء صغير كغسالة الملابس، فلم يعرف للحظة كيف يفتح معها الموضوع. استدار ودخل المطبخ، وصب دلوًا من الماء في الوعاء الموضوع على الموقد، ثم أدخل الحطب وأشعل النار فيه. وحينما انتهت أمه من وضع الملابس لتشميسها ودخلت إلى المنزل، صبت الماء نصف المغلي الموضوع على الموقد في القارورة حافظة الحرارة، وتركتها لحين استيقاظ أبنائها الثلاثة. وسرعان ما أخرجت نصف سلة من الأرز، وسكبتها في الوعاء الكبير لظهوها. وهنا طلبت من يانغ شيون أن يخرج ليغسل وجهه، وأشعلت النار بنفسها.

كان يانغ شيون يفكر في داي جياو فنغ بينما يفرش أسنانه، ويعقد العزم على أن يتحدث إلى والدته في هذا الأمر ليوضحه لها، انتهى بسرعة من غسل وجهه، ثم التقط ملعقة كبيرة ورفع غطاء القدر وأخذ يقلب الطعام فيه عدة مرات، حتى ذهب ليتمسح في أمه كالمعتاد ويقول لها باسمًا: «أمي، فلتجعلني فنغ الصغيرة تأتي، فمع أننا لا نملك وثيقة زواج رسمية ولكن هذا الأمر سيحدث عاجلاً أم آجلاً».

«لا يمكن، لديك ثلاثة إخوة أصغر منك وهم في سنٍ حرج، فلو اقتدوا بك ودخلوا في علاقات حب وهم في المرحلة الثانوية ما العمل؟ ألن يلتحقوا بالجامعة؟ فلتفعل ما تشاء مع داي الصغيرة في الخارج بعيدًا عن البيت، ولكن لا يمكن أن تعود إلى البيت. لقد قلتُ مسبقًا، إنك الأخ الأكبر، ينبغي عليك أن تكون قدوة حسنة. إنك الآن جيد جدًا كقدوة، فقد جعلت أخاك الثاني يجتهد الآن على الرغم من أنه لا يحب التعليم، فكيف يمكنك أن تُعرّف علاقتك بداي الصغيرة إذا ما أتيت بها إلى البيت؟ ماذا تريدهم أن يتعلموا منك؟ أضف إلى ذلك فإنني من كواد نساء القرية، فكيف يمكنني أن أنتقد تأخر زواج الآخرين وتأخرهم في الإنجاب إذا ما جعلت ابني يتزوج بدون وثيقة رسمية؟» كانت أمه تتحدث بلهجة صارمة.

صُعبق يانغ شيون من منطقتها في الحديث، فقال بلا حيلة: «أمي، إن فنغ الصغيرة فتاة جيدة، ولقد ساعدتني كثيرًا في الشمال الشرقي، إنها قادرة على تحمل أي مشقة، وهي ليست امرأة منحلة أخلاقًا كما

تقولين. إضافة إلى ذلك فنحن صرنا في علاقة بالفعل، فكيف يمكنني أن أواجهها إذا لم أجعلها تأتي لقضاء عيد الربيع في منزلي؟».

قالت الأم بوجه متجهم: «كلامك هذا غير صحيح، أنا لم أمنعها من المجيء إلى بيتي، ولقد كنت سعيدة برؤيتها حينما أتت في المرة السابقة، ولكنها ينبغي أن تعود ليلاً إذا أتت، لا يمكن أن تبيت ليلتها هنا، فإذا ما استطاعت تحمل تلك المشقة، بإمكانها أن تأتي إلى هنا كل يوم، مرحباً بها. عليك أن تتذكر، أنت لست لا تمتلك وثيقة زواج رسمية فحسب، بل لم تقمِ مآدبة أيضاً. إذا ما أردت أن تفعل شيئاً ما، فعليك أن تقوم به على النحو الصحيح، تذكر جيداً هذا الكلام».

«أمي، ألا تشعرين بالأسف الشديد تجاه فنع الصغيرة؟ إنها فتاة صغيرة، كيف تطلبين منها أن تعود إلى بيتها وتضعيها في موقف حرج؟».

قالت له أمه: «هل تظن»... ثم توقفت فجأة، وغمزت له بعينها، فاستدار إلى الخلف ليلقي نظرة، ووجد يانغ سو ويانغ ليان يهبطان الدرج واحداً تلو الآخر، فسكت هو الآخر. لم يكن يرغب أن يجادل أمه في أمر داي جياو فنع أمام إخوته، فهو لم يكن يريد أن يظهر بمظهر سيئ أمامهم بوصفه الأخ الأكبر لهم، وقد تكبدت والدتهم وحدها عناء تربيتهم الأربعة بعد وفاة أبيهم، ولم يسعه سوى أن يظهر العطف والتفهم لأمه.

حينما فرغ الإخوة من تناول طعام الإفطار، اصطحب يانغ شيون أخويه الذكور، وعلقوا كيسين من الدخن خلف كل دراجة

وذهبوا بها إلى طاحونة الأرز في آخر القرية، فلطالما كان يساعد والدته الأرملة منذ صغره، فهو الأخ الأكبر بين إخوته، وتميز بالمرونة وروح المبادرة، فعلى سبيل المثال أمر طاحونة الأرز هذا، لم يكن ليبتظر حتى أن يأخذ الأمر من والدته، فحينما يفتح وعاء الأرز ويراه قد قارب على الانتهاء، كان يتذكر أمر طاحونة الأرز بشكل تلقائي. أرادت يانغ لي أن تذهب معهم هي الأخرى، فركب الإخوة الأربعة الدراجات كل على حدة، وكان منظرهم مهيبًا ومفعمًا بالحيوية. كل ذلك بسبب جمع يانغ شيون للكثير من المال، مما جعلهم ينطلقون اليوم ممتلئين بالطاقة.

وفي الطريق، أراد يانغ شيون لأكثر من مرة أن يخبر إخوته عن أمر داي جياو فنج، ولكنه كان يكبح جماح نفسه في كل مرة. فبوصفه الأخ الأكبر، كان هو القدوة لإخوته في البيت، ولقد صار إخوته مبهورين به الآن وقد استطاع أن يجني الكثير من المال، فإنه يخشى أن يتحقق ما قالته والدته بالضبط، ألا وهو أنه إذا ما حكي لهم الوضع الحقيقي لداي جياو فنج، فلسوف يلوث براءة إخوته الثلاثة في الحال. فلقد كان يعلم هو الآخر أن إقامتهم في غرفة واحدة بدون زواج لم يكن بالأمر الحسن.

فلم يسعه سوى أن يتنهد ويفكر بينه وبين نفسه، ووجد أن الحل الوحيد هو أن يعتذر لداي جياو فنج بعدما ينتهي عيد الربيع ويعودان إلى الشمال الشرقي. ولكنه فقط لم يكن يعرف ما إذا كانت داي جياو فنج ستقبل الذهاب معه بغض النظر عن أي شيء، وهل ستراقبها عائلتها هذه المرة أم لا.

نام لي دونغ باو بشكل دافئ ومريح في منزل سونغ يون هوي المزود بمدفأة، حتى إنه لم يتوقع أن يفرط في النوم إلى أن يفوته موعد القطار، ولم يحل المساء وتظلم السماء حتى أخذه سي باو في جواره وأعادته إلى شياوليغيا. ظل لي دونغ باو يأكل على طول الطريق الوجبات الخفيفة التي أعدتها له والدة سونغ يون هوي حتى انتهى منها كلها، وحينما عاد إلى المنزل كان جائعًا لدرجة أن معدته كانت تحدث قرقرة، فنادى بلا مبالاة قائلاً: «أمي»، ثم بدأ في تقليب ما على الموقد باحثًا عن شيء يؤكل. كانا ما يزالان يعيشان في منزل أجدادهم الطيني، فلم يأت دورهم بعد في الانتقال إلى منازل القرية الجديدة، وقد كان مستقيمًا بشدة ولا يقبل الاستثناءات في حقه.

حينما سمعت والدة لي دونغ باو نداءه عليها، رجعت من بيت الجيران ودخلت مندفعة إلى المطبخ، وكان لي دونغ باو قد وجد بالفعل طبقًا من الزلاية المحشوة المرتبة بعناية. وسرعان ما قالت له والدته عندما رآته: «هذه هدية من زوجة شي قن، إن زوجته ماهرة وبحق، يا لحظه السعيد بها. تركتها لك لتأكلها».

قال لي دونغ باو متشككًا: «ولكن زوجة شي قن لا تجيد صنع الزلاية المحشوة، لقد ذكر لنا شي قن ذلك منذ يومين. قولي لي من الذي أحضرها؟».

لم تجرؤ والدته على النظر في وجهه، وقالت ضاحكة في خجل: «لا أحد، لا أحد، هذه الـ... هذه الـ... لقد جاءت

بها ابنة أخت العم تسونغ ليانغ. كُل فحسب، لا أطلب منك أن تدفع مالاً».

«ولم جاءت؟» وكان لي دونغ باو يعرف ابنة أخت العم تسونغ ليانغ هذه، فلقد اعتمدت على علاقاتها في الدخول إلى مزرعة الخنازير للعمل بها، فهي نبهة وخفيفة الحركة.

تلعثت والدته طويلاً إلى أن قالت له: «لقد جاء بها العم تسونغ ليانغ وجلسا قليلاً، إنها فتاة ماهرة، فما إن دخلت إلى المنزل حتى أخذت تساعدني، إنها فتاة جيدة».

لم يصدر لي دونغ باو صوتاً، فقد فهم على الفور ما الذي تقصده، ففتح النافذة، وألقى العشرات من الزلاية المحشوة بما فيها الوعاء والقماش الذي فيه إلى الخارج، ثم أغلق النافذة، وقال لوالدته في نبرة جادة: «أمي، لن أسمح لك باتخاذ هذا القرار بمفردك، لقد كنتِ تحتقرين بينغ بينغ من قبل، والآن تقبلين هذه الفتاة بمجرد تملقها إياك؟ أنا لا أعرف كيف أصحح لك تصرفاتك فيما بعد. لقد قلت لك منذ وقت باكر، إننا جميعاً مدينون لبينغ بينغ، لا تتدخل في أموري». ثم قلب صحناً مملوءاً بالطعام البارد، ونقعه في الماء الساخن، وبدأ يأكل فيه بعدما خلطه بالسكر.

أخذت والدته تبكي بعدما وبخها، وبدأت تفكر في أنه لا أمل في أن يكون لها حفيد، ما زادها حزناً، فأخذت تضرب على فخذيها وتذرف الدموع والمخاط وهي تقول: «لقد صرت في الثلاثين من عمرك، إن ابن شي قن كبر وصار في الروضة بالفعل، فلتجعل لعائلتنا نسلًا ممتدًا بأي طريقة، فلتتزوج من أي فتاة وتجعل لوالدك

الذي توفي نسلًا ممتدًا، لم يعد لدي ما أقوله لك، لو كان والدك حيًا لكنثُ أنجبت الكثير من الأبناء منذ وقت باكر، ولم أكن لأبه لك، آه... كيف لي أن أواجه والدك إذا ما مت، إنني أفضل أن أضرب رأسي حتى الموت على أن أراك عازبًا طوال حياتك، على أن يسبني أسلافي...».

تضايق لي دونغ باو من كلامها، فالتقط صحن الطعام وذهب به إلى غرفته. أخذت والدته تبكي لفترة من الوقت ولم يعرّها أحد اهتمامًا، حتى إنه لم يجرؤ أحد من المارين في الخارج على الدخول إلى بيت الأمين والتدخل في شؤونه بعدما سمعوا صوت بكائها، فأخذت تبكي لفترة من الوقت ثم عادت إلى غرفتها في غضب، كانت غاضبة لدرجة أنها لم تطهّ لابنها طعام العشاء. جلس لي دونغ باو على مقدمة سريره، وأخذ يأكل الطعام كما لو كان عليه الانتهاء من مهمة ما، ويحرق بعينه في الصندوق الخشبي الموجود عند نهاية السرير. لقد أوصى النجارين الموجودين في فرقة المهندسين على صنع هذا الصندوق من خشب الكافور خصيصًا وبعناية في ذلك العام، ولم يكن فيه سوى بضعة قطع صغيرة من الملابس التي يمكن أن توضع على إحدى مقبضيه. كان ذلك الصندوق المصنوع من خشب الكافور مقاومًا للعث، إذ ما تزال السترات الصغيرة والأحذية والجوارب الموجودة فيه بحالة جيدة، ولكنّ من صنعت هذه الملابس الصغيرة لم تعد موجودة، كما لم يعد هناك من يرتدي هذه الملابس الصغيرة. كانت اللقمة الأخيرة من الطعام لا تزال في حلق لي دونغ باو، لا يستطيع بلعها، اغرورقت عيناه بالدموع، لكنه لم يذرفها. ولكنّ ظلّ يجلس إلى منتصف الليل واللقمة ما زالت في فمه.

وفي صباح اليوم التالي ذهب لي دونغ باو إلى مزرعة الخنازير،
وحينما هم تشونغ فو أن يقول شيئًا، طلب منه أولاً التخلص من
ابنة أخت العم تسونغ ليانغ. لم يكن يفهم تشونغ فو في البداية ما
الذي يحدث، فطلب سرًا من الفتاة أن تعود إلى البيت لتقضي عيد
الربيع، وأن تستعد وتنتظر إلى حين أن يهدأ غضب الأمين ومن ثمَّ
يتوسط لها عنده ببعض اللباقة. وحينما استعلم عن الخبر سمع أن
العم تسونغ ليانغ سبق وأخذ الفتاة إلى بيت الأمين، حينها فقط
عرف أن العم تسونغ ليانغ صار في ورطة، لكنه لم يكن يتصور
أن يظل الأمين ملتزمًا بالقسم الذي أداه في الجنازة، مما جعله
يزداد إعجابًا به. منح الفتاة بعض التعويضات لاحقًا وتخلص منها.
وبخ العم تسونغ ليانغ لي دونغ باو كثيرًا من وراء ظهره، ولكنه لم
يواجهه بأي كلام على الإطلاق، كما صار موضع سخريه الناس
بأنه يريد أن يصاهر أكابر الناس بغض النظر عن أحوالهم، ما جعله
غاضبًا لعدة أيام. وبعد ذلك لم يجرؤ أحد في شياوليغيا كبيرها
وصغيرها على أن يتوسط في طلب الزواج عند لي دونغ باو.

بعدما فرغ من أعماله في مزرعة الخنازير، ذهب لي دونغ باو
إلى مكتب القرية، وطلب من شي قن مساعدته في تحضير الهدايا،
ثم طلب من الخزينة ألفي يوان نقدًا، وقال إنه سيقدمها كهدايا
للناس. سحب شي قن الأموال وفقًا للتعليمات، وسجّل الغرض
من استخدامها، وقرر أن يبحث عن فرصة فيما بعد ليجعل لي
دونغ باو يوقع ويصدق عليها، ووضعها في أظرف مختومة بداخل
الخبزينة.

ذهب لي دونغ باو إلى مكتب الأمين تشن بينغ يوان حاملاً حقيبة المستندات الجلدية السوداء والمميزة برمز انعكاس القمر في الزاوية السفلية اليمنى، والتي لم يغيرها منذ سنوات طويلة، كان ذلك المكتب في السابق يجلس فيه الأمين شوي، ومع ذلك يتم الآن بناء مبنى للمكاتب الجديدة في مكان ليس ببعيد، فلن يطول جلوس تشن بينغ يوان في هذا المكتب كثيرًا.

استوقف سكرتير تشن بينغ يوان لي دونغ باو بينما كان لا يزال في الممر، وقال له أن يكون حذرًا عند الحديث، فإنه غاضب جدًا بالداخل. فسأله لي دونغ باو، ولمّ هو غاضب؟ وكان السكرتير على علم بالعلاقة الطيبة التي تربط لي دونغ باو بالأمين، فقال له إن الأمين كان لديه فرصة جيدة جدًا، ولكن حدث ما لم يكن متوقعًا، إذ أمر كبار المسؤولين بضرورة حصوله على شهادة من معهد عال، ما جعل الأمين تشن يفقد هذه الفرصة. حينما سمع لي دونغ باو غضب هو الآخر، لكن وحينما أعاد التفكير وجد أن شيوي الكبير وسونغ يون هوي اللذان يحبهما كلاهما يحملان شهادات جامعية، وكما هو المتوقع فكلاهما أشخاصٌ ماهرون، علاوة على ذلك فإن تشونغ فو يرشح الآن في المحافظة أن ترتب المدينة من يذهب للجامعة الزراعية للدراسة، وقد أخذ تشنغ مينغ بعضًا من الشباب للذهاب إلى الجامعة واستكمال دراستهم في تخصص الهندسة الميكانيكية والكهربائية، ولقد تعلموا بالفعل رسم الخرائط، فصاروا يستكملون دراستهم بينما يحرزون النتائج سريعًا، مما جعلهم يلاحظون أن التعليم ما زال له فائدة، وأن المعاهد العالية ما زالت معقولة.

ولكن تشن بينغ يوان كان له منطقته الخاص: «لم يكن لدينا في ذلك الحين امتحانات الالتحاق بالجامعة تلك، فقد كان يتم ترشيحنا للجامعة بالدور وفقًا لتصنيفاتنا الأسرية، لم يجعلوني ألتحق بالجامعة في ذلك الحين، والآن يسألوننا عن شهادة الالتحاق بالجامعة، أليس هذا تضييقًا علينا؟».

ضحك لي دونغ باو قائلاً: «أنا أحمل شهادة الالتحاق بالمرحلة الابتدائية، ألسنتُ أعيش في أفضل حال؟ كما أنك تبذل قصارى جهدك لترشيحي حتى أكون نموذجًا مثاليًا للعاملين في المقاطعة».

«نحن نختلف عن ذلك، إنك تعتمد على مهارتك في كسب المال، أما هنا فنحن بالإضافة إلى مهارتنا نعتد على الشهادات، اليوم شهادة قوية، وغدا شهادة ضعيفة، إننا نبذل قصارى جهدنا كل يوم من أجل ذلك، أخبرني، هل تراني شخصًا قادرًا على العمل أم لا؟ ناهيك من ذلك، فإن العمل الاقتصادي هنا عندي يسير بشكل جيد مقارنة بكل محافظة في المدينة، والدخل المالي السنوي هنا هو الأعلى، نحن متقدمون بفارق كبير. إن العمل الفكري عندي هنا يسير على ما يرام، لقد أضفت الكثير من الأسماء في قائمة انتظار مجلس الشعب الصيني، وما يزال هناك الكثير من الأعضاء المتقدمين الآخرين. كما أن العمل التعليمي عندي هنا هو الأفضل، فما هي المدرسة الثانوية التي تقبل أعلى معدل قبول في صيف هذا العام؟ إننا نحن، حتى إن معدل الالتحاق هنا أعلى مما هو في المدينة. لقد تجاوزنا كل هذه الصعوبات ولكنني لا أستطيع التغلب على أمر تلك الشهادة، فهل ترى أن هذا عادل؟».

وضع لي دونغ باو الألفي يوان الملفوفة في ورق الجرائد أمام تشن بينغ يوان قائلاً: «فلتسعد بعض الشيء، كل عام وأنتم بخير».

ذهل تشن بينغ يوان، ولكته غير من رفضه المهذب سابقاً، ووضع المال في الدرج. وحينما انتهى من ذلك لم ينبس ببنت شفة، فخفض رأسه ودخن لفاقة تبغ، ثم قال بعد وقت طويل: «كم تظن أنني أبلغ من العمر يا دونغ باو؟».

«لماذا؟ لست شاباً على كل حال، لا تفكر في البحث عن عروس جديدة. لنقل إنك تبلغ أربعين عاماً».

كتب تشن بينغ يوان رقماً، ورفع الورقة جاعلاً لي دونغ باو ينظر إليها، وحينما رأى تعبيرات وجهه المصدوم بعدما شاهدها، تنهد ثم قال: «هذا هو عمري، ولقد أضعت فرصة الذهاب للتطوير من نفسي في المدينة هذه المرة، حينما تنتهي هذه الدورة علي أن أذهب إلى مجلس الشعب في المحافظة للتقاعد، لقد انتهت صلاحيتي وأصبحت غير صالح لشيء».

عندما سمع لي دونغ باو هذا الكلام، لم يسعه سوى التفكير في انزعاج سونغ يون هوي، وفهم تشن بينغ يوان على الفور. «إنكم هؤلاء العاملون في الوظائف الحكومية حينما تفكرون في عمل شيء، تقومون به بدون سعادة، وحينما تفعلون الكثير من الأمور، تواجهون الحسد والغيرة من الناس، أما أكثر الأشياء مللاً فهو أننا لطالما نتجرأ في حماقة، نتقدم خطوة إلى الأمام، ونستطيع جني الكثير من المال، أما أنتم فليس أمامكم سوى الموت في انتظار الراتب. إنكم لا تملكون أي شيء بخلاف الألقاب الرسمية».

حينما سمعه تشن بينغ يوان شعر بالشعور نفسه، كما أحس بأنه جرح احترامه لذاته: «لا تهذ بهذا الهراء، نحن خادمو الشعب، نعمل على خدمة الشعب».

أراد تشن بينغ يوان في البداية استخدام الكلمات المحفوظة للرد على لي دونغ باو، وجعله يكف عن الهراء، فإنه في الأول وفي الآخر أمين الحزب في المحافظة، ولي دونغ باو أمين الحزب في القرية ويعمل تحت قيادته، فلا يمكن أن يتعامل لي دونغ باو أمامه بهذه الغطرسة. ولكن لي دونغ باو لم يكن يخشى أحدًا، فقال بلا أدنى خوف: «وما الهراء فيما أقول؟! لقد أصبح صهري كادرًا على مستوى القسم، ويفوقني كثيرًا في المهارات، فإنني أبحث عنه لأستشيره كلما احتجته في شيء، ولكن راتبه الشهري لا يضاهي راتبي لمدة أسبوع، فما إن يراني حتى يشعر بالضيق، ألسنت مثله؟!».

«كف عن التخمين بهذا الهراء». سعل تشن بينغ يوان لعدة مرات حتى ارتاح حلقة، «إنك لا تأتي إليّ إذا لم يكن هناك أمر مهم، ومن المؤكد إنه ليس بالأمر الجيد أن تأتي إليّ قرب عيد الربيع كل عام. هات ما عندك مباشرة».

قال له لي دونغ باو: «جئتُ لأقدم لك تقريرًا، لقد تمكنا من عمل مزرعة الخنازير وتربية عشرة آلاف رأس كما أخبرتك في العام الماضي، كما أننا تأكدنا أن جودة تربية الخنازير في مزرعتنا هي الأفضل في المقاطعة، وجنينا هذا العام كمًا لا بأس به من المال، كما سددنا للبنك مبلغًا ليس بالقليل، وعلى العموم فقد كان الحصاد كبيرًا، إذ طلب مني الجميع أن أذهب لشكر قادة الحزب في المحافظة على جميلهم».

ابتسم تشن بينغ يوان قائلاً وقد نفذ صبره: «دونغ باو، لن تنفع معي طرقت الملتوية في الحديث هذه، من الأفضل أن تكف عن هذا الحديث باكراً، وقل لي الحقيقة، ما الخطة الكبيرة التي تفكر فيها؟».

ضحك لي دونغ باو وقال له: «أنا لا أراوغك في الحديث. إذن فلا تقاطعني، فحينما تقاطعني لا يكون كلامي واضحاً، ما أقصده هو أننا لم نعد في الماضي، فالحديث الآن يجب أن يكون عن التكنولوجيا. تماماً مثلما نربي الخنازير، فإن الإلمام بمعرفة كيفية تربية الخنازير كبير، فبعض الناس يفضل أكل اللحم الرخامي، لذا نربي الخنازير ذات الخصور الطويلة، وبعض الناس الآن لا يحبون تناول اللحوم الدسمة ويفضلون تناول اللحوم الخالية من الدهون، لذا نقوم بتربية الخنازير ذات الأرجل القوية، فالخنازير التي لدينا تختلف في الحظيرة الأولى عنها في الثانية والثالثة، لا نقوم بالتهجين. وحينما نبيعها لا نعرضها بالسعر نفسه، فنبيع الخنازير ذات الأرجل القوية لمن يعملون في التصدير، ويكون سعرها جيداً كثيراً، إذ ننفق التكلفة نفسها على تربيتها وإطعامها، وتكون مربحة كثيراً. كما قمنا في نهاية العام بتشغيل اثنين من معدات الكابلات الكهربائية، وعلى الرغم من عدم جني الكثير من المال بسببها في الوقت الراهن، ولكن مستقبلها سيكون مشرقاً. أيها الأمين تشن، قدم لي مساعدة واحدة، أخبر البنك أنني لا أستطيع سداد القرض في العام الحالي، فلقد وضعت جميع الأموال في معدات الكابلات الكهربائية».

حدّق تشن بينغ يوان في لي دونغ باو بعينين حاسدتين: «حسنًا، هل انتهيت؟ دعني أسألك سؤالاً، ماذا عن احتلال أرض زراعية بدون الحصول على ترخيص؟ وكيف استخدمت القرض الذي تتحدث عنه العام الماضي؟ إن شياولجيا، قريرتك، صار نصفها جديدًا ونصفها قديمًا مهترئًا كما لو كانت مثل رمز الين واليانغ، لقد صار منظرها أسوأ مما كانت عليه حينما كانت كلها قديمة، فكيف لك أن تواجهني الآن؟ لقد تحدثت وكأنك لم تقل شيئًا، بل وتريدني أن أساعدك أيضًا؟ يسألني رؤسائي كيف لي أن أعتد على نموذج مثلك».

«ليس لدي فكرة، المال لم يكن كافيًا. لا يمكن إنشاء المنازل الجديدة وترك الفلاحين يعيشون فيها جياعًا. ألا يمكنك أن تعطيني موافقة على تملك تلك الأرض؟ إنه ليس بالأمر الصعب، أليس كذلك؟ إن الناس في القرى الأخرى جميعهم يحصلون على تلك الموافقات». وكان لي دونغ باو يقصد أن يضعه خلف الأمر الواقع، تمامًا مثلما تحمل إحداهن وهي في علاقة مع صديقها، فكيف يمكن ألا تتزوج به؟!

فكر تشن بينغ يوان قليلاً ثم قال: «يمكنني أن أوافق لك على الأرض، ويمكنني أيضًا أن أتحدث بدلاً منك في موضوع القرض، ولكنك يجب أن تعدني بشرط واحد، وهو أن تزيد من طول الطريق الأسمتي الواسع الممهّد الموجود في قريرتك الجديدة قليلاً، وتجعله ممتدًا حتى الطريق الإقليمي. ألا تزدهر المؤسسات التي تديرها القرية كثيرًا؟ ألا تستطيع أن تجعل القرية منظمة إذا

ما امتلكت المال؟ فكيف يمكننا أن نطلب من القادة في كل مرة يزورون فيها القرية أن يسيروا في طريق تحرثه الجرارات لديكم حتى تتلفه؟».

«ولكن هذا سيكلف الكثير من المال، لا يمكن، لنركز على التطوير أولاً، ثم ننفق على تلك الرفاهيات فيما بعد. ماذا لو تقرضني المزيد من المال؟».

«لا أستطيع أن أعطيك المزيد من المال هذا العام، فكيف يمكنني أن أضع أموال المحافظة كلها في جعبتك، سأجري لك أيضاً بعض الحسابات، إنك تحتاج إلى نصف مليون من أجل إصلاحات الطريق، فالأسعار ترتفع الآن يوماً بعد يوم، ولو انتظرت لإصلاحه في العام المقبل لن يكفيك حتى مليون. فكر جيداً. وعلاوة على ذلك فإن قريتك شياوليغيا المرفهة تتمتع بصورة جيدة، فإذا ما قمنا بالدعاية، ستقرضكم المدينة أيضاً مالا فيما بعد».

قال لي دونغ باو محدثاً نفسه إنه لا مفر من أن أعده بذلك: «حسناً، أعدك بذلك، فلتعتمد عليّ وسأكون عند حسن ظنك، حسناً؟».

قال تشن بينغ يوان في ثبات: «حسناً بالطبع، هناك أيضاً...». «ألم تقل إنه شرط واحد؟ لا يمكن، ليكن واحداً ما دمت قلت أنه واحد».

لم يكن يعرف تشن بينغ يوان ما إذا كان عليه أن يضحك أم يبكي، وأخذ يقلب في محفظة مستندات لمحاضرات كانت على

المكتب، ثم أعطاهما للي دونغ باو: «لقد جعلت أحدهم يجمع هذه البيانات بشق الأنفس، فلتمنحني في العام المقبل كل التكريم الذي ستحصل عليه، لا يمكن أن يتم التركيز في تطوير شياوليجيا على جانب الفوائد الاقتصادية فقط، فعليك أن تركز أيضاً على الجوانب الاجتماعية. عليك أن تفهم، إن الفوائد الاجتماعية والفوائد الاقتصادية تكمل بعضها البعض. فحينما تؤثر تأثيراً كبيراً في المجتمع، فسترتاح يوماً ما من عناء المجيء إلي في كل عام لتهنئتي بالعام الجديد، وستذهب مباشرة إلى مكتب رئيس المقاطعة لتهنئته. خذ». وحينما انتهى من كلامه ألقى بمحفظة المستندات أمام لي دونغ باو، «فلتجعل عمدة قريتك يقوم بذلك، أنت لن تستطيع».

لم ينظر لي دونغ باو فيها حتى، ووضعها كما هي: «ألقها، لم أعد أصدق في هذه الأشياء بعد، لقد كنت ممثلاً في المؤتمر الشعبي الوطني من قبل، ولكن ما الذي حدث؟ ما الفائدة من ذلك؟ إنه لا يضاها وجود المال».

«إن نظرتك للأمور ضيقة ورأسك صلب، لا تقم بذلك إذا ما أردت».

أراد لي دونغ باو أن يتجاهل الأمر، وكان تشن بينغ يوان قد أعطاه المستندات وأبقى على محفظة المحاضرات منذ وقت باكر. قال لي دونغ باو «لثيم»، فرد عليه تشن باو يوان أخيراً بلهجة قوية: «يا للقرف، من يشبهكم أنتم أيها الفلاحون الفقراء، عشوائيون». انهال عليه بوابل من السباب بعد أن حبسه بداخله طويلاً، ولكنه

كان يشك في داخله بأن لي دونغ باو يسخر منه بطريقة ما ويقول إنه لثيم. أخرج بسخاء بضعة وجبات وأعطاهما للي دونغ باو، وبينما يسير في الممر رنّ الجرس فجأة معلناً موعد انتهاء العمل. أغلق تشن بينغ يوان درج مكتبه بإحكام بينما يرى لي دونغ باو وهو يدس البيانات في حقيبة جلدية سوداء مما جعلها تنتفخ، ومن ثم أخذه إلى المقصف الحكومي.

كان هناك الكثير من الناس الذين يعرفون لي دونغ باو في المقصف الحكومي، وقد بادر الكثير منهم لإلقاء السلام عليه، ولكنهم كانوا يحافظون على مسافة احترام، ويعاملون لي دونغ باو بمزيد من التهذيب، فالمصافحة فيما بينهم تشبه التواء الأيدي، والربت على الكتف يشبه دق الخوازيق عند بناء المنزل، وقليل من الموظفين الحكوميين يمكنهم تحمل مثل هذه التصرفات. لم يكن لي دونغ باو يعرف ما الذي يحدث، وإذا بأحدهم يسلم عليه بكفٍ يشبه كف الدُّب، مما جعله يهتز هزةً قوية، ولم يسعه سوى الرغبة في المغادرة بسرعة، وكان يؤيدهم في كل ما يقولونه.

4

قضت عائلة يانغ هذه المرة عيد ربيع ثري ومزهر، وقد علق جميع العائلات بلا استثناء الدجاج والبط والأسماك واللحم، ولكن الجميع لم يكونوا يهتمون باللحم والأسماك، وتهافت كل أفراد العائلة على تناول الخضراوات. هرع يانغ شيون في اليوم الأول إلى بيت عائلة داي، وقام بتوزيع كومة كبيرة من أموال العام

الجديد، وأهدى لحميه وحماته ألفي يوان لكل واحد فيهما، مما جعل المقابل هو ابتسامتهما في وجهه. وهنا تنفس الصعداء.

لاحظ يانغ شيون بعدما هدأ أن مجموعة من الكبار والصغار والرجال والنساء حوله يصيحون في حيوية «شعلة نار... شعلة نار»، ولم يفهم ما يحدث سوى حينما سأل داي جياو فنع، واتضح له أنه في حفل عيد الربيع الليلة الماضية كان ثمة مطرب وسيم جاء من تايوان يُدعى في شيانغ، يرقص بينما يغني أغنية «شعلة نار في الشتاء»، وكانت أغنية جميلة للغاية. انتهر يانغ شيون فرصة حديث داي جياو فنع عن في شيانغ وهي سعيدة، وسألها بسرعة عما إذا كانت ستذهب معه هذا العام إلى الشمال الشرقي أم لا، فردت عليه داي جياو فنع بسؤال آخر عما إذا كان سيسمح لها بقضاء عيد الربيع العام المقبل في بيت عائلته أم لا، تحدث يانغ شيون لفترة طويلة قائلاً بأن علاقتهما لا دخل لها بعائلتيهما، ولكنّ داي جياو فنع كانت تصر على أمر عيد الربيع في العام القادم. سألها يانغ شيون بقلب مرتعد ما إذا كانت لن تذهب معه إلى الشمال الشرقي إذا لم يجد وسيلة لجعلها تقضي مع عائلته عيد الربيع في العام المقبل، فردت عليه بالإيجاب، وقالت له إنها لم تكن تتصور بعد أن قضت معه عامًا كاملاً في علاقة غير واضحة أنه بهذا الجبن. لقد امتطى يانغ شيون دراجته في الصباح الباكر من اليوم الأول لعيد الربيع وذهب إلى بيت عائلة داي، ثم جلس معهم لوقت طويل والابتسامة تعلق وجهه وصار كما لو كان واحدًا منهم، ولقد رأى الابتسامة ترسم على شفاههم بعدما أخذوا منه المال، على أن داي جياو فنع كانت تعامله معاملة فاترة، بل وتقول إنه جبان، مما

جعله يثور غضبًا، وقال لها كلامًا فيما معناه إنها حرة، وإذا لم ترد أن تذهب فلا تذهب. ثم سلّم على فردٍ فردٍ في العائلة محتفظًا بالابتسامة على وجهه وودعهم قائلاً بأن أحدهم ينتظره في المنزل، وغادر حتى قبل أن يتناول طعام الغداء.

غادر يانغ شيون ولم تفكر داي جياو فنغ في الأمر طويلاً، أما عائلتها فقد كانت قلقة، وألحوا عليها أن تذهب بنفسها في اليوم التالي إلى عائلة يانغ لتهدئة الأمور. لم تأخذ داي جياو فنغ الأمور على محمل الجد، فكثيرًا ما كانت تتشاجر مع يانغ شيون في الشمال الشرقي، لكن سرعان ما يتصالحان، ولقد تشاجرا ببضع كلمات قليلة، مما جعلها لا توافق على الذهاب.

عاد يانغ شيون إلى البيت شاعرًا بالاختناق، متمنيًا في نفسه لو لم تكن والدته متزمتة إلى هذا الحد، أما والدته فقد قالت إنه من الجيد ألا تذهب معه داي جياو فنغ إلى الشمال الشرقي، وليقض كل منهما أيامه بعيدًا عن الآخر إلى أن يحين سن زواجهما. كانت تصر على أن الإنسان يجب أن يعيش مستقيمًا، ويقف معتدلاً، وألا يضيع مبادئه، وألا يجعله جني الكثير من المال من الأغنياء الوقحين السطحيين الذين يتم طعنهم في الظهر. سألته والدته إلى أين ذهب بمحفظه المال التي كانت متفخخة في جيبه هذا الصباح، فقال لها يانغ شيون أنه ذهب يقدم لعائلة داي هدايا عيد الربيع، فصمتت والدته بينما تزدرى عائلة داي في نفسها، فالمال لابنها، هو الذي يجنيه ولينفقه كيفما شاء، لم تكن لتتدخل في هذا الأمر، ولكن عائلة داي جشعة للغاية، كما لم تتزوج ابنتهم بعد، فكيف

لهم أن يأخذوا كل هذا المال من ابنها بلا حرج، كانت والدته تعتقد أن أسلوب عائلة داي لم يكن مستقيمًا، ولها أن تتخيل ماذا ستفعل ابنتهم. ولم تفكر الأم في أن الذي هرب مع تلك الفتاة هو الآخر كان ابنها الذي ربته تربية صارمة، لم تكن لترى على العكس سوى سوء أخلاق داي جياو فنج.

لم يكن يتصور يانغ شيون أن والدته الكبيرة التي يحبها ويوقرها تملك مثل هذا الوجه الصارم، وقد كان في الأصل غاضبًا من داي جياو فنج، والآن صار غاضبًا من كليهما، ولكنّه لم يكن يعرف كيف يرضيهما بأي وسيلة، ولم يسعه سوى محاولة التخلص من هذا الغضب معتمدًا على نفسه. لم يكن هذا العام سعيدًا على الإطلاق، كان يفكر في أن والدته بالضرورة تلاحظ بأنه غير سعيد، ولقد نصحتها كثيرًا أن تلين، ولكنها لم تكن لتلين حتى قبل مغادرته. ذهب إلى بيت عائلة داي قبل تحضيره لما يكفي من البضائع والمغادرة، وحينما رأوه قادمًا مرة أخرى تنفسوا الصعداء، ولكنّ داي جياو فنج خيرته بين أن تذهب في العام المقبل لتقضي عيد الربيع مع عائلته أو ألا تذهب معه هذا العام إلى الشمال الشرقي. أراد يانغ شيون أن تتحمل داي جياو فنج لعيد ربيع آخر، فعلى كل حال بقدم عيد الربيع القادم سيقتربان من سن الزواج الرسمي، ولكنّ داي جياو فنج لم تقبل بهذا، وظل يانغ شيون يقول لها الكثير من الكلام المعسول لفترة طويلة، ولكنها أدارت له ظهرها ولم تعرّه انتباهًا، ولم يسع يانغ شيون سوى أن يغادر سريعًا، فركب في شاحنة البضائع وذهب وحيدًا إلى الشمال الشرقي.

لكن ما لم يتوقعه يانغ شيون المسكين أنه بعدما وصل إلى الشمال الشرقي وانتهى من تفريغ البضائع، قدم للسائق صحنًا من الحساء، ورتّب لأمر إقامته، وحينما ذهب إلى البيت الجديد المكون من غرفتي نوم وغرفة معيشة والذي اشتراه في العام الماضي، رأى ضوءًا يخرج من شق الباب، فأخرج المفتاح بحذر ومد يده ليفتح الباب، وكان يقف بعيدًا عند مقدمة الدرج، فلم يكذب المفتاح في الباب حتى وجد الباب يفتح وحده ويحدث صريرًا، ووجد أخا داي جياو فنغ الكبير يقف بالداخل، تقف خلفه داي جياو فنغ وهي تحديق فيه. فرح يانغ شيون حتى كاد يجن، فمسح عن قلبه كل الكآبة التي شعر بها طوال الطريق، واندفع من الباب واحتضن داي جياو فنغ وأخذ يدور بها، مما جعل أخوها لا يسعه سوى أن يشيح بوجهه بعيدًا.

وعلى الرغم من أن يانغ شيون لم يحدث مقارنة لفظية بين والدته وزوجته، لكن حينما ألحت داي جياو فنغ بغضب عليه في السؤال من فيهما تحسن إليه، فأخذ يضحك ويثوش على الكلام، ولكنه كان يشعر في قرارة نفسه أن زوجته أكثر عقلانية، وهي تعشقه أكثر من والدته.

بعدما وصل إلى علم والدة يانغ شيون أن داي جياو فنغ ذهبت إلى الشمال الشرقي في صحبة أخيها الأكبر، احتقرتها وفكرت بينها وبين نفسها، ماذا لو كان ولدها فقيرًا، هل كانت لتكثرث عائلة داي بدفع ابنتهم بين ذراعي ابنها؟ أم أن أموال ابنها فقط هي ما تستحق التركيز؟! حذرت الأم ابنها في رسالة، وقالت له إن الجميع يتم

إغراؤه بالمال، بما في ذلك الأبوين المقربين والزوجة والأطفال، وإن عليه أن يحتفظ بماله في يديه، وألا يثق في أي مخلوق كان. وقالت له إنها تفضل أن تفقد نفسها على أن يضيع ابنها بين يدي داي جياو فنع التي تكبره بعامين.

ولكن يانغ شيون وداي جياو فنع قد لمَّ شملهما بعد فراق قصير وصارا أشبه فيما هو شهر العسل، فقد تلونت حياتهما بألوان قوس قزح بعد ثمة عاصفة، فأتى له الاكتراث لكلام والدته القاسية؟ علاوة على ذلك فإنها لم تسمح لداي جياو فنع بقضاء يد الربيع في منزلهم، مما جعله دائماً ما يشعر بالذنب، أما عن المال فقد كان بالطبع متساهلاً إلى حد ما مع داي جياو فنع.

صارت علاقتهما على ما يرام كما كانا في البداية، ولكن داي جياو فنع كانت تشعر بغصة في قلبها، كما كانت تشعر بأنها في أزمة. لقد أتت إلى الشمال الشرقي مع يانغ شيون في العام الماضي غير عابئة بأي شيء، واتضح لها أن علاقتها به إنما هي ستدوم إلى الأبد، لكن وبحدوث ذلك العناء الذي تسببت فيه والدته لها، وبعدها استمعت إلى تحليل أبويها في البيت، لم يسعها إلا أن تقلق، وهل ستسمح لها والدته بالدخول إلى منزلها؟ فإذا لم تسمح لها ما العمل فيما بعد؟ لطالما سألت يانغ شيون ماذا لو لم توافق والدته على الزواج ولم توقع ولم تسلم سجل الأسرة؟ هل سيتمكنان من الزواج؟ ولكن يانغ شيون كان يصر على أن والدته لم تكن توافق فقط على ذهابها إلى منزله قبل عقد الزواج الرسمي، وأنها لم تقل غير ذلك. وعلى الرغم من تفوه يانغ شيون بهذا الكلام، ولكنه لم يكن متأكداً في قرارة نفسه، فلطالما شعر بأن والدته تُكن لداي

جياو فنغ شعورًا راسخًا بالرفض، وأخبر داي جياو فنغ أنه وحتى لو استمرت والدته في الرفض، فيبلوغهم السن القانوني للزواج، سيكون أمر زواجه بها مسألة حياة أو موت، ولن يستطيع أحد منعه.

ظل شعور القلق مسيطرًا على داي جياو فنغ، ولكن علاقتهما كانت جيدة كما هي دائمًا، كثر المال، وكانا في مرحلة الشباب، وقد انفتح المجتمع من حولهما، كما ازدادت الأماكن التي كانا يذهبان للمرح فيها، كانت أيامهما رومانسية ولطيفة كثيرًا. وعادة ما كانا يذهبان إلى نوادي الرقص حينما يفرغان من أعمالهما، ففي البداية لم يكونا يجرؤان على الرقص، ومن ثمَّ انفتحا تدريجيًا وصارا يتعلمان من الآخرين. في بعض الأحيان، وحينما كان يتم تشغيل موسيقى سريعة الإيقاع، يرقص شخص في منتصف القاعة، فيتعلم منه يانغ شيون، ويبدأ الآخرون في عمل الحركات كما لو كانوا رجالاً آليين بالضبط، أما الحركات التي كان يؤديها يانغ شيون فكانت خفيفة تشبه حركات المهرج، لكن لا يهم، يكفي أنه كان سعيدًا.

5

كان عيد الربيع هذه المرة بالنسبة لسونغ يون هوي هو عيد الربيع الأكثر حيوية في حياته، كان مفعمًا بالحيوية لدرجة أنه كان مشغولاً حد الموت.

قضى سونغ جي شان وزوجته وقتًا طيبًا في بيت ابنتهما، وعلى الرغم من قدومهما من الريف، ولكنهما كانا متعلمين وغاية في الرقي، كانا خجولين في فعل أي شيء، ومستعدين لتقديم

تضحيات لا حصر لها، ومن حسن الحظ فقد كانت تشنغ كاي يان طيبة القلب بشكل فطري، وشخصيتها غير متكلفة، فلم تعارض انضمام أحدٍ إلى أسرتها الصغيرة، إذ كانت ترحب بأي أحد ما دام سيساعدها في أعمال المنزل، وتسعد بوجوده كثيرًا دون أن تفكر طويلاً في الأمر. كان سونغ يون هوي مشغولاً، ولا يستطيع الاعتناء بالمنزل، فمن حسن الحظ أن وكل أبويه لهذا الأمر. وهنا كانت أمور المنزل كلها تُدار بالنقاش بين سونغ جي شان وزوجته وتشنغ كاي يان، ولم يكن فيهم من هو سيد اتخاذ القرارات، فقد كانوا دائماً ما يتساهلون مع بعضهم، فالبيوت الأخرى تعج بالمشاكل حينما يعيش فيها أناس من جيلين مختلفين، أما هم فقد كانت الأمور بينهم تسير على ما يرام.

كان والدا تشنغ كاي يان قلقين من أن تعاني ابنتهما، وما مرت بضعة أيام واطمأنوا فيها إلى أن ابنتهم تأكل وتنام جيداً، وقد تورد وجهها، حتى ارتاح قلباهما. واعد أخو تشنغ كاي يان الأكبر فتاة في فترة عيد الربيع، وقد كانت من أبناء المصنع أيضاً، ومع ذلك فقد كان والداها ما يزالان من طبقة متواضعة، قام المدير تشنغ بإعداد مائدة كبيرة، ودعا جميع أقاربه وأقارب الفتاة على الطعام معهم للاستمتاع بوجبة جيدة. وكان المسؤولون عن إعداد الطعام هما والدة تشنغ كاي يان وسونغ يون هوي. شعر سونغ جي شان وزوجته أنهما مقيدان للغاية حينما رأوا المدير تشنغ، وقد كان مسؤولاً رفيع المستوى، خاصة وأن سونغ جي شان كان يجلس بجانب أصحابه، ومن سمات شخصيته أنه يستمع دائماً لتعليمات القادة ويتبعها، مما جعله يتكبد عناء تناول تلك الوجبة من الطعام،

إذ كان يأكل كل ما يضعه له المدير تشنغ، ويعمل بهمة على إنهائه كما لو كانت مهمة مكلفًا بها. ومن حسن الحظ أن المدير تشنغ كان عليه أن يهتم أيضًا بأقارب حبيبة ابنه، وإلا لظل سونغ جي شان يأكل حتى أصيب بالتخمة.

في الواقع، لقد كان الأصهار المحتملين لابنه أكثر تحفظًا، فكانا يتعاملان كما لو كان رئيسًا ومرؤوسًا في المصنع، وعلاوة على ذلك فلم يتزوج أبناؤهما بعد، مما جعل الموقف شديد الإحراج. وعلى العكس فقد كان الشعور بالتقيد الذي كان يحيط بسونغ جي شان وزوجته أقل وضوحًا.

ذهب سونغ يون هوي مع حميه في صباح اليوم الثاني من عيد الربيع إلى الأمين شوي لتهنئته، وما إن دخلا حتى وجدا الغرفة مليئة بالناس، وكأنهم يعقدون اجتماعًا بين رؤساء وكوادر المصنع، كان الجميع موجودين، فلم يسعهما سوى الشعور بالسعادة، ولكنه لم يكن يظهر برغم وجود كل هؤلاء الناس. لكن وبحلول منتصف الظهيرة تقريبًا تفرق الجمع، واندفعوا إلى الوليمة، وكان على البعض أن يجتمعوا مرة أخرى. وفي اليوم الرابع من العيد، أقيمت وليمة طعام، الأولى في وقت الظهيرة، والثانية في المساء، وقدمت لهم هدايا لا حصر لها، كانت محفظة أموال سونغ يون هوي فارغة، مما أشعره بالحرج. حينما كانت هدايا الزفاف تتطاير مثل رقائق الثلج، لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من التفكير في ذلك الكلام الذي قاله له يوي شان تشينغ حينما كانا بالقطار ذلك اليوم، وذلك الإغراء الحقيقي، ولكنه لم يفعل شيئًا سوى التفكير، فلقد كان ما زال يصبر على السير في طريقه الخاص.

ومن ثمَّ فقد اضطر إلى طلب بعض المال من والديه لأمر عاجل، فقد كان قائدًا، وعليه أن يُقدم هدايا غالية بالطبع، ولكنه لم يكن مثل القادة الآخرين، فالقادة الآخرون رجال كبار أثرياء يتمتعون بأموال عوائلهم المتركمة عبر السنين، أما هو فما زال يمر بأوقات يكون فيها في حاجة إلى المال. فحينما أهدى المال الذي كان يدخره كله، لم يسعه سوى أن يمد يديه ليقترض المال من والده ووالدته، مما جعله يشعر بعدم الارتياح الشديد. كانوا قد أعطوا رواتب شهر يناير مقدّمًا مراعين لوضع عيد الربيع، وعاد سونغ يون هوي إلى العمل في اليوم العاشر من شهر فبراير، ففكر تلقائيًا كما اعتاد في الراتب، إذ لم يكن في جيبه سوى بضعة يوانات من التي اقترضها من والدته. وحينما فرغ المال من يديه فكر ثانية في إغراء يوي شان تشينغ، كما أخذ ينظر إلى يوي شان تشينغ الذي كان يمر من أمام باب مكتبه كل يوم، مما جعله يشعر بالاستياء الشديد.

بعدما انتهى من مهمة تلو الأخرى في المصنع الرئيسي، وقهر حصنًا تلو الآخر، شعر بالفخر الشديد في قرارة نفسه. لكن لم يكن أي قدر من الفخر ليجعل الناس يتغنون بالأغنيات الشعبية وهم يتضورون جوعًا. فحينما يكون المرء جائعًا قد يغني مرة أو مرتين، ويمكن أن يشعر بروح ثورية، ولكنه إن غنى مرة أخرى فسيصاب هذا البطل بضيق في التنفس. كيف سيقضي أيامه في الشهر القادم؟

بعدما انتهى عيد الربيع وعادوا إلى العمل، كان أكثر ما أسعده هو تلك الرسالة القادمة بالبريد السريع من ليانغ سي شن والتي كانت موضوعة ضمن كومة كبيرة من الرسائل على طاولة في قسم

التصدير، ولقد كانت ليانغ سي شن جديرة بالثقة حقًا، إذ قالت إنها تريد أن تعطي لمستتر سونغ هدية بمناسبة العام الجديد، وقد سلمت الهدية كما هو المتوقع. لقد تعرفت من كذب على قائمة العملاء الأمريكيين التي أرسلها لها سونغ يون هوي، وقدمت له نسخة طفولية قليلاً، ولكنه كان تقريراً للتقييم جيد التنظيم. قالت له إن هذه هي الطريقة التي تتبعها تقريباً عند تقييم شركاء التجارة في الشركة التي تعمل بها، كما قامت بأخذ نسخة منها. رسمت دائرتين باللون الأحمر على اسم شركتين، وكتبت عليهما وسط الورقة التي تعج باللغة الإنجليزية جملة باللغة الصينية «شركة حقائب جلدية، هاهاها». حينما قرأها سونغ يون هوي انفجر في الضحك، فقد أرادت ليانغ سي شن أن تمازحه. ولكن المثير للدهشة كان أن هاتين الشركتين الموضوع اسمهما في دائرتين باللون الأحمر قد قدمت حجم أعمال كبير في العام الماضي، ويمكن القول بأنهما عميلان كبيران لمصنع جيتشو الرئيسي، ولطالما كانا موضعين للثقة، ولم يطلق عليهما أنهما شركات حقائب جلدية تتعامل مع المستويات المتواضعة من الباعة البسطاء. أم قد يكون ثمة اختلاف بين شركات الحقائب الجلدية في الصين وفي الخارج؟ أرادت ليانغ سي شن في نهاية الرسالة من مستر سونغ أن يخمن إلى أي قسم التحقت للدراسة، فقال سونغ يون هوي في نفسه: هل يمكن أن يكون القسم الأكثر شعبية الآن في الصين وهو إدارة الاقتصاد، أو الحاسوب؟

وجد الوقت مناسباً، فاتصل بليانغ سي شن بمكالمة دولية، وكانت ليانغ سي شن في البيت، فردت على الهاتف، وكانت تقريباً غير متوقعة على الإطلاق، ظلت تقول له «مستر سونغ» واستغرق

الأمر عشر ثوانٍ كاملة، وأخذ صوتها يعلو شيئًا فشيئًا. قال سونغ يون هوي ضاحكًا: «سنة جديدة سعيدة، ماذا أكلت في ليلة رأس السنة؟ وكيف قضيت عيد الربيع؟».

تحدثت ليانغ سي شن ببساطة، وسألته في شيء من المراوغة: «خمن إلى أي قسم التحقت؟ إذا خمنت تخمينًا صحيحًا فلك جائزة، وإذا لم تستطع أن تخمن فسأعاقبك بأن تدعوني لتناول الطعام».

قال لها سونغ يون هوي: «إدارة الاقتصاد، الحاسوب، أم أنك ستدرسين ما درستُ أنا بالضبط، وهو الصناعات الكيميائية؟ فأنتِ بوصفك فتاة لن تدرسي العلوم الإنسانية، أليس كذلك؟».

«نو، جميعها خطأ، أنا أدرس الرياضيات، لقد وقعت في حب الرياضيات بعد أن تعرضت لنظرية الأعداد، يقول الكثير من الناس إنني مجنونة».

«ألم يعترض والداك على اختيارك لدراسة الرياضيات؟».

«كيف تستطيع تخمين ما أفكر فيه دائمًا؟ نعم، لقد اعترض أبي وأمي، إنه لشيء محبط جدًّا، لطالما ظننتُ أنهم سيدعمونني بالكامل في كل ما أحب، وهم يقولون إن الرياضيات ليست عملية، وأنتي لن أحصل على عمل بسهولة في المستقبل. ولكن لا فائدة من ذلك، فإنني مصرة على اختياري، وها أنا على ما يرام بعد نصف عام، وتسير دراستي بسهولة ويسر، مستر سونغ، لماذا اخترت الصناعات الكيميائية للدراسة حينها؟».

«شعرت حينها أن التفاعلات الكيميائية مذهلة النسبة إليّ، وبأن عالم الكيمياء مليءٌ بالشغف، وهكذا تقدمت بطلب الالتحاق بقسم الصناعات الكيميائية وأنا في حالة من الذهول».

«صحيح صحيح صحيح، أنا أيضاً، أنا أيضاً، إن طريقة تفكيرنا متشابهة إلى حد كبير، لذا فإنني أقول إن والديّ لا يفهمانا نحن الشباب، فيينا وبينهم هذا الذي يدعى... فجوة بين الأجيال».

حينما قالت ليانغ سي شن «نحن الشباب»، حاول سونغ يون هوي أن يكبح رغبته في الضحك بشدة، ولم يسعه سوى أن يتمالك نفسه ويتحدث بجدية: «ليس بينكم فجوة بين الأجيال فحسب، بل هناك أيضاً مسافة فكرية ناجمة عن اختلاف البيئات التي تعيشون فيها. فعلى سبيل المثال: أنا أكره شركات الحقائب الجلدية، ولم أتصور أن هناك عميلين موضع ثقة بالنسبة إليّ وقد وضعت على اسمهما دائرة باللون الأحمر في الورقة التي أرسلتها إليّ قائلة إنهما من شركات الحقائب الجلدية، وهذا هو الاختلاف الموضوعي الناتج عن اختلاف البيئات الجغرافية والإنسانية للعالمين اللذين نعيش فيهما. أنتِ تُحبين الرياضيات، فتمسكي بها، وإذا كبرتِ ولم تجدي عملاً فيما بعد فافتحي لكِ شركة حقائب جلدية، ولسوف أقدم لك أفضل البضائع».

فكر سونغ يون هوي منذ عام سبق بالفعل، وكان يعتقد في البداية أنه ووفقاً لما قاله والد ليانغ سي شن، فإن الحالة الاقتصادية لها ليست سيئة، إذ يمكنها شراء منزل وسيارة بأموال الإرث التي حصلت عليها، كما يمكنها استقبال زيارة والديها إليها في أمريكا، ولكنّه فهم من المكالمة التي أجراها معها منذ عام مضى أنها

حريصة ودقيقة في إنفاق المال، مما جعل سونغ يون هوي يدرك أن الحالة الاقتصادية لليانغ سي شن هناك ليست كما يتصور، وبالنظر إلى المكالمة التي أجراها معها اليوم، فقد كانت تثرثر بلا توقف، حتى إنها تطرقت إلى الفجوة بين الأجيال، مما أكد ظنونه. كان يريد أن يقدم المساعدة لتلك الفتاة القوية المثابرة التي تعيش وحيدة في أراضٍ أجنبية، إنه يستطيع أن يفهم الآن معنى أن يموت الإنسان من أجل لقمة العيش، ويتوقع أن تكون ليانغ سي شن مثله تقريبًا، فوضّح لها قائلاً: «الأمر بسيط، يمكنك أن تقومي بهذا الآن، إنك تملكين وسائل التواصل مع تلك الشركات. أما عن أساليب التشغيل التي يمكنني القيام بها فهي على سبيل المثال: أن أقوم بتسعير بضائعي من أجلهم بمائة دولار للطن، وأقدم لك خمسة وتسعين دولارًا للطن، ويمكنك التواصل معهم مستفيدةً من فرق السعر وفقًا لقائمة العملاء التي سأقدمها لك، هل تفهمين ما أقصد؟».

فردت عليه ليانغ سي شن مندهشة: «هذا بسيط للغاية، لكن ألا يعتبر غشًا؟ هل يمكن أن تفعل ذلك؟».

تردد صوت ليانغ سي شن الطفولي الهادئ والقادم من وراء المحيط كالصاعقة في قلب سونغ يون هوي، وسرعان ما قال وهو تحت وطأة الدهشة: «ليست هناك مشكلة، إن أسعار التصدير لدينا لها نطاق تغير محدد، وفرق السعر الذي ذكرته لك ما هو إلا مجرد مثال، ولكنك ستحتاجين في البداية إلى جمع بعض المال من أجل فتح خطاب اعتماد، أو بإمكانك البحث عن شركة أخرى للتعاون، وبالتبعية سيقومون هم بمساعدتك على فتح خطاب الاعتماد، وتحصلين على عمولة. أي طريقة تجدونها مناسبة أكثر؟».

ضحكت ليانغ سي شن كما هو المتوقع وقالت: «حقًا ليست هناك مشكلة؟ أستطيع الآن فتح شركة حقائب جلدية، وبإمكاني أن أرهن منزلي، ولطالما لن أنفق من المال دون أن أكسب غيره، فمن الممكن أيضًا أن آخذ مبلغًا صغيرًا من مدخراتي، علاوة على ذلك فلقد فهمت الآن بالفعل كيف أعمل في الاستيراد والتصدير». وهنا تنهد سونغ يون هوي وسألها: «هناك مسألة أخرى، هل لديك وقت؟ أم أنني ألهيك عن دراستك؟».

أسرعت ليانغ سي شن من سرعة حديثها وقد كانت تتحدث ببطء كبير، وقالت ضاحكة: «ليس لدي الوقت فقط، بل الطاقة أيضًا. فلتصدقني يا مستر سونغ، ولترسل لي وثيقة بالبيانات وعرض الأسعار باللغة الإنجليزية فورًا».

ضحك سونغ يون هوي هو الآخر قائلاً: «حسنًا، سأقوم من أجل شركتك للحقائب الجلدية العظيمة بالاعتكاف على تحضير وثيقة بيانات خصيصًا من أجلك أنتِ أيتها الأجنبية، وسوف أرسلها إليك في أسرع وقت ممكن. وإذا ما شعرتِ أن الأمر صعبٌ عليكِ، لا تُجبري نفسك على القيام به، هذه ليست لعبة. وما أقدمه لكِ هو اقتراحٌ فحسب، وعليكِ أن تقيمي الموضوع لتعرفي ما إذا كان ممكنًا أم لا».

«حتى ولو لم يكن ممكنًا فلا بأس يا مستر سونغ، من فضلك ثق بأنني سأقوم به على أكمل وجه. شكرًا على منحي هذه الفرصة، عظيم جدًا، سأقوم بالأمر على أكمل وجه، أشكرك حقًا».

وعلى الرغم من أن سونغ يون هوي كانت لديه شكوك حول مقدرة ليانغ سي شن على القيام بالأمر، فإنه كان يصارع الوقت بلا أدنى راحة من أجل تنظيم البيانات وإرسالها لها. ولطالما كانت تلك الطفلة نشيطة في الاعتماد على نفسها، وتعيش حياتها هكذا بأحلام وأفكار، فإنه بالطبع سيدعمها بكل قوته، بل وسيدعمها من دون تحفظ. وبالرغم من صعوبة تنظيم البيانات، فلم تكن لدى سونغ يون هوي أي شكوى، بل وكانت حالته النفسية جيدة وكأنه يلعب، يلعب لعبة عظيمة عابرة للقارات مع ليانغ سي شن. وحتى لو رفضت فيما بعد الاستمرار في الأمر لخوفها منه، فليعتبر إذن أنه قد منحها فرصة للتدريب، فإذا لم يعط للأطفال الصغار فرصاً لن يكبروا أبداً.

ولحسن الحظ فإن جميع الواجبات المنزلية التي كان عليه أن يقوم بها بعدما عاد إلى المنزل باللغة الإنجليزية، فكانت تشغ كاي يان صامتة وجديّة.

وفي جوف الليل حينما حل الصمت، كان سونغ يون هوي يتفحص ضميره ويسأل نفسه لماذا يسعى لمساعدة ليانغ سي شن، فبخلاف تعاطفه معها لما تعانیه من ضائقة مالية مثله، كان ذلك بمثابة متنفسٍ بالنسبة إليه. إنه يعاني من ضائقة مالية، ومدينٌ بالمال، ولكنه يرفض أيضاً التورط في الفساد مع يوي شان تشينغ. وليس الأمر كما لو أنه لا يستطيع أن يكون مرناً، فبإمكانه مساعدة ليانغ سي شن على زيادة دخلها بطرقٍ ملتوية. علاوة على ذلك فهل سيظل يتمتع بحياة جيدة بعدما يبدأ مِين في التحرك واتخاذ

الإجراءات؟ كان لديه شعورٌ بالإنهاك وشكوكٌ عميقة تجاه حياته المهنية وجيتشيو.

ولم يمر الكثير من الوقت حتى جاء اتصال من ليانغ سي شن، فبعد الفحص والمقارنة توصلت إلى أن هذه التجارة يمكن القيام بها، لكن نظرًا ولأنها ما زالت تدرس فسيتعين عليها في كثير من الأحيان التعامل مع شركة وكيل معتمد للتصرف بدلاً منها، لذلك فستكون الأرباح التي يتم توزيعها ضئيلة نوعًا ما، لم يتردد سونغ يون هوي على الإطلاق، وأخبر ليانغ سي شن على الهاتف فورًا إنه سيعطيها تخفيضًا بخمسة دولارات للطن الواحد، فتهللت أساريرها، لكن سرعان ما سألت مستر سونغ مرة أخرى متلعثمةً ألن يرتكب خطأً بفعل هذا؟ فأخبرها سونغ يون هوي أن هذا الأمر يقع ضمن صلاحياته، وعليها ألا تقلق. ولكنها كانت تعلم بوضوح في قرارة نفسها أن السعر الذي عرضه عليها إنما هو تفضيلٌ لها، وأن هذا السعر هو أقل سعر يعرضه على العملاء الكبار. فبالطبع إذا لماذا لا يجعل ليانغ سي شن تستفيد هي الأخرى بهذا السعر؟

بعدما حان موعد الانتهاء من العمل وقت الظهر، استوقف يوي شان تشينغ سونغ يون هوي، ولم تكن تعبيرات وجهه على ما يرام، كما لو كان ثمة أمر يقلقه، وحتى حينما ركب الدراجة ظل متدليًا ومتكئًا عليها، وسأله بهدوء: «ألم تسمع ذلك، ستم المناقشة حول قسم النقل والمبيعات في اجتماع القادة الرئيسيين للمصنع الرئيسي بعد الظهر، أعطني بعض المعلومات».

أوماً سونغ يون هوي برأسه، ونظر جانبه ليري ما إذا كان هناك أحد قريب منه، ثم قال: «وما الذي يمكن مناقشته في الإدارات الأخرى بقسم النقل والمبيعات، أم أنهم سيناقشون أمر إدارتنا نحن أنا وأنت؟!».

ضحك يوي شان تشينغ وقال: «أرجوك، فلتذهب إلى بيت حميك مباشرة هذا المساء، وإذا ما عدت بأخبار تمت لي بصلة، اجعلني ألتقط أنفاسي أولاً وأستعد قليلاً لمعرفةتها».

فرد عليه سونغ يون هوي ضاحكاً: «لماذا أنت في عجلة من أمرك؟! هل يمكن أن يتناول اجتماع اليوم أمرنا نحن الاثنين بشكل خاص؟ سيقومون على الأكثر بضبط إطار ومهام قسم النقل والمبيعات، أما عنا نحن الاثنين، فدعنا ننتظر من الآن على مهل».

أصدر يوي شان تشينغ تهيدة طويلة وقال: «أنت هناك من يقف بجانبك، لذا بإمكانك الانتظار على مهل، أما أنا فليس هناك من يدعمني، أخشى أن يأتي الأمر بنقلي بعد الانتهاء من الاجتماع مباشرة».

لو حدث ذلك من قبل، كان سونغ يون هوي ليتعامل بازدراء مع هذا الكلام، أما الآن وبسبب الضغط الواقع على عاتقه من المدير مين، فلقد تأثر بالفعل وبعمق، فبعد كل شيء لا يضاهي الأمين شوي بالنسبة ليوي شان تشينغ المدير تشنغ بالنسبة إليه، وفي اللحظات الحرجة سيكون الفارق كبيراً سواء كانوا عائلة أم لا.

وعن بيته، فقد عاد أبواه إلى منزلهم بالفعل، ولم تبدأ الدراسة في الروضة بعد، فبعدها عاد سونغ يون هوي إلى البيت، وجد طبقًا من السبانخ المقلية موضوعًا على الطاولة، فترك حقيبته واستدار ناحية المطبخ، فشدّ تشنغ كاي يان التي كانت مشغولة على أوجها أمام الصنبور المفتوح وقال لها: «المياه باردة، لقد أخبرتك من قبل أن تنتظريني حتى أعود لأغسل الخضراوات، كم من الوقت يستغرق نقع يديك في الماء لغسل السبانخ؟ أنت!».

هزت تشنغ كاي يان يديها لتنفض عنها قطرات المياه، وضحكت مُبعدةً إياه عن طريقها، وكانت لا تزال ملتصقة به: «أنا على وشك أن أبدأ الدراسة، ولكنني قلقة قليلاً أيضًا، فالأطفال الصغار سيركضون هنا وهناك ولن أستطيع ضبطهم، ماذا لو اصطدم أحدهم بيطني... أفكر في أن أجعل أمي تذهب إلى المستشفى وتطلب إجازة مرضية، وسأستطيع حينها أن أستريح، حسنًا أم لا؟ هل سيعتبرونه تمييزًا لي؟».

«لا، فأنتِ وضعك خاص». انتهى سونغ يون هوي من الحديث ثم غادر، ولكنه لم يتمالك نفسه من الضحك، فما هو الوضع الخاص لهذه القطة الصغيرة؟ أليس جميع الحوامل وضعهم هو نفسه؟ ولكنه أحس من نبرة كلام تشنغ كاي يان أنها لا تريد الذهاب إلى العمل، فقال لها: «فلتجعلي والدتك تذهب لتحصل على الإجازة المرضية، وبالإضافة إلى ذلك فإنك لن تستطيعي أن تتكيفي مع النزول في الصقيع كل يوم وقد قضيت العطلة الشتوية محتمية في دفء المنزل».

اطمأنت تشنغ كاي يان، وتبعت سونغ يون هوي ملتصقة به من الحوض إلى الموقد، كانت إنسانة مدللة في الأصل، ولكنها حينما وجدت زوجها يكافح بجهد واجتهاد، شعرت بالإحراج من أن تطلب منه معاملة مميزة حتى لا ينتقدها.

فكر سونغ يون هوي فجأة في مشكلة كبيرة، وكأنه شيء سيئ ما قد حدث، فإذا ما طلبت تشنغ كاي يان إجازة مرضية سيقبل دخلها، ولقد قاربت الآن مدخراتهم على النفاد، كما اقترب موعد ولادة طفلهما، وسيكونون في حاجة ماسة إلى المال. كما أنه لم يُعد المال الذي اقترضه من والدته، وستحين ولادة الطفل في غضون شهر مارس، وفي ذلك الحين لن يملك سوى دخل شهر واحد له وشهر واحد من الإجازة المرضية لتشنغ كاي يان، وفي هذه الأيام...

أخذت الأفكار تتسارع في عقل سونغ يون هوي أكثر فأكثر.

بعدها أخذت تشنغ كاي يان قيلولتها، بحثت عن والدتها لتحديثها في موضوع الإجازة المرضية، فذهبت مساءً بهذه المناسبة لتتناول العشاء في منزل والديها، ولم تتمالك والدتها نفسها، فاتصلت فوراً بسونغ يون هوي ودعته هو الآخر للذهاب إليهم في المساء، ولكن المدير تشنغ لم يعد سوى بعدما انتهى من الاجتماع في وقت متأخر، وحينما وجد ابنته وصهره موجودين ظن أن سونغ يون هوي كان متعجلاً لمعرفة نتائج الاجتماع، فخلع معطفه وهو يقول: «لقد تضمنت النقاشات اليوم الكثير من الحديث عن عملي، غريب، كان مين صبوراً هذه المرة، ولم يتخذ إجراءات كبيرة».

«بل ما يضايق هو أن يتصرف على غير عادته. أبي، نريد أن نطلب لكاي يان إجازة مرضية، ولنطلب لها بضعة أيام أخرى بعد إجازة الوضع، إذ نجهز لأن تظل مستريحة حتى نهاية العطلة الصيفية، كنا نتحدث في ذلك مع أمي الآن». فرد عليه المدير مين فوراً: «حسنًا، سيكون ذلك جيدًا، وسيكون من الأفضل أن تنتقلوا للعيش معنا هنا لتحصل على المزيد من الرعاية. ولقد تقاعدت والدتها هي الأخرى، ومن حسن الحظ أنها سترافقها».

استدار سونغ يون هوي وسأل زوجته: «حسنًا أم لا؟».

«لا، لنتنظر حتى أعجز عن خدمة نفسي ومن ثمّ نأتي». رفضت تشنغ كاي يان رفضًا قاطعًا، فهي لن تستطيع الالتصاق بزوجها دائمًا في بيت والدتها. فهرعت والدتها فوراً إلى خارج المطبخ حاملة في يدها مِبْسَطًا وألقت جملة: «لن أطمئن لوجودك بمفردك في المنزل، لنتنقلي غداً إلى هنا. هذه المهمة لك يا هوي الصغير». ثم عادت مباشرةً بمجرد أن انتهت من حديثها.

قال سونغ يون هوي ضاحكًا بينما ينظر إلى تشنغ كاي يان: «فلنستمع إلى كلام أمي إذن، أنا أيضًا لن أكون مطمئنًا وأنتِ وحدك في المنزل، كما أن أمي قد تقاعدت وصارت تشعر بالضجر، من حسن الحظ أن ترافقها وتحدثنا معًا».

لم توافق تشنغ كاي يان سوى بعدما أظهرت الكثير من علامات الضجر على وجهها. وهنا اطمأن قلب المدير تشنغ، ولكنه شعر ببعض الإحباط بسبب أن ابنته لم تعد تستمع إلى كلامه بعدما تزوجت، وصارت تستمع إلى كلام زوجها فقط. أخذ رشفة من

الماء الذي أعطاه إياه سونغ يون هوي، وقال: «لقد ذكر مين اليوم أن الكوادر المجهزة في قسم النقل والمبيعات تزداد شيئًا فشيئًا، وخاصة إدارتكم للتصدير والتجارة الخارجية، فكل إدارة تملك حجرة مكتب مساحتها عشرون مترًا مربعًا، وهناك أكثر من عشرة أشخاص يتزاحمون الجلوس بداخلها، فلا تضاهي المساحة التي يشغلها كل شخص مساحته لو دخل إلى السجن، واقترح أن يتم نقل قسم النقل والمبيعات خارج بوابة المصنع الرئيسي، وبناء مبنى جديد».

اندهش سونغ يون هوي قليلاً: «هذا من كرم أخلاقه». وهنا نفذ صبر تشنغ كاي يان التي كانت تستمتع إليهما منذ وقت باكر، وركضت إلى حجرة المعيشة الصغيرة لتشهد المسلسل التلفزيوني، كما تسلل أخوها الكبير هو الآخر هاربًا، فلم يكن يحب الاستماع إلى هذا الكلام. لم يكن المدير تشنغ ليتمكن من عرض مواهبه الوظيفية في المنزل من قبل، لذا فقد وجد أخيرًا صهره ليتناقش معه الآن.

أصدر المدير صوت غطيظ وقال: «ليس بالضرورة، يريد مين التوسع في التجارة الداخلية ويكون له يد فيها، حتى يتمكن من استبدال يوي شان تشينغ. لكن ولأن حاجز الدخول إليك عالٍ نسبيًا، فإنه لم يفكر في أمر التصدير مؤقتًا».

شعر سونغ يون هوي للحظة بأن الكلام ليس واضحًا بالنسبة إليه، فماذا حدث بين مين وشوي في نهاية الأمر؟ ولماذا صار قلق يوي شان تشينغ حقيقيًا هكذا؟ فقال له المدير مين وكأنه يلخص الأمر: «لنرى ماذا سيحدث، ولكنّ بالنظر إلى السن، فسيأتي ذلك

اليوم الذي تكون فيه جيتشو كلها لمين، ولقد أخطأت في حق مين من قبل، ومن الأفضل لك أن تكون أكثر تحفظًا من الآن فصاعدًا. فأنا الآخر على وشك التقاعد».

كان سونغ يون هوي عاجزًا بعض الشيء، وعلى الرغم من أن وظيفته الحالية آمنة، ولكنه شعر بالتعاطف مع يوي شان تشينغ. وكما هو المتوقع، لقد تقلد المدير مين منصبه وحكم قبضته على الإنتاج، والتحول التقني، واتخذ إجراءات واسعة. كان المدير مين شابًا، فبخلاف مهارته التقنية، كان يتمتع بالطاقة والنشاط، إذ تم التحول التقني للفرعين الأول والثاني للمصنع معًا، وتم عقد اجتماعات للمناقشة وسط ضجة كبيرة لفترة من الوقت. كان سونغ يون هوي مشغولاً في عمله، فكان لا يرى سوى محضر الاجتماع، ولكنه لمس بعمق الحيوية والازدهار الجديد الذي جلبه المدير مين، وكانت هذه هي الحيوية التي يحبها. ولكنه ظل مقيدًا، فقد كان لديه في الحقيقة الكثير من الأفكار للتحول التقني في الورشة الأولى، ولكنه كان ليطرحها مسبقًا، أما الآن فإنه لا يستطيع أن يطرحها بوصفه مديرًا للورشة الجديدة، إذ كان يعتبر هذا تجاوزًا لحدوده وسوء أدب مع مدير الورشة الأولى. فهذا يشبه تمامًا مثلما كان المدير مين مديرًا للفرع الأول من المصنع ولم يكن قويًا وحازمًا بالضرورة، حتى ترقى في منصبه بالمصنع الرئيسي، فصار يتدخل بقوة في الأمور، إذ اختلف وضعه وصار لكل مقام مقال.

كان شغل سونغ يون هوي الشاغل يكمن في رغبته بالسفر إلى رحلات عمل كثيرة من أجل الحصول على المزيد من العلاوات،

لذا فلم يكن هناك من حل آخر، وعليهم في البيت أن ينتظروا حتى انفراج الضائقة المالية. كان يعتقد أنه على وشك الانتهاء من العمل بعدما ذهب في رحلتي عمل إلى دولتين في جنوب شرق آسيا، فلم يعد يذهب إلى المصنع، ولكنه لم يتوقع أن يأتيه إشعار بأن المدير مين يستشيط غضبًا باحثًا عنه. لم يكن يعرف سونغ يون هوي لماذا يبحث عنه المدير، فتعامل مع الأمر بحذر، وأجرى أولاً مكالمة هاتفية مع حميه ليستفسر منه، فعلم منه أنه ما من ثمة أمر كبير، وبعد ذلك اتصل بالمدير مين، فلم يزد المدير على أن اقترح عليه تناول العشاء معًا.

لم يكن هناك سوى عدد قليل ممن هم على درجة مدير مصنع، وكان المدير مين يسكن في المبنى نفسه الذي يسكن فيه المدير تشنغ، فارتدى سونغ يون هوي المعطف مباشرة وأخذ معه حقيبتين من المانجو المجففة المستوردة غالبًا من الخارج وذهب طارقًا بابه. خرجت زوجة المدير مين لتفتح الباب، أما هو فكان مشغولاً في المطبخ. لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه إلا أن ضحك خلسة، إذ يبدو أنه من تقاليد المصنع ألا يجيد أبناؤه القيام بأعمال المنزل، كما لم تكن زوجة المدير مين تجيد الطهي.

ما إن رأت زوجة المدير سونغ يون هوي حتى ضحكت من قلبها وقالت: «أخيرًا جعلتني أراك، تفضل إلى الداخل يا سونغ الصغير، ألا تشعر بالبرد وأنت ترتدي ثيابًا خفيفة هكذا؟».

«جئتُ من بيت عائلة زوجتي، قريب جدًا من هنا، تفضلي بعض المانجو المجففة، هدية خاصة جئتُ بها للتو من رحلة

عمل». أعطى سونغ يون هوي الأشياء التي معه إلى زوجة المدير، ثم قال للمدير الخارج من المطبخ: «عذرًا أيها المدير مين، أتعبتك معي».

«يوجد أمر عاجل، لا يمكن أن أجعلك تستريح، ومن حسن حظك توصية الأمين شوي عليك ومدحه فيك بأنك «لا تكل ولا تمل». لماذا لم تعرض عليّ خطة الإصلاح الخاصة بك؟».

«ما تحتاجه الورشة الجديدة حاليًا هو تطوير المهارات، وتحسين سلسلة المنتجات، وليست هناك حاجة لتعديل المعدات في الوقت الراهن. ولطالما كان نظام التحكم الصناعي في الخارج يتطور بشكل سريع، وعلى الرغم من أن معدّاتنا وُضعت قيد الاستخدام لمدة عامين فقط، فهناك بالفعل بعض المجالات التي يمكن تحسينها، لكن يمكن اعتباره خيارًا للتفكير في الوقت الحالي».

«أوه! هل تتابع دائمًا التطورات التكنولوجية في الخارج؟».

«أنا أدير التصدير والأعمال التقنية معًا، وحينما أتواصل مع رجال الأعمال الأجانب عادة ما أطلب منهم شرح المزيد».

«أوه، هكذا إذن، دعنا نضع مسألة الورشة الجديدة جانبًا الآن، سمعتُ أن لديك أفكارًا لتجديد ورشة العمل القديمة، ولقد عملتُ أيضًا مسبقًا في الورشة الأولى، أخبرني عن هذا الأمر بالتفصيل».

اندهش سونغ يون هوي قليلًا، فقد تحدث إلى ليو كبير المهندسين منذ فترة طويلة عن أفكاره المتعلقة بمسألة تجديد الورشة الأولى، فكيف عرف بها المدير مين؟ هل يمكن أن يكون

مين وليو على تواصل عميق إلى هذا الحد؟ فقال له بتحفظٍ قليلاً: «لم أعد إلى الورشة الأولى منذ أن بدأت في عمل المعدات الحديثة عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين، ولم أعد على دراية بالوضع في الورشة الأولى، وربما لن أكون قادرًا على تذكر ذلك لفترة من الوقت».

أحضر المدير مين الطبقة الأخير قائلاً: «هيا، تفضل بالجلوس، هل تشرب النبيذ؟».

«لا أقدر على الشرب، عذرًا، أسقط أرضًا بمجرد أن أشرب».

قالت زوجة المدير مين ضاحكة: «وكأن المصنع بأكمله يعرف أن سونغ الصغير لا يشرب النبيذ ولا يدخن، وأنه يجيد أعمال المنزل كلها، يا لك من زوج صالح».

ضحك سونغ يون هوي، وجلس على مائدة الطعام، أما المدير مين فصبّ لنفسه كأسًا من النبيذ الأبيض، وقال مبتسمًا في شيء من التهذيب: «أشرب كأسًا مساء كل يوم، وإذا كنت لا تريد أن تشرب فلن أجبرك. يسكن ابني بمهجع في وسط المدينة، وعادة ما نتناول الطعام أنا وزوجتي معًا فقط، أمل أن يصبح ابني مثلك في المستقبل ويستطيع أن يلتحق بالجامعة، ولكن من المستحيل أن يلتحق مثلك بالجامعة بعد المرحلة الإعدادية مباشرة».

«على الرغم من أنني التحقت بالجامعة، ولكنني لم أكن أضاهاي يوي شان تشينغ».

«من المهم بالطبع أن تكون الجامعة جيدة، لكن الأهم أن يكون العقل جيدًا، وبالإضافة إلى امتلاك عقل جيد ينبغي لك أن

تتمتع بالمثابرة والإرادة. لقد قمتَ بتنظيم جميع البيانات في الورشة الأولى بمجرد وجودك فيها لما يزيد عن العام بقليل، وتتمتع أيضًا بالمعرفة والمهارات ونظام المسؤولية الوظيفية، لم يكن ثمة من يستطيع اللحاق بك من المصنع الرئيسي في مسألة الإلمام بأمور الورشة الأولى؛ لذلك فإذا ما قال لي شخص آخر إنه لم يعد ملماً بأخبار الورشة الأولى من الممكن أن أصدقه، أما أنت فلا».

قال سونغ يون هوي ضاحكًا: «أذكر النظام العام، لكن من المستحيل أن أتذكر كما كان في السابق مثلاً مكان المستشعر وموديل المكبس وهكذا. ومع ذلك فإنني أذكر أن أفكار تجديد الورشة الأولى في ذلك الحين لم تكن كبيرة جدًا».

«لا تتظاهر بالجهل أمامي يا سونغ الصغير، فإنك بالطبع تسجل أي فكرة تخطر على بالك. أنت فقط تخشى ألا يرضى العاملون في الورشة الأولى عن ذلك صغيرهم وكبيرهم. لا تفرط في التفكير هكذا، ولتخبرني بغض النظر عن أي شيء، فبخلاف الورشة الجديدة، تعتبر الورشة الأولى هي الأولية القصوى بالنسبة للمصنع العام، ألم تفهم متطلباتي في تجديد الورشة الأولى قبل أن تذهب في رحلة العمل؟».

«من الصعب عليّ أن أتفوه بأي شيء منظم الآن، فرأسي فارغ من أي أفكار، سأقوم بتنظيم أفكارني بعدما أعود».

«ينبغي لك أن تكتب لي تقريرًا بسرعة، فمنتجات الورشة الأولى لم تعد تحظى بشعبية كبيرة داخل البلاد، وعلينا أن نجري فيها تحسينات، لقد ناقشنا بالفعل بعض الخطط، لكن يقال

إن لديك نظامًا أكثر شمولية. قم فقط بما عليك فعله ولا تقلق، سيوصي بك مدير الورشة الأولى بنفسه».

لم يجد سونغ يون هوي أمامه سوى الاستجابة لإلحاح المدير مين الشديد: «سأحاول».

«لا داعي لأن تتواضع، فأنت على اطلاع بالكثير، ليس داخل البلاد فحسب، بل خارجها أيضًا، كما أنك تملك الكثير من المعلومات الخاصة بالورشة الجديدة، ونحن بحاجة كبيرة إليك لتنظيم أعمال التحول التقني. هل يمكن أن يكون لديك بعض الاعتراضات عليّ شخصيًا ما دمت مصرًا على الرفض هكذا؟ أعلم أنك تصر على آرائك الخاصة، وبما أن لديك أفكارًا جيدة، فهل ستكون سعيدًا إذا لم تطرحها؟ أم أنك الآن تفضل استعراض مواهبك؟».

لم يتمكن سونغ يون هوي من الرد على الأسئلة الهجومية التي طرحها عليه، فلم يسعه سوى أن يقول: «شكرًا لك أيها المدير على تقديرك، سأبذل قصارى جهدي».

«حسنًا هذا جيد. لقد كنا في صراع من قبل بسبب العمل، لكن لم تكن هناك أي خلافات شخصية، دعنا الآن نناقش جوهر الأمر، ولا نثقل أنفسنا بأعباء نفسية كثيرة، ونعمل معًا على تحسين جودة منتجات جينتشو وكفاءة إنتاجها. لقد أصبحت السلع الاجتماعية وفيرة في أيامنا هذه، ولكن الأسعار أيضًا في زيادة مستمرة، وبصفتنا كوادر قيادية لا يمكننا أن نغمي أعيننا عن انخفاض أجور الموظفين شيئًا فشيئًا، علينا أن نستفيد من التحول التقني،

ونستخلص المكافآت المادية من تلك الاستفادة، قل لي هل هذا صحيح أم لا؟».

لم يتصور سونغ يون هوي أن يتفوه المدير مين بمثل هذا الكلام الواقعي، فهذا أسلوب آخر مختلف عن أسلوب الأمين شوي. أخذ يستمع إليه ويومئ برأسه موافقًا على كلامه.

«فعلى سبيل المثال ورشتك الجديدة، تمثل صادراتك تقريبًا كل إنتاجها، فهل تعرف كم تحتل نسبة أرباحك من النسبة الإجمالية لأرباح المصنع الرئيسي؟» وحينما رأى سونغ يون هوي يومئ برأسه معبرًا عن معرفته بالأمر، أكمل كلامه، «هذه هي قوة التكنولوجيا، والسوق اختلف اليوم عنه قبل عامين، فقد قاومت بشدة قرار خفض الجودة منذ سنتين، وافتعلت معي مشكلة كبيرة. ماذا قلت حينها؟ لا يمكن أن يكون الإنسان منحطًا هكذا. صحيح، فلا يمكن أن تكون الورشة الأولى العظيمة منحطة هكذا، ولا يمكن أن نرى منتجاتها في ذيل القائمة على مستوى الدولة. لقد جننا جميعًا من الورشة الأولى، وبغض النظر عن أي شيء، لا يمكننا أن نجلس مكتوفي الأيدي. قل لي هل هذا صحيح أم لا. أمل أن تكون المسؤول عن الفريق الصغير للتحويل التقني، والأمين شوي أيضًا يوافق على توليك أنت مسؤولية هذا الأمر».

اندهش سونغ يون هوي، ولكنه رفض بشدة: «لست مؤهلًا لتولي مسؤولية التحويل التقني في الورشة الأولى، فمعرفتي بالورشة الأولى لا تؤهلني حتى لحمل حذاء كبير المهندسين ليو».

«سأشاور الأمين شوي في الأمر، فلتأكل أنت طعامك ولا تتكلم فحسب». انتهى المدير مِين من شُرْب كأس النبيذ، وأحضرت له زوجته صحناً، «لو بدأنا في تصدير منتجات الورشة الأولى، بكم من الممكن بيعها؟».

«لا يمكن بيعها من الأساس، لا أستطيع أن أقول سعراً دقيقاً». بدا على المدير أنه لا يصدق تماماً، ولكنه لم يضغط عليه في السؤال: «هل التجارة الخارجية صعبة أم لا؟».

«تكمن صعوبة التجارة الخارجية حقيقةً فيما إذا كان بإمكاننا مواكبة توجهات التكنولوجيا على نطاق عالمي وفي أي وقت أم لا، وهل نستطيع تنظيم سلسلة المنتجات أم لا. فعلى سبيل المثال إذا ما اتبعنا روتين الصورة النمطية، أخشى حينها أن تزداد صعوبة التسويق للمنتجات في الخارج أكثر فأكثر». ثم صمت سونغ يون هوي، واعتذر له أخيراً: «أيها المدير، لقد كنتُ في السابق شاباً مندفعاً، وكان ينقصني بعض النضج في كلامي وأفعالي، أرجو ألا تأخذ ما فعلت على محمل الجد».

فقال له المدير مِين: «ما دامت مشكلة الماضي قد تم حلها فلا بأس، فمن يتذكر هذه الأمور، الأمر كان يتعلق بشيء ما وليس بالأشخاص. وأنت يا سونغ الصغير، لا تأخذ الأمور فيما بعد على محمل الجد، فأنت تملك ذاكرة جيدة، وما زلت تذكر هذه الأمور المزعجة. ما رأيك في الطعام الذي طهوته؟ لقد أخذنا الحديث».

قالت زوجته ضاحكة: «إنه من النادر ما يدخل إلى المطبخ، وما إن علم بأنك قادم حتى أراد أن يُحسن استقبالك».

تناولوا وجبة طعام سعيدة، وقال المدير مين إن سونغ يون هوي عاد للتو من رحلة طويلة، لذا فلم يبقه كثيرًا. وأوصله بنفسه إلى الباب، كما ساعده على إنارة مصابيح المبنى، ولم يغلق المصابيح حتى تأكد أن سونغ يون هوي قد دخل إلى بيت عائلة تشنغ. حينما تعامل مع سونغ يون هوي بهذه الطريقة جعله يتساءل متشككًا: هل يمتلك المدير مين كل هذا اللطف؟

بعدما عاد إلى المنزل أخذ يتحدث مع حميه المدير تشنغ، وقال له المدير تشنغ أن مين وبعدهما تقلد منصبه الجديد عليه أن يجمع حوله أشخاصًا مفيدين له ليساعده، ومن المعقول جدًا أن يطلب سونغ يون هوي. ولكنه لا يتبين بوضوح ماذا قد يفعل مين بعدما يستقر في منصبه، إذ يتوقف ذلك على ما إذا كان مين متسامحًا أم لا. وبينما يقول هذا الكلام، شعر سونغ يون هوي أن وزن تشنغ كاي يان المستندة على ظهره قد ازداد فجأة، وأدرك أنها نامت بعدما سمعت هذا الكلام، فلم يسعه سوى الاعتذار بصوت منخفض لحميه، وحمل تشنغ كاي يان لتنام في غرفتها. شعر المدير تشنغ بالعجز الشديد بينما ينظر إليهما، فقد كان لديه الكثير ليقوله.

لم يكن سونغ يون هوي في الأصل يريد أن يتجاوز حدوده، لكن وبعدهما تحدث إلى مين، شعر بأن الأمور معقدة، فلماذا يبدو أنه قد تورط مع كبير المهندسين ليو؟ لم يكن يعرف ماذا يقرر المدير مين في النهاية بالضبط، فمن في المصنع الرئيسي كله لا يعرف الخلاف العلني الذي نشأ بين الأمين شوي وكبير المهندسين

ليو؟ إذ أراد سونغ يون هوي ألا يتدخل في الأمر، لكن يبدو وأن الأمور قد خرجت عن سيطرته، وعلاوة على ذلك فإنه شاب متقد بالرغبة في المنافسة، وكانت لديه أفكار كثيرة حول الورشة الأولى منذ وقت طويل، وسرعان ما وضع خطتين، إحداهما تنطوي على تغييرات صغيرة وتأثيرها محدود، أما الأخرى فتندرج على تغييرات كبيرة، وستكون ثمة حاجة إلى مزيد من التنظيم للمناقشة وتوقع أفضل النتائج. كتب من كل خطة ثلاث نسخ، وأعطى واحدة إلى الأمين شوي، والثانية إلى المدير مين، والثالثة إلى قسم التقنيات، إذ قام بالأمر بدقة شديدة حتى يتجنب الإساءة إلى آلهته الموقرة عن طريق الخطأ.

بعدما خرجت الخطة بثلاثة أيام، أخبر المدير مين الأمين شوي بأنه يحتاج إلى شخص مهم، وكان بالطبع يريد أن يجعل سونغ يون هوي يذهب خصيصًا ليكون مسؤولًا عن تنفيذ الخطة الثانية للتحويل التقني، ولم يُنبّه المدير تشنغ ولا سونغ يون هوي إلى الأمر أولاً، ما جعل وجه المدير تشنغ متجهماً، وجعل سونغ يون هوي وبسبب ذلك يشهد الاندفاع الغامض للمدير مين، إذ لم يعد مين يضع المدير تشنغ نصب عينيه. لم يتمالك نفسه من التفكير في أن مين وإذا ما أراد حقًا أن يأخذ برأيه، فعليه أن يحترمه، يتقرب إليه، يستميله، وليس أن يتصرف كما تصرف الآن. وحتى لو كان سونغ يون هوي يحب العبث بالمعدات وتطبيق التقنيات، فلم يسعه سوى التردد أكثر من مرة، ولطالما شعر بأن مسألة التحويل التقني هذه ستكون السبب في السلطة المطلقة وإعادة خلط الأوراق.

ولكن المدير مِين لم يستسلم بسبب رفض الأمين شوي، إذ أصر على طلبه، ووفقًا للخطة فإنه سيكون في حاجة إلى استخدام الكثير من المعدات، كما ستكون عملية إعادة تأهيل الورشة الأولى عبارة عن معركة معقدة لاغتنام الوقت وتحقيق الأرباح، إذ سيكون عليه إكمال كافة الاستعدادات الأولية قبل الإصلاح السنوي الكبير في أقرب وقت ممكن، وخوض معركة تركيب رائعة خلال مدة الإصلاح الكبرى في الربيع المقبل. سيحتاج في هذه المعركة إلى شخص يملك خبرة في استيراد وتركيب المعدات، كما يكون ملماً إلمامًا تامًا بالمعدات الموجودة في الورشة الأولى، وذلك ليتولى التنسيق والقيادة، فمن هو هذا القائد الذي سيكون أفضل من سونغ يون هوي في جيتشو كلها ليرشح لهذا؟

قبل عامين، ربما كان سونغ يون هوي يعتقد أنه سيكون أفضل من الجميع في عملية إعادة تأهيل الورشة الأولى، لكن وبعدما مر بالمعركة المعقدة لإنشاء الورشة الجديدة، صار يتبين بوضوح أن إعادة تأهيل الورشة الأولى ليس بالأمر الهين بأي حال من الأحوال، وستكون الآثار المترتبة عليه كثيرة وواسعة، وبصفته نائبًا صغيرًا فإنه لا يملك مهارات تنسيق كافية، ولن يكون قادرًا على السيطرة الكاملة حتى فيما يتعلق بالجانب التقني، كما أن هناك مسافة فاصلة بينه وبين كبير المهندسين ليو بعد كل شيء، وتسمى هذه المسافة «الخبرة». وحتى لو حصل على تقدير من الدرجة الأولى خلال فترة تأسيس الورشة الجديدة، لكنه سيقع حتمًا في فخ نقص الخبرة التقنية خلال إعادة تأهيل الورشة الأولى، هذا ما لم يكن ثمة أشخاص من ذوي الخبرة مثل كبير المهندسين ليو

يقدم المساعدة الكاملة له، أو كما كان يفعل معه الأمين شوي من قبل؛ إذ كان يتحمل أخطائه بالكامل وبكل قوته، أو مثل الدعم والمساندة التي كان يقدمها له حموه المدير تشنغ. أما الآن فهل سيستطيع المدير مين أن يفعل معه ذلك؟ فحتى المدير تشنغ يعتقد أن المدير مين إنما هو يشجع سونغ يون هوي بتكليفه بهذه المهمة الكبيرة.

وعلى الرغم من الشكوك الكثيرة التي كانت تملأ سونغ يون هوي، ولكنه كان ما زال يساعد ليانغ سي شن على القيام بعملها الأول في التجارة خطوة بخطوة تقريبًا، وكانت ليانغ سي شن هي الأخرى متحمسة لإثبات ذاتها، فقد كانت تستطيع إقناع العملاء بقبول الطلبات المقدمة منها، كما تأكدت بالفعل في أمريكا من وجود المشترين والتوقيع على العقود قبل شحن البضاعة. وبمرور المعاملة الأولى أتت المعاملة الثانية، فحينما وصلت البضائع إلى الميناء للتسليم، وتبعتها الدفعة الثانية، شعرت ليانغ سي شن أن الأمر صار مألوفًا بالنسبة إليها، كما ازداد عدد الشحنات المقدمة بشكل كبير. لم يكن سونغ يون هوي يعرف كيف أن ليانغ سي شن، هذه الفتاة الصغيرة، تستطيع أن تقوم بذلك وأن تعثر على موطن ثانٍ لها، كما استطاعت أن تقنع البنك بتوسيع نطاق خطاب الاعتماد، فسأل ليانغ سي شن، ولم تخف عليه سرًا؛ إذ تحدثت إليه بصدق وحثت له التفاصيل، فقد اتضح له أن فرق السعر هو الذي يحدد العمل، والعمل يحظى بثقة البنك، هكذا بكل بساطة. أخذ سونغ يون هوي يتمتم: من السهل حقًا ممارسة الأعمال التجارية في أمريكا، ليس الأمر كما هو في الصين؛ إذ توجد قواعد لا حصر

لها هنا مثل: التفاوض على سعر عادل، ورفع الأسعار، وخفض الأسعار، والأسعار المزدوجة، وخطط الاستحواذ، والعلاقات بالعملاء وغيرها.

تمكن المدير مين أخيرًا من الحصول على موافقة الأمين شوي، واستطاع الإمساك بسونغ يون هوي ليذهب إلى هناك، ووافق فورًا على طلب سونغ بزيادة الدعم. فلم يسع سونغ سوى البدء في الانشغال، لكن وبما أنه أُجبر على التدخل في الأمر، فقد فضل أن يبتهج، فإنه يحب في الأصل الابتكار التقني، ويحب استكشاف المجالات الجديدة، علاوة على ذلك فلقد كان المدير مين متعاونًا أشد التعاون، فإذا ما أراد أشخاصًا أرسل له، وإذا ما أراد مالا أعطاه، ما يسر عمل سونغ يون هوي للغاية. سلمه المدير مين فيما بعد جميع الأعمال التقنية في الفرع الأول من المصنع هكذا ببساطة، وجعله يقوم على التنظيم والقيادة، وكان طلب مين الوحيد أنه من الضروري إكمال كافة الاستعدادات قبل إجراء الإصلاحات في العام المقبل، وأن يسعوا جاهدين خلال فترة إجراء الإصلاحات الكبرى لاغتنام كل دقيقة في استكمال التعديلات التقنية للمعدات.

كان سونغ يون هوي من الأشخاص الذين يزدادون حماسًا بالانشغال، وكلما ازداد حماسًا تزداد قدرته على تحقيق نتائج جيدة، أضف إلى ذلك التوجيه الكامل من حميه، والتعاون الكامل من مين، وهذا جعله ينجح في قيادة الفرع الأول للمصنع، حتى الموظفون المعنيون في المصنع الرئيسي كانوا مشغولين معًا

بأعمال التحول التقني، تمامًا كما كان يحدث في ذلك الوقت الذي تم فيه تأسيس الورشة الجديدة. فعلى الرغم من أن أعمال التحول التقني في الفرع الأول للمصنع لم تكن كبيرة مثل عملية تأسيس الورشة الجديدة، فإن تفاصيل العمل لم تكن قليلة بالمرّة، فالتحول التقني في الفرع الأول للمصنع لم يشغل طاقة جميع العاملين في الفرع فحسب، ولكنّه أثر على العديد من الأشخاص في المصنع كبيرهم وصغيرهم منصبًا. كان سونغ يون هوي ما يزال غير متأكد بشأن أفكاره عن تعامل مين معه، لكن ومع تطور العمل لم يكن يملك الوقت ليفكر في أمور أخرى. وكان المدير تشنغ أيضًا مسؤولاً عن أعمال البنية التحتية، مما جعله مشغولاً هو الآخر في العمل انشغالاً كبيراً.

وضعت تشنغ كاي يان طفلها خلال هذا التوقيت، وكانت المولودة بنتًا. فبعدما دُفعت تشنغ كاي يان إلى غرفة الولادة، كان سونغ يون هوي ووالده الذي تقاعد بسبب المرض ووالدته التي كانت متقاعدة عن العمل في الأصل جميعهم قلقين قلقًا شديدًا في الخارج تأثرًا بحادثة سونغ يون بينغ، حتى إن المدير تشنغ وزوجته لم يكونا قلقين إلى هذا الحد. لم يطمئن سونغ يون هوي الذي كان قلقًا لتسعة أشهر كاملة سوى حينما وضعت تشنغ كاي يان طفلتها بعد نصف يوم من المعاناة، بكت تشنغ كاي يان من فرط الألم، فجلس بجانبها على السرير وأخذ يواسيها، ولم يجد وقتًا ليلقي نظرة على ابنته سوى حينما جاءت بها والدته تحتضنها، فقال المدير تشنغ إنه يريد أن يتعلم من طريقة تعامله مع تشنغ كاي يان كيف يعامل ابنته. لكن وفي الحقيقة حينما رأى ابنته ذات البشرة

الحمراء شعر شعورًا غريبًا، إذ اختلطت عليه الأحاسيس، وكان لا يشعر بقوة أنه صار أبًا بعد الآن.

أحاط كلُّ من عائلتي سونغ وتشنغ بتشنغ كاي يان وبالبنات الصغيرة، فشعرت تشنغ كاي يان أنها سعيدة وبحق، واستمرت أمها وحمايتها في محاوَلتها هي وابتها بعدما خرجت من المستشفى وعادت إلى البيت، فلم تكن تشنغ كاي يان في حاجة إلى تحريك يدها حتى. حلَّت العطلة الصيفية بعدما انتهت إجازة الوضع التي كانت مدتها ثلاثة أشهر، وشعرت من أعماق قلبها بأن العمل الذي قام سونغ يون هوي بتغييره من أجلها جيد حقًا.

حلَّ شهر مايو، وكانت هناك الكثير من الأعراس فيه، إذ تزوج أخو تشنغ كاي يان الكبير، وكانت الزهور والنباتات المزروعة في الفناء الأمامي والخلفي لبيت سونغ يون هوي مُزهرة ومبهجة، لم يكن لديه الوقت للوفاء بوعدده، إذ حمل طفله الصغيرة وأخذ يشاهد الزهور المنعشة، وكانت الفتاة الصغيرة بالكاد تتعرف على هذا الأب الذي قليلاً ما يمكث في المنزل.

جاءت ليانغ سي شن بأخبار من شأنها أن تجعل سونغ يون هوي يتنهد، إذ قالت له الفتاة الصغيرة أن الدولار الأمريكي قد انخفض بشكل حاد أمام العملات الرئيسية مثل: المارك والين الياباني، وأنها أخرجت نصف أموالها لتحويلها إلى الين الياباني، وذلك لأنها من آسيا، وبعدها قامت بهذه العملية اكتشفت أنها محظوظة كما لو كانت قطعة عمياء أمسكت بفأر ميت، إذ اتضح لها أن الين الياباني ارتفع أكثر مقابل الدولار الأمريكي، ما جعلها تحقق ربحًا، قال لها سونغ

يون هوي إنه لا يعرف سوى بعض أسعار صرف العملات لأنه كان يعمل في التصدير، وكان متعجبًا من معرفة ليانغ سي شن بهذه الأمور مع أنها لا تعمل سوى معه في التجارة الصينية الأمريكية، فقالت له ليانغ سي شن إنها تعلمت عمليات الاستثمار مع زملائها حينما كانت في المرحلة الإعدادية، وبما أنها تملك المال الآن، فكيف لها أن تجد فرصة للربح وتتركها؟ بالطبع عليها أن تجعل المال يأتي بالمزيد من المال، وتحقق ربحًا. وتحدثت ليانغ سي شن أيضًا عن أحوال تواصلها مع زملائها في المرحلة الإعدادية، فجعلت سونغ يون هوي يفتح عينيه من فرط الدهشة، وتبين حقيقةً ماذا حدث للدولار الأمريكي الذي كان يكسبه من عمليات التصدير، وطلب من ليانغ سي شن أن تعطيه كتابًا مبسطًا عن أسعار الصرف، فأرسلت إليه ليانغ سي شن بضعة كتب على الفور، وبدا كما لو كان سونغ يون هوي قد رأى التقدم السريع الذي حققته ليانغ سي شن، وأدرك أخيرًا أن جملة اللحاق بمستر سونغ التي كانت كثيرًا ما ترددها ليانغ سي شن لم تكن مزحة، مما جعله يشعر بأزمة، كما لو أحس بوقع خطاها خلفه خطوة بخطوة وهي تطارده.

جرت طلبية المعدات القادمة من الخارج هذه المرة بسهولة كبيرة، وذلك ولأن سونغ يون هوي صارت لديه خبرة ثرية في مجال التجارة الخارجية، وعندما حان وقت توقيع العقد استشار ليانغ سي شن الخبيرة في مضاربة العملات الأجنبية، وحدد العملة المناسبة. كان في ذلك التوقيت هناك شركة يابانية بإمكانها تقديم منتجات رخيصة الثمن وعالية الجودة نسبيًا، كما كانت تقدم خدمات ما بعد البيع بشكل إضافي، وكان شرطها الوحيد

هو الدفع بالين الياباني. كان الأمين شوي والمدير مين متفائلين للغاية بشأن الشركة اليابانية التي يُبدي ممثلها التجاري توجهًا وديًا، ولكن سونغ يون هوي رفضها، إذ استند إلى «اتفاقية بلازا» ومنحني الارتفاع الأخير للين الياباني مقابل الدولار الأمريكي في توضيح أن الإنفاق الفعلي للعملة أثناء الدفع يجب أن يكون أكثر من الإنفاق الفعلي لشراء المعدات من بلدان أخرى. ذهل الأمين شوي والمدير مين من كلامه، ومن ثم وافقا عليه.

وعلى النقيض كان من الصعب تمامًا طلب المعدات محليًا، وكان يتطلب ذلك تحديد موعد للتسليم، وأحيانًا يتطلب مباشرة استجداء المساعدة من كل مكان.

مكتبة

t.me/soramnqraa

6

بعد عيد الربيع، واجهت قرية شياولي جيا ضائقة كبيرة!

صارت كمية كبيرة من الخنازير السمينة جاهزة للذبح في عيد الربيع، وقاموا في مزرعة الخنازير بتنظيف الحظائر وتجهيز الخنازير الصغيرة في مطلع الربيع للذبح بعدما تكبر. كان الجو باردًا في عيد الربيع، واستمرت الرياح الشمالية الغربية في الهبوب لبضعة أيام متتالية، فتجمدت المياه القذرة المندفعة في البالوعات. كان الجميع يحتفلون بقدوم عيد الربيع مرة أخرى، فلم يهتم أحد بالتركيز مع تنظيف روث الخنازير المجمد عديم الرائحة ونقله بعيدًا بالجرار، فأى فلاح محظوظ سيقوم بمثل هذا العمل المقرف في عيد الربيع؟! لم يتصور أحد أن يصبح الجو أكثر دفئًا بعد عيد

الربيع، فذاب الجليد القذر، وهطلت أمطارًا غزيرة، فضرّفت مياه الروث وبول الخنازير المنبعث حديثًا معًا في مياه النهر، فتحوّلت بطون جميع الأسماك الصغيرة والكبيرة التي يتم تربيتها في القرى الواقعة أسفل مجرى النهر إلى اللون الأبيض، وطفّت بطونها البيضاء على سطح النهر بأكمله.

تقع قرية شاوجيا على مجرى النهر، وهي قرية تقع أسفل مجرى النهر من قرية شياوليجيا، ومنذ أن بدأت تظهر المشاريع في البلدان والقرى المجاورة كالنار في الهشيم، لم تمر بضعة أيام على النهر الجاري أمام بيوتهم وهو صافٍ، حتى بدأ يتلون حينًا بالأصفر وحينًا بالأخضر وحينًا بالأحمر، وصار منظره حيويًا كما لو كان في ورشة صباغة، ومع ذلك يبدو وكأن تلك الأسماك التي تعيش في النهر كانت خالدة، إذ لم يؤثر فيها السّم الأبيض وظلت حية تُرزق بكل أريحية. وعلى الرغم من قذارة رائحة المياه القادمة من قرية شياوليجيا، فحينما يتغير اتجاه الرياح كانت الرائحة تختفي، كما أنها لم تكن لتقتل أحدًا، ألا يشمها سكان شياوليجيا أنفسهم؟ لذا فقد كانوا وعلى الرغم من سبهم إياهم ببضع جمل، لكن لم يكن في وسعهم سوى ألا يهتموا كثيرًا، ومع ذلك كانوا يزيلون روث الخنازير في كل يوم بالجرارات، أليس الأمر مجرد إلقاء بعض مياه الخنازير في النهر؟ ففي الأول والآخر لن يمكنهم إغلاق مزرعة الخنازير المملوكة للآخرين. لكن الأسماك الميتة التي طفّت على سطح النهر هذه المرة كانت بمثابة خسارة نقود حقيقية، إذ شعر الفلاحون الذين وقّعوا عقودًا لتربية الأسماك في النهر بالأسى الشديد على الأسماك ذات البطون البيضاء التي تملأ النهر وظلّوا يبكونها طويلًا.

غضب عمدة قرية شاوجيا كثيرًا لدرجة أنه ذهب إلى شياوليغيا وطلب تعويضًا ماليًا، ولطالما جاء إليهم عمدة القرية، فكان على عمدة قرية شياوليغيا، وهو لي شي قن، التعامل معه. وعلى الرغم من معرفة شي قن بأن إلقاء روث وبول الخنازير في مجرى النهر كان شيئًا قذرًا في حقيقة الأمر، ولكنه لم يعترف بأن أسماك قرية شاوجيا قد ماتت مسممة بسبب بول خنازير شياوليغيا. وكان لديه هو الآخر منطقته الخاص، إذ كانت المياه القذرة القادمة من مزرعة الخنازير تُلقي في النهر لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، فكيف ماتت الأسماك في هذا العام خصيصًا؟ لا بد وأن ثمة قرية ما واقعة على مجرى النهر قد أَلقت سُمًا فيه. فقال له عمدة قرية شاوجيا لماذا إذن لم تُمِت الأسماك التي في مجرى النهر أمام شياوليغيا والقرى التي فوقها، وماتت فقط الأسماك الواقعة في مجرى النهر القادم من شياوليغيا وصولاً بشاوجيا؟ يدل هذا على أنه وحتى لو لم يكن بسبب بول الخنازير الموجودة في شياوليغيا، فقد تكون مياه أخرى مسممة قد أَلقتها شياوليغيا. فقال له شي قن أن النهر أمام شياوليغيا ليس فيه أسماك على الإطلاق، فأَي أسماك هذه التي ماتت!

أخذًا يتحدثان ويبرران موقفهما لمدة ساعة كاملة، ولم يتنازل أيُّ من عمدة القريتين، ومن ثمَّ استدار عمدة قرية شاوجيا ذاهبًا ليشتكى في البلدة. كانت الحالة الاقتصادية لقرية شياوليغيا جيدة، وكانت البلدة تميل نسبيًا إلى شياوليغيا، إذ كان شي قن كثيرًا ما يذهب إلى هناك. كان عمدة قرية شاوجيا يتحدث في البلدة ببعض الحرج، أما شي قن فكان على العكس يتحدث بطريقة المعتادة، لذا تحول الموقف في المناقشة وكان قرية شاوجيا تلفق الاتهامات

حسدًا وغيره من أهالي شياوليغيا التي صارت تتطلع بطموحاتها إلى السماء. طلبت البلدة من قرية شاوجيا ألا تحاول الاستفادة بأي طريقة، فبمجرد أن رأت الحالة الاقتصادية لقرية شياوليغيا جيدة تمسكت بطلب المال منها، ما جعل عمدة قرية شاوجيا وكأنه شعر بالظلم، فأصر على اصطحاب رئيس البلدة إلى شاوجيا لرؤية الأسماك الميئة. وبينما يحاول سحبه رنّ جرس انتهاء العمل عند الظهيرة، فتسابق موظفو البلدة على العودة إلى بيوتهم بعد انتهاء العمل، وتركوا خلفهم عمدتي قرية شياوليغيا وقرية شاوجيا.

جاء عمدة قرية شاوجيا مكلفًا بهذا العمل، وحينما وجد الأمور لم تُنجز بعد، لم يكن قادرًا على العودة إلى القرية والتعامل مع الفلاحين، فأصر على أخذ شي قن إلى القرية ليشرح له الأمر، ولكن شي قن رفض، وركب دراجته النارية التي اشتراها للتو مغادرًا وحده، ولم يستطع عمدة قرية شاوجيا اللحاق به بدراجته على الإطلاق، ما جعله يشعر ثانية بالغضب.

تحدث شي قن مع لي دونغ باو في هذا الأمر بعدما عاد إلى القرية، وكان لي دونغ باو يرى روث الخنازير يُلقى في النهر حينما كان صغيرًا، وما إن يُلقى حتى تلاحقه الأسماك الكبيرة والصغيرة لأكله، فمن أين جاء هذا السم الذي يقتل الأسماك، وتناقش مع شي قن في أنهم لا دخل لهم بما حدث في قرية شاوجيا، فهم من يربون الأسماك وهم من سمموها، وأنهم يريدون ابتزاز قرية شياوليغيا للحصول على المال. استقر كلاهما على أن هذا هو ما حدث، وتناقش شي قن في البداية عما إذا كان من الممكن أن

يعطوا قرية شاوجيا بعض التعويضات بعدما حدث ذلك، لأنهم على الأقل تسببوا في تلويث مياه النهر، لكنه وحينما فكر في أن قرية شاوجيا لم تكن مظلومة، وأنها تحاول ابتزازهم للحصول على المال، توقف فورًا.

قام شخص ما في تلك الليلة بالحفر في أحد جدران مزرعة الخنازير، وكان من قبيل الصدفة أن ذلك الجدار الذي حُفر فيه كان جدار مزرعة تربية الخنازير الصغيرة، غزت المكان موجة باردة في هذا الوقت المتأخر من الليل، وتجمع بضعة خنازير صغيرة أخذت تصيح حول تلك الحفرة التي في الجدار، ما جعل مدير النوبة الليلية يستيقظ فزعًا على صوت صياح الخنازير، وهرع الجميع للإمساك بالفاعلين، فأمسكوا اثنين وهرب الباقون. لم يكن المزارعون ليرحموا خصومهم، فذهب بعض عمال النوبة الليلية لسد الجدار وإبعاد الخنازير، وقام آخرون بنزع معطفي الشخصين الذين تم ضبطهما وربطهما بعمودي كهرباء عند مدخل المزرعة، وتركوهما لحين قدوم القادة في اليوم التالي للتعامل معهما. أخذ الشخصان الذين تم ضبطهما يئنان من البرد، ويصرخان على عمال مزرعة الخنازير الذين يرتدون المعاطف.

وجد الهاربون العائدون من أهالي قرية شاوجيا ينقصهم شخصان، وكان الناقصان من أقاربهم، فهما ابن عم أحدهم وابن خالة أحدهم، ولم يكونوا رعاغًا، لذا لم يكن من الممكن عدم العودة للبحث عنهما. لكنهم وحينما عادوا إلى مزرعة الخنازير وجدوا كلبًا ذئبيًا يسُد الطريق، وجميع الأنوار مضاءة، وأهالي

شياوليغيا في حالة تأهب وجاهزون للقتال، فلم يعرف أهالي قرية شاوجيا ما إذا كان عليهم الظهور أم لا. ليس الأمر وكأنهم لا يعرفون مدى شراسة أهالي شياوليغيا، فقد كانوا يجرؤون حتى على قتال سكان المدينة إذا كانوا مدينين لهم بالمال، لكنهم وحينما رأوا قريبيهما المقيدين في عمدان الكهرباء، لم يسعهم سوى إنقاذهم، فأرسلوا بعضاً منهم إلى قرية شاوجيا لطلب المساعدة.

حينما تشم كلب شياوليغيا الذئبي رائحة أشخاص، أخذ يحاول إيجادهم هنا وهناك، فشعروا في شياوليغيا بأن الأمور ليست على ما يرام، ما جعلهم يفتحون مكبرات الصوت الموجودة في مزرعة الخنازير ويطلبون المساعدة. كانت الأجواء الشتوية في القرية هادئة جدًا حتى لتستطيع سماع صوت الإبرة إذا سقطت على الأرض، فحينما صرخ مكبر الصوت الرمادي الذي كان بحجم حوض القدم، نهض جميع سكان القرية وهرعوا للمساعدة. وهنا كانت السماء تبزغ شيئًا فشيئًا، فوقف الجيشان يواجهان بعضهما في الظلام على طرفي الطريق الذي يربط شياوليغيا بقرية شاوجيا، يمسكون في أيديهم المجارف ومشاعل النار.

ما إن سمع لي تشيونغ فو أن هناك أمرًا ما يحدث في مزرعة الخنازير، كان أول من «انزلق» من على فراشه، وبعدهما ذهب ليستعلم عن الأمر في المزرعة، أسرع باحثًا عن لي دونغ باو وشي قن وهمس في أذنيهما بأن الطقس صار أكثر دفئًا في الأيام الأخيرة، وتبين له أن إلقاء كمية كبيرة من بول الخنازير المجمد في الماء، جعل روث الخنازير الذي لم يتم تنظيفه لبضعة أيام في عيد الربيع

يسقط في النهر بعدما هطلت الأمطار، وبالطبع فإن هذه الكمية الكبيرة من بول وروث الخنازير بإمكانها أن تقتل جميع الأسماك الموجودة في النهر، وكان تشونغ فو يعمل في تربية الأسماك قبل أن ينتقل إلى تربية الخنازير، ويفهم جيدًا ما يقول.

أدرك لي دونغ باو وشي قن أنه ما من ثمة طريقة للتراجع، وأنه لو وافق على التعويض الآن، سيظن الطرف الآخر أنهم حصلوا على التعويض بوضعهم تحت فوهة البندقية، وستزداد بعد ذلك غطرسة قرية شاوجيا بشكل كبير، فكيف سيتمكن أن تتصرف شياوليجيا في المستقبل؟! لكن ولطالما سمموا أسماكهم، فمن غير المبرر ألا يمنحهم تعويضًا. ومن حسن الحظ أن أمين البلدة قد أحضر أفرادًا من الشرطة لفض الشجار، فاستغل لي دونغ باو الموقف وتصرف بسخاء، وطلب من فريق شياوليجيا العودة إلى بيوتهم، وسلّم الشخصين الذين تم القبض عليهما ليلاً من قرية شاوجيا إلى مركز الشرطة للتصرف معهما. لم يوافق أهالي قرية شاوجيا على الانسحاب، واعتمد عمدة القرية على القوة العددية وأصر على اصطحاب قادة البلدة ليروا النهر والسماك الميت الذي فيه. ذهب قادة البلدة ليلقوا نظرة، فوجدوا خندقًا واسعًا من الماء القدر. فهل يمكن ألا يموت السمك الموجود في خندق الماء القدر هذا؟

ركب لي دونغ باو وخلف شي قن على دراجته النارية، وبادرا بالذهاب إلى حكومة البلدة، إذ انتظرا لحين عودة قادة البلدة للتصرف معهم. تناقش مع شي قن خلال الطريق، كيف يمكن التعامل مع هذا الأمر، وهل عليهم الاعتراف أم لا، وهل إذا ما

اعترفوا لن يكون لدى أهالي قرية شاوجيا فيما بعد الحق في سد خندق الصرف الصحي الخاص بهم؟ وإذا لم يعترفوا بذلك فما العذر الذي سيستخدمونه لدفع التعويض؟ فلا يمكن ألا تعمل مزرعة الخنازير، ولا يمكن ألا يتم تصريف بول الخنازير، فالاعتراف بلا شك هو القضاء على كل منفذ لمزرعة الخنازير.

سَلَّم قادة البلدة في بداية الأمر عينات من مياه النهر إلى المدينة لفحصها، ولم يكن ثمة طريقة للحكم في الأمر سوى بعد ظهور النتيجة. ومع ذلك فقد انتقدت البلدة قرية شياوليغيا في تحويلها النهر إلى خندق مياه قذرة الرائحة، لذا حذا عُمدة قرية شاوجيا والأمين حذوهم واتهموهم، كما طالبوا بوقف العمل في مزرعة الخنازير. كان لي دونغ باو في البداية يستمع فحسب، وبعد الاستماع إليهم مرارًا وتكرارًا وعدم الخروج بحل معقول، أصدر متعمدًا صيحة عالية لإيقاف ضجيج الجميع، وأخبر رئيس البلدة أن المحافظة هي التي أمرت بتربية عشرة آلاف رأس في مزرعة الخنازير، وأنها نموذج تم تأسيسه بواسطة المحافظة أيضًا منذ أكثر من عام، وقد جلبت شرفًا لا يحصى إلى المحافظة. لا بد وأن تستمر مزرعة الخنازير في العمل، ولا بد وسيتم تصريف بول وروث الخنازير، وعلى القادة أن يجدوا حلاً.

كان قادة البلدة يعرفون بالطبع غطرسة العاملين في مزرعة الخنازير بشياوليغيا، ولم يكونوا مستعدين بطبيعة الحال لإغلاق النموذج الذي أسست له المحافظة والعملاق المالي في البلدة، ومع ذلك فقد كانت المشكلة ببساطة كما سأل لي دونغ باو، ما

الحل؟ لم يستطيعوا أن يتخذوا قرارًا، ولم يفعلوا شيئًا سوى أنهم قدموا تقريرًا للمحافظة، وطلبوا منها تقديم الحل.

لم يتصور أحدٌ أن يكون الحل الذي قدموه بهذه البساطة، إذ قالوا في المحافظة أن الحالة الاقتصادية لشياوليجيا هي النموذج الأفضل بين الحالات الاقتصادية للقري في المحافظة بأكملها، وإذا كانت هناك مشكلة ما تعاني منها قرية شاوجيا فعليها السعي لحلها بنفسها، كما عليهم أن يتعلموا من شياوليجيا، ويضعوا لأنفسهم أهدافًا عالية ويسرعوا من أجلها لتنشيط اقتصاد القرية بأكملها. لم يجرؤ عمدة قرية شاوجيا والأمين على الذهاب إلى المحافظة، ولم يكن لديهما حلاً سوى الجلوس في البلدة وطلب الحل من سكرتير رئيس البلدة. ووفقًا لطلب عمدة قرية شاوجيا للتعويض، بادر شي قن بترك شيك نقدي بقيمة خمسة آلاف يوان ثم غادر، وسأل لي دونغ باو قبل أن يغادر رئيس البلدة عن كيفية حل هذه المشكلة إذا ما استمرت مزرعة الخنازير في العمل، فلا يمكن التعويل دائمًا على طلب المال من شياوليجيا، كما سألت قرية شاوجيا أيضًا عن حل هذه المشكلة، فلا يمكن ألا تربى الأسماك في الجزء من النهر المقابل لشاوجيا، فلم يستطيعوا في البلدة على كبرها التوصل إلى أي حل.

ولطالما لا يستطيع أحد التوصل إلى الحل، إضافة إلى ذلك أخذت قرية شاوجيا المال، فقد تم تسوية المسألة إلى هنا دون حل. تعلمت مزرعة الخنازير في شياوليجيا الدرس، ولم يجرؤوا على ترك روث الخنازير بلا تنظيف كما حدث في ذلك اليوم،

ولكن استمر تصريف المياه القذرة، وظلت مياه النهر في قرية شاوجيا عبارة عن مجاري صرف صحي، ولم يكن هناك جدوى من تقديم أهالي قرية شاوجيا اعتراضًا ثانية، إذ ظلت المحافظة تدعم شياوليغيا فحسب. ولم يسع أهالي شاوجيا سوى التذمر والشكوى في كل مكان، ولكن بلا جدوى.

كان أول ما يشغل لي دونغ باو في البداية هو مشكلة روث وبول خنازير المزرعة، وطلب من تشونغ فو أن يجد حلاً، وفكر هو نفسه أيضًا في بناء خندق طويل لتصريف المياه القذرة في اتجاه مجرى النهر في قرية شاوجيا، لكن ولطالما لم يعترض الرؤساء، ولم تحدث قرية شاوجيا اضطرابًا كبيرًا بعد الحصول على التعويض، فلقد وضع هذا الأمر جانبًا.

حينما شهد جميع أهالي شياوليغيا كبيرها وصغيرها تلك الضجة الكبيرة، وكان الرؤساء ما يزالون يحمون شياوليغيا، قوت شوكة الجميع، ولم يشغلوا بالهم بطبيعة الحال بالبحث عن حل لمشكلة مزرعة الخنازير، علاوة على ذلك فقد صاروا شاعرين أنهم على حق ورفعوا شعار تصريف الملوثات «من أجل تعزيز الاقتصاد الريفي». ومن ثمّ لم تعد قرية شاوجيا فقط هي التي تشتكي وتذمر، بل أيضًا المناطق الواقعة أسفلها على طول مجرى النهر، لكن وما السبيل إلى شكواهم جميعًا؟ إذ صار الجميع تدريجيًا يقولون إن لي دونغ باو، هذا الرجل، متسلط، فلا تسري كلمته في قريته فقط، بل لا يستطيع أحد في القرى المجاورة أيضًا التصدي له. ولم تنتشر رائحة روث خنازير شياوليغيا القذرة في

النهر فحسب، بل انتشرت معها سمعة لي دونغ باو القدرة هي الأخرى على طول مجرى النهر إلى الأسفل. كان لي دونغ باو رجلاً مخادعاً، وبما أن الجميع صاروا يسبونهم هكذا، فلقد تخلص بهذا من شعوره السابق بالذنب.

كانت هناك حاجة إلى كمية كبيرة من النحاس بسبب بدء تشغيل اثنين من معدات الكابلات في مصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية، ولقد أدرك الأشخاص الأذكىء ممن يعملون لحسابهم الخاص هذا الأمر وجاءوا إلى هنا، وبحثوا عن أرض قريبة في القرى المجاورة لبدء مشروع إعادة تدوير خردة النحاس، استعداداً لبيع خردة النحاس إلى مصنع شياوليغيا للكابلات الكهربائية، والذي يعد مستهلكاً كبيراً للنحاس. كانت قرية شاوجيا أول المستفيدين من ذلك بطبيعة الحال، إذ تم افتتاح العديد من ساحات إعادة تدوير خردة النحاس في القرية، وعمل الكثير من أهالي قرية شاوجيا في ساحات خردة النحاس، وكانت تنبعث يوميًا من عدة مداخن رائحة كريهة مليئة بالدخان الأسود لكلوريد البولي فينيل المحترق، وظلت مياه الصرف الصحي المعالجة بالأحماض ومياه الصرف الصحي الهالوجينية التي يتم تصريفها من إعادة تدوير النحاس في قرية شاوجيا تتدفق في اتجاه مجرى النهر، محطة تلو الأخرى، ومصبًا تلو الآخر.

جنت مزرعة الخنازير مع نهاية العام أموالاً وفيرة، لكن وبغض النظر عن مدى كثرة أرباحها فإنها لا تضاهي أرباح مصنع الكابلات الكهربائية. لقد أدى افتتاح مصنع الكابلات الكهربائية إلى توجيه

القرى المجاورة لافتتاح مصانع شراء ومعالجة خرده النحاس، ما أدى في النهاية إلى انتشار المستغلين والمضطهدين المتساوين في السوء بغض النظر عن مكان وجودهم، ولم تعد المياه والرائحة القذرة خاصة بشياولي جيا فحسب، وهذا جعل أهالي قرية شاوجيا يكفون عن التذمر والشكوى منهم.

ومع ذلك فلم يكن أمام القرى المجاورة أيضًا سوى استخدام مياه الصنابير، فنظرًا لأن مياه النهر لم يعد بالإمكان استخدامها، كما لم يعد بالإمكان استخدام المياه الجوفية الملوثة بالمحلول الحمضي الملحي، أجبر الجميع على اللحاق بركب سكان المدن واستخدام مياه الصنابير.

في هذا العام، كان يانغ شيون يبيع الأسلاك والكابلات الكهربائية في الشمال الشرقي سرًا بالاسم التجاري لمصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية، ومع مرور الوقت عرفه الناس بأنه عامل في قسم المبيعات بمصنع دنغ فانغ للكابلات الكهربائية، فكبرت تجارته أكثر فأكثر، وكلما ازدادت الأموال في يده ازداد ثراءً وقوة. أصبحت مشتريات يانغ شيون من دنغ فنغ تزداد تدريجيًا، ومن ثم صارت كلمته لها أثر شيئًا فشيئًا أمام لي دونغ باو. ومع ذلك لم يكن لي دونغ باو يحب يانغ شيون كثيرًا، وكثيرًا ما كان يتهمه في وجهه بأنه صار أكثر جنونًا، ومجنونًا إلى أبعد الحدود. ألا يعمل تاجرًا بسيطًا فحسب؟ فمن أين أتى هذا الجنون؟ لم يكن يانغ شيون ليستطيع الرد وجهًا لوجه على لي دونغ باو، وإذا ما كان مجنونًا فإن لي دونغ باو أكثر جنونًا منه.

t.me/soramnqraa

نهر يتسع لأكثر من مصير

《大江大河》

ترصد هذه الرواية تفاصيل الحياة اليومية للشعب الصيني في فترة الإصلاح والانفتاح من خلال عرض حياة عائلة صينية صغيرة ومسيرة بطل الرواية "سونغ يون هوي"، وهو نموذج للشخصية الصينية التي تسعى للتكيف والتطور في ظل التحديات والتحويلات الاجتماعية الكبرى. وبفعل التعبير الأدبي الدقيق للكاتبة "آ ناي" عن تفاصيل حياة البطل اليومية؛ يشعر القارئ وكأنه صديقه الذي يشاركه المواقف التي يتعرض لها يوميًا، ويرى أدق تفاصيل حياة الصينيين في تلك المرحلة، كما أن قارئ هذه الرواية سيشعر بالارتباط الحميم مع شخصياتها وكأنه يعرفهم. فالرواية لا تقدم عرضًا تاريخيًا لفترة ما في الصين، بل تعرض لنا تلك الفترة بعيون شخصيات بسيطة من لحم ودم تتفاعل مع مجتمع يتغير بشكل كبير. رواية "نهر يتسع لأكثر من مصير" من الأعمال الأدبية المهمة في الأدب الصيني المعاصر، وترجمت إلى العديد من اللغات، وحققَت نجاحًا كبيرًا في الصين وخارجها، وتحولت إلى مسلسل تلفزيوني شهير، حتى إنها تُدرّس في بعض المدارس والجامعات، وتُعد مرجعًا مهمًا لفهم التاريخ والثقافة الصينية في تلك الفترة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

بيت الحكمة للقائمة
174 شارع التحرير - ميدان التحرير - القاهرة
ت: +20223936038 +20103032888
info@baytelhekma.com
www.baytelhekma.com

